

المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم

المشروع التنصيري في السودان

١٨٤٣ - ١٩٨٦م

دراسة تاريخية تحليلية عن الانتشار المسيحي ودور الإرساليات الأوربية في تكييف السودان حضارياً وسياسياً

د. حسن مكي محمد أحمد

شعبة البحوث والنشر

إصدارة رقم ١١

١٤١١هـ / ١٩٩١م

تقـــديم

«الحمـد لله والصلاة والسلام على البشير النذير خاتم الرسل والانبياء سيدنا محمد عليه افضل الصلاة واتم التسليم»

تقوم شعبة البحوث والنشر بالمركز الإسلامى الإفريقى باجراء الدراسات والبحوث عن أوضاع المسلمين فى إفريقيا ومؤسساتهم التعليمية والثقافية واحوالهم الاقتصادية والاجتماعية تهدف من وراء ذلك كله الى وضع المعلومات والاحصاءات والوثائق التى تنير الطريق أمام الهيئـات والمؤسسـات التى ترغب فى نشر الـدعـوة الإسـلامية وتقديم العون للمسلمين والتعرف على القضايا التى تشغلهم فى مختلف المجالات. كما تقوم الشعبة بمحاولة كتابة تاريخ المنطقة من جديد بأسلوب يصحح المفاهيم والاخطاء المتداولة التى ساعد الاستعمار ومعـاهد التبشير فى ترويجها حتى باتت تدرس فى مناهج المسلمين أنفسهم كذلك تجرى الشعبة دراسات للتيارات السياسية والدينية المعاصرة فى إفريقيا. والاساليب التى تتبعها هذه الجهات لنشر المسيحية على حساب الإسلام.

وتجسيدا لهذه الأهداف نقدم اليوم هذه الدراسة عن «مشروع تنصير السودان ـ ١٨٤٣ ـ ١٩٨٦م» التى أعدها الباحث المعروف د. حسن مكى محمد أحمد الذى سبق ان نشرت له الشعبة عدة بحوث من صميم اهتمامات المركز ومع أن هذه الدراسة عن السودان الا انها تمثل نموذجاً لما يحدث فى العالم الإسلامى لذلك فهى تقدم للقارىء فرصة طيبة للوقوف والتأمل في:

أ / مقاصد وأهداف البعوث التنصيرية فى العالم الإسلامى.

ب/ النتائج التى أدت لها جهود هذه البعوث التنصيرية سلبا وإيجاباً فى مجال نهضة الأمة الإسلامية ووحدتها وتعزيز أوضاعها الروحية والثقافية والسياسية.

ج / مستقبل وجود هذه البعوث وسط شعوب ومكونات الأمة الإسلامية.

وقد انتهت هذه الدراسة الى نتائج جد خطيرة واوضحت بجلاء الدور التخريبى الذى قامت به هذه البعـوث التنصيرية ومحاولاتها إضعاف هوية الأمة والقضاء على شخصيتها الإسـلاميـة وثقافتها الدينية مما أسهم فى إضعاف بنائها الاجتماعى وإعاقة تقدم المشروع الإسلامى وإشاعة الالحاد والشك فى القيم الروحية.

وفى الختام ارجو ان تكون هذه الدراسة دعوة لكل المهتمين والباحثين حتى ينفروا خفافا

وثقالا فى سبيل اعداد الدراسات والاطروحات التى تسهم فى اعادة ترتيب البيت الإسلامى وبناء تاريخ الأمة وتنمية مواردها وحياتها الروحية وتقود إلى كشف الاعداء المتربصين بها وإحباط مخططاتهم التخريبية . ونأمل أن تسجل هذه الدراسة حضوراً فاعلا عند المثقفين والخيرين من ابناء الأمة والمنظمات والهيئات الإسلامية ، كما أرجو أن يتقبل الله جهد الباحث د. حسن مكى فى انجاز هذه الدراسة وصبره على اعدادها .

«ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين . »

عبدالله على الصـــافى
رئيس شعبة البحوث والنشر

جمادى الأولى ١٤١١هـ
نوفمـــبر ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشروع تنصير السودان فى الماضى والحاضر ١٩٤٣ ــ ١٩٨٦

الجزء الأول

فاتحـــة :

تجىء هذه الدراسة فى إطار التعرف على أبعاد وجذور حركة التبشير المسيحى فى المجتمع السودانى . وثمة أسباب متعددة للقيام بهذه الدراسة منها :

١ ــ الدور الكبير الذى تضطلع به الإرساليات فى مجال التعليم والثقافة والخدمات الاجتماعية والصحية مما يستوجب دراسة أثر هذا النشاط على مجتمع إسلامى فقير ونام ظلت بعض قطاعاته، تعتمد نسبيا على هذه الخدمات .

٢ ــ الصراع الذى خاضته الإرساليات ضد السلطة الوطنية وما صاحبه من انعكاسات سياسية ما تزال تلقى بظلالها على العلاقة بين الكنيسة والدولة سلبا وإيجابا .

٣ ــ تميز السودان بتطرف الخطاب العلمانى ، وبلغ هذا التطرف غايته فى دفع فئات مجتمع الجنوب النامى والفقير - فى فترات مختلفة - إلى حمل السلاح ضد الثقافة الإسلامية العربية السائدة فى الشمال وحقها فى التوجه نحو الجنوب وقد احتضنت الهيئات الكنسية دعاة هذا الخطاب مفسحة لهم المجال للعمل من خلال الجمعيات ذات الأهداف الإنسانية والوكالات الخيرية والتنظيمات الرعوية على امتداد عالم الكنيسة مما يستدعى دراسة ظاهرة التطرف العلمانى وصلته بالمسيحية .

اعتمدت هذه الدراسة على المسح الميدانى ووثائق حكومة السودان المتعلقة بالتبشير ومحفوظات معهد الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن عن السودان ودار الوثائق البريطانية . ولئن كانت هذه الدراسة لا تحيط بكل مجالات وقدرات العمل التبشيرى المسيحى فإنها تلقى الضوء على كثير من أوجه هذا العمل وتأثيراته ، وإنه لمن المأمول أن تكون عونا للدارسين فى هذا المجال برغم ما قد يعتريها من قصور .

تقع هذه الدراسة فى أجزاء ثلاثة : الجزء الأول : دراسة نظرية تاريخية تحليلية تحاول الإحاطة بتاريخ المسيحية فى السودان ، ابتداء من الممالك المسيحية الداثرة وانتهاء

بالإرساليات الاوربية المعاصرة ويقع هذا الجزء فى سبعة فصول. والجزء الثانى يشتمل على افادات المسح الميدانى لحاضر الوجود المسيحى فى العاصمة السودانية ويشتمل على ثمانية فصول، والجزء الثالث عن العمل التبشيرى فى أقاليم كردفان والشرقى والأوسط. ولم تتعرض الدراسة للعمل التبشيرى فى دارفور والإقليم الشمالى نسبة لضآلة هذا العمل فى هذين الإقليمين وحداثته حيث ارتبط بنشاط وكالات الإغاثة الكنسية خلال فترة الجفاف والتصحر بالإضافة الى مظاهر الوجود الكنسى فى عطبرة والدامر وتنتهى الدراسة بخريطة تحدد توزيع الأديان فى السودان.

تقصد الدراسة بالتبشير المسيحى، الجهد المبذول لنشر المسيحية وآدابها عبر الخطاب المباشر والاتصال المتعدد الوسائل والاغراض وبذل الخدمات الاجتماعية والتعليمية والثقافية كما يدخل فى ذلك أى جهد مبذول لتمكين الثقافة المسيحية بالوسائل القانونية والسياسية والضغوط الدولية وكذلك عن طريق سياسات القهر والقوة والامر الواقع ورفع السلاح. لاحظت الدراسة أن الخطاب المسيحى والدور الكنسى يتناقص فى مجتمعات مراكز الإرسال المسيحى فى أوربا وأمريكا إلا أن الكنيسة لم تفقد دورها فى اقرار السياسات وتكييف خطاب الحكومات الغربية المعاصرة وبرامج الاحزاب والجماعات. ويزيد فى خطر الكنيسة مالها من موارد مالية وبشرية وتنظيمية فى عالم تشتد فيه الحاجة ويكثر فيه الفقراء والمعوزون وتتجاذبه النكبات والكوارث، والمسيحية السائدة فى الغرب هى ذلك المزيج الثقافى ما بين تراث الإغريق وحضارة الرومان ورسالة المسيحية التى تعرضت (للتبديل والتحريف) أنتج هذا المزيج وضعا ثقافيا يتسم بالثبات النسبى، كما طبع هذا المزيج مظاهر الحياة، حيث تظلل الكنائس معالم الحياة بمجلاتها وبرامجها المبثوثة فى وسائل الإعلام والترفيه المرئية منها والمسموعة كما تشرف الكنائس بأبراجها على طبع المدن الغربية بطابعها كذلك تتفق العطلات الرسمية مع احتفالات الكنائس ابتداء بأعياد الميلاد والقيامة وانتهاء بعطلات الأسبوع (السبت والأحد). والثقافة الغربية أو العلمانية فى حد ذاتها تعبير عن ثلاثية الحضارة الغربية التى تقوم على الفكر الهيلينى والتراث الرومانى وعقائد المسيحية. وكما توحدت عقائد المسيحية الأوربية توحدت ثلاثية الحضارة الغربية فى الكنيسة وإرسالياتها فى العالم الإسلامى. ولعل حرص الكنيسة على إرساء ركائز النظام العلمانى فى العالم الإسلامى وغيره نابع من طبيعة فكرة التثليث الكنسية ذاتها باعتبار العلمانية واحدة من معطيات الثقافة الكنسية.

يتناول الفصلان الأول والثانى من الجزء الأول دراسة دخول المسيحية إلى إفريقيا من خلال مراحل أربع عنيت المرحلة الأولى بانتشار المسيحية بعد رفع المسيح عليه السلام ومن آثار ذلك الكنيسة القبطية فى مصر وما تبعه من ذيوع المسيحية فى شمال إفريقيا واثيوبيا ثم

ممالك النوبة المسيحية فى السودان. وتتواكب المرحلة الثانية مع الحروب الصليبية التى جاهدت لفرض النصرانية بحد السيف فى مصر وشمال إفريقيا، باعتبار أن هذه الحروب كانت محاولات للتوسع الاستعمارى والسيطرة الثقافية أكثر من كونها محاولة للاستيلاء على القدس فحسب. وتوافقت المرحلة الثالثة مع حركة الكشوفات الجغرافية والتوسع البرتغالى فى شرق وجنوب شرق إفريقيا أما المرحلة الرابعة فهى المرحلة المعاصرة والتى بدأت بالتكالب الاستعمارى والتسابق على إفريقيا، حيث جاءت الكنيسة اما فى حمى جيوش الاحتلال الاوربية أو سابقة لها ممهدة الدروب بتطويع قلوب الأفارقة وتأليفها على حب الحضارة الأوربية الغالبة:

دخلت المسيحية السودان المعاصر على مرحلتين: المرحلة الأولى: الفترة الممتدة ما بين ١٨٤٣ ـ ١٨٨١ وهى قرابة الأربعين عاما. وكان جل رواد التبشير المسيحى فى هذه الفترة من الكنيسة الكاثوليكية وفى حمى دولة محمد على وممثليه فى السودان التى عرفت بالتركية وأهم رواد حركة التبشير فى هذه الفترة، كنوبلجر وكمبونى وغردون وتميزت هذه الفترة بالصعاب الجغرافية والمناخية والصحية حيث مات عشرات من المبشرين الاوربيين فى مجاهل السودان من جراء محاولاتهم الرامية إلى بث عقيدة الصليب. أسهمت هذه الفترة فى تعميق الشعور الإسلامى بالتحدى المسيحى وإعطاء المشروعية لحركة الجهاد المهدوى التى قام نداؤها على تجديد الدين ورفع الظلم والإطاحة بالكفرة من أمثال غردون وجسى وسلاطين الذين نصبهم أحفاد محمد على ولاة على السودان. ودكّ إرساليات التنصير فى بربر والخرطوم والدلنج وجبال النوبة وجنوب السودان. كما وردت فى الفصلين إشارات إلى صراعات المبشرين فيما بينهم ومحاولاتهم ربط الكنيسة السودانية ببلادهم، حيث دار الصراع بين الكاثوليك النمساويين والكاثوليك الطليان. كما تم استعراض ما آل اليه وضع المبشرين والإرساليات على يد الامام المهدى وتتعرض الدراسة كذلك إلى موقف الكنائس الاوربية من المهدية، حيث حاولت تشويه صورتها فعبأت الرأى العام الاوربى ضدها بالإضافة الى دور الكنيسة التى أقامها الكاثوليك فى المنفى باسم (كنيسة السودان). ودور هذه الكنيسة فى حركة القضاء على الجهاد المهدوى وإعادة الاستيلاء على السودان.

أما فى الفصلين الثالث والرابع من الجزء الأول فقد تركز الحديث عن حركة التنصير الحديث (١٨٩٨ ـ ١٩٥٦). وتميزت هذه الفترة بتدفق المال الاوربى والنشاط من مختلف الكنائس التى اجتهدت فى بث النصرانية بوسائل التعليم والخدمات الاجتماعية والخطاب المباشر، على الاخص فى جنوب السودان. تتعرض الدراسة كذلك الى دور الحكم الانجليزى فى التمكين لحركة التبشير بكبت أى توجه إسلامى اصيل وتشجيع التدين

التقليدى والذى تمثل فى تشجيع الطرق الصوفية والمؤسسات الدينية الرسمية (العلماء) وأهم سمات هذه الحركات الإسلامية التقليدية أنها تتعايش وتنمو وتحصر نفسها فى اطار التدين الاجتماعى وتهذيب الاخلاق والابتعاد عن الممارسة الثورية وروح الجهاد وسياسات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذات المدلول الاجتماعى والسياسى. ازدهرت كذلك فى ظل الاستعمار حركة التنصير المسيحى فى جنوب السودان، فى ظل سياسات المناطق المقفولة وسياسات الجنوب وسياسات بث الكراهية بين أبناء الجنوب ضد الشمال وتشكيل الجنوبيين على أساس العرق ومناهضة الثقافة الإسلامية العربية. أثمرت هذه السياسات فى تفجير تمرد ١٧ أغسطس ١٩٥٥م والذى استهدف الشماليين العاملين بالجنوب وأصبح قادة هذا الانفجار وقودا لمسلسل حركات التمرد التى أصبحت سمة الحياة فى جنوب السودان. كما تتعرض الدراسة لمحتوى التعليم التنصيرى وما تمخض عنه من مشاكل فى مجالات اللغة والدين والتأهيل للحياة كما تتطرق خاتمة الفصلين لنمو الحركة الوطنية وما لقيته من عداء كنسى وكيف وجدت الحركة الوطنية نفسها فى وضع الغريم المنافس لبعوث التنصير فى مجالات سياسات الجنوب والتعليم والتغريب والتطور الدستورى وتتبعت الدراسة ذلك العهد الذى عدلت فيه الكنائس موقفها من الحركة الوطنية ولطفت فى - كياسة - عداءها حينما اصبحت الحركة قدرا مقدورا.

أما الفصلان الخامس والسادس من الجزء الأول فيتتبعان تطور الحياة الكنسية فى السودان عامة والجنوب بخاصة، كما توضح كيف أدى ولوغ الكنيسة الامريكية فى محاولاتها لتنصير المسلمين إلى استجابة جزئية من المجتمع الإسلامى مهدت لقيام حركة (الإخوان المسلمون) فى نهاية الأربعينات. وتابعت الدراسة مسار حركة الكنيسة فى معارضتها لحركة التعريب وتوحيد المنهج الدراسى ما بين الشمال والجنوب واخضاع مدارس الجنوب لسلطان الدولة كما هو حادث فى الشمال كذلك تتبعت الدراسة تطور حركة التمرد الجنوبية رادة ذلك إلى الزاد الكنسى حيث يبرز دور الكنيسة العالمية فى التأطير لحركة التمرد تحت ستار الإغاثة ورعاية اللاجئين ثم قرار إبعاد المبشرين الأجانب من جنوب السودان فى عام ١٩٦٤م، ومغزى ذلك القرار وما أعقبه من ازدهار فى حركة سودنة الكنيسة فى الداخل وما صحبه من انتشار للتمرد وازدياد فى هجرة الجنوبيين الى دول الجوار الإفريقى (يوغندا، زائير، كينيا، إفريقيا الوسطى) مما أدى إلى تفاقم الاوضاع فى الجنوب، جالبا معه الإطاحة بالحكومة ثم مؤتمر المائدة المستديرة فى رحاب حكومة مدنية جديدة وتتبعت الدراسة كذلك تشرذم حركة التمرد، مما حدا بالقوة الكنسية ان تدفع بالمرتزق الالمانى شتاينر الذى استطاع توحيد حركة المتمردين فى ظروف انقلاب عسكرى قام به صغار الضباط المنفعلين بالشعارات القومية واليسارية فى الجيش السودانى وما تبع ذلك من محاكمة لاشتاينر وتوقيع اتفاقية أديس أبابا التى طغى فيها دور

عنصر الكنائس الإفريقى ومجلس الكنائس العالمى والكنيسة السودانية. وما تلا ذلك من ازدهار للعمل الكنسى فى السودان على الأخص فى الجنوب فى الفترة ١٩٧٣ ـ ١٩٨٣. حيث اندلعت الحرب مرة أخرى. وتنبه الدراسة إلى أن الكنيسة لم تحاول يوما أن تطور أوضاع التكامل السياسى والثقافى بين الجنوب والشمال وانها أهدرت طاقات البلاد والعباد، فوضعت المسيحية مقابل الإسلام والشمال مقابل الجنوب والعروبة مقابل الزنجية مما جعل ثقافة المواطن الجنوبى الكنسية تصب فى اتجاه العزلة والانفصال.

تحاول الدراسة استخلاص الدروس والعبر مما حدث وتخلص إلى أن فرص إقامة حياة مسيحية ومجتمع كنسى تشرف عليه كنيسة سودانية ضعيفة إن لم تكن معدومة. وأن المسيحية فى جنوب السودان ومناطق الأطراف القصية تمر بذات ظروف الممالك المسيحية، التى سقطت فيها الكنيسة متداعية من تلقاء ذاتها مفسحة المجال للثقافة الإسلامية العربية للتفاعل والاستمرار. وأن التوتر الحادث فى جنوب السودان إنما هو توتر حضارى مرده إلى الفراغ الروحى والتدهور الأخلاقى الذى لا علاج له الا بتمدد الإسلام.

أما الجزء الثانى من الدراسة فيوضح من خلال المسح الميدانى نشاط حركة التبشير فى العاصمة السودانية ومظاهر هذا التبشير ومواضع مؤسسات التبشير وتاريخ هذه المؤسسات وأداءها ودورها وما تتمتع به من قوة بشرية وموارد مادية. وتبرز فى خلال العرض ظاهرة التمدد غير المخطط (العشوائى) للكنيسة وما يصاحب ذلك من تجاوزات وتحايل على القوانين وإقامة للكنائس بدون ترخيص واستحواذ على الأراضى والعقارات، كما تحلل الدراسة نماذج من مطبوعات الكنيسة التى توزعها على المسلمين وتناقش ما جاء فيها من تشويه وابتسار لحقائق الإسلام كما تحاول الدراسة أن توضح من خلال إفادات الاستبيانات الأسباب التى تقود إلى تنصير العناصر الإفريقية ويجىء فى خاتمة هذا الجزء فصل عن التسهيلات الحكومية الممنوحة للكنائس والمنظمات الكنسية برؤية عامة عن إسهام حركة التنصير فى مجالات السياسة والثقافة فى السودان مقترحة بعض الحلول والمؤشرات.

ويطّرد النهق الوصفى فى الجزء الثالث من الدراسة والذى يعطى صورة عن التغلغل المسيحى فى أقليم كردفان والإقليم الأوسط والإقليم الشرقى محاولا أن يرسم مظاهر هذا التغلغل مكتفيا بالرصد وتنظيم المعلومات. وكذلك يرد الكلام عن محاولات التبشير المسيحى وسط تجمعات اللاجئين الارتريين وظاهرة ازدهار حركة الكنائس العشوائية فى جبال النوبة وصلة ذلك بحركة التمرد التى يتركز وجودها فى جنوب السودان والمعروفة باسم (الجيش الشعبى لتحرير السودان). وبما أن العمل الميدانى لهذه الدراسة قد تم فى بداية الثمانينات (١٩٨١م ـ ١٩٨٣) فربما تكون قد اختلفت بعض التفاصيل عما عليه واقع الحال آنذاك، كما قد تكون قد جدت بعض الظواهر واختفت أخرى، خصوصا فى ظروف

الجفاف والتصحر والحرب والانتقال السكانى إلى المدن، حيث نمت فى الخرطوم وحدها ستون مدرسة كنسية فى مناطق الأطراف الجديدة التى ظهرت فيما بعد حركة التمدد السكانى (العشوائى) ما بين عام (١٩٨٥ ــ ١٩٨٨م) كما قد يلاحظ القارىء أن السرد لا يخلو أحيانا من تكرار وقد جاء ذلك لفائدة الذين قد لا يقرأون الدراسة جملة واحدة، حيث تعمدنا الإشارة فى مقدمة كل جزء إلى عناصر منتزعة من جملة السياق لفائدة ذلك الجزء.

وكما ورد فى صدر هذه المقدمة فان الدراسة لا تطمع فى الإحاطة بكل حركة التبشير ولكنها تحاول أن ترسم المعنى العام كما قصدت هذه المبادرة أن تفتح المجال لمزيد من الحوار والتفكر والتأمل فى ظاهرة التنصير المسيحى وفى ختام هذه الدراسة تجدر الإشارة إلى المؤسسات والأشخاص الكثيرين الذين كانوا بفضل الله سبحانه وتعالى عونا فى إعداد هذه الدراسة وأخص بالذكر إدارة المركز الإسلامى الإفريقى وإدارة لجنة مسلمى إفريقيا والمؤسسة الإسلامية بلستر بانجلترا وإخوة العمل الميدانى وعلى رأسهم الاخ عبدالعظيم حسين (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين). . .

الجـــزء الأول

استعراض تاريخى ـ نقدى لمشروع تنصير السودان ١٩٤٣-١٩٨٦

الفصـــــل الأول.

مراحل الانتشار المسيحى فى إفريقيا منذ رفع المسيح عليه السلام :

الديانة المسيحية أصلا هى مجموع التعاليم التى أنزلت على المسيح عيسى بن مريم الذى تكلم فى المهد وأظهر الله سبحانه وتعالى المعجزات على يده، ورفعه الله اليه حينما أتم تبليغ دعوته لبنى إسرائيل. أدى الصراع الذى صاحب ظهور الدعوة المسيحية ورفع المسيح عليه السلام، قبل تدوين الإنجيل - العهد الجديد - إلى دخول التبديل والتحريف على الرسالة وكتابها المنزل، حيث تغيرت التعاليم المسيحية مكتسبة طابع الثقافات التى نشأت فيها فيما بعد.

دخلت المسيحية إلى إفريقيا على أربع مراحل تاريخية، اتسمت كل مرحلة بسماتها الخاصة. شمل الانتشار المسيحى فى مرحلته الأولى كلا من مصر وشمال إفريقيا وبلاد الحبشة وممالك النوبة فى شمال السودان، امتدت المرحلة الأولى - إذا سلمنا بأن أقدام حوارى المسيح وطأت أرض مصر عام ٤٢م - حتى القرن السادس الميلادى. وقد تغلغلت الدعوة المسيحية فى هذه المرحلة بصورة سلمية وتدريجية.

أما المرحلة الثانية فقد، جاء فى صورة غارات حربية، وذلك حينما ذابت المسيحية فى كنف الثقافة الهيلينية والتراث الرومانى وأصبحت تمثل الطاقة الروحية للسياسات التوسعية لدول الامبراطورية الرومانية، فيما عرف بالحروب الصليبية فى نهاية القرن الحادى عشر والتى بدأت حينما أعلن البابا يوربان الثانى (Pope Urban 11) أن المسلمين (جنس قذر ملعون).[1]

فشلت الحروب الصليبية فى زراعة نمط مسيحى أوربى فى شمال افريقيا ولكن أدى التفاعل الثقافى والسياسى بين الصليبيين الغزاة وحماة الثغور والإمارات الإسلامية ومجاهديها

1- Dhia A. H. A ljubouri the Medieval Idea of Sarcen:, as illustrated in English literature, spectacle and sport. Athesis Submitted in Candidacy for the Degree of Doctor of philosophy in the University of Leicester 1972, p. 21.

الى تعرف الصليبيين على العالم الإسلامى وحضارته وعادات شعوبه وتلمسوا التفوق الأخلاقى الذى تقوم عليه هذه الحضارة مما أدى إلى نمو تيار صليبى جديد أكثر انسانية فى نظرته للمسلمين. وابتداء من القرن الثالث عشر الميلادى أخذ صوت هذا التيار يعلو مغيرا شعاره من تدميرالعالم الإسلامى ومسح أعداء الله من على البسيطة،[٢] إلى اختراق العالم الإسلامى واستمالته من خلال البعوث التنصيرية.

كان أول من بادر مناديا باستخدام الأسلحة الروحية ـ سلاح التنصير وتوطين النصرانية. أحد آباء الفلسفة الانجليزية وهو الفيلسوف التجريبي روجر بيكون Bacon (١٢١٤ ـ ١٢٩٤)، هاجم بيكون الذى يدين للمسلمين بكثير من أفكاره الفلسفية، العقيدة الصليبية إذ رأى فيها مشروعا لاستعباد المسلمين وليس فقط لانتزاع القدس. قاد بيكون حركة فكرية سياسية داعية إلى الاعتماد على الحجج والبراهين الدالة على التفوق المسيحى لتوطين المسيحية فى العالم الإسلامى مما أدى إلى انشطار الحركة الصليبية إلى تيارين، التيار الذى بنى سياساته على قهر المسلمين بسلاح الحديد والنار والتيار الذى تبنى سياسات التغلغل الفكرى والثقافى بنتائجه المضمونة فى مجالات التعليم والثقافة والعمل الاجتماعى وقد جاءت أوقات تكامل فيها الجهدان الحربى والفكرى حيث خدم السيف سياسات التغلغل الثقافى وأحيانا حدث العكس. لقد استفادت أوربا الصليبية من ثمار التداخل الإسلامى ـ المسيحى، إذ أدى الاشعاع الإسلامى إلى تبديد دياجير ظلمة العصور الوسطى وظهور حركة الإصلاح الدينى التي قسمت الكنيسة الاوربية إلى قسمين وصاحب ذلك عبور أوربا إلى مرحلة الكشوفات الجغرافية والتى كان أبطالها البرتغاليون من دعاة الأخذ بسلاح الحديد والنار وقد تميز بينهم بارثلميو دياز وفاسكودى جاما، حيث دار الأول حول رأس الرجاء الصالح فى عام ١٤٨٨، أما الثانى صاحب رحلة الهند فقد عاودته أشواق الحروب الصليبية فلم ينس أن يقذف بمدفعيته المدن الإسلامية الواقعة على ساحل إفريقيا الشرقية كمقديشو وغيرها. وبمجيء عام ١٥٢٠، ذاقت كل الممالك الإسلامية فى شرق إفريقيا طعم نيران العداوة الصليبية، حيث دمرت مدن بأكملها واستبيحت مجتمعات إسلامية حتى منطقة سوفالة فى موزمبيق الحالية، على أيدى الصليبيين البرتغاليين. ولقد جاء كذلك كريستوفر دى جاما Christopher Da Gama شقيق فاسكو دى جاما إلى مملكة الحبشة لتدمير الصحوة الإسلامية، التى انبعثت على أيدى مجاهدى هرر وعلى رأسهم الإمام أحمد بن إبراهيم الجران (توفى ١٥٤٢م)، ولقد كاد الإمام ابن ابراهيم أن يحول الحبشة كلها إلى مملكة إسلامية لولا التدخل البرتغالى بالسلاح النارى، ولقد ادى التدخل البرتغالى لان

٢ـ نفس المصدر السابق ص ٢١٩

يستنجد الإمام أحمد بن إبراهيم بالخلافة الإسلامية وسجل الإمام أحمد انتصارات باهرة على البرتغاليين وأوشكت دولته الإسلامية الممتدة من المحيط الهندى على الالتحام بمملكة السلطنة الزرقاء على ضفاف النيل شاملة كل مناطق السودان الوسيط. ومهما يكن، فان التدخل البرتغالى الحاسم أدى الى انحسار الدول الإسلامية الاثيوبية إلى سابق عهدها بين العفر والصوماليين والاورومو فى منطقة هرر وما جاورها حتى الساحل الصومالى. مهد التدخل العسكرى البرتغالى لتدفق اليسوعيين من المبشرين الكاثوليك على الحبشة فى محاولة لنشر المسيحية الاوربية وقطع علائق النصرانية المحلية بمراكز اشعاعها فى مصر الإسلامية. ولكن سرعان ما تدهورت العلاقات بين اليسوعيين وأباطرة اثيوبيا وكنيستها المحلية نظرا لمحاولة اليسوعيين السيطرة على الدولة أو تغيير عقيدتها الرسمية بخلق مراكز سيطرة ونفوذ مما أدى إلى طردهم[٣]

امتدت هذه المرحلة ثلاثة قرون، حيث حاول دعاة المذهب الكاثوليكى بسط نفوذهم من خلال النشاط الاستعمارى للبرتغاليين والفرنسيين، كما نشط البروتستانت بين يدى الهولنديين والانجليز وقد ادى تعالى الاوربيين العرقى ونفورهم من الأهالى واحتقارهم للعنصر الإفريقى إلى فشل جهودهم التنصيرية، كما أن عقلية الهولنديين الانعزالية، ظهرت فى أول مشروع استيطانى أوربى فى التراب الإفريقى فى جنوب إفريقيا فى عام ١٦٥٢، حيث تمحورت خدمات الكنيسة الهولندية فى الحفاظ على تراث المجتمع الجديد وتقديم الخدمة الدينية له ولحمايته من مؤثرات الثقافة الافريقية المحلية، مما أدى إلى نمو كنيسة انعزالية عنصرية تؤمن بمبدأ جواز استئصال العرق الأسود باعتباره مخلوقا أقل انسانية من سيده الأبيض، وكان جورج اشميدت George Schmidt أول رسل هذا التيار.

وما يهمنا هنا أن جهود المرحلة الثالثة أدت إلى قيام مستوطنات أوربية فى أطراف القارة الجنوبية وانحصرت المسيحية، التى كانت فى غالبها كاثوليكية، فى هوامش هذه المستوطنات، وحينما دالت دولة البرتغاليين فى القرن الثامن عشر، تضاءلت الحركة المسيحية منكسفة.

أما المرحلة الرابعة من عمر التبشير المسيحى، فقد جاءت فى أعقاب التحولات الاقتصادية والفكرية، حيث ظهرت الآلات التى تقوم بكثير من الأعمال اليدوية مما أدى إلى الاستغناء عن كثير من الأيدى العاملة مما أدى للاتفاق الاوربى على إلغاء تجارة الرقيق، تلك التجارة التى أدت إلى دمار بشرى هائل فى إفريقيا، ورغم ذلك فقد واصل الكثير من الأوربيين عملهم فى هذه التجارة تحت سمع وبصر الكنيسة وأحيانا بتشجيع منها وأعقب

3- Mahmud Brelvi, Islam in Africa, lahore, 1964. pp.xii – 1

ذلك التنافس الاوربى على اقتسام القارة الافريقية بعد أن خلت بقاع بكاملها من سكانها بفعل تجارة الرقيق.

لقد اختطف الاوربيون فى القرن الثامن عشر الإنسان الإفريقى من قارته، وفى القرن التاسع عشر غصبوا ترابه وثرواته. لقد أصاب غرس الكنيسة فى هذه الحقبة نجاحا كبيرا، حيث لم يكن هناك حتى عام ١٨٦٣ أى وجود واضح للكنيسة الاوربية فى إفريقيا وما كان منه لا يتجاوز بضعة الآف بينما يوجد الآن فى الخمس الأخير من القرن العشرين ٢٣٦ مليون إفريقى ينتمون رسميا إلى الملل الكنسية بأنماطها الاوربية المختلفة ويمثل هذا العدد حوالى ٤٥٪ من سكان القارة حسب قول المصادر المسيحية التى تجتهد فى تفخيم هذا النجاح (انظر الموسوعة المسيحية)

دخلت المسيحية فى شمال وادى النيل - مصر - على يد حوارى المسيح - القديس مارك (St. Mark) كما تقول الروايات المحلية فى عام ٤٢ ميلادية. وقد نمت العقيدة المسيحية فى مصر متأثرة بالطقوس الفرعونية التى تقوم على تألية الفراعنة، ثم انتهت إلى عقيدة تأليه المسيح عليه السلام حيث اعتبر المسيح ذا طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية[٤] ولما كانت مصر فى تلك الحقبة، واقعة تحت قبضة الإمبراطورية الرومانية، فقد وجدت الكنيسة المصرية نفسها فى صراع مع مذهب السلطة الحاكمة الذى يقوم على ازدواجية شخصية المسيح (بشرية - والهية) وقد اكتسب أنصار المذهب الحاكم فى مصر اسم الملكانية ودخلوا فى صراع مع الكنيسة المحلية وأنصارها، والذين أصبحوا بمقتضى مقررات مجمع نيقيا لعام ٤٥١م. هراطقة يجب إعادتهم حربا أو سلما لمذهب الدولة - المذهب الملكانى

ومن بعد مصر، اصبحت منطقة شمال إفريقيا، المنطقة الثانية لاعتناق المسيحية فى إفريقيا، حيث دخلت المسيحية فى نهاية القرن الأول الميلادى إلى تونس والجزائر ولكنها كذلك، أصابها داء الانقسام والتفتت والصراع الداخلى. أما المغرب فقد أقبلت على المسيحية فى القرن الثانى وكذلك البربر فى ليبيا - وقد شهدت المسيحية فى شمال إفريقيا تجربة صراع جديد من ظروف الاجتياح الرومانى للمنطقة، حيث أصاب الوهن العقيدة المسيحية فى ظل حكم قسطنطين (٥٢٧ - ٥٦٥) الذى ظهرت فى عهده تأويلات الكنيسة المصرية وتخريجات الاوربيين وتدخلات العقائد المحلية فى ظل ثورات البربر المتتالية.

ونتيجة للتمزق السياسى والتفتت العقائدى وسيف الاستعمار الرومانى المصلت على

٤- عرف أنصار الطبيعة الواحدة باليعاقبة وهو اسم راهب سورى ظهر فى القرن السادس الميلادى يدعى يعقوب باردوس

الرقاب، رحب البرابرة بالدعوة الإسلامية لسماحتها وبساطتها ابتداء من عام ٦٣٠م. ووالت العقيدة الإسلامية واللغة العربية انتشارها فى يسر وتدرج وسلم حتى القرن الحادى عشر، حيث رسخت قدم الإسلام واصبح سكان شمال إفريقيا أهل قبلة واحدة. وفى عام ١٠٧٦ تم اللقاء الاخير بين مطران قرطاجة وبابا روما الذى كان فى حقيقته لقاء تبادل التعازى على انحسار المسيحية فى شمال إفريقيا.

أما اثيوبيا التى تمثل الدائرة الثالثة للمسيحية - كما يشير دخولها لإفريقيا - فقد دخلتها المسيحية على ظهر سفينة فلسطينية ركابها من المسيحيين التجار تحطمت سفينتهم بالقرب من سواحل اثيوبيا فى بدايات القرن الرابع، واضطر بعضهم للبقاء فى اثيوبيا حيث نشروا المسيحية إلى أن أصبحت كنيسة اثيوبيا جزءا من كنيسة الاسكندرية القبطية.

الإسلام ينقذ أقباط مصر وكنيستهم:

تحت نير الكنيسة الرومانية الشرقية ودولتها، تعرض أقباط مصر والكنيسة القبطية لانماط من المهانة والتعذيب، وما تزال الذاكرة القبطية تجتر ذكرى ذلك الاضطهاد والتعذيب، وما تزال سير ومرويات الاقباط حافلة بالاهوال والمصاعب التى كابدها أجدادهم على يد الرومان لقد قتل الكثيرون وأغرق آخرون بينما أخفى عدد كبير من الاقباط عقيدتهم وتدثروا باسباب المذهب الملكانى الذى كانوا فى حقيقتهم منكرين له، لقد اباد الملك قسطنطين وحده ما يزيد عن المائتى الف قبطى فى الاسكندرية(٥). فى هذا الظرف تطلع المصريون نحو المسلمين، بعد أن سمعوا عن عدلهم وحسن سيرتهم واكرامهم لاهل الكتاب كما وضح أثناء فتحهم لبيت المقدس، رحب المصريون وكبير قساوستهم الذى كان هاربا فى الصحراء، خائفا من بطش الرومان بمجيء المسلمين. نظرت الكنيسة القبطية الى الفاتحين نظرتها الى الحماة المنتصرين لرايات التسامح ومبدأ حرية الاديان. وقر المسلمون الاقباط واكرموهم وعاملوهم معاملة حسنة ظهرت فى منحهم حرية ادارة كنائسهم ورعاية أحوالهم الشخصية بغير تدخل. هذه السماحة يسرت للدين الإسلامى أسباب الانتشار حتى دخل معظم الاقباط فى دين الله أفواجا فى القرن العاشر الميلادى وأصبحت مصر إسلامية القيادة والمجتمع.

5- T. W. Arnold, the preaching of Islam, AHistory of the propagation of the Muslim faith. lahore, 1968. pp. 103

النصرانية فى بلاد النوبة :

ظلت أراضى النوبة حتى القرن الرابع الميلادى. أرضا خالية من رايات الدين السماوى، عدا ما يكون موروثا من ديانات ابراهيم وموسى التى طال عليها العهد. ظلت أرض النوبة لالآف السنين فى حالة تداخل حضارى مع حضارات مصر وجزيرة العرب، فلا عجب أن أخذ ملوك النوبة منذ القرن الرابع وبعد انهيار مملكة مروى فى اعتناق النصرانية. وقد سهل دخول النصرانية أن بلاد النوبة أصبحت محاطة بالمسيحية من ناحية مصر واثيوبيا وشمال افريقيا.

دخل النوبة بعد انهيار دولة مروى (٣٠٠ ق.م ٣٥٠م) فى حالة من الفوضى وغياب للسلطة المركزية وقد توافقت هذه الفترة مع ازدياد نفوذ الرومان فى مصر والتى أدت الى هجرة الاقباط الى بلاد النوبة، طمعا فى البعد عن بطش الرومان. وأخذ الأقباط الفارون بدينهم فى نشر المسيحية القبطية - مبدأ اليعاقبة الممنوع فى مصر - فى بلاد النوبة وحينما سمح الامبراطور جستنيان بازدهار مبدأ اليعاقبة فى بلاد النوبة أرسل رسله لنشر مبدأ الدولة الرسمى، ومن الغرابة بمكان، أن الامبراطورة ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان، كانت على مبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح - الطبيعة الالهية- واستهوتها جهود زوجها التبشيرية فى بلاد النوبة، فأرسلت سرا عددا من دعاة مذهب الطبيعة الواحدة للترويج لعقيدة اليعاقبة فى كنف الدولة البيزنطية.

أدى التنافس التبشيرى بين الاقباط ورسل جستنيان ورسل ثيودورا الى قيام ثلاث ممالك مسيحية، عرفت باسم ممالك النوبة المسيحية وهى المقرة ونوبيا وعلوة أما المقرة فقد أصبحت جزءا من مذهب الكنيسة الحاكمة فى مصر، لذا فلا عجب ان دالت دولتها، فى ظروف الاجتياح الإسلامى لمصر والقضاء على السيطرة البيزنطية هناك.

أما فى مملكتى النوبة وعلوة، حيث سادت عقيدة اليعاقبة، فقد انحصرت العقيدة النصرانية بين أفراد القيادة الحاكمة والطبقة العليا من المجتمع، بينما ظل أفراد المجتمع الآخرون على وثنيتهم ومعتقدات آبائهم القديمة.

ظهور الإسلام فى بلاد النوبة :

قبل أن ينصرم قرن واحد على مجىء المسيحية للسودان وقبل أن تتوطد أقدامها نتيجة للصراع العقائدى بين المذهبين المتنافسين، وجدت النوبة نفسها وجها لوجه مع ركب

الإسلام، بقيادة الصحابى الجليل عبدالله بن سعد ابن أبى السرح الذى خلف الصحابى الجليل عمرو بن العاص على حكم مصر فى عام ٢٥ من الهجرة النبوية (٦٤٦م) ولقد استطاع هذا الصحابى أن يتوغل مع جيشه فى النوبة فى عام ٦٥٢/٣١م حتى مدينة دنقلا عاصمة المقرة حيث عقد صلح معاهدة البقط مع النوبة والتى منحت المسلمين حق التنقل فى بلاد النوبة واعتبارهم مسافرين لا مقيمين كما مكنتهم من بناء مسجد فى دنقلا بالاضافة الى ملاحق المعاهدات التى اشتملت على مزايا تجارية.

ظلت هذه الاتفاقية نافذة حتى انتهت بقيام الدولة الفاطمية فى مصر، ولقد عاشت الاتفاقية كل هذه الفترة لأنها كانت تمثل فى نظر الطرفين اتفاق إخاء وتعاون أكثر منها اتفاقا بين غالب ومغلوب ولقد تمكن المسلمون من نشر العقيدة الاسلامية بصورة سامية فى ظل هذه الاتفاقية، كما امتدت انشطتهم التجارية الى مملكة علوة حتى عاصمتها سوبا بقيادتها المسيحية. ومع أن علوة لم تكن طرفا فى الاتفاق فإنها أصبحت طرفا فيه، لما جلب عليها التجار المسلمون منافع الاتفاقية التجارية.

انتشر الاسلام فى بلاد النوبة بسهولة وسلم لاسباب كثيرة منها أن شعب النوبة متأثر فى مزاجه وتكوينه منذ أقدم العصور بأهل مصر والجزيرة العربية، كما أن كثيرا من مكونات الحضارة النوبية، جاءت من مصر وجزيرة العرب وليبيا فأهل النوبة خلاصة لتفاعل الهجرات السامية العربية مع المجتمع الافريقى المحلى الذى تأثر وأثر فى الحضارات المجاورة فى مصر والحجاز واثيوبيا وما تلاها من أرض إفريقيا.

لقد سهل هذا التمازج العربى الافريقى تفاعل المجتمع الافريقى مع التجار المسلمين اضافة الى روابط الدم والتاريخ كما سهل اقامة علاقات عمل تجارية رائجة، وعلائق زواج ومصاهرة، خصوصا ان الثقافة الاسلامية خلت من نزوات التعالى العنصرى والعرقى مما أدى الى اندماج التجار المسلمين والقبائل العربية المهاجرة فى المجتمع النوبى وانصهارهم فيه واكتسابهم، بتقادم الدهور، مواقع النفوذ والمال، وفى ذات الوقت، أخذت العقيدة المسيحية تنزوى وتندثر لانقطاع العلائق بينها وبين الكنيسة الام فى الاسكندرية والقسطنطينية وكذلك نظرا الى انها ولدت فى احضان الطبقات العليا ولم تتغلغل بجذورها فى المجتمع النوبى، كما انها لم تأخذ طابع حركة علمية وفقهية وانما انتهت طقوس ومعابد وصراعات.

انتقل الخليفة الناصر قلاوون، حاكم مصر، بالمجتمع الاسلامى النوبى الحديث التكوين، من مرحلة الدعوة الى مرحلة الدولة، وذلك عندما غزا أحدهم بلاد النوبة فى عام ١٣١٥م وأطاح بحاكمها المسيحى وقام بتنصيب أحد المسلمين فى مكانه، وفى اطار الادارة الاسلامية الجديدة، نشطت حركة الهجرات العربية الاسلامية الى السودان، كما دخل النوبة فى دين الله افواجا وتم تحويل آخر مظاهر الحياة الكنسية وسط النوبة الى معلم اسلامى،

بإحالة كنيسة دنقلا الى مسجد وجاء الى بلاد النوبة عدد من العلماء فى اعقاب الفتح الاسلامى الجديد كغلام الله بن عائد الذى استقر فى دنقلا فى بداية القرن الخامس عشر وأخذ فى نشر الاسلام وتعليم القرآن واصدار الفتوى وكالشيخ حمد أبو دنانة الذى حمل معه الطريقة الشاذلية الى بربر على أطراف مملكة علوة المسيحية.

ادى قيام هذه المملكة المحلية الى ازدياد نفوذ الدعوة الاسلامية فى مملكة علوة، وفى بداية القرن السادس عشر اشتد ضغط الحركة الاسلامية على المركز المسيحى فى العاصمة سوبا وبلغ هذا الضغط ذروته، حينما تحالف احد احفاد الداعية الاسلامى الشيخ احمد أبو دنانة من جهة امه ـ وذلك هو الشيخ عبدالله جماع أمير العبدلاب مع تيار اسلامى افريقى زنجى محلى بقيادة عمارة دنقس ويرمز اسم عمارة الى التحول الاسلامى وسط هذا العنصر الافريقى، كما يشير اسم دنقس الى افريقية هذا التيار ـ الذى نسبته بعض الروايات الى قبيلة من قبائل الشلك. أطاح التحالف الجديد بآخر معقل للمسيحية فى السودان، وأقام مكانها، مملكة اسلامية عرفت بمملكة الفونج او كما تعرف أحيانا بسلطنة سنار الإسلامية أو السلطنة الزرقاء. وفى اطار هذه السلطنة ازدهرت المدارس الاسلامية وجاء المزيد من العلماء والمتصوفه، ومن أهم هؤلاء الشيخ تاج الدين البهارى ـ الذى قدم من نواحى بغداد حاملا لواء الطريقة القادرية وادخل الالاف من اهل السودان فى ركابها متخذا من مناطق (أبو قوتة) وماجاورها مركزا لانطلاقه، ثم جاء من بعده محمود العركى من مصر، الذى خصه كتاب طبقات ود ضيف الله بأهمية خاصة بالنظر الى جهوده فى ارساء قواعد الشريعة الإسلامية.

لقد توافق ظهور السلطنة الزرقاء مع حدثين عالميين هامين، اولهما الانبعاث الإسلامى فى اثيوبيا فى عام ١٥٤١، على يد الامام أحمد بن ابراهيم الجران ذلك الانبعاث الذى قاد الى تدخل البرتغال ـ مما أدى الى مجىء العثمانيين واتخاذهم مراكز ثابتة فى مصوع البحر الاحمر وفى أعقابهم جاء المصريون فالانجليز والفرنسيون ثم الايطاليون فى العصور الحديثة، ومهد ذلك لاستعمار كل منطقة شرق افريقيا وتمثل الحدث الثانى فى تلك الانتكاسة التاريخية لحركة الدعوة الإسلامية، حينما تم القضاء على الدولة الاموية، فى الاندلس وقضى الصليبيون على أكبر مركز اسلامي فى أوربا. لقد كان القضاء على الدولة الإسلامية، حدثا تاريخيا هاما، لان الدولة الإسلامية كانت قد توطدت دعائمها فى أوربا ـ وأصبحت دار الإسلام قاب قوسين أو أدنى من احكام قبضتها على فرنسا وايطاليا واليونان. كان زوال دولة الإسلام فى الاندلس حدث الاحداث لأن الحضارة الغربية أصبحت محاطة بسياج من مراكز اشعاع اسلامى يمتد طرفاه فى القارة الاوربية من القسطنطينية شرقا الى الاندلس غربا.

ومهما يكن، فان كسب الدعوة الإسلامية مناطق المسيحية فى افريقيا (بلاد النوبة)، قد خفف من هول الصدمة وجعل من قيام سلطنة الفونج الإسلامية فى قلب القارة الافريقية عوضا ـ الى حد ما ـ عن خسارة الإسلام الفادحة فى الاندلس.

أما قيام دولة الفونج، فقد صدق عليه ما يصدق على الدولة، من عوامل النشأة والنمو والنهضة ثم الانحدار والاضمحلال، لتفسح المجال لغيرها، وهكذا وبعد عمر امتد ثلاثة قرون، أصابت أعراض الشيخوخة دولة الفونج، ثم مالبثت أن تداعت امام دولة محمد على التى اقامها على مبادىء العلمانية والاخذ بنظم الغرب. وقد ورثت دولة محمد على مجد دولة المماليك التى قوض سلطانها نابليون بحملته الشهـيرة على مصر فى عام ١٧٩٨م وحينما انسحب نابلينون، نجح الجندى الارناؤطى محمد على[٦] أن يبسط نفوذه ويستولى على الحكم فى مصر ومن بعدها على السودان.

حينما بسط رسل محمد على نفوذهم على السودان، وجدوا أن الشمال (شمال السودان) قد استقـر أمـره على الإسـلام بينما انحصرت الوثنية والمعتقدات البدائية فى جنوب السودان ومناطق جبال النوبة والانقسنا وبنى شنقول. وكان المأمول أن يتم على ايديهم بسط الدعوة الإسلامية فى هذه المناطق ولكنهم اتجهوا لاستغلال خيرات البلاد ودعم نفوذهم السياسى والعسكرى وفرض نظام علمانى للحكم استعانوا على بنائه بالاوربيين الذين تبوؤا مناصب الادارة والسلطان كما فتح محمد على السودان أمام حركة البعوث التنصيرية الحديثة. التى حاولت جاهدة أن تبذر النصرانية بعدما اندثر أمرها وأصبحت أثرا بعد عين، حتى لاتكاد الذاكرة السودانية تعى اسم واحد من أبطال المسيحية فى عهد ممالك النوبة وان وعت سيرة الكثيرين فى مرحلة ماقبل الممالك المسيحية كبعانخى وترهاقا ومابعدهما كعمارة د نقس وعبد الله لجماع.

٥ـ ولد محمد فى عام ١٧٧٦ فى كافالا بمقدونيا وعمل جابيا للضرائب وتاجر تبغ ثم أرسل الى سوريا فى عام ١٧٩٩ لمقاومة الحمله النابليونية. وحينما انسحب نابليون من مصر، أصبحت مصر تحت رحمة ثلاث قوى متصارعه، امراء المماليك (سادة مصر القدامى)، يؤازرهم الانجليز والالبان بقيادة محمد على، ويؤيدهم الفرنسيون وممثل الخلافه العثمانية فى مصر واتباعه وقد فاز محمد على ـ بتأييد من مشايخ الأزهر ـ فى نوفمبر ١٩٠٥م بحكم مصر وانتصر على الانجليز فى عام ١٨٠٧. وهكذا أصبح محمد على حاكما على مصر وهو الذى يجهل حتى التحدث بالعربية وكتابتها

الفصل الثانى

البعوث التنصيرية في ضيافة الصفوة التركية الحاكمة فى السودان ١٨٤٣ ـ ١٨٨١

كثيرا ما وصفت الدراسات السودانية، فترة الحكم الواقعة ما بين ١٨٢١ ـ ١٨٨٥ بالحكم التركى، وهى تسمية غير دقيقة، قصد بها الخلافة العثمانية، اذ ان الحكام الجدد على الرغم من ان لغتهم كانت التركية ـ فإنهم كانوا فى حد ذاتهم متمردين على حكم الخلافة العثمانية طامعين فى القضاء عليها ووراثتها كما انصب همهم فى اقامة جيش على النمط الاوربى واستعانوا فى ذلك فى البداية بالضباط الفرنسيين ثم بالضباط الانجليز. ويعتبر مشروع بناء الجيش الحديث اهم ما انجزوه فى فترة حكمهم التى دامت مائة وخمسين عاما (١٨٠٥ ـ ١٩٥٢).

بعد ان استتب أمر مصر لمحمد على فى مصر التفت للسودان، ليدمر اعداءه المماليك ـ حكام مصر السابقين ـ الذين فروا الى السودان وكذلك ليمد حدود مصر حتى تتطابق مع مجرى النيل مصبا ومنبعا وبذلك يتم تحقيق حلم اقامة دولة مصر الطبيعية وتأمينها سياسيا وطبيعيا. فتقدم جيش محمد على وقوامه اربعة آلاف جندى فى الاراضى السودانية، وعند عبور منطقة مروى، أبعد قس انجليزى كان مرافقا للحملة ليعود الى مصر وربما جاء أمر الابعاد، حفاظا على سلامة المشروعية الإسلامية للجيش الفاتح القادم للقضاء على مملكة اسلامية. وفى سنار بايع سلطان الفونج بادى السادس، الفاتحين الجدد، حفاظا على سلامة شعبه من شر الفاتحين.

وخلال عقود قليلة، امتدت سلطنة الوالى المصرى من أسوان الى المناطق الاستوائية بعمق يتجاوز الالف وثلثمائة ميل وعرض يمتد من مصوع شرقا حتى حدود تشاد غربا بعمق يتجاوز الالف واربعمائة ميل لم يكن محمد على وسلالته ورسله واعين بمتطلبات بناء الامة السودانية وبسط الثقافة العربية الإسلامية ولم يدركوا اهمية التجانس الثقافى والحضارى فى بناء الأمة المتماسكة وكانوا يعتقدون أن الوحدة تقوم على القهر والاستحواذ. كان نظام النخبة التركية العسكرية العلمانة الحاكمة فى مصر متطلعا لأن يظهر بالمظهر الاوربى وأن يبدو حاميا لمصالح اوربا فى السودان وافريقيا وحفيظا على حركة الثقافة الاوربية ـ وقد تجلى ذلك حينما

دأب النظام على استخدام الاوربيين قواما على ادارة السودان على مستوى الوظائف الرئيسية ذات الطبيعة السياسية والقيادية. وتحت قهر السلطة دخل السودانيون المسلمون ـ الذين فهموا ان الطاعة مربوطة بنصرة الدين وكانوا يعيشون منذ قرون فى كنف ولاة مسلمين دخلوا فى طاعة مبعوثى الوالى المصرى من نصارى أوربا من أمثال الجنرال الانجليزى شارلس غردون الذى أصبح حاكما على اقليم الاستوائية فى عام ١٨٧٤ وحاكما عاما على السودان فى عام ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ ومكلفا كذلك بالقضاء على صحوة الجهاد الإسلامى بقيادة المهدى، وكذلك الضباط النمساويين والالمان من أمثال سير رودلف المعروف باسم سلاطين باشا والذى اصبح حاكما على مملكة دارفور الإسلامية واليهودى سير شنيتزر المعروف باسم ايمن باشا والذى حكم الاستوائية والالمانى مدزينجر ورفيقه البريطانى صمويل بيكر والفرنسى افاكيل والكثيرين غيرهم وعلى الاخص فى سلك الجندية.

كما نزل المبشرون فى ضيافة حكومة السودان، حين جاءوا فى ثياب مكتشفين وفنيين عسكريين ليتعرفوا على شعب السودان ويسلكوه فى درب المسيحية الاوربية. كذلك جاء البعض مأذونا له من الحضرة الخديوية ليباشر التنصير ويفتح المدارس. وقد مات العشرات منهم فى ظروف صعبة وهم يحاولون شق طريقهم فى مجاهل السودان، فى سبيل تنفيذ السياسات الرامية الى غرس النصرانية فى السودان. وقد أدى هذا النشاط التنصيرى وتكثيف النفوذ الاوربى فى السودان الى تسهيل مهمة المهدى فى جهاده لتحرير السودان.

أما النخبة الحاكمة فلم تعبأ بخطورة المخططات التنصيرية ولا بحماية العقيدة الإسلامية التى يدين بها اهل السودان ولعلها لم تنظر اليهم الا باعتبارهم رصيدا للجندية واداة للقتال اذا احسن تدريبهم ولعل خلفاء محمد على على دست الحكم فى مصر والسودان ندموا على فعلتهم يوم استدار الزمان وانفرد الانجليز بحكم السودان وقضوا على نفوذ اسرة محمد على.

الكاثوليك فى ضيافة الحكم التركى:

ذكر صاحب القاموس الكاثوليكى: (أنه فقط فى القرن التاسع عشر وبعد الاستعمار الفرنسى للجزائر تمكن الصليب من رد الهلال متقهقرا من الساحل البربرى، وأثمرت أعمال الكاردينال الفرنسى لافيجيرى (Lavigere) ـ المتوفى عام ١٨٩٢ ـ معظم نتائجها.)[٧]

أسس لافيجيرى جميعة تنصيرية باسم (الآباء البيض) لبث النصرانية بين قبائل الصحراء العربية المسلمة وقبائل السودان وما تلاها من الديار الإفريقية. واتخذ هؤلاء

7– William E. Addis, et., A Catholic Dictionary, London p. 14.

الآباء قواعد انطلاقهم عند منابع النيل فى يوغندا وتنجانيقا وغيرها.

جمعت شخصية لافيجيرى بين الحمية العرقية الفرنسية والتشبع بالتعصب للمذهب الكاثوليكى وكان مبدؤه الاستعمارى يقوم على ان الكنيسة الكاثوليكية هى النصير الوفى لحركة التوسع الاستعمارى الفرنسى، فى كل رقعة تمتد لها يد القوى الاوربية[٨]. ركز الآباء البيض جهودهم فى شرق إفريقيا خاصة منطقة يوغندا الحالية مترقبين فرصا للتوسع المستقبلى فى السودان وغيره.

ولكن سبق الاب الايطالى مانسورى (Luke Monsori) الآباء البيض الى السودان، حيث وصل الخرطوم فى يوليو ١٩٤٣ هاربا من الحبشة. ابتنى مانسورى كنيسة كاثوليكية صغيرة فى الخرطوم والحق بها مدرسة. وتطلع مانسورى بعد حين، الى توسيع عمله فى أعالى النيل بين قبيلة الشلك، حين رسم خطة تقوم على أخذ عدد من أطفالهم وتنصيرهم ثم إرسالهم بعد للعمل وسط ذويهم لتلقينهم مبادىء النصرانية وقبل أن يكمل الأب مانسورى تنصير عدد من أبناء الشلك عاد مرة اخرى لاثيوبيا وترك الكنيسة فى عهدة مبشر أوربى آخر يدعى سيراو (Serrao). ومهما يكن فان مانسورى قد وضع أول لبنة فى بناء حركة التنصير الكاثوليكية ولكن فشل خليفته فى تطوير البناء حيث قفل راجعا الى اوربا طالبا عون الادارة البابوية على أمر السودان.

جاء المدد البابوى فى عام ١٨٤٨ فى بعثة تنصيرية مكونة من مبشرين اثنين، مات أحدهما فى الخرطوم بينما رجع الثانى وهو دون فينكو (Don Vinco) الى أوربا طالبا النصرة فى السودان. أولت الادارة البابوية هذه المرة أمر السودان عناية خاصة، وقام البابا جريجورى السادس عشر بتعيين ادارة رسولية ملحقة ببعثة دينية على أمر السودان (عرفت بادارة افريقيا الوسطى). وتلا ذلك اعداد فريق من المنصرين أوكلت قيادتهم للاب أنطونى كازولانى (Casonlani) ولكن هذا ماطل وتردد وأستمرأ البقاء فى مصر الى ان نال لقب المطرانية، فحولت القيادة الى الاب رايللو (F. Ryllo) الذى قاد فريقا ضم دون فينكو الخبير بشئون السودان والمطران المتخاذل كازولانى وكذلك الاب كنوبلشير (Konoblecher Ignes) والذى سنرى دوره فيما بعد وقد أرسل أجنيس مع مبشر إخر لبيروت لدراسة العربية حتى يصلح أمرهما لمهمة السودان. مات الأب رايللو فى ١٧ يونيو ١٨٤٠ فى السودان وخلفه كنوبلشير على أمر مطرانية السودان. وقد قام هذا بوضع البعثة الكاثوليكية فى السودان تحت حماية الهايسبورج ملوك النمسا طمعا فى الحصول على دعمهم مقابل تقوية نفوذهم فى السودان فى ١٧ مارس ١٨٥١[٩].

٨ـ المصدر السابق ذاته.

9- Dorothea Mcewan, Acatholic Sudan, Dream, Mission, Reality. Rome. 1987. pp. 17 - 20.

سجل كنوبلشير ست زيارات الى اوربا للدعاية لمشروع تنصير السودان وجمع التبرعات والهبات والاعانات التى بلغت حدا خياليا، اذ ألهب كنوبلشير حماس العقلية الصليبية وايقظها على أحلام طرد الإسلام من السودان واقامة دولة الصليب فى ربوعه واحراش المناطق الاستوائية فى جنوب السودان. كما حرص كنوبلشير على القيام بزيارات ميدانية سنوية الى جنوب السودان، علما بأن هذه الرحلات كانت منهكة ومكلفة ومضنية اذ يستغرق الطريق فقط من غندكرو الى الخرطوم شهرين ومن الخرطوم الى القاهرة شهرين آخرين. نجح كنوبلشير فى اقامة جمعية خيرية لدعم مشروع تنصير السودان برئاسة رئيس اساقفة براغ الذى هو فى ذات الوقت أمير من أمراء العائلة المالكة. وبلغت عضوية الجمعية ستة آلاف شخص من قادة المجتمع وأعضاء الطبقات العليا. وفازت الجمعية بعطف الامراء والاميرات والمسئولين الذين تنازل بعضهم عن حليهم وعقاراتهم لصالح تمويل نفقات مشروع غرس النصرانية فى السودان وما يتطلب ذلك من رجال ومدارس وكنائس وأموال وبواخر وغيرها.

بلغ الجهد والاعياء بكنوبلشير مداه فى أحد رحلاته الى أوربا حيث مات فى عام ١٨٥٨ اثر ازمة قلبية فى نابلى وخلفه الاب كيرشنر (Kirchner) فى مايو ١٨٥٩ على كرسى مطرانية السودان. وقد لاحظ هذا الاخير استحالة تنفيذ أحلام كنوبلشير، اذ لم تفلح البعثة خلال ١٥ عاما فى تنصير اى فرد بينما مات ٤٢ مبشرا أوربيا فى مختلف أصقاع السودان مدفوعين بحماس فكرة مشروع تنصير السودان. وفى ٧ سبتمبر ١٩٦١ قدم كيرشنر استقالته وخلفه على كرسى المطرانية الاب جوهانس رنثالير (Johannes Reinthalier) الذى استطاع ان يصيب نجاحا فى حشد الطاقات وتعبئة موارد الكنيسة من جديد من أجل ذلك الحلم وفى ظرف شهور، التف حوله ٥٢ مبشرا، نظمهم فى بعثتين وارسلهم للسودان. وخلال بضعة اشهر مات ٢٢ مبشرا نتيجة للجهد والمرض ثم مات هو فى بربر عام ١٨٦٢.

أضفت النمنسا على الكاثوليك حمايتها وانشأت لهم قنصلية فى السودان واجتهد من بقى على قيد الحياة من المبشرين، أن يعوضوا اخفاقاتهم فى التبشير بالانغماس فى التجارة وتنشيط حركتها تجاه اوربا، كما دخلوا فى انشطة تجارية واقتصادية مع التجار الاوربيين مما اسهم فى فتح أسواق الجنوب للتجار والمغامرين الاوربيين الذين خاضوا غمار تجارة الرقيق والعاج وكان أشهر هؤلاء المبشرين دون فيكو الذى رفع علم النمسا على باخرته. وقد ورد فى خطاب أرسله أحد المبشرين الكاثوليك لمبعوث فرنسى، بأنهم يقومون بأداء دور كبير فى النيل الابيض لمصلحة القوى الحامية وسيسهل هذا الدور امام الدول الاوربية وسائل السيطرة - لان الارسالية الكاثوليكية تستجيب لنداء الواجب الذى يقضى بالاستحواذ على حركة التجارة بصفة دائمة لمصلحة أوربا.

ومع أن الحماية النمساوية قد بسطت ابتداء من ١٨٤٨ على الكنيسة الكاثوليكية فى

السودان فإن هذا الوضع لم يعجب فرنسا، التى كانت تريد الإستئثار بالسودان، وفى هذا الصراع مالت روما الى جانب فرنسا وذكرتهم برسالتهم التى تتطلب أن يتغلغلوا بالحماية الفرنسية حيثما كانوا[10]

وكان من انجازات الكاثوليك فى هذه الفترة - كذلك - تدشين عدد من القساوسة السودانيين، كان ابرزهم حبشى توفى فى القدس فى عام ١٨٧٤ ولكن يبدو أن أهم ثمار هذه المرحلة، (٤٣ - ١٨٧٤) كان تجميع معلومات مختلفة عن السودان وقبائله ومناخه وظروفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية وانجح الطرق لاختراق هذا المجتمع ونصب الصليب فى ارض السودان، وقد كان أبرز شخصيات المرحلة الجديدة دانيال كمبونى احد مشاهير الجيل الكنسى الاول فى ارساء قواعد الكنيسة فى السودان.

كمبونى وشعاره افريقيا او الموت:

فى عام ١٨٥٧، وفى محاولة مستميتة لتغذية ارسالية السودان، قام معهد مازا التبشيرى فى فيرونا بايطاليا، بتنظيم وتمويل بعثة تنصيرية للسودان على نهر النيل. تكونت البعثة من خمسة مبشرين كان من بينهم دانيال كمبونى. وقد مضت هذه البعثة متجاوزة الخرطوم لمسافة ألف ميل فى الاعماق، حيث أقامت محطة تبشيرية، وهناك وتحت وطأة ظروف السودان الصحية، مات اثنان من المبشرين، بينما تعهد كمبونى أمام احدهما وهو فى فراش موته، بأنه لن يتخلى عن مهمة غرس الصليب فى هذه الديار وان الخيار بالنسبة له اما رفع الصليب فى إفريقيا أو الموت.

وكان كمبونى ممتلئا حيوية ونشاطا وكان يؤمن بمبدأ التفاعل المباشر مع المجتمعات الوثنية، كما كان ذا نشاط وطاقة عاليه وقدرة على تحصيل اللغات، مما مكنه من انجاز قاموس فى لغة جبال النوبة كما اعد دراسات فى لغات الدينكا والبارى فى جنوب السودان.

لم تكن علاقة كمبونى بقبيلة الشلك طيبة وكثيرا ما وصفها بالوحشية، علما بأن الشلك من أكثر قبائل الجنوب ألفة. ولد دانيال كمبونى فى ايطاليا عام ١٨٣١، ومات فى الخرطوم فى ١٠ أكتوبر ١٨٨١، ودرس فى معهد مازا بفيرونيا، وجاء للسودان لاول مرة فى عام ١٨٥٧ وعاد لايطاليا عام ١٨٥٩ وقد طوف بملوك وامراء اوربا لحضهم على جمع المال ومباركة تنصير السودان. وقد أصاب بعض النجاح فى مقابلاته مع قيصر روسيا وامبراطور النمسا فرانسيس جوزيف، وتوج كمبونى جهوده لانشاء كلية تبشير لارسالية افريقيا فى عام ١٨٦٧.

10- The Catholic Encyclopaedia, xll, New, York: 1914. pp. 4918.

وبعد عودة بعثه مازا الى روما، درس البابا تقارير البعثة وقرر الغاء الامر الخاص باقامة بعثة افريقيا الوسطى باعتبارها وحدة دينية قائمة بذاتها. وبعد ذلك تم ارسال بعثتين تبشيريتين تضمان اثنين وخمسين مبشرا للسودان، وقد مات من هؤلاء خلال نصف الشهر اثنان وعشرون نتيجة للامراض والصعاب وسوء الاحوال المناخية فى السودان.

وازاء هذه العوائق والتحديات التى واجهتها الدعوة المسيحية، خرج كمبونى باستراتيجية جديدة: (طالما كان ابعد من المستحيل ان يعيش المبشرون البيض ويعملوا فى أعماق افريقيا فلنقم اذن المعاهد على ارض السودان التى ستمكنا من تعليم الشباب الافريقى - من الجنسين وغرس العقيدة المسيحية فيهم بحيث يرتقون فى سلم التعليم والتمدن دون ان يصبحوا اوربيين، ثم نقوم بارسالهم من بعد الى قبائلهم، فى الاحراش وقد نالو حظا من التدريب الذى يؤهلهم للعمل، معلمين وملقنين. وسيتم توفير التعليم العالى للعناصر الاكثر كفاءة، والمأمول ان يتسلموا مقاليد القيادة فى بلادهم.. وسيجىء اليوم الذى يصبح للافارقة قساوستهم ومطارنتهم من بنى جلدتهم)[11].

وفى عام ١٨٦٧، خرج كمبونى مع عدد من القساوسة الى السودان مرة اخرى، ومنذ ذلك التاريخ، أخذت حياة كمبونى تتمحور حول الخرطوم، واستطاع خلال أعوام قليلة، اقامة ستة مراكز تنصيرية فى شمال السودان كما شيد كنيستين جميلتين فى كل من الخرطوم والابيض، وفى اقامته فى الخرطوم، استطاع كمبونى ان يؤمن تعاون السلطات التركية والحماية الاوربية على الاخص من فرنسا والنمسا، لتنفيذ مشروعه.[12]

اثمر هذا التعاون مشروعات مشتركة بين حكومة السودان التى يقوم على رأسها اوربيون، مثل الانجليزى المتعصب للمسيحية شارلس غردون والذى تولى الانفاق على رحلة كمبونى لجنوب السودان من مال حكومة السودان وقد اجتهد كمبونى فى تحقيق التكامل بين البحوث العلمية والاجتماعية لاكتشاف الجنوب ومن ثم تنصيره. كما حث أعوانه على دراسة اللغة العربية واللغات الافريقية وعادات القبائل الافريقية والالمام ببعض العلوم الطبية، تأمينا لصحة المبشرين انفسهم فقد حدثت وفاة ثلاثة وعشرين مبشرا (منهم قسيسان) من جملة المبشرين والقساوسة الاوربيين الذى ذهبوا الى السودان خلال الفترة (١٨٤٧ ـ ١٨٦٢) والبالغ عددهم خمسة وستين مبشرا من بينهم واحد وعشرون قسيسا.

كانت الادارة البابوية تنظر إلى جهود كمبونى باعتبارها جزءا مكملا لما قام به الاباء الاوربيون فى الجزائر والبحيرات الاستوائية وحلقة فى خطتهم الرامية الى سبق البروتستانت

11- Aldo Cill, Daniel Comboni, the man and his message, Italy 1980. p. 7 – 8.

١٢ـ المصدر السابق ص ١٤٧

وتجاوزهم فى إفريقيا الاستوائية. وفى مايو ١٨٧٢ نُصِّب كمبونى مطرانا على السودان وفى عام ١٨٧٦ افتتح كمبونى مركزا فى القاهرة لتعليم القساوسة اللغة العربية ولتوطينهم وتأهيلهم على احتمال مصاعب السودان، وقد خرّج هذا المركز ١٧ مبشرا واصلوا عملهم فى السودان دون خسارة فى الأرواح كما أقام كمبونى قرى كنسية لمن تم تنصيرهم فى جبال النوبة فى مناطق منعزلة، على مسافة يوم أو يومين من أقرب مركز سكانى وذلك لإبعادهم تماما عن المؤثرات الإسلامية. وقد حشد كمبونى عددا من الصبية (بنين وبنات) فى إحدى هذه القرى قرية مابليس - حتى يتم صهرهم وإعدادهم عقليا ونفسيا لتقبل النصرانية)[١٣].

وكان فى ذهن كمبونى أن تنمو هذه المستوطنات بالمدد الاوربى حتى تصبح مراكز تجارية كبيرة يديرها القساوسة والراهبات وتصبح مراكز استقطاب روحي وتجاري، وبعدها تأتى الخطوة الثانية لتنصير المسلمين. وكان كمبونى يعتقد أنه إذا أكمل هذا المشروع فإن (قوى الشر - أى الإسلام - ستفقد سيطرتها على المسلمين، على الآخص، فى تلك المناطق التى لم تتلوث بعد بالإسلام - على حسب قوله."[١٤] ومضى قائلا: (لقد قمت والمهابة تفيض عليّ بتعميد أربعة عشر شخصا منهم الوثنى والمسلم وأكثر ما سعدت به بين كل تجاربى، حينما قمت بتعميد فتاة مسلمة عمرها ١٤ عاما وهى ابنة لزوجة القائد السابق لحاميتى دارفور وكردفان، إذ جاء هذا التعميد بعد إلحاح استمر خمس سنوات على والدتها غير المتعلمة لترضخ لقبول تعميد ابنتها. وأجريت مراسم التعميد فى العلن وبحضور القنصل النمساوى. . إن ما يهمنى فقط هو أن تتنصر إفريقيا.)[١٥]

نجح النشاط التجارى للكاثوليك، حيث كانت سفنهم المحملة بالعاج والجلود ومنتجات جنوب السودان تجوب النيل الأبيض[١٦] مما مثل استنزافا لثروات الأهالى كما والت التبرعات من أوربا تدفقها لمصلحة مشروع تنصير السودان حتى بلغت أربعمائة ألف من الجنيهات وكان هذا المبلغ بمقاييس ذلك الزمان كافيا لمد خط سكة حديدية من القاهرة حتى الخرطوم.

وبينما كانت المخططات التنصيرية تتكامل، إذا بعناية الله سبحانه وتعالى تتدارك المسلمين، إذ انطلقت حركة إسلامية بقيادة الإمام محمد أحمد المهدى، فحسمت أمر النشاط التبشيرى، وقد مات كمبونى فى عام ١٨٨١ وقبل أن يتكامل مد هذه الثورة. هذا وقد نجح كمبونى فى أن يرى أول تلاميذه كقسيس وذلكم هو القس دينج سرور وهو من أسرة مسلمة

١٣- المصدر السابق ص ١٥٨

١٤- المصدر السابق ص ١٦٠

١٥- المصدر ذاته

16- Mcewan . Op – cit.p. 37 – 40

وعمل فى سواكن عام ١٨٨١ ومات ودفن فى القاهرة عام ١٨٩٩ . وما يهم فإن ثورة المهدى قضت تماما على مشروع تنصير السودان .

تراتيب البروتستانت حول السودان

طرد الإمبراطور الأثيوبى فى عام ١٨٣٨ بعثة الجمعية الإرسالية التبشيرية بإيعاز من القساوسة الكاثوليك . وفى آخر ذلك العام قام أحد المطرودين وهو جوهان لودويج كرابف (Johann Ludwing krapf) بإنشاء مشروع إرسالى مسميا إياه (إرسالية الحج) . وهدفت هذه الجمعية إلى إحاطة إفريقيا بسياج متصل من الجمعيات التنصيرية[١٧] .

وفى عام ١٨٥٧ خاطب المكتشف الشهير ديفيد ليفنجستون جمهور كمبردج واكسفورد قائلا : (سنرى إن كنتم جديرين بتحمل متابعة العمل الذى بدأته، إنى أترك لكم هذه الأمانة) وكان يشير لاكتشافاته التى قام بها عند منابع النيل وأمانيه المتعلقة بنشر المسيحية هناك . شرع المسيحيون فى إقامة اللجان فى كمبردج واكسفورد ودرم لمصلحة مشروع تنصير السودان ولكن لم يتم إرسال بعثة للسودان وإن قام بعض المبشرين بالطواف على السودان مثل جارلس بيرسون والذى زار سواكن وبربر والخرطوم فى عام ١٨٧٨ مع مبشرين آخرين .

اتسم الجزء الأخير من القرن التاسع عشر بازدياد دور الكنيسة الامريكية فى حقل العمل التبشيرى ونشر المسيحية فى إفريقيا وقد قام فى هذه الفترة كذلك بعض المبشرين الامريكيين بزيارة السودان وجمع المعلومات ولعل ألمع نجوم المسيحية فى هذه الفترة كان هو غردون باشا .[١٨]

كان غردون حريصا على القضاء على الثورة المهدية لأنه حسب قوله (إذا لم يتم حسم المسألة السودانية، فإن انتصار المهدى قد يقود لفتح كل ملفات المسألة الشرقية) . وقد قام غردون بالاشتراك مع المكتشف الشهير استانلى بإغراء منتبسا ملك يوغندا بالارتداد عن الإسلام والتنصير حتى يؤمن لملكه الاستقرار ومساندة القوى الأوربية فعل غردون ذلك وهو

17– Montague Fowler, Christian Egypt, London, 19. 1.

١٨ـ ولد شارلس غردون فى يناير ١٨٣٣ فى ويلز وتخرج ملازما ثانيا فى عام ١٨٥٢ وعمل فى الصين عام ١٨٦٠ حيث ظهر نبوغه فى تدمير ثورة التبت التى قادها أحد المسلمين . وعمل فى السودان فى الاستوائية ما بين ١٨٧٤ ـ ١٨٧٩ ثم ١٨٨٤ ـ ١٨٨٥ وقد قتله الأنصار غداة فتح الخرطوم .

ألف غردون كتابا عن القدس بعنوان «تأملات فى فلسطين» وكان معروفا بتعصبه لمبادىء المسيحية وتعتبره الكنيسة الانجليزية بمثابة قديس

فى ذات الوقت ممثل الخديوى المسلم على إفريقيا الإستوائية كما اجتهد غردون فى تقديم التسهيلات لمبشرى الكنيسة الكاثوليكية لتنصير السودان وقام بدعوة جمعية الإرسالية التبشيرية فى عام ١٨٧٨ للانفتاح على جنوب السودان. ومهما يكن، فلم يتم شىء، اذ كما يقول استانلى، لقد تحدت هذه المناطق الإسلام والمسيحية والعلوم والتجار على مدى قرون مثلها فى ذلك مثل الصخرة التى تتكسر عليها مختلف الأمواج وقد اجتهدت المسيحية فى القرون الثلاثة المنصرمة كي تجد لها موضع قدم فى المنطقة ولكنها دحرت لجهلها بالظروف المناخية). [١٩]

وخلاصة القول أن دور البروتستانت فى القرن التاسع عشر كان ضئيلا إذا قورن بمجهود الكاثوليك، وحينما جاءت الثورة الإسلامية المهدية لم تجد أمامها سوى الكاثوليك. حليف الكنيسة العالمية فى توسعها ومحاولات توطينها فى العالم الإسلامى. كما كانت للكنيسة حسابات أرادت أن تصفيها مع حركة المهدى، لأنه صفى مراكز التنصير الكنسية فى جبال النوبة ـ الدلنج والخرطوم وشمال السودان واحتجز عددا من دعاة الكنيسة وفى الحقيقة فإن نيران العداوة التى أوقدتها الكنيسة العالمية ضد الدولة الإسلامية فى السودان لم تك الاستثناء فى منهج الكنيسة ضد العالم الإسلامى، فقد كان ذلك منهجها فى الحروب الصليبية لمدة قرن كامل فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلادى وظل ذلك منهجها منذ حركات التحرر الوطنى فى القرن العشرين فى الجزائر وكينيا ـ الماوماو ـ وموزمبيق وزمبابوى وما يزال ذلك منهجها حتى اليوم، إذ ما يزال الكاثوليك يرفضون مباركة الجهود التحررية للمؤتمر الإفريقى ـ الذى يقاتل نظام التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا. كما أن المؤتمر العام للكنيسة الإصلاحية الهولندية فى جنوب إفريقيا اعتبر الإسلام ديانة تمثل خطرا كبيرا على المسيحية، مذكرا بما فعله اللنبى حينما دخل القدس قائلا (قد عدنا بإصلاح الدين.اليوم انتهت الحروب الصليبية) لقد اتخذت الكنائس من مقتل غردون فى لحظة تحرير الخرطوم فى يناير ١٨٨٥م قميص عثمان الذى جمعت حوله الشعوب الاوربية للأخذ بالثأر.

المهدية فى الادب المسيحى:

للكنيسة وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر السودانيين خاصة والمسلمين عامة، حول دولة المهدى الإسلامية، إذ يعتقد ج. ك. كيفن (J.K.Griffin) ـ وهو رئيس فريق الكنيسة الامريكية التى دخلت السودان بعد القضاء على المهدية ـ أن فترة ما قبل ١٨٩٩ ـ أى المهدية ـ اتسمت

19– Blyden, Christianity, Islam and Negro Race p. 345.

بالكوارث وإهدار الدماء وأن غزوة كتشنر ما هى إلا إنقاذ للسودانيين من ذلك الدمار، أما و.و. وكـاش (W.W. Cash) من الانجلكان فيصف كل تاريخ السودان بأنه، تاريخ قتل وتعذيب واستعباد واضطهاد منظم وأن عهدا جديدا قد اشرق بمجىء كتشنر. لقد خرج السودان الآن من ليله الطويل المظلم[٢٠]

أما الموسوعة المسيحية فإنها تصف المهدية بأنها حملات شريرة أو تمرد مدمر وتطلق على المهدى صفة الدعي. أما جلادستون رئيس وزراء انجلترا، وبرغم تصريحاته، فيما قبل مهمة غردون لإخلاء السودان، بأن قتال السودانيين أى جهادهم ضد الحكم التركى قتال مشروع من أجل الحرية، لذا فالقيام بعمل عسكرى ضدهم لا يمكن تبريره أخلاقيا. ولكن ضاع صوت المنطق والعقل أمام الحملة الكنسية المعادية لثورة المهدية وتصويرها بأنها حركة وحشية، ذهب ضحيتها قديس مسيحى هو الجنرال شارلس غردون

أصبح الطابع العام لكتابات الاوربيين عن السودان فيما بعد موت غردون، التركيز على مصالح أوربا فى السودان وأهمية السودان وضرورة غرس العلمانية والوطنية فيه مع إعادة نصب الصليب. كما ركزت هذه الدراسات على أهمية السودان فى تقديم المسيحية لإفريقيا وأهميته باعتباره جسرا للمد الإسلامى فى إفريقيا وإمكانية درء خطر هذا الجسر بإحكام إغلاقه.

أمـا الكـاثوليك، فقد كتب الأب اوهرفالدر، كتابه الشهير عشر سنوات فى الأسر فى معسكـر المهـدى - ١٨٨٢-١٨٩٣، [٢١] واوهرفالدر قس نمساوى، كان يعمل فى إرسالية الدلنج فى جبال النوبة بغرب السودان وقد كتب دراسته بالالمانية ثم ترجمها إلى الانجليزية الكاتب السورى يوسف أفندى ثم عمد إلى إخراجها فى صورة أشبه بالرواية حاكم السودان السابق ونجت. وقد طبع من هذه الدراسة ومن نظيرتها، دراسة سلاطين باشا (السيف والنار) آلاف النسخ، فى سبيل تعبئة الرأى العام العالمى ضد السودان المسلم. ولم تبق هذه الكتب على شىء فى المهـدية لم تعمـد إلى تشويهه وطمسه، حيث اشتملت على جملة من الأكـاذيب والاختـلاقـات والافـتراءات. وصف القس الكـاثـوليكى أبطال الإسلام من السـودانيين بأنهم (حفنـة من العبيد الهـاربـين. . والسـاقـطين، والمجـرمين. والمتدينين المهووسين. وربما كانت الكثرة الغالبة من الأنصار من الذين كانو أصلا يعيشون على النهب والسرقة، وأصبح محمد أحمد المهدى بالنسبة لتجار الرقيق بمثابة المنقذ - اى المجدد لتجارة

20- W. Wilsor, the changing Sudan, london, 1930. p. 31

21- Major F. R. Wingate, ten years Captivity in the Mahadi's camp, 1882 – 92, From the original manuscript of Father Joseph Ohrwalder 2 nd edition, 1892.

الرقيق، ـ ولمن يدين بانتصاراته[٢٢] ويظهر مدى تهافت هذا الكلام من طرح سؤال بسيط إذ كيف يمكن أن يجمع المهدى بين تجار الرقيق والعبيد الهاربين من أسيادهم؟ ولماذا يجتمع النقيضان تحت علم واحد وهل كان المهدى أبدا تاجرا للرقيق؟ وهل عرف أحد من خلفائه الأربعة بهذه التجارة؟

وفى الحقيقة إن كان هناك موقف لتجار الرقيق، فقد كانوا فى صف غردون لا مع المهدى، إذ عمد غردون عندما جاء إلى السودان إلى إباحة الرق واستقطاب تجار الرقيق فى صفه[٢٣]، كما أن إرسالية الدلنج الكاثوليكية كانت تمتلك عددا من السود مسمية إياهم (Our Blacks) ماذا كانت الإرسالية تطلب من المهدى أن يكون، لقد كان كل السودانيين مهدويين فى طور التكوين مثلما كان كل مصرى مشروعا لعرابى الثائر، إن الأسباب التى أدت لاندلاع الجهاد الإسلامى فى السودان مثلها مثل الأسباب التى أدت لاندلاع الانتفاضات والخروج على الحكام ـ رفض الظلم والمهانة وإذلال كرامة الإنسان فى البلاد الأخرى، أما فى حالة السودان فكانت الأطراف الظالمة تتمثل فى الإدارة التركية وجيشها الباطش بالأبرياء وأعوان الإدارة التركية من الاوربيين الذين أثقلوا على الأمة بالضرائب، والكنائس التى أرادت أن تفتن السودانيين عن دينهم وتردهم نصارى. كثيرا ما تكلمت الكنائس عن السلام ولكن كنيسة السودان عمدت إلى توفير السلاح لمحاربة المهدى وورد ذلك فى كتاب القس اوهرفالدر (ص) ٢٦ حيث قال (لقد منحنا النوبة سبعين بندقية من الإرسالية ليقوموا بنصب كمين للعرب).[٢٤]

ووصف اوهرفالدر المهدى قائلا: (أما المهدى فقد وهب نفسه لحياة الراحة والدعة، والتى أسهمت فى توفيرها النساء سيئات الحظ المأسورات فى الخرطوم. . أحاط المهدى نفسه بكل ألوان الراحة والنعيم، مستحسنا كل المباهج والللذائذ التى كان يهاجمها علنا. إدارة مليئة بالنساء من كل صنف جوارى تركيات فى عمر الثامنة وزنجيات الدينكا السود وجوارى الحبش النحاسيات. . وفى رمضان يضطجع المهدى على السجاد الفاخر، بينما تعطف حوله ثلاثون امراة، يلوح بعضهن عليه بمراوح ريش النعام ويدلك بعضهن قدميه، دون أن يشوشن على نعاسه، بينما تمسح أخريات على يديه، بينما تقوم عائشة بإرقاده وإحاطة رأسه ورقبته بوَلَهٍ وحُبّ وبينما هو على هذه الحالة، يخبر الخصيان الجمهور ـ الذى نفذ صبره لرؤية المهدى أنه مستغرق فى تأملاته. . وهكذا يتنعم المهدى فى الداخل بينما يمارس فى الخارج

22- Pictorial Records of English in Egypt, pp. 250 – 256

23- Wingate, ten years, op. cit. pp. 31.



أمقت أنواع النفاق. . لقد عجلت هذه الحياة المترفة الرخيصة بموته)[٢٥]

هذه الصورة التى انطلقت من خيال هذا القس، ليس لها أية صلة بواقع حياة المهدى ولكن يبدو أن حياة الكبت والرهبنة ومصارعة الفطرة الشائعة فى عقائد الكاثوليك هى التى صورت حياة قادة المسلمين بهذه الصورة.

أسهمت هذه الدراسات الموجهة، فى تعبئة العالم المسيحى فى حملته الصليبية للاستيلاء على السودان، أو كما ورد فى مقدمة كتاب اوهرفالدر (إلى متى ستظل اوربا ـ وفوق كل شىء ـ تلك الأمة صاحبة اليد الطولى فى مصر والسودان، والتى تستحق ذلك بما لها من باع فى تمدين الشعوب الهمجية. إلى متى ستظل اوربا وبريطانيا ترقب دون تحرك دمار الشعب السودانى وانتهاك حرماته على يد الخليفة).

وما تزال هذه الروح ديدن الدراسات الكاثوليكية عن السودان وقد ورد فى (الكتاب الأسود للسودان ... اجابة) الذى صدر عن الفاتيكان فى أعقاب طرد المبشرين عن السودان ما يلى: (وإنه لمن المفيد حقا أن نعلم أن سكان جنوب السودان قد انقرضوا من أصل ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ إلى ٥٥ ألفا فى ظرف المهدية، حينما احتل الشماليون الجنوب ما بين عام ١٨٨٥ـ ١٩٠٣)[٢٦] وهذه محاولة لبذر بذور العداء وبث روح الكراهية باختلاف الأكاذيب وبث الكراهية، إذ لم يتم أى مسح أو إحصاء سكانى فيما قبل أو بعد المهدية، كذلك لم يدخل جنوب السودان جملة واحدة تحت إدارة المهدية، كما أن الإدارة المهدية لم تمتد إلى جنوب السودان فى عام ١٨٨٥. وقد صفيت الدولة المهدية تماما فى عام ١٨٩٩. إن المهدية لم تتركز فى الجنوب وكان جنوب السودان أضعف مناطق نفوذ المهدية، وقد رأت الحركة المهدية حيوية دعوتها فى الاتجاه نحو مصر والعالم الإسلامى.

وتعتبر فترة المهدية فترة انحسار اللغة العربية والفكر الإسلامى فى الجنوب لأن وجود الأنصار تمركز فى حامية الرجاف وبعض مناطق الأطراف ولم يحدث احتكاك يذكر بين الأنصار وقبائل الجنوب وقد تأثرت بعض فروع قبائل الدينكا كدينكا ناجوك بالمهدى ورحبت به طواعية باعتباره ثائرا ومنقذا ونظمت الأشعار فى حبه وهكذا نصل كنيسة إلى هذا الدرك من عدم الدقة وتزوير حقائق التاريخ.

وصعت القوى الاوربية فى نهاية القرن التاسع عشر اللمسات الأخيرة لمشروع غزوها للسودان، حيث هاجم الطليان من الشرق منطلقين من قواعدهم فى ارتريا واحتلوا شرق السودان بما فى ذلك عاصمته كسلا فى عام ١٨٩٦. وهاجم البلجيك من الجنوب مقتطعين

٢٥ـ المصدر السابق ذاته ص ١٥٥ ـ ١٥٧ ـ ١٦٠.

26– Church of Rome, the Black Book of the Sudan on the Expulsion of the Missionaries From southern Sudan An Aswer. Milano, 1964. p. 95.

منطقة اللادو ومصوبين على بحر الغزال وأعالى النيل فى عام ١٨٩٤ ، وهجم الفرنسيون تحت قيادة مارشان من الغرب متجهين نحو بحر الغزال. أما الضربة القاصمة فقد أوقعها الانجليز، بقيادة كتشنر، على الأنصار، وقد انتهت تلك الملاحم البطولية للأنصار بمعركة كررى فى ٢ ديسمبر ١٨٩٨ . ولم تك هذه معارك بين جيشين وإنما كذلك بين أسلوبين وعقليتين. عقلية الأنصار التى تقوم على الحمية الدينية ونصرة الدين وطلب الشهادة استنادا إلى أسلوب قتالى تقليدى قوامه الحراب والسيوف والسلاح النارى العتيق، وعقلية الجيش الغازى التى تقوم على أحدث ما وصلت اليه فنون الحرب من خطوط إمداد واستخدام للقاطرات والبواخر الحربية والسلاح النارى الحديث. لقد كان سلاح الجيش الغازى يحصد الآلاف من الأنصار بنيران أسلحته البعيدة المدى.

وقد علق أحد المحاربين الانجليز قائلا: (إن شرف القتال، يجب أن يذهب مع الذين ماتوا. لقد كان رجالنا على الكمال، أما هم فقد كانوا فوق الكمال. لقد التفوا حول علمهم بفدائية معرضين أنفسهم لكل أنواع الموت والعذاب التى يمكن أن تجلبه أدوات الدمار).

وبعد انجلاء غبار المعركة اتجه كتشنر (الذى طلب من جنوده حفاظا ـ على الذخيرة ألا يجهزوا على الجرحى وأن يتركوهم للذئاب ولهيب الصحراء تعمل فيهم عملها مؤدية مهمة الذخيرة على أحسن وجه). نحو أم درمان حيث استهل عهده بتدمير قبة الإمام المهدى ونبش القبر وقطع رأس الإمام المهدى ووضعه فى قارورة كيروسين وأرسله إلى الملكة فكتوريا، وألقى ببقية الجسد فى نهر النيل.[٢٧] ومع أن الملكة فكتوريا استفظعت الأمر، إلا أن حزب المحافظين عامل قضية نبش قبر المهدى على أنها مسألة طريفة لا تستحق نقاشا أو احتجاجا ـ وانتهى الأمر بجمجمة المهدى لتدفن فى وادى حلفا، ومع أن قبة المهدى خاوية من غير جثمان، الا أنها ما تزال شامخة رامزة لفعلة الصليبيين الخرقاء، التى لم تكتف بالمذبحة التى أقامتها فى كررى وإنما امتدت أياديهم كذلك لتعبث بالفارس الراقد فى قبره ـ ولم تعصمها من ذلك نخوة تدين أو حضارة أو حتى مجرد كبرياء. ومن لا يؤتمن على الأموات فكيف به على الأحياء.

وهكذا فتحت أرض السودان مرة أخرى أمام التبشير المسيحى (الكنيسة والإرساليات) تحت حماية السيف والنار. وفى عام ١٨٩٩ ، تم إقامة أول قداس مسيحى فى أمدرمان فى ذات ميدان الخليفة قلب عاصمة المهدى الإسلامية[٢٨] وحيث يقف مسجده وكانت تدار حكومته، وبعد ذلك حولت المنطقة إلى ناد للضباط الانجليز وبعد ذلك توجه كتشنر إلى

27– Philip Magnus, Kitchener, Portrait of an Imperialist London, November, 1958.

28– A. Morris Gesthorpe, Introducing the Diocese of Sudan, London 1946. p. 7.

قصر الحكمدارية وأقام قداسا تذكاريا على روح غردون حيث عزف النشيد البريطانى وبكى كتشنر واغرورقت عينا الملكة فكتوريا بالدموع حينما علمت بالخبر وتمتمت قائلة : (حقا لقد أخذنا بثأره)[٢٩]

وفى عام ١٩٠٠ طلب المعتمد البريطاني فى مصر لورد كرومر من المطران الانجليزى قوينى أن يبدأ حملة اكتتاب لبناء كاتدرائية انجلكانية فى الخرطوم. وتم بناء الكنيسة فى إطار سياسات حاكم السودان ونجت الذى كان يعلم أنه من الافضل للدولة والكنيسة أن يقوما بأداء رسالتيهما تجاه السودان بغير تداخل وذلك بأن تؤدى الكنيسة مهامها بعيدا عن مهام الدولة. وفى سبيل إلهاب حماسة الانجليز لمشروع بناء الكنيسة باعتبارها رمزا لقوة الصليب وتفوقه فقد وضعت الأميرة بيتريسا بنت الملكة فكتوريا حجر أساس الكنيسة بنفسها فى ٧ فبراير ١٩٠٤ تخليدا لذكرى غردون وهكذا تم قهر السودان مرة أخرى ليجد نفسه فى مواجهة مشروع تنصير ذى ملامح جديدة فى طور جديد.

٢٩ـ المصدر السابق ص ١٣٣ .

الفصل الثالث

الإسلام المعدّل (أو المحرّف) وسياسات بسط العلمانية فى الشمال والنصرانية فى الجنوب

تم إخضاع السودان أساسا بحملة عسكرية يقودها ضباط انجليز وجنودها مصريون وسودانيون، أما تكلفة الحملة فقد حمل عبئها دافع الضرائب المصرى، إذ لم تسهم الحكومة الانجليزية بأكثر من ٨٠٠ ألف جنيه - وهى مرتبات ضباطها - بينما كلفت حملة الفتح ٢٫٣٥٤٫٠٠٠ من الجنيهات. ومع ذلك فقد فازت انجلترا بحكم السودان. كتب اللورد كرومر لصنوه وزير الدولة الانجليزى قائلا: (لأسباب سياسية ومالية لا نريد ضم السودان ومن الجانب الآخر، فإن الاعتراف بالسودان إقليما تابعا للسلطنة العثمانية يجد كل المصاعب الدولية).

ابتدعت العبقرية الانجليزية صيغة الحكم الثنائى، التى كفت انجلترا مشاكل الضم والإلحاق وظفرت فى الوقت ذاته ببسط سيطرتها على السودان بمنأى عن مشكلة تقسيم تركة الدولة العثمانية (رجل أوربا المريض). ضَمِنَتْ الصيغة الجديدة للانجليز الانفراد بالسودان فى إطار شرعية مصرية شكلية. أصبح كتشنر حاكما عاما على السودان فترة قصيرة وتلاه السير ونجت الذى جلس على كرسى المنصب ١٨ عاما (١٩٠٠-١٩١٧) ليترقىّ بعدها معتمدا بريطانيا فى مصر خلفا للسير هنرى ماكمهون.

كانت بعثة الجمعية المسيحية التبشيرية جاهزة للبدء فى جهود تنصير السودان وأرسلت عددا من مبشريها إلى سواكن ابتداء من عام ١٨٩٩، كما قامت برصد مبلغ ثلاثة آلاف من الجنيهات الاسترلينية، لتخليد ذكرى غردون، مدشنة إرسالية باسمه للعمل فى السودان وهى إرسالية غردون التذكارية.

كانت الإدارة الاستعمارية الجديدة حذرة ومتوجسه من استخدام سلاح التنصير فى شمال السودان، مدركة أن نصف سكان السودان (٣٫٥ مليون) قد فقدوا أرواحهم نتيجة للحرب الخارجية والمجاعات وصراعات القبائل، ومن ثم رأت من الحكمة ألا تلبس مسوح النصارى وفضلت السلطات عدم إعطاء أى إشارة رسمية لمحاباة الإرساليات فى شمال السودان فى وقت أطلت فيه نذر ثورة جهادية إسلامية اخرى فى الصومال بقيادة السيد/ محمد بن عبدالله الحسن أثرا لسفور حركة التبشير المسيحى فى تنصير عدد من أبناء الصومال القُصّر.

قام كتشنر بعد فتح السودان بالدعوة للاكتتاب لإنشاء كلية غردون التذكارية تمهيدا لطريق البناء السياسى والثقافى الجديد وجاء فى خطاب دعوة الاكتتاب (إن الطريق لإصلاح الأجناس التى تم إخضاعها فى وادى النيل يكمن فقط فى إعطائها المعارف والآداب الاوربية فى سبيل إنجاز تمدينها). (٣١)

شابهت السياسات الجديدة فى السودان تلك التي اتبعها كرومر فى مصر وقد لخص كرومر منهجه لإضعاف الثقافة الإسلامية فى كتابه - مصر الحديثة - قائلا: (يجب ألا يغيب عن البال أنه لا يمكن إصلاح (أيّ تعديل)، الإسلام، أو بعبارة اخرى: (إن الإسلام الذى يخضع للتعديل لن يعود إسلاما على الإطلاق. إنه يصبح شيئا آخر بعد تعديله. ولا يمكن أن نحسب ما سيئول إليه. ولكن الحق أن المسلم المصرى الحديث وبعد عبور مرحلة التعليم الاوربى يفقد إسلاميته، أو فى جميع الأحوال، سيفقد أهم مقومات إسلاميته.. إذ أنه لن يستشعر قط أنه فى حضرة خالقه، الذى سوف يحاسبه يوما ما على أعماله. ومهما يكن الأمر، فإنه قد يستفيد فى تدينه الاسمى من الجوانب ذات الأهمية الدنيا. وفى هذه الأحوال، فإنه لن يعبأ بما يعتريه من تسيب أخلاقى. إن الحضارة الاوربية تدمر دين الفرد دون أن تمنحه بديلا. وما علينا إلا الانتظار لنرى هل يمكن فصل نمط القيم المسيحية التى تقوم عليها الحضارة المسيحية من تعاليم الدينى المسيحى).

شجع الحكم الانجليزى حركة الإسلام المعدّل، بإدخاله للتعليم الغربى - كلية غردون التذكارية والقوانين الغربية المدنية منها والجنائية - كما شجع إقامة العلاقات الاجتماعة والاقتصادية على المبادىء الاوربية، كذلك شجع الحكم الانجليزى حركة الطرق الصوفية التي لاتنفعل بقضايا الدولة والمجتمع، وحركة التعليم الدينى التى لا تؤثر على نظام الدولة العلمانى. كما لجأت الدولة لتلطيف سلوك الجمعيات التنصيرية. وحسب قول كرومر فإن خطر الانبعاث الدينى يمكن تسكينه وربما تفاديه تماما، بفرض بعض الرقابة الودية والمعقولة على حرية المؤسسات التبشيرية. (٣٣)

إن الإسلام المعدل أو المحرف إطار فضفاض قابل لأن يملأ بالأفكار والأشكال العلمانية الأجنبية، وفى هذا الإطار لا يكون هناك احتمال لبعث إسلامى قائم على الكتاب والسنة، بل يصبح ذلك حسب تعبير كرومر حلما ذا طبيعة شاعرية، تحملها الخيالات البعيدة التى

30- Mekki Abbas, the Sudan Question, London 1952 – p. 162.

31- Magnus, Kitchener op. cit. pp. 146.

32- Cromer, Modern Egypt vol 2. 231.

٣٣- المصدر السابق ذاته ص ٥٤٤ - ٥٥٥

ترفرف حول بعض قضايا العقيدة. وأهم عامل لإضعاف العقيدة الإسلامية فى النظام الإسلامى، تمثل فى تغيير وضع المرأة. تقوم البنية الداخلية للحضارة الغربية على وضع خاص للمرأة، يعبر عن روح ومضامين هذه الحضارة. ولكى يتسنى إعادة بناء المجتمعات الإسلامية على نمط الحضارة الاروبية، لابد من تغيير وضع المرأة ليتلاءم مع هذا التغيير، وعليه فإن إشكالية وضع وضعية المرأة وتعلمها يمثل العائق الأساسى فى سبيل إعادة بناء الدولة الإسلامية وفقا لقيم الحضارة الغربية ومعطياتها.

اتخذت السياسة الاستعمارية من التعليم عاملا أساسيا لإحداث التغيير المطلوب وأداة فاعلة لتشكيل الإسلام وتعديله على النحو المخطط لتشكيل بنية المجتمع. وتقاسمت الارساليات المسيحية والحكومة مسئولية التعليم، حيث احتكرت الإرساليات حركة التعليم فى جنوب السودان دون الشمال. ونظرا إلى أن قانون التبشير المسيحى لا يبيح مباشرة التنصير فى الشمال، فقد عدل الخطاب المسيحى لأبناء الشمال ليجىء من خلال مؤسسات التعليم.

تمثلت نتائج السياسات الثقافية الجديدة فى تغييرين كبيرين هامين، أولهما علمنة مفاهيم الفكر والسياسة فى عقول وأمزجة الصفوة السودانية المتعلمة والأمر الثانى صياغة فكر الصفوة فى إطار النظرة الجغرافية المحلية الضيقة وبذلك أضعفت النظرة العالمية القائمة على أخوة العقيدة ووحدة مصير أمة الإسلام وأقامت محلها رابطة المواطنة على أرض الوطن الواحد الذى يقوم على وحدة التراب وتتقاسمه مختلف العقائد والثقافات. وهكذا جرد الإسلام من خصيصته العالمية وسمة الأخوة التى تتجاوز الحدود الجغرافية وأصبحت هذه النزعة المحلية الإسلامية تمثل أساس النهضة ونمت توجهات الفكر والثقافة ونشطت معبرة عن طبيعة هذه النزعة المحلية المحدودة.

لخص السير ونجت سياساته تجاه الإسلام فى خطابه لعلماء السودان فى عام ١٩١٤ (وأشهد الله أننا لم نتدخل إطلاقا فى الممارسة الدينية لأى شخص لقد جعلنا الأراضى المقدسة على بعدها رحلة لا تتجاوز الأيام من الخرطوم، كما نقوم بمساعدة وإعانة رجال الدين. على امتداد القطر.[٣٤]

سياسة الحكم الثنائي والارساليات المسيحية:

مع أن أحد قوانين حكومة السودان المنظمة للعمل التبشيرى تقول (لا يجوز إقامة أى إرسالية تبشيرية شمال خطا عرض ١٠° فى أى جزء من أجزاء السودان المعتبر مسلما من قبل

34– Trimingham, The Christian Approach. p. 27.

الحكـومة) إلا أن السلطات المسيحية، سمحت ببناء الكنائس فى مختلف أنحاء السودان الشمالية وفى قلب المدن وفى مواقع هامة وبمواصفات هندسية وجماليه عالية، كما تم السماح بإقـامة الإرساليات فى مديرية كردفان فى منطقة جبال النوبة. ولم توضع قيود على استيراد وتوزيع وبيع الإنجيل والمواد التبشيرية الأخرى. كذلك تم السماح بإقامة المدارس الكنسية فى المـدن الشـمالية للبنـين والبنـات، وظل العمل التبشيرى فى الكنائس والمنازل الخاصة والمدارس والمستشفيات ونشطاً بغير قيود،ومع أن الإسلام لا يقر حرية الارتداد عن الإسلام إلا أن قوانين الحكومة سمحت بذلك واعترفت به.

أما السلوك الإدارى الناجح للإدارى الانجليزى وسط المسلمين، فقد وصفه كرومر قائلا (سيجد أنه لا يتعامل مع عدد كبير من المسلمين كما هو الحال فى الهند ولكن قوتهم ضعيفة لأنهم مشتتون بين عدد من السكان يفـوقـونهم خمسة أضعاف فى العدد ويخالفونهم فى اعتقادهم فى دين أكثر تسامحا. سيجد أنه يتعامل مع عدد من المسلمين أصغر فى العدد ولكن أكبر فى القوة وأكثر انفعالا بتوجيهات قادتهم الروحيين من إخوانهم فى الهند. عليه أن يفعل ما فى وسعه فى ظروف كهذه وعليه أن يمتنع تماما عن الخوض فى المسائل الدينية، وأن يكون متحفزا لأن يوضح بأن التبشير ليس داخلا فى برنامج عمله الإدارى. وأن يظهر احترامه للمشاهد الإسلامية وأن يرتب نفسه لعطلة الجمعة ويوطن أمره عل العمل للحكومة فى يوم الأحد على ما يصحب ذلك من وخز للضمير)[٣٥].

اختلفت سياسات الحكومة الثقافية والإدارية السياسية تجاه جنوب السودان عن تلك المـطبقـة فى شمال السودان. فقد فتحت الحكومة جنوب السودان للاوربيين والإرساليات المسيحية وقسمته إلى مناطق نفوذ دينى بين الكاثوليك والبروتستانت وحرمته على المسلمين من شمال السودان.

بذر الأب ليوللين قوينى[٣٦] أصول الكنيسة الأسقفية الانجلكانية فى السودان، وقد جاء قوينى للسودان وهو يفيض حماسة وتعصبا لاستهلال مشروع تنصير السودان، رافعا شعار (إعادة نصب راية المسيح التى خفقت فى هذه البلاد حينا من الدهر إلى أن أسقطت.. إننا

35- Report of World Missionary Conference, Government and Islam in Africa, The Moslem world Review, VII, 1921

٣٦- ولد قوينى فى ويلز الجنوبية فى ١١ يونيو ١٨٦٣ من عائلة عريقة فى مسيحيتها. وصل قوينى للسودان قادما من لندن فى ٢٥ سبتمبر ١٩٠٠. وقد نجح قوينى فى انشاء علاقات مع أعيان مصر والسودان حتى مع الملك السابق فاروق ومات قوينى الذى كان معاديا للصهيونية فى ٧ ديسمبر ١٩٥٧.

بعملنا هذا، إنما نطالب فقط باستعادة ما كان يوما ما له. وما يزال كذلك إلى يومنا هذا ويجب على الكنيسة المسيحية ألا تخلد للراحة حتى تستعيد ما كان لها مرة أخرى).[37]

حينما جاء قوينى للسودان كان يمثل جزءا من ملحقية الكنيسة الانجلكانية المصرية التى كانت تابعة بدورها لمطرانية الكنيسة الانجلكانية للقدس والشرق،ولكن بعد مجىء قوينى تم إقامة مطرانية منفصلة شملت مصر والسودان.

وبهذه المناسبة، كتب رئيس أساقفة كنتربرى للورد كرومر قائلا: (أعرف أنه يمكن عمل القليل فقط فى الوقت الحاضر فى السودان، ومع أن السودان سيكون داخلاً فى المطرانية الجديدة فإنه يتعين على المطران ألا يمارس صلاحياته هناك حتى تأذن له السلطات الحكومية. ولن يكن هناك صعوبات فى الإعداد لذلك). وقام كرومر بإهداء قطعة أرض مجاورة لمركز الحكومة الرئيسى (القصر الجمهورى حاليا) فى قلب المدينة لبناء مركز المطرانية التى عرفت بكاتدرائية غردون التذكارية.

وقد وجد قوينى نفسه مختلفا فى أمرين مع السردار ونجت حول حرية العمل التنصيرى فى شمال السودان وكذلك حول اتخاذ يوم الجمعة عطلة أسبوعية بدلا من الأحد، كما كان متبرما من عدم فرض تدريس الإنجيل على طلبة كلية غردون التذكارية بحجة أن الكلية بنيت بأموال المسيحيين لتخليد ذكرى قديس مسيحى. وقد ظل قوينى فى الفترة الممتدة ما بين ١٩٠٠ ــ ١٩٠٢ على اتصال مباشر مع اللورد كرومر والسردار للحصول على إذن منهما للتبشير فى شمال السودان، وقد أذنا له بمباشرة العمل الطبى، ووصل لذلك الغرض د. هاربر (Harper) وخلفه بعد ذلك د. هول وزوجته.

وفى عام ١٩٠٢، دخل عمل الكنيسة الانجلكانية التبشيرى مرحلة جديدة، وحينما استدعى السردار قوينى مخبرا إياه بأن كرومر قد وافق على السماح له بفتح مدارس للكنيسة وأن ذلك تنازل مذهل من جانب اللورد كرومر - أما قوينى فقد تملكته الدهشة وغمرته الفرحة وانهمرت دموعه حيث كان يعلم ماذا يعنى ذلك بالنسبه له، إذ ما الفرق بين السماح له بتعليم أبناء المسلمين والعمل على تنصيرهم. وهكذا استهل قوينى عمله بفتح مدرسة صغيرة للبنات القبطيات فى عام ١٩٠٢ ونصب نفسه معلما. وفى ذات العام أسس مدرسة للأولاد بتكلفة قدرها ٢٥٠ من الجنيهات الاسترلينية جاءته هدية من كنيسة انجلترا ثم عمدت الكنيسة تحت إدارة قوينى لفتح مدرسة أخرى للبنات فى أمدرمان وعطبرة وفى عام ١٩٠٨ فتحت مدرسة أخرى بمدينة ود مدنى وفى عام ١٩١٣ افتتحت مدرسة الرى بأبى

37- H.C. Jackson, Pastor on the Nile, Being Some Account of the life and Letters of Llewellyn Cwynne. London, 1960, P.33.

روف وقد شجعت السلطات الاستعمارية جهود الإرسالية المسيحية التعليمية وقد ظهر منافس سودانى لقوينى وذلكم هو الشيخ بابكر بدرى الذى استأذن السلطات لفتح مدرسة تعليم للبنات فى عام ١٩٠٤ و ١٩٠٥ ولكن ماطلت السلطات التعليمية فى الاستجابة لطلبة ولم تمنحه التصديق حتى عام ١٩١١ . وقد باشر الشيخ بابكر بدرى التعليم فى مدرسته للبنات شرق النيل الأزرق برفاعة وفى عام ١٩١٢ وافق أهل واد مدنى على فتح مدرسة للبنات لتعليم القرآن الكريم، وقد تعمدت السلطات التعليمية المماطلة فى فتح مدارس قرآنية للبنات «رسمية أو أهلية» حتى تمنح المبشرين وسلطات التعليم الفرصة لبناء نظامهم التعليمى الجديد.

سياسة جمعية الإرسالية الانجلكانية تجاه الكنائس والإرساليات الأخرى:

لقد أقامت الكنيسة الانجلكانية سياستها الرامية إلى تنصير المسلمين على أساس الخطاب المباشر وبث التعليم والخدمات الصحية، كما عمدت الكنيسة الانجلكانية إلى بناء وتقوية الكنيسة القبطية المحلية، علما بأن الكنيسة الانجلكانية كانت تنظر إلى الكنيسة القبطية باعتبارها فئة مارقة على تعاليم الكنيسة[٣٨]. كما انتهجت الكنيسة خطا قائما على التعاون مع الكنائس والملل والإرساليات المسيحية الأخرى، فى سبيل تطويق حركة الإسلام فى السودان.

ومن التجمعات التى بادرت الانجلكانية بتكوينها (رابطة ترويج المسيحية فى مصر) منذ عام ١٨٨٢، وقامت هذه الرابطة فى عام ١٨٨٥، بعد مقتل غردون بإقامة كلية غردون المصرية، وبعد اجتياح السودان فى عام ١٨٩٨، قامت هذه الرابطة بإهداء مبلغ مائتين وخمسين من الجنيهات الاسترلينية لإقامة صرح المدارس القبطية فى الخرطوم.

اجتهد قوينى فى تنمية روح الوحدة بين مختلف الملل والهيئات الكنسية فى السودان، وتوحيد حركتها. وقد ظهرت ثمار هذا الجهد فى مشروع مدرسة الوحدة العليا، حيث شاركت كل الهيئات الكنسية فى مشروع تحويل مدرسة

٣٨- تغيرت نظرة الانجلكان الى الكنيسة القبطية بعد زيارة رئيس أساقفة كنتربرى ١٩٨٧ لمصر لاول مرة فى التاريخ حيث وقع معه على اتفاقية تضمنت الاشارة الى جوهر اعتقادهم المشترك فى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

قوينى الابتدائية للبنات إلى مدرسة عليا فى إطار اتفاقية بين الكنيسة الانجلكانية والكنائس الشرقية الارثوذكسية وهى كنائس الأرمن الارثوذكس والكنيسة القبطية والكنيسة الاثيوبية والكنيسة الإغريقية أصبحت مدرسة الوحدة تضم فى المتوسط ٣٠ طالبة بينما ضم مجموع أساتذتها أربعة من الانجليز وارمنيا واغريقيا وثلاثة من الأقباط المصريين. وكانت العلوم الأساسية هى اللغة الانجليزية والأدب الإنجليزى، والإنجيل والتاريخ والجغرافيا، والرسم والغناء. وتواصل الطالبات الراغبات فى المزيد من التعليم الدراسة فى كلية غردون التذكارية. وفى عام ١٩٤٥، أصبح مجلس أمناء مدرسة الوحدة العليا للبنات مكونا من مطران الانجلكان وأعضاء يمثلون الجاليات الانجليزية والارمنية والقبطية والاغريقية.

كما نسق الانجلكان جهودهم مع الكنيسة الانجلكانية على تعليم الطالبات بينما ركزت الكنيسة الامريكية على تعليم الطلاب وبمجىء عام ١٩١٢ أصبح للانجلكان مراكز ثلاثة لتعليم البنات، أحدها فى أمدرمان وافتتح عام ١٩٠٥ والآخر فى عطبرة عام ١٩٠٨ والثالث فى ود مدنى ويضم كل مركز عددا من المدارس ورياض الأطفال بالإضافة إلى مدرسة متوسطة وأخرى ثانوية.[٣٩]

أصبحت غالبية المنتميات لهذه المراكز من المسلمات وإن ضمت عددا من فتيات الاقباط والسوريين والارمن وخلافهم،وكانت دراسة الإنجيل تمثل جزءا من المقرر التعليمى لكل الفتيات. بالإضافة إلى ذلك يتم تدريب الفتيات على التطريز والعمل المنزلى وتنمية مختلف أنواع الهوايات.. أما الفتيات اللائى يرغبن فى المزيد من المؤهلات فى مجال التدريس فقد خصص لهن عام إضافى للتدريب على طرق التدريس بعد حصولهن على الشهادة الثانوية، بلغ عدد الطالبات الكلى فى هذه المراكز عام ١٩٤١ ٢٠٥ر١ طالبة[٤٠]. وبجانب التأثير المباشر على الطالبات من خلال العملية التربوية فقد أعطت هذه المراكز، طريقا آخر للمبشرين للاتصال بالبيوت السودانية بالزيارات التى يقومون بها لأسر الطالبات كما مكنتهم من إعداد برامج خاصة للنساء والأمهات.

كذلك كانت واحدة من مبادرات قوينى فى السودان، برنامجه لتوحيد المجتمع المسيحى السودانى من خلال أداء طقس تعبدى موحد يعقد سنويا، فى كاتدرائية الخرطوم الانجلكانية، لكل الملل والطوائف الكنسية وقد تدرج هذا البرنامج حتى أصبح هناك منبر موحد للكنائس أطلق عليه مجلس الكنائس فى السودان والذى وضع أهدافه فى:

39- Introducing the Diocese of the Sudan. P. 23.

40- Trimingham, the Christian Approach 21

١/ الوحدة من أجل تحرك عام ضد المفاسد الأخلاقية.

٢/ الوحدة من أجل التمسك بالعادات والمعتقدات ذات الأصل الكنسى مثل المحافظة على يوم الأحد واتخاذه يوما للتعبد والراحة، وحرية العبادة لكل المعتقدات طالما لم يخل ذلك بالنظام العام.

٣/ والتوحد من أجل إيجاد تعليم أفضل ودور رعاية للأطفال أسوة بما تفعله مدرسة الوحدة العليا للبنات ومدرسة الوحدة العليا للأولاد فى واد مدنى.

وقد ضم مجلس الكنائس فى السودان قادة الكنائس الآتية: كنيسة انجلترا ـ الكنيسة الارثوذكسية الاغريقية ـ الكنيسة القبطية الارثوذكسية الكنيسة الارمنية الارثوذكسية ـ الكنيسة السورية الارثوذكسية ـ الكنيسة المشيخية المصرية ـ الكنيسة الامريكية التبشيرية ـ وشعبة الكنيسة بالجيش الملكى[٤١]. كذلك أنشىء جهاز موحد تحت اسم المجلس الإرسالى المتداخل بغرض التنسيق بين حركة الإرساليات العاملة فى جنوب السودان، لإيقاف أية محاولة لنشر الإسلام هناك ولنشر المسيحية الاوربية فى الجنوب، وقد عزلت كل إرساليات الكنائس الشرقية من هذا المجلس وتكون المجلس فقط من إرسالية غردون التذكارية والإرسالية الامريكية التبشيرية وإرسالية[٤٢] الكنيسة التبشيرية وإرسالية الجمعية التبشيرية.

كان قوينى ـ على عكس ونجت، حاكم السودان ـ يعتقد بأن البرنامج التنصيرى جزء لا يتجزأ من البرنامج الاستعمارى ولم يتردد قوينى فى تنمية وتقوية السياسات الاستعمارية، كما اجتهد فى تكريم أبطال الغزو الانجليزى باعتبارهم أبطالا للكنيسة الانجلكانية والمسيحية الاوربية وقد تجلى ذلك فى عام ١٩٠٨، عندما أصدر نداء لبناء كاتدرائية لتخليد ذكرى غردون، وفى عام ١٩٣٠ شيد برجا وأجراسا فى ذات الكاتدرائية بالخرطوم للجنرال كتشنر والسيرلى استاك. وقد خاطب ذلك الاحتفال سير جون مافى (Sir John Maffey) حاكم السودان والذى اشترك مع هرولد مكمايل فى صياغة سياسة الجنوب ـ قائلا: (وهنا ومن خلال السلام الذى يغمر هذه الكنيسة، نحس ـ كما نحس داخل الكنيسة التى نحبها حبنا لديارنا ـ بالروح الطيبة للهدف المشترك. إننا مدينون للذين شقوا لنا هذا الطريق ـ كما أننا نزف أشواقنا للذين لم يأتوا بعد، ولكن سيواصلون التعبد هنا كما فعل أسلافهم.)[٤٣]

41- Introducing the Diocese of Sudan P. 51

٤٢ـ تستمد ارسالية السودان المتحدة مبشريها أساسا من نيوزيلندة واستراليا وقد جاءت بدعوة من قوينى فى عام ١٩١٢.

43- Introducing the Diocese of Sudan

المقتفون خُطا كمبوني:

تراجعت الكنيسة الكاثوليكية عن السودان إبان فترة الجهاد الإسلامي المهدوي وأُنشأت إرسالية السودان في المنفى مركزة على سواكن ومصوع في حمى القوة المتربصة بالسودان. خلف القس فرانسيسكو سوجارو، دانيال كمبوني قاصدا رسوليا على إرسالية السودان في منفاها. وقد أشرف على إجلاء المبشرين من السودان وتسيير أمور الإرسالية في مصر وسواكن وطوكر. شارك القس الكاثوليكي برينللي (١٨٣٧-١٩١٦) في حملة إنقاذ غردون وفي قوة الحفاظ على سواكن وانخرط كذلك جنديا في حملة غزو السودان بقيادة كتشنر في محاولة لتثبيت حق الكنيسة في مشروع استعادة السودان وتوزيع غنائمه.

وقع سبعة من المبشرين الكاثوليك من القائمين على أمر إرسالية الدلنج في أسر المهدي، ومع أنهم حاولوا مقاومة المهدية عسكريا وسلحوا بعض النوبة لهذا الأمر فإن المهدي أحسن معاملتهم وقد تزوجت راهبة بين هؤلاء المبشرين وهي جريجو ليني تيريسينا من طبيب اغريقي وأنجبت له طفلين في كنف الدولة المهدية ولكنها واصلت العمل مع الكاثوليك بعد حملة استعادة السودان إلى أن توفيت في عام ١٩٣١. هرب عدد من هؤلاء المبشرين إلى القاهرة ومن أبرزهم اوهر فالدر الذي هرب عام ١٨٩٢ وشارك في حملة التعبئة الفكرية والسياسية لاستعادة السودان وحاول الكاثوليك إلزام كرومر بتعيين الأب اوهر فالدر قسا ميدانيا في جيش استعادة السودان ولكنه رفض ذلك.

نجح الأب سوبارو في جمع الإعانات والهبات لكنيسة المنفى وأقام لها عدة مراكز ضخمة في القاهرة وأسوان وقد بلغت قيمة أصول كنيسة المنفى مبالغ أسطورية كما استقطب أعدادا من الأفارقة السودانيين، ومع ذلك لم ينل رضاء الفاتيكان لأنه كان من أنصار الحماية النمساوية ولذلك عزل وتم تعيين الأب الايطالي انطوني روفيجور مطرانا على إرسالية السودان كما عين أب نمساوي مساعدا له إرضاء للنمسا.

منح اوهر فالدر إذنا خاصا بالرجوع لامدرمان في أكتوبر ١٨٩٩ بعد مضي نحو شهر على إكمال قهر السودان وكذلك جاء الأب انطونيو رفيجو - مطران السودان - والأب بانهولزير والأخت انجولو فينكو وقد عملت هذه الراهبة في السودان قبل اندلاع الثورة المهدية وماتت في السودان.

جاء الكاثوليك منفعلين بأنهم أصحاب حق في السودان، إذ يعتبرون السودان الإفريقي اكتشافا كاثوليكيا، ضحى في سبيله الكاثوليك وماتوا ودفنوا فيه، ومن ثم اعتبروا السودان إرثا لهم دون غيرهم وقد زاد في هذه الحساسية تجاه السودان نظرة الكنيسة الكاثوليكية لنفسها بأنها أم كنائس العالم والناطقة باسم المشروعية الكنسية التاريخية. ولكن الإدارة الانجليزية

لم تمنحهم حق الامتياز على السودان وأصرت على التفاهم معهم على قدم المساواة مع غيرهم من الكنائس والإرساليات . تردد كتشنر فى البداية فى أمر إعادة ممتلكات الكنيسة لهم خوفا من أثر ذلك على المسلمين ولكنه عاد أخيرا ومنحهم قطعة أرض كبيرة على النيل فى قلب الخرطوم والتى تقوم عليها حاليا كاتدرائية مانيو والمدارس الكاثوليكية المحيطة بها . كما منحهم تعويضا سخيا قدره اربعة آلاف من الجنيهات المصرية .

قام القس روفيجو والذى رفض الأوامر الحكومية بعدم التبشير وسط المسلمين ، بشراء عدد من المنازل فى حى المسالمة بأمدرمان متخذا منها مدرسة للبنات وسكنا للراهبات . ومهما يكن فإن جهود الكاثوليك رغم ضخامتها لم تثمر شيئا فى الشمال ، إذ أن عدد الكاثوليك حتى عام ١٩٣١ بلغ فى شمال السودان ٢٥٠ شخصا معظمهم من الأجانب ولكن كان نجاحهم الأكبر فى جنوب السودان .

الإرسالية الامريكية المتحدة :

تنتمى الكنيسة الامريكية التبشيرية المشيخية المتحدة إلى عائلة من تجمعات التنظيمات التبشيرية ويحكمها مجلس إدارة مقيم فى مدينة فلادلفيا بالولايات المتحدة وضعت هذه الكنيسة قدمها فى العالم الإسلامى فى عام ١٨٥٤ فى مصر وسط مجتمع الاقباط ، وبمجىء عام ١٨٩٥ أصبح للكنيسة خمسة آلاف عضو قبطى و ٧٥ مسلما . وقد أقامت لهؤلاء المنصَّرين الجدد كنيسة مستقلة باسم كنيسة مصر الانجيلية فى محاولة لتوطين الكنيسة . اتبعت هذه الكنيسة ذات الأسلوب فى السودان فأوفدت الراعى القبطى صبرى حنا إلى أمدرمان حيث أخذ فى تأسيس الكنيسة الانجيلية المشيخية السودانية .

سبق مجىء الأب حنا وصول عدد من قادة الكنيسة الأم فى عام ١٨٩٩ لدراسة جدوى تأسيس عدد من مراكز التبشير والكنائس وهم جورج كيلى كيفن جورج سواتش وقد أثمرت جهودهم فى إقامة سلسلة من الكنائس والمدارس فى الخرطوم وآمدرمان والخرطوم بحرى والجريف وعطبرة وسنكات وودمدنى ودنقلا وبورتسودان . وقد عرفت هذه الكنيسة فيما بعد باسم الكنيسة الانجيلية المشيخية وسيطر عليها الأقباط الذين دخلوا فى صراع مع العنصر الإفريقى السودانى فى السيادة على الكنيسة ، بعد أن تكاثر العنصر الإفريقى فى الشمال ولكن الأقباط لم يسمحوا لهم بدور فى الكنيسة مما أوقد نيران الصراع . ركزت الكنيسة المشيخية عملها فى ميدان التعليم ، حيث أنشأت مدرسة بنات بداخلية عام ١٩٠٨ بالخرطوم وفصلا لتعليم الإنجيل وفصلا دراسيا آخر فى أمدرمان ضم ١٢٠ طالبا اعتبر أكبر فصل دراسى حينها لتعليم الإنجيل فى شمال إفريقيا . أما وسائل الكنيسة المشيخية الرئيسية

الأخرى فقد شملت:

١/ الرحلات النيلية التى يتم فيها الاتصال والإرشاد المسيحى وتوزيع الكتب المسيحية.

٢/ طباعة الكتب المسيحية والآداب المسيحية وتوزيعها.

٣/التركيز على العمل وسط النساء مع تقديم ألوان من الدعم النفسى والفكرى.

وقد أثمرت جهود الكنيسة الامريكية فى ظهور كنيستين مختلفتين فى السودان، ففى شمال السودان آلت ممتلكات الكنيسة لما أصبح يعرف بكنيسة السودان الإنجيلية التى لم تتجاوز عضويتها حتى عام ١٩٦٨م ألفا وخمسمائة معظمهم من الأقباط.

أما فى الجنوب، فقد أصابت الكنيسة الامريكية حظا من النجاح حيث بلغت عضويتها عام ١٩٦٨ عشرين ألفا من المنصرين من قبائل النوير والانواك.

ولعل إخفاق الكنيسة الامريكية فى السودان يعود إلى أن المبشرين الامريكان، ذهلوا من تماسك المجتمع السودانى المسلم واستغنائه بدينه عن المبادىء المستوردة حتى أخذ بعضهم يشك فى جدوى سياسات التبشير فى شمال السودان وبعضهم كان يختم استقالته من العمل بسلك الكنيسة فى السودان قائلا: (أعتقد أنهم يعتنقون دينا يناسبهم تماما، كما أنهم يؤمنون بالله، فلماذا نعبأ بهم؟)

44- C.C. Cash, The Changing Sudan, London 1931 PP. 61.

الفصل الرابع
نمو البعثات التنصيرية فى جنوب السودان
التعريف بالاقليم وخصائص سكانه :

تبلغ مساحة الرقعة الجغرافية لجنوب السودان ٢٥ر مليون ميل مربع ويقطنه ٢٩٦ر٢٧١ر٥ نسمة حسب نتائج إحصاء عام ١٩٨٣م. وتتمثل أهمية جنوب السودان الى وادى النيل، فى كونه ممرا للنيل الأبيض وكثير من روافد النيل الأخرى تتدفق منه، كما أن مساحة جنوب السودان تعادل ٢/٣ مساحة مصر بسكانها البالغ عددهم خمسة وخمسين مليونا من البشر. وبينما تبلغ نسبة الارض الصالحة للزراعة فى مصر ٩ر٢٪ فقط فإنها ترتفع فى جنوب السودان إلى ٩٠٪، كما أن احتياطى المياه الذى يمكن توافره للتوسع الزراعى فى مصر والسودان إنما يقع فى منطقة المستنقعات بجنوب السودان.

يمتد جنوب السودان بين مناطق السافنا وحزام المناطق الاستوائية وبين خطى ٣° ــ ٣٥° شرقا وخطى العرض ٤° ــ ١٢° شمالا وتحف بجنوب السودان خمسة أقطار إفريقية هى اثيوبيا كينيا، يوغندا، زائير، وجمهورية إفريقيا الوسطى - ويرتبط جنوب السودان بالشمال بالمواصلات البرية والنهرية مرورا بكوستى، وتمتد مواصلات السكة الحديدية بين بابنوسة وواو وكذلك يربط خط برى ما بين الضعين وراجا . وبالإضافة إلى ذلك تتفاعل القبائل بحرية فى مناطق التماسّ فى بحر العرب والرنك وماجاورها.

تعيش فى جنوب السودان أكثر من سبتين قبيلة، لكل قبيلة لهجتها وتقاليدها وثقافتها وطرق حياتها الخاصة ولكن درج بعض المستشرقين على تقسيم هذه القبائل إلى مجموعات أربع - وهو تقسيم لا يخلو من عيوب ولكنه يفيد فى تبسيط الصورة: ١/ المجموعة النيلية (الدينكا، نوير ، شلك)، ويمثلون نصف الثقل السكانى فى الجنوب، بينما يمثل الدينكا وحدهم ما يقارب من ٢٧٪ من السكان فى جنوب السودان، وتقوم حياة هؤلاء على الرعى أساسا كما يزرعون قليلا من المحاصيل الغذائية كالذرة، ويتميز النوير بأنهم مقاتلون شديدو المراس. ٢/ مجموعة القبائل النيلية - الحامية، مثل (الانواك، الاشولى) وجميعهم يعتمدون على فلاحة الارض، حيث ينتجون قدرا ضيئلا من الذرة - وقد كان عدد منهم الى عهد قريب على الفطرة من غير لباس. ٣/ وهناك مجموعة القبائل القادمة من غرب إفريقيا وأهمها (الزاندى) وهم أقل سوادا وأقصر قواما كما يعتمدون أساسا على الفلاحة المحدودة للأرض

٤/ ومجموعة القبائل التى تقيم على الحدود مثل (الانواك واللاتوكة) على الحدود الاثيوبية (والكاكوا والاشول) على طول الحدود الاستوائية واليوغندية.

أما الديانة الغالبة على هذه القبائل فهى ما تعرف بالمعتقدات الإفريقية من إيمان بالأرواح والسحر وأرواح الأسلاف والحراب المقدسة والكجور أو على مجرد الفطرة من دون تعلق بمعتقد معين - يعتبر الإسلام اول دين سماوى يصل الى هذه القبائل ولكن قبل أن تكتمل حركة إسلام هذه القبائل جاء الاستعمار الانجليزى بالبعثات التنصيرية الاوربية وحظرت الدعوة إلى الإسلام وشجعت التنصير فى إطار توجه مسيحى، وأصبحت القيادة المتعلمة من خريجى المدارس التنصيرية فى الجنوب مسيحية العقيدة والشكل،انجليزية اللسان،علمانية الفكر والتوجه،بينما ظلت القاعدة إمّا على معتقداتها التقليدية،وإمّا مسلمة العقيدة كما فى مناطق غرب الاستوائية والرنك.

والسمة الطبيعية البارزة فى الجنوب هى النيل الأبيض وروافده وما يحيط به من مستنقعات وأحراش.

المصادر المكتوبة التى تتحدث عن الجنوب فيما قبل عام ١٨٢٠ قليلة وتمثل مجرد اجتهادات تقوم على الحدس والتخمين، ويركز بعضها على التفاعل التاريخى بين هذه المناطق وممالك شمال السودان، نبته وكوش، كما يتجلى فى السمات المشتركة لبعض الفنون والتماثيل بطابعها الفرعونى وطقوسها الدينية،ويرجع بعض المؤرخين جذور الفونج إلى الشلك،والفونج هم البناة الأساسيون لمملكة السلطنة الزرقاء الإسلامية (١٥٠٠ - ١٨٢١) ومن المؤكد أن جنود هذه المملكة كانوا من أصل جنوبى. ويبدأ التاريخ الرسمى المكتوب لجنوب السودان، باعتباره جزءا من أرض السودان ابتداء من عام ١٨٢٠، حينما قام محمد على بإرسال جيشه لإخضاع السودان، حيث تم القضاء على مملكة السلطنة الزرقاء والتوغل فى أدغال جنوب السودان. وقد جاء ضم جنوب السودان فى إطار برنامج محمد على لمعرفة منابع النيل واكتشاف الجنوب حيث أبحر القبطان سليم وهو تركى الأصل فى ثلاث تجريدات بين عامى (١٨٣٩ - ١٨٤١) وقد صحبه فى التجربة الأولى عدد من السويسريين والالمان والفرنسيين والامريكان والبريطانيين) وذلك فى عام ١٨٣٩ - ١٨٤٠ وقد دخل القبطان سليم إلى منطقة الرجاف -جوبا- الحالية خط عرض ٤٢-٤ شمالا وأصبحت المنطقة داخلة تلقائيا فى ممتلكات محمد على السودانية.

أدى فتح جنوب السودان للملاحة والتجارة، إلى جذب المغامرين الاوربيين وتدفقهم على الجنوب تجارا للرقيق وباحثين عن العاج وغيره من السلع المهمة وقد صحب هؤلاء المغامرين عدد من الشماليين السودانيين إلى تلك المناطق فكان منهم الخدم والحراس العاملون

تحت إمرة اولئك الاوربيين من الفرنسيين والمالطيين والطليان. وقد عبر عن ذلك بروفسور هولت حينما قال (وكان الشماليون السودانيون أعوانا وحلفاء لاحقين للتجار الأجانب وليسوا مبتدئين لهذه التجارة). [٤٥]

ثم جاء المبشرون الاوربيون:

فى عام ١٨٤٦ أصدر البابا جريجورى السادس عشر أمرا بإنشاء دائرة إفريقيا الوسطى الرسولية - بحيث تشمل السودان الغربي بما فيه سودان وادى النيل المسلم. وكان البابا حريصا أن تكون الكاثوليكية الاوربية هى السابقة إلى المنطقة الاستوائية قبل أن تتوطد أركان البروتستانتية أو الإسلام. وقد أظهر دعاة النصرانية الاوربية عزما وحماسة وإرادة فى غرس النصرانية فى المناطق الاستوائية بظروفها المناخية القاسية وإفرازاتها من الأمراض المتفشية، إضافة إلى النزعة العدائية للقبائل فى مواجهة كل طارق جديد خصوصا وأن صلتها بالاوربيين لم تتجاوز العلاقة الناجمة عن تجارة الرقيق التى اتسمت فى نظرهم بالقسوة وإفساد الحياة وقتل الأبرياء ومصادرة الأبناء والممتلكات.

بمجىء عام ١٨٥٠ قام ثلاثة مبشرين يسوعيين، تحت قيادة كنوبليشار (Knoblechar) بإقامة بعثة تنصيرية فى غندكرو (جوبا الحالية) وسط شعب الباريا، كما أقاموا مركزا تبشيريا آخر بالقرب من منطقة بور الحالية. وحتى ذلك الوقت، كان يتم تمويل ثلث تكاليف العمل التبشيرى من - قبل الجمعيات والهيئات الخيرية، بينما تقوم السلطات الاوربية الحامية والإدارة البابوية بدفع الثلثين الباقيين. وقام كنوبليشار حين عودته لاوربا بإقامة تنظيم متصل بشبكة تنظيمات فى كل دوائر الكنيسة الكاثوليكية الروحية فى النمسا لجمع التبرعات والهبات والصدقات. كما نجح فى إقناع الإمبراطور فرانسيس جوزيف الأول بدعم البعثة وبسط حمايته عليها حيث قام بفتح قنصلية نمساوية فى الخرطوم.

وفى عام ١٨٥٥ ومؤازرة للعمل الذى بدأ فى أعماق السودان، قام معهد مازا بفيرونا فى ايطاليا بتمويل وتنظيم بعثة تنصيرية عن طريق النيل حتى أعماق السودان، وتكونت البعثة من خمسة مبشرين كان من بينهم دانيال كمبونى. وقد واجهت هذه البعثة أصنافا من الصعاب والأهوال فى جهدها لبذر المسيحية فى جنوب السودان، إذ بالإضافة إلى عوامل الطقس الاستوائى والحرارة، كان هناك حاجز اللغة والجنس والثقافة وقد مات أحد

45- Quoted in Lazarus Leek Mawut, The Southern Sudan Why Back To Arms. Khartoum. 1986. P. 15.

القساوسة من الإجهاد فى تلك الظروف القاسية، وهنا وعلى فراش موت هذا القديس، أخذ كمبونى على نفسه العهد بأن ينذر نفسه لحركة تنصير إفريقيا - وأصبح شعاره منذ ذلك اليوم (إما تنصير إفريقيا أو الموت على درب من سبقوه).

وعلى درب مواصلة البناء على إنجازات ما تم إنجازه، أرسلت الإدارة البابوية بعثتين آخريين مكونتين من ٥٢ مبشرا، مات منهم اثنان وعشرون فى أحراش جنوب السودان خلال أشهر معدودات. وهنا وبعد إمعان النظر خرج كمبونى بخطة جديدة لتنصير إفريقيا وذلك عن طريق إيفاد أبنائها إلى روما والقاهرة ومراكز المسيحية الأخرى، حيث يتم مسح عقولهم وتنصيرهم وصياغتهم على أسس الثقافة الاوربية النصرانية ليقوموا بعد عودتهم إلى بلادهم بمهام العمل التبشيرى بين أهلهم وتلبية لمقتطفات هذه الاستراتيجية قام كمبونى بإعداد معهدين للاهوت الكاثوليكى للأفارقة للجنسين ذكورا وإناثا - فى القاهرة وفيرونيا، وبدأ فى إرسال المبعوثين من الجنسين للتأهيل فى فن زراعة النصرانية فى إفريقيا. وكما رأينا فإن الزمن لم يسعف الجهود التنصيرية حيث اندلعت الثورة المهدية وأفل نجم المسيحية فى السودان.

شجعت السلطات الاستعمارية بعد استعادة السودان، المنظمات التبشيرية للاتجاه إلى جنوب السودان لبذر المسيحية والثقافة الاوربية هناك، وكان حاكم السودان ونجت يأمل فى أن يقوم المبشرون ببناء حصن منيع من القلاع التبشيرية تكون رصيدا احتياطيا لمقابلة أى مد إسلامى من الشمال. لقد كان ونجت مسيحيا متعصبا وكان يجد الغبطة فى مساعدة منظمات التبشير بطرق ذكية حتى لايشوش ذلك على وضعه باعتباره حاكما لبلد مسلم، على الأخص فى مجال التعليم حيث رأى ونجت أن انفراد المبشرين بالسيطرة على التعليم والخدمات الاجتماعية فى جنوب السودان يوفر على الحكومة جهدا ماديا وأدبيا ويسهم فى قيام حضارة مناوئه لحركة العروبة والإسلام فى الشمال مما يؤدى إلى إضعاف الوجود الإسلامى بوجه عام فى منطقة وادى النيل،كما يحمى بذلك مناطق الاستيطان البيضاء فى كينيا وما جاورها حتى جنوب إفريقيا من تأثيرات حركة المد الإسلامى.

وفى عام ١٩٠٠ عرّفت الكنيسة الكاثوليكية حدود المطرانية الكاثوليكية لمنطقة إفريقيا الوسطى بأنها المنطقة الممتدة من أسوان حتى الحدود الشمالية لبحيرة البرت على نهر فكتوريا وقد سبق الكاثوليك فى الوصول للجنوب بعد استعادة السودان إذ قام الأب رفيجو والأب تابيى (Tappie) وثالثهم الأب اوهر فالدير بتأسيس محطة تبشيرية بين الشلك فى منطقة كول على النيل الأبيض بالقرب من ملكال. وفى البداية جابه المبشرون ذات الصعاب التى واجهت من سبقوهم، إذ امتلأ الشلك رعبا وهم يرون الرجل الأبيض تاجرالرقيق يقيم بين ظهرانيهم. وفى ٧ يوليو ١٩٠١ قام الشلك بإحراق عدد من غرف القساوسة المبنية بالمواد المحلية وأصبح المبشرون بدون مأوى وكتب أحدهم قائلا: (حينما بدأت مع الأب تابيى

العمـل وسط الشلك، لم يكـونـوا يريدوننـا وسـطهم، وكانوا يكرهوننا وحاولوا مرتين أن يقتلونا)[٤٦] كما قامت الإرسالية بشراء باخرة ضخمة لضمان خط إمدادها من الشمال للجنوب.

قام معتمد مصرالانجليزى اللورد كرومر بزيارة المبشرين فى ظروفهم الصعبة فى بور حيث وقف على أحـوال البعثـة، وقدم لهم الدعم الأدبى والمادى وعبر لهم عن امتنان الحكومة وجهادهم فى سبيل غرس المدنية الاوربية ـ وحتى عام ١٩٠٢ كان الكاثوليك وحدهم فى ميدان جنـوب السـودان دون منافس، كما زاد من غبطتهم قيام السلطات بإصدار قانون المناطق المقفولة، الذى حرم حركة التواصل التلقائى بين الجنوب والشمال، وأصبح الجنوب دولة قائمة بذاتها لا يدخلها الشمالى إلا بإذن خاص وهكذا فإن إقصاءالشمال عن الجنوب، وفر للكنيسة الانصراف عن التفكير فى الهاجس الإسلامى والتركيز على تقوية نفوذها وبسط حركتها فى مختلف المناطق وفى ظل سياسات المناطق المقفولة التى تحرم على الشماليين ارتياد أي من المناطق جنوب خط عرض ١٢° شمالا، فى الوقت الذى أخذ فيه الإداريون الانجليز والمبشرون يجوبـون أرض الجنـوب البكرة لبذر البغضاء ضد الشمال وإثارة الشك فى نوايا الشـماليين نحوهم، وتحميل أهل الشمال مشاكل الجنوب، كانوا يدّعون أمام الجنوبين أن الانجليز وحدهم هم القادرون على حماية الجنوب من مخططات الشمال التآمرية.توفى الأب روفيجو فى بربر عام ١٩٠٢، وانتقل مرة أخرى ميراث الكنيسة الكاثوليكية إلى النمساوية إلى يد المطران البارع قير. الذى وصل للجنوب عام ١٩٠٣. إن المطران قير (Geyer)[٤٧] وتحت قيادتـه نشط العمـل الكـاثوليكى فى ربوع الجنوب وعلى الأخص فى مناطق الوسط والمنطقة الغربية من بحر الغزال ـ وفى عام ١٩٠٤ وصل قير إلى واو، حيث استقبله بحرارة حاكم بحر الغزال. بويلنيوس وبمساعدة الحاكم استطاع آن يقيم ثلاثة مراكز تبشيرية،

٤٦ـ هو الأب رفيجو أنطونى ماريا دخل الخرطوم فى عام ١٩٠٠ وقضى فى السودان سنتين ومات فى طريق العودة إلى القاهرة فى بربر عام ١٩٠٢ Roveggio Antonio

1- James Dempsey, Mission on the Nile, London, 1955, 1955.P.151

٤٧ـ المطران قير Geyer, Fraz Zaver ـ قس المانى عمد قسيسا عام ١٨٨٢ وعمل فى السودان عام ١٨٨٣ ومـرة أخـرى عام ١٩٠٣، حينما نصب قاصدا رسوليا فى مطرانية إفريقيا الوسطى خلفاً للمـطران روفيجـو. وقـد عمـل فى هذا المنصب من ١٩٠٣ ـ حتى ١٩٢١، وكانت فترة حافلة بالصعاب بالنسبة للقساوسة الالمان والنمساويين فى ظروف التنافس الاوربى الاستعمارى، نظرا لتعارض الولاء القومى مع الولاء للدولة الحاكمة، كما ظهر التنافس بين القساوسة الطليان والالمان حسب التوجهات السياسية والمتطلبات العقائدية ـ أسهم قير بإجراء دراسات فى مصر والسودان ويعتبر من المؤسسين لحركة الكنيسة فى السودان بعد كمبونى.

احدها فى وسط الدينكا فى منطقة السلطان كايا نجو فى غرب واو. وآخر فى أرض الجور جنوب شرق واو والثالثة فى منطقة التونج وسط الشلك. وقد ألحق بكل مركز تبشيرى مدرسة صغيرة للأطفال.

وفى واو ذاتها أدى وجود المدرسة المخصصة لأبناء الحامية العسكرية ـ ومعظم جنودها من المسلمين ـ إلى معضلة، إذ رفض جيمس كرى مديرالتعليم إعانتها لأنه لا يعرف شيئا عن مقرراتها كما خشى أن تكون أداة لنشر الثقافة العربية فى الجنوب. وحينما زار ونجت واو، كان الوقوف على وضع هذه المدرسة جزءا برنامجه هناك وهناك أصيب بالدهشة حينما وجد طلابها بما فيهم أبناء سلاطين الدينكا يتخاطبون بالعربية وعلى الفور دعا الكنيسة الكاثوليكية ممثلة فى المطران لاستلام المدرسة. وبمجىء عام ١٩٠٥ أفلح المطران قير فى بسط هيمنة الكنيسة على المدرسة وطلابها المسلمين تمويلا وإدارة ومقررات، وأصبحت الدراسة تقوم على الإنجيل والحرف اللاتينى ومحاربة الإسلام وثقافته.
وفى ٢٨ فبراير ١٩٠٦ قام الأب باولو ميرون المراقب الدينى للبعثة الكاثوليكية، بتعميد عشرة أفارقة (ستة صبيان وزوجان). ببحرالغزال. وفى عام ١٩١٢ تم بناء المزيد من المراكز التبشيرية فى كل من موبوى، وغوندوكرو، وسط شعب الباريا وكذلك فى بالورو وسط المادى وآخر فى موبورو ومورجان كالى، فى عام ١٩١٣. أصبحت هناك ثمانية مراكز تنصيرية عاملة فى بحر الغزال ولقى عدد من المبشرين مصرعهم فى جهادهم لتثبيت حركة الكنيسة.
مات فى عام ١٩٠٧ اثنان من الآباء الذين بدءوا العمل مع الأب قيرو وبمجىء مايو ١٩١٢، انتعش العمل الكاثوليكى نتيجة لوصول خمسة راهبات أوربيات، وفى ٣٠ مايو ١٩١٣، تم فصل إرسالية بحرالغزال من مطرانية السودان، وأصبحت ولاية رسولية قائمة بذاتها وغدت واو مقرا لرئاسة هذه الدائرة الروحية الاضافية، وقد عهد بادارة الولاية الجديدة لمجمع أبناء القلب المقدس وهو مجمع يغلب عليه العنصر الايطالى ويبدو أن ذلك جاء لتأمين حركة الوجود الكنسى فى السودان لمواجهة أية خطوات مضادة لهم فى ظروف الحرب العالمية الأولى، كما قصد بها تخفيف الصراع بين البعثة التبشيرية النمساوية والبعثة التبشيرية الإيطالية، بتفتح مجال عمل منفصل لكل منهما وقد حددت حدود هذه البعثة الجديدة شمالا بخط عرض ١٠° من الحدود السودانية إلى بحر العرب ويضم هذا المدى بحر العرب وبحر الغزال وبحر الجبل حتى حدود الحبشة.. وتم تعيين الأب انطونى استوبارى (Antonic stoppare) فى ٣٠ مايو ١٩١٣، بمقضى مرسوم بابوى، أول مدير رسولى وخلفه على الولاية الجديدة رودلفو اورليرى (١٨٩٥ ــ ١٩٤٦) وهو ايطالى انضم للبعثة فى عام ١٩٢٠ وأصبح مطرانا عام ١٩٣٣ حيث واصل رئاسته على دائرة بحر الغزال حتى موته.

وفى عام ١٩١٦، قامت الإدارة البريطانية بإبعاد القساوسة الالمان والنمساويين من المحطات المنعزلة، حتى تمكن السلطات الانجليزية من فرض الرقابة عليهم، وقد شمل ذلك إبعادهم من محطة لول وسط الشلك وكذلك تونجا فى أعالى النيل وكذلك من الدلنج فى جبال النوبة وأصبحت قوة الكاثوليك منحصرة فى ٢٦ قساً و١٤ من المغاوين وكلهم من الاوربيين - وإن غلب عليهم العنصر الايطالى. وفى عام ١٩٢٦ ونتيجة للخلافات بين القساوسة الالمان والنمساويين من جهة والايطاليين من جانب آخر. حسمت الفاتكان الصراع لصالح الايطاليين، اما المبشرون الألمان والنمساويون فقد أبعدوا إلى منطقة إفريقية أخرى خارج السودان فى إطار إرسالية خاصة بهم. لذا فقد قدم القس النمساوى قير استقالته فى عام ١٩٢٤، مفسحا المجال للأب سيلفيستري (١٩٢٤ - ١٩٢٩) ليصبح مطرانا على السودان.

فتحت عدة مدارس لاهوتية فى جنوب السودان ابتداء من عام ١٩٢٨، فى محاولة لإعطاء حركة التبشير عمقا علميا ولتزويد الكنيسة بمبشرين محليين، حيث افتتحت فى ١٩٢٨ كلية اللاهوت الصغرى باهورو،وفى عام ١٩٣٠ افتتحت أخرى بواو وحولت بعد ذلك إلى بُسَري بالقرب من واو كما افتتحت كلية لاهوت أخرى بتورى. أنجبت هذه الكليات فريقا من القساوسة المحلنين ومنهم الأب فيدى اوكو الذى نصب كاهنا فى ١٧ ديسمبر ١٩٤٤م فى مطرانية جوبا وفى بحر الغزال نصب الأب ارينو واين دود[٤٩] كاهنا فى ٢١ ديسمبر ١٩٤٤ وأصبح بدوره أول مطران سودانى فى ظروف ما قبل الاستقلال فى عام ١٩٥٥م.

وفى عام ١٩٣٠، افتتح آباء فيرونا مدرسة ابتدائية فى المنطقة الحرة فى جيب اللادو وسمح لكل الإرساليات بارتيادها وأصبح مطران المستقبل الأب اداورد ماسون[٥٠] مديرا لهذه المدرسة التى ضمت ١٥ طالبا. أصبحت منطقة اللادو مستعمرة كاثوليكية، حيث توسع فيها الكاثوليك بصورة مطردة قامت حكومة السودان فى عام ١٩٣١ بإهداء مدرسة لى استاك التى أسست عام ١٩٢٧ تخليدا لذكرى استاك إلى آباء فيرونا الكاثوليك. فضل آباء فيرونا التوسع فى اتجاه التعليم المهنى كما قاموا بتأسيس مدرسة صناعية متوسطة فى واو.

وفى عام ١٩٢٣، قسمت الإدارة الكاثوليكية مطرانية بحر الغزال إلى مطرانيتين، حيث

٤٨- ساندرسن - مصدر سابق ص ٦١.

٤٩- ولد أرينو دود فى عام ١٩٢٢م فى محطة موبيلك الكاثوليكية وعمد فى عام ١٩٢٣ وبدأ دراسته عام ١٩٢٥ فى واو واصبح أول رئيس مطارنة سودانى فى عام ١٩٧٣م بعد انتفاضة أديس أبابا.

٥٠- ولد ادوارد ماسون فى ايطاليا عام ١٩٠٣، وعمل فى مدرسة واو المتوسطة ٢٧ - ١٩٣٠ وفى بحر الغزال مابين ٣٢-١٩٦٠ ثم مطرانا فى كنيسة الابيض حتى تاريخ ابعاده عن السودان فى عام ١٩٦٤م

أصبحت بحر الغزال بحدودها الحالية مطرانية قائمة بذاتها وشملت الثانية منطقة النيل الاستوائى فى السودان ويوغندا وأصبحت رئاستها فى جوبا.

وفى عام ١٩٣٨ اقيمت ولاية ملكال الرسولية تحت رعاية آباء فيرونا وضمت أربعة مراكز تبشيرية وهى ديتول لول، تونج، بونيانج. وقد عمل فى هذه المحطات ثلاث راهبات تحت قيادة الراهبة جوسبى guisppe وفى يونيو ١٩٠٣ اقيمت أول مدرسة تحت ظلال شجرة ولكن تكاثر الاباء الأوربيون بعد ذلك وشيدت فى عام ١٩١١ كنيسة بالمواد المحلية وقد مات فى ولاية ملكال قسان هما الأب بانهلرز (Bnholzer) فى لول عام ١٩١٤ والأب بيدوجى (Be-duchi) الذى مات بالحمى السوداء بعد أن أسس مركزا تبشيريا فى ديتوك فى عام ١٩٢٣ وكذلك مات بعده المبشر جوشو بالجذام.

قام الأب كوهنين (Kohnen) أثناء عمله فى مركز لول باستنباط جملة من القواعد للغة الشلك وترجمة العهد الجديد وتاريخ الإنجيل إلى لغة الشلك.[٥١]

وقف العالم على أعتاب مرحلة جديدة فى الثلاثينات، حينما تسلم هتلر مقاليد الأمور فى المانيا، وكان هتلر متوجسا من أن تتوحد فرنسا والنمسا على أساس المعتقد الكاثوليكى. فتخل بنظام الوحدة الذى كان يدعو إليه والقائم على نظرية تفوق العرق الآرى. وحينما قام موسلينى باجتياح الحبشة، معلنا قيام إمبراطورية إيطاليا لشرق إفريقيا انتهز هتلر السانحة وأخذ يعد العدة لبناء إمبراطورية تقوم على أساس العرق الآرى. رحب الفاتيكان بغزو موسلينى للحبشة إذ حسب قول متحدث باسم الفاتيكان فى اكتوبر ١٩٣٦ (أن عمل المبشر الكاثوليكى يسير جنبا إلى جنب فى غاياته النبيلة مع حركة إيطاليا للتمدن تحت راية الحكومة الفاشية فى مسعاها لإعادة الشعوب لحضارة روما)[٥٢] كما سعى الفاتيكان لإغراء الإمبراطور هيلاسلاسى بطرح حقه فى عرش اثيوبيا لإضفاء المشروعية على الغزو الفاشى مقابل عوض مالى سخى، وكان ممثل الفاتيكان هو وزير شئون الفاتيكان حينها الكاردينال باسيلى والذى أصبح فيما بعد االبابا بيوس الثانى عشر (Pope Pius XII).

بدأت الإمبراطورية البريطانية فى اتخاذ خطوات تحفظية لدرء خطر النازية والفاشية وموسلينى على امتداد المستعمرات التابعة لها بما فى ذلك السودان الذى يطل على اثيوبيا. وشملت إجراءات تقييد حركة القساوسة الطليان ومراقبتهم، بل كانت السياسة البريطانية تتجه نحو طردهم جملة واحدة ولكن حاكم السودان، سير سايمز لم يك مقتنعا بذلك واكتفى فى عام ١٩٣٨ بإجلاء قساوسة فيرونا الطليان والذين عملوا هناك زهاء الأربعين عاما. وقد

51- j. Dempsey, Mission on the Nile. P. 106

52- G. B. Groves. The Planting of Christianity in Africa Vol. 3. London, 1964. P. 142

تم استبدالهم بقساوسة مل هل (Mill Hill) وهم من الكاثوليك ذوى الأصول غير الايطالية وينطقون باللغة الانجليزية اتخذوا مقرا لهم فى شمال لندن، حيث تأسست جمعيتهم منذ أغسطس ١٨٧٢م. وفى عام ١٩٤٠ أوصت لجنة مكونة من الحاكم العام والسكرتير الإدارى ومدير التعليم: (بـاغـلاق كل الإرساليات، التى يديرها طليان ما بين الحدود الاثيوبية والضفة الشرقية للنيل، باستثناء مدرسة اوجارا المعزولة تماما أو المناطق التى يوجد بها طليان وكانت كلها خاضعة تماما للمراقبة)[٥٣]

كان أول من وصل السودان من آباء مل هل هو الأب ول (Wall) حيث جعل ملكال مقرا لرئاسة المطرانية وسميت المطرانية بمطرانية ملكال بدلا من مطرانية أعالى النيل) وذلك فى عام ١٩٤٩. قام آباء (مل هل) بإنشاء مدرسة مختلطة فى ديتوك بالإضافة إلى مركز تدريب المعلمين. استقال الأب ول من منصبه فى عام ١٩٤٧ وخلفه الأب جون هرت (John Hart) والذى تحمل أعباء المنصب لمدة ١٢ عاما منذ ١٩٤٩ حتى يوليو ١٩٦١ـ ١٩٦٤) الذى ابعد من السودان لأسباب أمنية وسياسية فى عام ١٩٦٤ بناء على قرار حكومة السودان بإبعاد المبشرين الأجانب من جنوب السودان.

اتخذ الكاثوليك التعليم وسيلة أساسية للتنصير وقامت سياستهم التعليمية على ان تحل عقد الجهل والامية عن الطفل تلقائيا بتدريبه على قراءة الإنجيل. وبما أن المبشرين الكاثوليك كانوا غير حريصين على تنمية ملكة القيادة وتنمية الشخصية المستقلة للطفل وتأهيله لاتخاذ القرار فقد تفادوا التركيز على التعليم المدنى وركزوا جهودهم فى تنصيره وتعليمه مبادىء المسيحية. كما ركز الكاثوليك على التعليم الأولى والتعليم المهنى والفنى فى قواعد مراحله الأولى حتى يؤمنوا للدارس مهنة يرتزق منها.

وعلى الرغم من انصرام أربعين عاما على مشروعهم التعليمى فى السودان فقد فشل الكاثوليك فى إعدادمنهج محدد ونظام تعليم ذى سمات وأهداف محددة وإن حدث توسع فى انشاء المدارس، حيث انتشرت مدارس الأحراش، بالإضافة إلى بناء قرابة الثلاثين مدرسة أولية،وطغت على المنهج السمة التلقينية والتبشيرية. وجل خريجى هذه المدارس من أشباه المتعلمين والذين هم كاثوليك اسما، وإن كانوا قد تنصروا طمعا فى التعليم، مع أنهم فى حقيقتهم ليسو بمسيحيين ولا مستمسكين بمعتقدات أهلهم القديمة وإن فضلوا التخاطب بالانجليزية متى ما أمكنهم ذلك والتزين بالملابس الاوربية. ولعل واحدة من أهم مؤثرات هذا النوع من التعليم، أنه أدى إلى خلق فجوة بين الجنوبيين والمتفرنجين الولعين بتقاليد الاوربيين ومجتمعاتهم التقليدية، وقد ازدادت هذه الفجوة اتساعا بظهور الصفوة الجنوبية التى نالت حظا أوفر من التعليم ونبذت معتقدات مجتمعها تماما واتخذت من المسيحية شكلها

53- Cash, Op. cit P. 74

واسمها. وأدى ظهور هذه الصفوة المتفرنجة إلى اضطراب فى الحياة الاجتماعية. ونظرا إلى تأثر هذه الصفوة بالحياة الاوربية وللإعجاب بها، فى مجتمع إفريقى فقير ومحدود الموارد فقد استأثرت هذه الطبقة بكل موارد الدولة فى الجنوب،وعندما لم تجد مكانا لنفسها فى مجتمع القبيلة الذى تحكمه أعراف الكبار ويخضع لسلطة السلاطين والرؤساء المحليين، اتجهت نحو الشمال محاولة أن تجد دورا فى السياسة القومية على مستوى السودان الذى تتمثل مقوماته الأساسية فى اللسان العربى والثقافة الإسلامية ومن ثم أصابها التوتر وجنحت إلى التمرد والثورة، .فأصبحت رصيدا لكل حركة خروج على شرعية الدولة ورفعت راية المعارضة والرفض ازاء التوجه القومى السائد للبلاد والقائم على الثقافة العربية والانتماء الإسلامى وأصبحت هذه الروح المعادية للشمال تعرف بمشكلة الجنوب وهى إفراز واضح للثقافة التنصيرية التى تلقاها الجنوب فى معاهد التبشير.

حدث تقدم محسوس فى حركة التنصير المسيحى الكاثوليكى فى العشرينات، كما يتجلى فى أرقام عام ١٩٢٢، حيث بلغ عدد الذين تم تنصيرهم من قبل الكاثوليك ٥٫٣٢٥ منصرا وبلغ عدد الملقنين العاملين مع الكنيسة ٤٤٤ ملقنا ـ و٢٧ معلما لمبادىء المسيحية الأولية عن طريق التلقين ـ كما بلغ عدد الذين هم تحت التعميد ٥٥٫٢٨٥ شخصا وبلغ مجمل الحضور للمراسم التعبدية ١٧٩٫٥٥١. أسهمت فى هذا الجهد المستوصفات ومراكز الخدمات الصحية التى زارها فى ذلك العام ٤٧٫٥٣٠ شخصا، بالإضافة إلى ١٢٧ مدرسة أحراش (Bush School) تضم ١٫٧٧٢ طالبا وعشر مدارس صناعية وتجارية صغرى تضم ٢٣٣ طالبا.

قضية مناطق نفوذ الارساليات:

مع أن حكومة السودان كانت مغتبطة تماما، بالإقبال الشديد من قبل جمعيات التبشير المسيحى على جنوب السودان، وقيامها بتصريف قضايا التعليم والخدمات الاجتماعية، وتنفيذها سياسات الحكومة القائمة على محاربة العروبة واقصاء الإسلام من جنوب السودان مع تنصير أهله وبذر بذور الحضارة الاوربية، فإن المبشرين بتناقضاتهم وخلافهم وتشاحناتهم ومعضلاتهم التاريخية والبيئية أكرهوا الحكومة على التدخل لفض الاشتباك بين المنصرين قبل أن يتحول إلى حرب بين القبائل الجنوبية نفسها. أراد الكاثوليك أن يكون الجنوب مستعمرة خالصة لهم بحكم المشروعية التاريخية وبحكم أنهم يمثلون حركة الكنيسة العالمية. وأراد البروتستانت وكنيسة كانتربرى أن يجدوا لهم مكانا تحت شمس جنوب السودان، لا سيما وأن قهر السودان، تم على يد الانجليز، لذا فحقهم فى الغنيمة ثابت بحق الفتح!.

وهنا تدخل حاكم السودان بسياساته القائمة عل تحديد منطقة نفوذ لكل جمعية تبشيرية على ألا تتجاوز تلك المنطقة ولكن تعدلت الحدود نتيجة لضغوط الكاثوليك وانتهاكهم لنطاق الجمعيات الأخرى. وكذلك نتيجة لضم منطقة اللادو لجنوب السودان والتى نص الاتفاق مع بلجيكا على أيلولتها إلى جنوب السودان، بعد وفاة الملك ليو بولد والذى توفى فى ديسمبر ١٩٠٩. والتى لم تك داخلة فى نطاق نفوذ أى من الارساليات.

أصبحت مناطق نفوذ الجمعيات التبشيرية فى عام ١٩١٣ كالآتى:

الكاثوليك فى بحر الغزال مناطق الزاندى (يامبيو وطمبرة) ومناطق بحر الجبل أى جوبا وامتدادها - وكذلك منطقة اللادو فى غرب الاستوائية مع أنها أعلنت كمنطقة حرة مفتوحة لكل الجمعيات إلا أن نشاط الكاثوليك غلب عليها بالإضافة إلى منطقة غرب النيل الأبيض فى أعالى النيل - أى مناطق ملكال لول تونج وقد مكن ذلك الكاثوليك من أن يعملوا وسط أهم قبائل الجنوب وهى الدينكا والشلك، النوير الزاندى، لذا فلا عجب أن أصبح قرابة ٧٠٪ من المنصرين من الجنوبيين اتباعا للكاثوليك وما تلا ذلك، تقاسمته جمعيات التبشير البروتستانتية حيث تركزت الجمعية الامريكية الإنجلية التبشيرية فى منطقة شمال أعالى النيل على نهر السوباط حتى الحدود الاثيوبية الممتدة من دوليب هل حتى الناصر، وتركزت الجمعية الإرسالية الانجليزية فى جنوب شرق النيل فى مديرية أعالى النيل على امتداد مناطق الاستوائية الحالية وأن تركز نشاطها فى مناطق ملك بور - جوبا - ياي، وتشاركها فى هذه المنطقة إرسالية السودان الداخلية وإرسالية أراضى إفريقيا وكذلك إرسالية السودان المتحدة.

ومع ذلك فإن الكاثوليك رفضوا الخضوع لهذا التقسيم، لأنه تجاوز الأعراف الكنيسية والتى ترفض تقييد حركة الخطاب التبشيرى بقيد زمانى أو مكانى. وقد صب الكاثوليك غضبهم على هذا النظام، علما بأنهم أول من ابتدعوه فى السودان، حينما تعارفوا على تقسيم السودان فى الستينات وسبعينات القرن التاسع عشر لفض الاشتباك بين القساوسة النمساويين والطليان. وفى الثلاثينات اخترق الكاثوليك نطاق البروتستانت فى غرب الاستوائية، وفى عام ١٩٣٥ تم إبرام اتفاقية بين الكاثوليك والجمعيات الإرسالية نصت على (انتفاء حالتى السماح والرفض المتعلقتين بإعطاء الكنيسة المنافسة مد عملها إلى منطقة نفوذ الأخرى) ومع أن النص غامض إلا أن كلماته اختيرت بعناية لتقنن الوجود الكاثوليكى الذى أصبح حقيقة واقعة فى مناطق البروتستانت وتفاديا لمنحهم حق التمادى فى انتهاك مناطق البروتستانت.

جهود البروتستانت فى الجنوب:

ناشد غردون فى عام ١٨٧٨ جمعية الإرسالية المسيحية أن تتقدم للتبشير فى مناطق خط الاستواء السودانية. وقد انصرم زهاء ربع القرن حينما جاءت استجابة الجمعية بمباشرة العمل فى الجنوب، بفتح محطة مالك التبشيرية فى عام ١٩٠٥ وسط قبيلة الدينكا بالقرب من بور. سبقت الكنيسة الامريكية غيرها من البروتستانت إلى الجنوب، حينما وصل كيفن ومعه آخرون منطقة دوليب هل فى ٢٨ مارس ١٩٠٢م.

جاء الأب قوينى، رائد جمعية الإرسالية الانجلكانية، إلى السودان محاولاً إعادة تجربة الجمعية فى فلسطين حيث استطاعت الجمعية هناك مضاعفة جهودها فى غضون ثلاثين عاماً (١٨٨٠-١٩١٠) حتى وصل عدد المنتمين لها إلى ٢٣٢٣ر٢ عضوا وبعضهم من عوائل إسلامية معروفة. قاد قوينى رهطا من المبشرين. الانجلكان لمباشرة العمل فى جنوب السودان، ووصل إلى منقلا الواقعة شمال شرق جوبا وعلى بعد ثمانمائة ميل جنوب الخرطوم. تكون وفد قوينى من ثلاثة قساوسة وطبيب وزراعى ونجار ماهر. أقام المبشرون لأنفسهم منزلا حسن الإعداد بالإضافة إلى زورقهم المجهز بكل أدوات الراحة والذى صنع ليكون كذلك سكنا. استهل المبشرون عملهم بافتتاح مدرسة ومستوصفاً، كما بدأوا فى دراسة لهجة الدينكا وافتتح المبشرون محطة إرسالية فى مالك بالقرب من بور وعهدوا بإدارتها إلى إرسالية غردون السودانية التذكارية. وبمجىء عام ١٩٠٨ ازدهرت ثلاث محطات تبشيرية انجلكانية فى أرض الدينكا، وفى عام ١٩١٢ وصل المزيد من المبشرين الانجلكان، فافتتحت إرساليات لاو وسط الجيجانج فى يامبيو لخدمة قبائل الزاندى.

ورغم اجتهاد الانجلكان فإنهم لم يفلحوا فى تنصير أيٍّ من سكان المنطقة خلال فترة امتدت عشر سنوات (١٩٠٥ ــ ١٩١٥). ولكنهم استفادوا من هذه الفترة فى التعرف على قبائل الجنوب ودراسة عاداتها وتقاليدها، كما كانوا يرصدون فى حيرة واستغراب وتبرم انتشار سمات الحضارة الإسلامية فى الجنوب، فى منقلا، وغيرها من المناطق القصية التى لم تطأها قدم مسلم من قبل.

كتب القس أرشيد كون شو (Shaw) فى عام ١٩٠٩ قائلا: (إن لم يتم تنصير هذه القبائل السوداء فى السنوات القليلة القادمة فإنهم سيصيرون محمديين، إذ هذه المنطقة منطقة استراتيجية لإغراض التبشير إنها تمتد فى منطقة شرق إفريقيا فى منتصف الطريق ما بين القاهرة والكاب. وتمثل هذه المنطقة نقطة الاتصال بين الأراضى المرتفعة، حيث يمكن أن تقوم مستوطنات الاوربيين والمناطق المنخفضة التى تروج فيها منتجات الزراع الأفارقة. إنها منطقة ملتقى قبائل البانتو التى تنتشر جنوبا حتى الكاب والقبائل النيلية التى تنتهى

حدودها مفسحة المجال للعنصر العربى ، الذى هو على مرمى حجر من حدودها الشمالية . وإن كانت الكنيسة فى حاجة إلى مكان لإ يوائها فهو هنا لصد انتشار الإسلام - كما أن الوضع هنـا يتطلب إقامة كنيسة محلية تحرس الحق بسلاح الكلمة الملتهبة وتسهم فى إزالة عوائق الحضارة المادية والقضاء على تعاليم النبى الزائف)[٥٤] والمقصود بالنبى الزائف الرسول صلى الله عليه وسلم،عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم .

كتب ونجت إلى قوينى فى ١٧ مايو ١٩١١ قائلا : (وإن أردت أن تضع حاجزا منيعا ضد زحف الإسلام ، فعليك أن تثير حمية الإرساليات التنصيرية المختلفة لمزيد من النشاط)[٥٥] .

وفى عام ١٩١١ شدد قوينى المطالبة بإجلاء الجنود والتجار والإداريين المسلمين من الجنوب[٥٦] . وفى ٣ يناير ١٩١٨ أعلنت الحكومة يوم الأحد عطلة الأسبوع الرسمية فى كل محافظة منقلا - كما تم إجلاء كل المسلمين - عاملين ومواطنين - من محافظة منقلا إلى الخرطوم وكان يهدف من وراء ذلك إلى تعزيز المخطط الصليبى الرامى إلى جعل الاستوائية منطقة عازلة ، تعزل المناطق الإسلامية الواقعة إلى شمال السدود بتأثيراتها الإسلامية عن يوغندا وامتداداتها .

ولعل وصف أحد المبشرين الانجليز يستحق الذكر (إن نهر النيل يجرى فى تاريخ الإرسالية الانجلكانية،وإن هذا الطريق المائى العظيم يمثل خطا استراتيجيا لتنمية الإسلام والتجارة وكذلك المسيحية - إن النفوذ الإسلامى ينتشر جنوبا بينما تتمد الإرساليات المسيحية شمالا . إن منطقة اللقاء وميدان المعركة اليوم هو السودان . إن خيارالمسيحية إما أن تكسب مشركى السودان لصف المسيح وأن تنشىء من خلالهم كنيسة ذات بصيرة وشهود أو تقبل الهزيمة فى وجه الاعتداء الإسلامى) .[٥٧]

جذبت المنطقة بأهميتها عددا من الزعامات العالمية لزيارتها، مثل اللورد كرومر، الذى زار الجنوب فى عام ١٩٠٢ ووقف على نمو العمل التبشيرى هناك ، كما زارها الرئيس روزفلت فى عام ١٩١٠ وخطب فى المبشرين الامريكان ، مشيدا بدورهم ومحاولاتهم لبذر المسيحية الغربية فى ديار السودان القصية - وقد أشاد الرئيس روزفلت بالعمل الطبى قائلا : (إن استطعت أن تبرهن لشخص ما أنك تجتهد مخلصا فى رعاية جسمه وصحته - فإنه سيكون أكثر استعدادا لأن يتقبل بأنك تسعى لتحسين أوضاعه الروحية) .[٥٨]

54– A.C. Kitching, From Darkness to the Light. London. 1935. PP.22.
55– Sanderson, op. Cit P. 84.

٥٦- المصدر السابق ذاته ص ٨٤ .

57– Cash, Op. Cit. 82.

58– Charles R. Watson, The Sorrow and Hope For the Egyptian Sudan, Philadelphia, 1913, P. 103.

أمـا ارشيد كون شو مطران الكنيسـة الانجلكانية فكان يعتقد أن معرفة اللغة مفتاح النجاح التبشيرى،ولذا فقد قضى ما تبقى له من عمر فى دراسة لهجة الدينكا وترجمة العهد الجديد لهذه اللجهة وظل هذا شغله الشاغل إلى أن مات فى عام ١٩٥٦.

تمت ترجمة الانجيل بلهجات الدينكا الأربع ـ كايك، بور، جيج، أقار. وقد نذر بعض المبشرين أعمارهم لأداء هذا الواجب التبشيرى. وقد أدت هذه الجهود أكلها، حينما قامت الجمعية الارسالية بتنصير أولى طلائعها الجنوبية فى عام ١٩١٦. وفى عام ١٩١٧ قام آرشيد كون شو بتعميد ثلاثة من هؤلاء المنصرين، كما قام قوينى فى عام ١٩٢٠ بمنح سر التثليث لهم. بلغ متوسط الوجود الانجلكانى فى العشرينات، ٩ مبشرين أوربيين موزعين على خمسة مراكز. أدى ازدهار عمل الجمعية الإرسالية لتحسين وجهة نظر قوينى فى الدينكا، إذ كان قوينى لا يعول كثيرا على الدينكا ولكنه عدل عن ذلك قائلا: (لقد حادثنى الله.. من أنت حتى تدعى بأنه لا يمكن رفع شأن هؤلاء الناس؟ إنما أنت رسول، فقط وهم خلق ـ وليسوا خلقك).[٥٩]

وفى عام ١٩٢٠ أصبح قوينى مطرانا لمصر والسودان، بينما ظل مقر رئاسته بالقاهرة، وفى عام ١٩٢٥ فوض قوينى مسئولياته وصلاحياته بالنسبة للإقليم الجنوبى لمطران يوغندا. وفى عام ١٩٢٦ أصبح جنوب السودان جزءا من مطرانية أعالى النيل المكونة من جنوب السودان وشـمال يوغنـدا تحت رعاية المطران هيتشنج (Hitching) وفى عام ١٩٣٥ أصبح هـ. ج، بولين، قائما على شئون التجمع الانجلكانى فى السودان فنمت ارسالية الكنيسة التبشيرية تدريجيا، حيث افتتحت عام ١٩١٣ محطة تبشيرية فى قولو بيوغندا وقد امتد نفوذ هذه المحطة إلى مناطق الحدود المجاورة للسودان وسط شعب الاشولى، وكان بها مدرستان واحدة للبنات وأخـرى للأولاد، ومـدرسة أخرى بيامبيو ـ يام وفى عام ١٩١٩ تم تعميد أول منصر من الزاندى، وأصبح مرتادو قداس يوم الأحد بيامبيو مائتى شخصا.

وفى قداس عيد الميلاد يزيد العدد إلى خمسمائة، بينما تراوح عدد المنتسبين للمدرسة حوالى ستين طفلا. وقد بنيت كنيسة جميلة فى محطة يامبيو التبشيرية تسع ١٥٠٠ شخصا وكان المنهج يقوم على تدريس الطلاب المسيحية يوميا بالإضافة إلى تدريس لغتهم على يد دارسين زانديين مسيحيين كما قامت الجمعية باقامة مستوطنتين للجذام فى رانجو وباراجنوكس بالإضافة إلى مطبعة صغيرة متقنة تولت طباعة الكتب المدرسية والأناجيل بلغة الزاندى واللغات الأخرى الموجودة فى المنطقة وقد ازدهرت مدارس الأحراش التى تقوم على تدريس الإنجيل حتى بلغت فى فترة قصيرة مائة وستين مدرسة بناها الأهالى من المواد المحلية.

59– Cash, op. Cit. P. 82.

ويمكن أن نلخص انتشار جمعية الإرسالية حسب التدرج الزمانى كالآتى :-

فى عام ١٩١٧ ، أنشىء مركز ياى التبشيرى على بعد مائة ميل جنوب جوبا وسط قبائل البارى، الكابورا، الفجيلو. وصل أرشيد كون جبسون وزوجته إلى جنوب السودان فى ١٩١٧ - كما لجأت الجمعية إلى استخدام ١٤ مدرسة من مدارس الأحراش حول ياى لتقوم بمهمة الكنائس. أما فى ياى ذاتها فقد تبنت الكنيسة مدرسة أولية، كما تأسست مدرسة لاهوت على يد القس كرابكير (Rev. Crabbcare).

وفى عام ١٩٢٠ تم تشييد كاتدرائية جوبا، التى أصبحت مقرا لرئاسة إرسالية غردون التذكارية لجنوب السودان. كما تم افتتاح مكتبة تجارية لبيع الأناجيل والمطبوعات المسيحية والكتب المنهجية المكتوبة باللهجات المحلية، وفى عام ١٩٢١ امتد عمل الجمعية إلى لوى وسط قبيلة البارى حيث تم افتتاح مستشفى حديث فى عام ١٩٢١ مزود بالمياه والكهرباء وفى عام ١٩٣٢ تم توسيع خدمات المستشفى لتشمل عشرة أنهر ومستوصفا ملحقا بها. وفى عام ١٩٢١ تم تأسيس إرسالية فى مريدى على بعد ٨٦ ميلا شرق يامبيو على يد القس هادو (W.Haddow) الذى مات هناك بالحمى السوداء فى عام ١٩٢٤ وخلفه القس ر. لافنك (R. Lavenck) على كنيسة مريدى الجميلة ومدارسها للبنين والبنات، حيث ضمت داخلية الطالبات ستين طالبة.

وفى عام ١٩٢٨ امتد نشاط الإرسالية التبشيرية إلى لوكا وهى مركز تبشيرى أنشأه أصلا البلجيك، حينما كانت المنطقة فى قبضة بلجيكا، وفى عام ١٩٢٩ تم بناء مجمع مكون من مدرسة صغرى ومستشفى صغير فى أكوت ولير. كما قامت الجمعية بإنشاء مدرسة متوسطة فى تونجة وأخرى فنية وكان التدريس فيها باللغة الانجليزية ووالت كنيسة لوكا تقديم مراسيمها التعبدية بلغة البارى واللغة الانجليزية.

كان اليوم الدراسى يبدأ بنشيد دينى وقراءه مقاطع من الإنجيل والصلاة - وقد جاءت مدرسة تونجة ثمرة جهد مشترك بين الحكومة والجمعية فى مجال التمويل وقد ظلت هذه المدرسة الوحيدة من نوعها فى جنوب السودان حتى عام ١٩٤٦. وكانت لغة التعبد فى الكنيسة هى الانجليزية ولغة البارى.

أما أقدم مراكز الجمعية، ويبعد فى مالك، فقد بدأ العمل فيه الأب دانيال دينج،[٦٠] إذ كان يعمل فى الكنيسة والمدرسة وفصولها الخارجية الثمانية. وكان أسلوب العمل وسط قبيلة

٦٠- دانيال دينج أتونج، أول جنوبى يصبح قسيسا وعمد فى عام ١٩٢٦ وفى عام ١٩٥٥ أصبح أول مطران سوداني. ولكن الكاثوليك يرفضون ذلك، ويعتقدون أن أول قسيس سودانى هو أبين دوت أكوت الذى نصب قسيسا فى عام ١٩٤٤ وكذلك أصبح أول مطران فى عام ١٩٥٢.

الدينكا يختلف عن مثيله بين القبائل الأخرى، لأن الدينكا أكثر القبائل قربا إلى الإسلام وتشبعا بتقاليد أهل شمال السودان، لذا كان من العسير تطويعهم لتقبل الحضارة الاوربية المسيحية والثقافة الكنسية بينما استجابت القبائل الاستوائية الأخرى مثل الباريا والمورو والزاندى لنشاط الكنيسة.

كان التعليم الأداة السياسية للتبشير بالكاثوليكية والبروتستانتية وكانت قاعدته مدارس الأحراش التى يدرس فيها الإنجيل وشىء من الحساب، وتضم مدرسة الأحراش عدد من التلاميذ من الجنسين، ويعتمد المدرس، وهو فى الغالب موظف متطوع من خريجى المدارس التبشيرية، على التلقين. وتبنى هذه المدارس عادة من المواد المحلية والأعشاب وفروع الأشجار وتبلغ مساحتها نحو ١٥٠ قدما مربعا (١٥×١٠). ومتى ماتم تنصير الطلاب وتعميدهم يصبحون مؤهلين للتدريس فى المدرسة ذاتها، بعد فترة تدريبية لمدة ١٢ شهرا. وكان عدد هذه المدارس يترواح فى الجنوب كله بين مائتين إلى ثلثمائة.

تستمد مدارس الأحراش طلابها من المدارس الأولية ويشرف على المدرسة مبشر أوربى. وتمتد الدورة التعليمية لمدة أربع سنوات يتجه بعدها المحظوظون الذين يحصلون على الشهادة الصغرى إلى مدرسة لوكا المتوسطة حيث تمتد الدورة التعليمية إلى ست سنوات، وتستخدم اللغة الانجليزية أداة لتدريس كل المواد. وفى عام ١٩٥٢، أقيمت مدرسة متوسطة أخرى فى جوبا تستوعب ٥٢ طالبا، هذا وقد نجحت المدرستان فيما بعد فى توفير عدد من المعلمين فى تغذية المدارس الأولية وقد درجت الحكومة السودانية على منح إعانات لكل المدارس (أحراش، أولية، متوسطة، كاثوليكية كانت أو بروتستانت). وفى عام ١٩٢٣ تم تعميد أول مجموعة من الطلاب داخل أسوار المدرسة وأصبحت منذ ذلك اليوم سنة متبعة ارتبط فيها التعليم بالتنصير والتعميد.

اما المشروع الآخر الذى أولاه المبشرون عنايتهم وجهدهم فهو مجال اللغويات وعلوم الاجتماع والبيئة ودراسة المجتمعات المحلية فى جنوب السودان ولقد اجتهد المبشرون فى ذلك أيما اجتهاد، حتى أصبحت دراسة الانثربولوجى للمناطق الإفريقية الاستوائية تقوم أساسا على الجهد الذى بذل فى جنوب السودان ويعتمد عليها العلماء والباحثون والطلاب فى الجامعات العالمية لمعرفة توجهات حركة الشعوب الإفريقية الاستوائية.

وقد استأثر علم اللغات باهتمام كبير للغاية بحيث نجد أن الإنجيل ترجم إلى ما لا يقل عن أربعين لغة سودانية وذلك من جملة ما ترجم باللهجات المحلية الإفريقية والتى بلغ عددها ٣٩٩ ترجمة للإنجيل.

اسم الإنجيل	تاريخ الترجمة	اسم اللغة
١/ إنجيل مارك	١٨٦٠م	لغة النوبة
٢/ إنجيل لوقا	١٨٦٦م	لغة الدينكا
٣/ إنجيل يوحنا .	١٩١١م	لغة الدينكا لهجة بور
٤/ إنجيل مارك	١٩١٦م	لغة الدينكا الجيج
٥/ مختارات من الإنجيل	١٩٢٥م	لغة النوبة لهجة هيبان
٦/ إنجيل لوقا	١٩٥٢/٢٦	لغة الدينكا لهجة البادانج
٧/ إنجيل مارك	١٩٢٧	العربية السودانية المحلية بالحرف اللاتينى
٨/ إنجيل مارك	١٩٥٢/٢٨	لغة الباريا
٩/ إنجيل مارك	٥٢/٢٨	لغة المورو
١٠/ إنجيل مارك	١٩٣٥	لغة المادى
١١/ إنجيل مارك	١٩٣٧	لغة النوبة لهجة النينيرى
١٢/ الفصل الأول من خطاب بولس	١٩٣٨	لغة النوير لهجة الجيكانى
١٣/ إنجيل مارك	١٩٤٦م	لغة النيانج
١٤/ إنجيل مارك	١٩٥١	لغة النيانج
١٥/ العهد الجديد		لغة الاشولى
٦/ العهد الجديد		لغة الزاندى

وبالرغم من كل هذه الجهود، التى أدت إلى تخليد ذكرى عدد من المبشرين باعتبارهم علماء وأصحاب إسهامات جديدة فى صرح الحضارة الاوربية المسيحية، إلا أنها لم تثمر الكثير بالنسبة للمواطن الجنوبى، لقد وجد المواطن الجنوبى نفسه ضحية لهذه الكشوفات اللغوية والانثروبولوجية التى عزلته عن مجتمعه وأحاطته بثقافة غريبة عنه وحرمته فرص تكامله مع إخوانه فى شمال السودان، كما أن هذه الجهود لم تبذل فى سبيله وإنما كان هدفها تعزيز وضع الكنيسة فلم يبذل اية مجهود لوضع خطة تعليمية ومنهج موحد بين الجنوبيين انفسهم ناهيك عن علاقتهم بإخوانهم فى الشمال، مما أدى إلى تضعضع الحركة التعليمية وإعداد متعلمين أكثر تمزقا فى خبراتهم التعليمية ومعتقداتهم فى مجتمع قبلى فأصبحت شخصية الدينكاوى الكاثوليكى المتعلم وسط الكاثوليك مخالفة لشخصية ابن قريته المتعلم فى مدارس الانجلكان، كما أن التربية الثقافية الجديدة، قطعت ما بين المتعلم وبيئته مما أدى الى خلق

توتر نفسى وعاطفى ما بين المتعلم ومجتمعه مما أدى الى الفصام النكد بين الصفوة الجنوبية التى لم تجد ما تتوحد عليه غير العداء للشمال. لقد طغى على المنهج الخطاب التنصيرى ولم يكن للتعليم صلة بالبيئة. كما ادى التعليم الارسالى الى ان تخرج سنويا أعدادا لا تصلح الا للعمل التبشيرى، وليس لها ولاء لمجتمعها ولا قبيلتها ولا حتى لكنيستها. كان الهدف الوحيد للمتخرجين من مدارس الكنيسة التخلق باخلاق الاوربيين وحياتهم وتقليدهم النعل بالنعل. وحينما اكتشفوا ان التعليم الكنسى وامكانيات البيئة المحدودة لا تمكنهم من طرق حياة الاوربيين اتجه بعضهم للثورة وللالحاد ونهب كلما تقع اياديهم عليه.

لقد أدت أحقاد المبشرين الى محاربتهم للغة العربية اللغة الرسمية لاهل السودان مما أدى الى أن تجد الطبقة الجنوبية المتعلمة نفسها في وضع المواطن المبخوس القدر والتعليم فى ظروف ما بعد الاستقلال، حيث ترتفع بالناس معايير تعليمهم وكفاءتهم وليس ثقافتهم الكنيسية، وهكذا وجدت الصفوة الجنوبية ان قدرها ان تكون احتياطى بشرى وفكرى لاى حركة خروج على الدولة واى تمرد على الشمال وهكذا ظلت هذه الطبقة تتغذى من ايدولوجية الثورة فى واقع ثقافى لا يملك من مقومات البقاء ما يرشحه ليتكامل مع البناء الثقافى فى شمال السودان.

الكنيسة الامريكية المشيخية المتحدة

(The American United Presbyterian Mission AU PM)

لم يكن عداء هذه الكنيسة ضد الإسلام أقل شأنا من عداء الكنيسة الكاثوليكية ويكفى ما ذكره أحد مبشريهم وهو شارلس ـ واتسون (حيثما حل الإسلام ظهر كما يبدو المكر والقابلية للغش، وعدم الصدق والشرف، هذه الصفة التى لم تك جزءا من حياة الوثنى قبل ظهور الإسلام . . . ولكن أكثر ما يؤلم الأخبار المتعلقة بانتشار التفسخ الأخلاقى وانتشار الأمراض وسط أتباعه[61] أى أتباع الإسلام) لم تمتد حياة هذا المبشر ليقف على الأخلاق الجديدة التى تدعو إليها الكنيسة الامريكية، والتى تبيح ألوانا من الرذائل لم يسبق لهامثيل والتى كان من آثارها تفشى مرض المناعة المفقودة (الايدز) بين القساوسة والمجتمعات المسيحية،ولو قدر له أن يحيا حتى يرى هذه الموبقات،بينما تكاد المجتمعات الإسلامية خالية من ذلك،فربما غير وجهة نظره الظالمة عن الإسلام والمسلمين. تلك هى ثقافة بعض المبشرين ـ الذين استهلوا العمل فى إرسالية دوليب: ومن سخرية الأقدار، أن جهود المبشرين الامريكيين الأوائل، جاءت عبر مترجم من الشلك، ومسلم فى ذات الوقت،وكان يرافق المبشرين وكان يضعون له أفكارهم بالعربية، ويقوم بترجمتها للمخاطبين من الشلك. كما لجأ المبشرون إلى فن المخاطبة بالرموز والحركات معوضين بذلك جهلهم بلغة الشلك وقد كان العلاج والتعليم الوسيلتين الأساسيتين للمبشرين الامريكان ليذر المسيحية الامريكية وسط الشلك على نهر السوباط.

وفى عام ١٩٢١، نقل المبشرون الامريكيون عملهم إلى الناصر على نهر السوباط قرب الحدود الاثيوبية، فى محاولة للسيطرة الثقافية على حياة القبائل الممتدة بين اثيوبيا والسودان على نهر السوباط مما يمكنهم من السيطرة على هذا الموقع الحيوى المجهول بإمكانياته المجهولة وشعوبه فى اثيوبيا والسودان ـ وفى سبيل تقوية مجهوداتهم فى التعرف على لغات هذه الشعوب، تمكنوا من استدعاء البروفسيور دايريش ويستمان (Diedrich Westerman) للإقامة معهم فى ربوع نهر السوباط وسط قبائل الشلك، حيث أعد قاموسا مختصرا بقواعد لغة الشلك. وآخر بفنونهم الشعبية ـ الفلكلور وبعده مولت البعثة مبشرا آخر للقيام بإكمال هذا الجهد، بالعمل الميدانى فى دوليب هل وما حولها لمدة ست سنوات، حيث تمكن من ترجمة الإنجيل بلهجة الشلك وظهرت منه نسخ مطبوعة.

بعد هذا الجهد الأكاديمى واللغوى حل المزيد من المبشرين الامريكان فى ديار السوباط، مثل القس رالف كارسون (Ralph Carson) وزوجته، د. هوج ماجيل (Hugh R. Meajil) والقس ميكرى وزوجته،ودكتور توسى لامبى وزوجته، تدريك (A.W.Tidriek) وزوجته ومستر

61– Watson, Charles R. The Sorrow and Hope of the Egyptian - Sudan P. 160.

س. ب. كوثرى (C.B. Cuthre) وزوجته والقس د. ب اوجلير (D.S. Ogler) - وقد أظهر عدد من المبشرين الامريكان، جلدا واضحا وهم يقومون بعملهم فى ظرف شديد القسوة بالجنوب حيث قضت المبشرة الامريكية الممرضة كورا (Cara Blanche Soule) كل حياتها التبشيرية فى دوليب هل وماتت بعد ربع قرن من العمل الشاق الدءوب فى ملكال فى الجنوب. مدت البعثة الامريكية خدماتها الطبية إلى أكوبو الواقعة على أحد فروع نهر السوباط فى جهة الجنوب الشرقى على الحدود الاثيوبية وكذلك على البيبور الواقعة على بعد ستين ميلا جنوب أكوبو فى أقصى روافد نهر السوباط.

طورت البعثة الامريكية عملها وبنت شبكة مواصلات واتصالات كافية لتأمين سيطرتها على بعثتها المبعثرة فى أطراف المنطقة، حيث استعانت باللاسلكى فى الاتصال اليومي واقتنت طائرة صغيرة وأسطولا من العربات، مكنها من الإشراف الدقيق على كنائسها ومدارسها التى بلغت خمسة عشر مدرسة صغرى، كما نسقت البعثة مع إدارة التعليم لإقامة دورات تدريبية لمعلميها. وعن طريق جهاز إرسال مركزى فى مركز رئاستها فى ملكال - أصبحت كل شبكة المراكز والكنائس الإرسالية التابعة للبعثة الامريكية والجمعية الإرسالية المسيحية على اتصال يومى بعضها ببعض،، وقد نجح القس و. دون مككلور (Rev. W. Don Mcclure)، الذى أسس محطة أكوبو التبشيرية وسط الانواك عام ١٩٣٨، فى مد خطوطها، بدعم من الإمبراطور هيلاسلاسى إلى قبائل الانواك والنوير داخل اثيوبيا، جاعلا مقر رئاستها فى باكو على نهر البارو على الحدود الاثيوبية. وفى عام ١٩٦٣ - حينما نشطت حركة التمرد وسط الانواك والكاجول والنوير فى منطقة الناصر - اتجهت أصابع الاتهام إلى مككلور، باعتباره المحرض والمحرك مما أدى إلى طرده من جنوب السودان. أدى سلوك المبشرين المتعالى وغطرستهم وعدم استجابتهم لأوامر السلطات السودانية فى منطقة الناصر إلى إبعاد تسعة منهم من جنوب السودان. ولكن لم يؤد الإبعاد غرضه إذ أخذ المبشرون فى إدارة خطوطهم فى السودان ومواصلة تحركاتهم من مزاكزهم فى الحدود الاثيوبية، حيث تصعب مراقبة الحدود أو التحكم فى حركة القبائل المتداخلة. وقد قام مككلوربعدها بتنصيب أربعة قساوسة محليين كما أكملت البعثة ترجمة الإنجيل إلى لغات قبائل المابارى والانواك بالحرف العربى. هذا وقد انبعثت نيران التمرد مرة أخرى ضد الشمال فى السبعينات والثمانينات من أكوبو والبيبور.

إرسالية السودان المتحدة The Sudan United Mission

وهى إرسالية تبشيرية عالمية تنطلق من استراليا وتضم مبشرين من مختلف الملل والكنائس.

أسسها كونام (K. Kunam) فى عام ١٩٠٤ ، فى استجابة لنداء وجهه عدة قادة انجليز من أجل جهد عالمى مشترك فى مشروع إعادة نصب الصليب فى السودان. نجحت إرسالية السودان المتحدة فى استقطاب عدد من المبشرين الاستراليين والنيوزيلنديين للعمل فى جنوب السودان، ابتداء من عام ١٩١٣ ، وسط مناطق الدينكا العليا شمال غرب أعالى النيل فى ملوط ومن هناك امتد نفوذهم وأقاموا مراكز تنصيرية فى روم، ميروم وهيبان إضافة إلى مناطق الدينكا والشلك والنوير ثم دعتها حكومة السودان للعمل فى جبال النوبة.

تأسست إرسالية ملوط على يد المبشر الانجليزى ولفورد ملهام وزوجته وهما على مذهب الكنيسة المعمدانية وجاءوا إلى السودان فى عام ١٩١٠ وعملا لمدة ٣٥ عاما (١٩١٠ ـ ١٩٤٥). فأنشأت الإرسالية مدرسة لتدريس أبناء الدينكا بالويبج وأقامت كنيسة. وكذلك افتتحت إرسالية روم مدرسة عام ١٩٢٤ وأنشأت إرساليات إضافية فى أبويات وسط دينكا البالويش وفى بانجحا نح فى منطقة الرنك. وفى عام ١٩٤٥ تقلص نشاط هذه الإرسالية عندما تخلت عن عدد من إرسالياتها لإرسالية السودان الداخلية. كان التأثير التعليمى لهذه الإرسالية ضئيلا وقد توقفت فى عام ١٩٤٥ عن قبول طلاب جدد فى مدينة ملوط.

نجحت هذه الإرسالية التبشيرية فى مد نشاطها التنصيرى إلى منطقة كانت شبه خالية من المسيحية وحافلة بالمؤثرات الإسلامية باعتبارها من مناطق التمازج الحضارى بين قبائل العرب وقبائل الجنوب وجبال النوبة.

إرسالية السودان الداخلية:

وهى إرسالية تبشيرية كندية مقرها الرئيسى فى تورونتو جاءت إلى السودان فى عام ١٩٣٧ ، بعد طرد مبشريها من اثيوبيا على إثر الاجتياح الايطالى لاثيوبيا وركزت فى السودان على المنطقة الشمالية الشرقية للمرتفعات المتاخمة للحدود الاثيوبية وأقاصى مديرية النيل الأزرق الجنوبية الشرقية (مناطق الانقسنا) افتتحت الإرسالية عملها بإقامة أربع محطات تبشيرية وسط دينكا الشمال والمابارى والانواك حتى شالى الفيل على الحدود السودانية الاثيوبية. كما نشطت الإرسالية فى إعداد ترجمات لفصول من الإنجيل على بعض اللهجات المحلية كالانواك وقاموا باعداد كتب دراسية بهذه اللغات وباشروا التدريس بها. وفى عام ١٩٤٠ وأثناء غارة جوية على مركزهم فى دارو باعالى النيل قتل اثنان من مبشريها وهما د: روبرت كراييف وزوجته كما جرح اثنان آخران.[٦٢]

62- Fo, 371, 24634.

توسعت الإرسالية في نهاية الثلاثينات، فضمت إليها الإرساليات التى تخلت عنها وهى إرسالية السودان المتحدة فى ملوط وأبيات وبانججانج. اختارت إرسالية السودان الداخلية المثلث المشترك بين الحدود الاثيوبية وأعالى النيل والنيل الأزرق لتكمل عمل الإرسالية الامريكية التى كانت تعمل فى منطقة نهر السوباط وقبائلها بغرض التأثير على سكان المناطق المجاورة واتخاذها معبرا للتغلغل إلى شمال السودان من خلال منطقة الانقسنا.

تطرفت هذه الجمعية فى عدائها للإسلام، حيث عارضت بقوة تدريس الثقافة الإسلامية واللغة العربية فى عام ١٩٥٨ للطلاب الجنوبيين كما عارضت اتخاذ يوم الجمعة عطلة اسبوعية مما أدى إلى طرد عدد من مبشريها فى عام ١٩٦١ من السودان وإغلاق ثلاثة من مراكزها وأصبح للارسالية ٣٦ مبشرا أجنبيا فى تسع محطات ولكن بمجىء عام ١٩٧٠ تقلص ذلك العدد إلى ٢٥ مبشرا.

إرسالية إراضى إفريقيا الداخلية: (African Inland Mission)

جاءت لنجدة البروتستانت حينما اشتد ضغط الكاثوليك فى مناطق نفوذهم، حيث استغاث بهم المطران ماسون لمساعدته فى منطقة رومبيك وما حولها. جاء الجناح الانجلكانى من إرسالية إفريقيا بقيادة المبشر المحنك جون بويسى (John Boyee) والذى قضى خمسين عاماً فى خدمة المد التنصيرى فى كينيا ليقود جهود هذه الإرسالية فى عام ١٩٤٩ فى مناطق اكون ونهر النيل.

ومهما يكن، فإن مردود عمل هذه الإرسالية لم يك كبيراً إذ بعد قرابة ربع القرن - أي فى عام ١٩٦٣ - كان حصادها أربعة مراكز تبشيرية بينما لم تتجاوز عضويتها ٢٥٠ فرداً.

مجلس ارساليات الجنوب:

تكون هذا المجلس عام ١٩٤٦ من الإرساليات العاملة فى الجنوب بمبادرة من جمعية الإرسالية التبشيرية والإرسالية المتحدة وإرسالية السودان الداخلية فى محاولة لتنسيق الجهد ووضع استراتيجية موحدة وقد نصت ديباجة الدستور لعام ١٩٦٩ أن الهدف الأساسى (بناء كنيسة ذات قدرة على التوسع الذاتى وحماية المناطق الواقعة تحت نفوذها من المؤثرات الإسلامية، فى ظل المتغيرات السياسية[٦٣]. وقد صدق حدس الإرساليات عندما جاءت المتغيرات التى كانت تتوقعها خلال ثلاث سنوات بقيام الجمعية التشريعية وإدخال اللغة العربية مادة ضمن مناهج مدارس الجنوب، ثم تأميم المدارس التبشيرية بعد الاستقلال وقد تم كل ذلك فى وقت وجيز، وبذا كان ما بنته الكنائس من خطط واستراتيجيات وعلى

63- Collins, tarikh, op. cit P. 47.

الأخص الخطط التى نبعت من مؤتمر الرجاف) والخطط المتعلقة بها أصبح يعرف (بسياسة الجنوب) ولكن ما هو مؤتمر الرجاف وما توصياته واستراتيجيته فيما يتعلق بالجنوب؟

توصيات مؤتمر الرجاف:

تضمن ما توصل إليه المؤتمر الإرسالى العالمى الذى عقد فى أدنبرة فى عام ١٩١٠ (أن تهديد الإسلام الزاحف على إفريقيا الاستوائية يضع أمام كنيسة المسيح، السؤال المصيرى عما إذا كانت القارة السوداء ستصبح محمدية أو مسيحية؟ وفى مناقشة تقرير المؤتمر، ذكر القس جورج روبسون (George Robson) (أن القارة الوثنية تتجه نحو الإسلام بسرعة أكبر من تحولها نحو المسيحية. وعلى امتداد طرق التجارة داخل إفريقيا فإن التجار المحمديين يحثون الخطى بانتظام فى اتجاه الجنوب، وكل تاجر محمدى هو مبشر محمدى. إن أول ما يتطلبه العمل -إذا كانت إفريقيا ستكسب لمصلحة المسيح، أن نقذف بقوة تنصيرية قوية فى قلب إفريقيا لمنع تقدم الإسلام). [٦٤]

وفى عام ١٩٢٦، قامت لجنة مكونة من قبل المجلس الإرسالى لهيئة الكنيسة بإعداد تقرير ضاف، ورد فيه: (إن المشروع المزدوج لبناء كنيسة وتدريبها على مواجهة الإسلام يمثل الإجابة الحقيقة لدرء خطر الإسلام فى إفريقيا. إن الإسلام ما يزال يضغط من الشرق والغرب على المناطق الداخلية" إن تاريخ البعوث التنصيرية فى دار الإسلام كان إلى حد كبير تاريخا للعمل التعليمى... إن المتغيرات الظرفية فى دار الإسلام، يحتم على الكنيسة أن تعيد النظر فى سياستها التعليمية تجاه الإسلام... ونشدد هنا على حقيقة أن الإسلام فى السودان ينتشر من الشمال وأن جمعية الإرسالية المسيحية ضعيفة بصورة مقطوع الأمل فيها فى الوقت الحاضر وغير قادرة بوصفها الحالى على صد مد الإسلام. وإن لم يتم تقوية هذه الإرسالية بصورة ضخمة فإننا لا نرى أملا فى صد التيار الإسلامى (المحمدى) الذى يمتد بقوة حتى حدود يوغندا، ومن يستطيع أن يقول ماذا يعنى ذلك لنمو الكنيسة المحلية هناك). [٦٥]

وفى ١٣ مارس ١٩٢٦، انعقد اجتماع رسمى فى جوبا لمناقشة التعليم فى الجنوب مع قضايا أخرى، وكان الاجتماع معلما هاما له دلالته فى تطور حركة التعليم فى الجنوب، إذ لأول مرة فى تاريخ الحكم الثنائى تتساءل السلطات بصورة رسمية عن مسألة التعليم فى

64– Watson, Op. cit. P. 186.

65– The Missionary Council of the Church Assembly, the World call to the Church, The Call from the Muslim World. London. 1926. p. 58, 59, 60, 38.

الجنوب ودور الكنيسة والدولة فى ذلك المشروع الحيوى للمواطن السودانى الجنوبى . وبعد انصرام مايزيد على ربع القرن على الإدارة الاستعمارية وافقت هذه الإدارة مبدئيا على تحمل مسئوليات التمويل والرقابة التعليمية مسهلة بذلك إنجاز المشروع التنصيرى ومنحت الحكومة مبلغ ٢٫٧٥٠ جنيها لآباء فيرونا وجمعية الإرسالية التبشيرية لتمويل مدارسهم الابتدائية البالغ عددها ٢٣ مدرسة وكذلك لطباعة مناهجهم باللغات المحلية .

لم يشر الاجتماع إلى سؤال على من تقع مسئولية التحكم فى التعلم فى الجنوب ؟ وظلت الإدارة الاستعمارية تتجاهل متعمدة الإجابة عن هذا السؤال ، متيحة الفرصة للكنائس لبناء مستعمرة مسيحية ذات ثقل يقابل الوجود الإسلامى فى الشمال ويملك القدرة على تطويقه وقد نالت الإرساليات هذه الحظوة لأن ثلث الإداريين القياديين الانجليز الذين كانوا يعملون فى السودان كانوا من سلالة أسر عريقة فى مسيحيتها وكان آباؤهم قساوسة عاملين، وتمثل العقيدة الانجلكانية جزءا مكملا لحياتهم بأبعادها العلمانية .

ظهر نقاش بين المبشرين حول اللغات الإفريقية الجديرة بالتطوير، حتى تساعد فى دفع التعليم المحلى وإيقاف اللغة العربية، ولحسم هذا السؤال عقد فى التاسع من ابريل ١٩٢٧ مؤتمر الرجاف الإقليمى الذى حضره خبراء لغات رسميون وثلاثة وثلاثون مبشرا ، من يوغندا والسودان كما حضره ممثل السكرتير الإدارى ميليسون (Milleson) بالإضافة إلى المضيف ممثلا فى شخص مدير التعليم والصحة مستر ج .ح ، ماثاو (J.G. Matthaw) وكان ضمن بنود الأجندة ، حسم اللهجات واللغات ، الواجب تطويرها لأغراض التعليم وكتابة الكتب المدرسية ، فى جنوب السودان ، واختتم المؤتمر مداولاته فى ١٤ أبريل ١٩٢٧ ، مقررا اختيار ست لغات ، للمدارس الأولية المحلية وهى لغات ، الدينكا ، النوير ، الشلك ، بارى ، لاتوكا زاندى وهى ذات اللغات السائدة فى مدارس الكنائس فى الجنوب حيث طورت على يد المبشرين وكتبت بها الاناجيل وبعض المقررات والكتب المدرسية . وتجاهل المؤتمر تماما تدريس اللغة الرسمية وهى اللغة العربية . كما تجاهل المؤتمر دعوة أى سودانى ، شماليا كان أو جنوبيا لحضور المؤتمر وأوكل المؤتمر لبروفسير ويسترمان (Wester man) مدير المعهد الإفريقى الدولى للثقافة واللغات ، إعداد قواعد موحدة لضبط الهجاء والإملاء للغات المختارة وأوضحت الحكومة للمؤتمرين أن سياسة حكومة السودان ، ترمى لأن تصبح اللغة الانجليزية فى القريب العاجل ، لغة الاتصال والمراسلة فى جنوب السودان ، وأن هناك خطوات سيتم اتخاذها لتنفيذ هذه السياسة حينما تسمح الظروف) .[٦٦]

كما حض المؤتمر ، على كتابة اللغة العربية بالحرف اللاتينى متى ما تطلب الظرف

66– Collins. Shadows P. 217 - 18.

استخدام العربية، تمهيدا لإبدالها بالانجليزية وهكذا قنن مؤتمر الرجاف سياسات الكنائس التعليمية، تلك السياسات التى أفرزت الطبقة الجنوبية المتعلمة والتى لا تستطيع الخطاب باللغة العربية ولا تحمل ودا للثقافة الإسلامية.

مؤتمر الرجاف وسياسة الجنوب:

تعتبر سياسة الجنوب أخطر سلاح توصلت إليه العقلية الاستعمارية بعد أن مارست الحكم فى الجنوب والشمال لمدة ثلاثين سنة، وبعد احتكاك بالمواطنين ومعرفة لأصول القبائل والعادات. إن سياسة الجنوب استراتيجية ثقافية، قصدت أن تكرس الجنوب كمستعمرة تبشيرية، تؤمها الإرساليات وتحصنها ضد الثقافة العربية والإسلام.

وقد وردت روح سياسة الجنوب، فى تعليق القس الشهير زويمر حينما علق على لائحة حكومة السودان التى تمنع التبشير فى الشمال قائلا: (إن ما تبقى للإسلام من حماة إنما يتمثل فقط فى القوة المسيحية، والتى هى لإسباب سياسية فقط، تتوانى من منحه دفنة لائقة، الشىء الذى يؤدى إلى تلويث قدر لا يستهان به من البشر كما يؤدى إلى حجب الخلاص عن ملايين الأرواح المريضة من أتباعنا من بنى البشر الذين مات المسيح من أجلهم)

عكست سياسة الجنوب هذه الروح ولكنها حاولت إعطاء الإسلام دفنة مهينة، فى أعماق إفريقيا، وقد وصف ترمنجهام الأسقف الانجلكانى المعروف والذى تولى أمر الكنيسة الانجلكانية فى السودان، سياسة الجنوب قائلا: (ربما كان من الممكن القول، إن إرسالية يوغندا أوقفت انتشار الإسلام بين الباقندا، وهكذا فعلت الإرساليات فى الجنوب بمساعدة سياسة الجنوب، التى انتهجتها الحكومة السودانية، حيث أوقفت التغلغل الإسلامى بين القبائل النيلية الأقل قابلية للتأثير والقبائل القابلة للتفاعل كالمورو والزاندى)[٦٧]. أما السكرتير الإدارى روبرتسون (١٩٤٥ ـ ١٩٥٣) فقد علل سياسة الجنوب مستدلا بكلمات روبرت هاو حاكم السودان: (إن الحكمة الكامنة وراء سياسات المناطق المقفولة، تكمن فى نشر الجهد التمدينى التنصيرى على كل ميادين جنوب السودان الممتدة).

أثمرت عبقرية السكرتير الإدارى الشهير ماكمايكل[٦٨] فى وضع وإخراج (سياسة الجنوب)

67- Triming ham, Approach. op. Cit. p. 37.

٦٨ـ ولد هارولد ماكمايل ١٨٨٢ ومات فى عام ١٩٦٩. درس فى كمبردج وانضم للعمل فى حكومة السودان عام ١٩٠٥ وقضى ٢٩ عاما متنقلا بين مختلف قبائل ومدن السودان حتى أصبح السكرتير الإدارى. وفى نوفمبر ١٩٣٣ نقل حاكما على تنجانيقا ومابين ٣٨ـ١٩٤٤ أصبح المعتمد البريطانى لفسلطين وشرق الأردن. اشتهر ماكمايكل بمعرفته بالدراسات السودانية وله العديد من المؤلفات أشهرها، تاريخ العرب فى السودان، بالانجليزية ويقع فى مجلدين وآخر عن السودان.

ومع أن ماكمايكل لم يك حسن الظن فى مقدارات المبشرين، فإنه كان قويّ الاعتقاد فى ضرورة إقصاء العقيدة الإسلامية والثقافة العربية عن جنوب السودان، رحب الكاثوليك والبروتستانت بسياسة الجنوب باعتبارها تتويجا لجهودهم فى حث الحكومة على اتباع سياسات تحقق العزلة السياسية والثقافية لجنوب السودان وتغلقه فى وجه المؤثرات الإسلامية وتجعله حكرا للإرساليات والثقافة الكنسية الاوربية. وفى خطاب ماكمايكل للمفتشين الانجليز فى جنوب السودان: (تهدف الحكومة ما أمكن على تشجيع التجار، المسيحيين، من أغاريق - وسوريين على الجلابة أى التجار الشماليين - إن قصر تجارة الجلابة على المدن والطرق المطروقة أمر ضرورى.. يجب بذل كل جهد لجعل اللغة الانجليزية لغة التخاطب وباختصار فإنه وفى أي مكان أو ظرف علق فى الأذهان أن اللغة العربية هى اللغة الرسمية وأنها لغة الحداثة فإنه يجب ريكل وسيلة عكس هذا المفهوم فى أى ممارسة).

كما وجه ماكمايكل بإبعاد كل الموظفين الشماليين من المديريات الجنوبية وقد كتب حاكم بحر الغزال إلى مساعده قائلا: (لتوسيع سياسة تشجيع قمع اللغة العربية وتشجيع اللغات المحلية والقيم القبلية واللغة الانجليزية، يجب القيام بكل ما يمكن عمله مهما كان ضئيلا).[69]

وكانت سياسة الجنوب (مسرفة فى حرب المؤثرات العربية الإسلامية حتى آثرت أن يظل الجنوبيون عرايا على اتخاذهم أزياء عربية)[70]. كما تقرر ألا يحضر حكام المديريات الجنوبية الثلاثة، الاجتماع السنوى لبقية حكام الأقاليم الذى يعقد فى الخرطوم إلا إذا تطلبت الضرورة حضورهم وأن يكتفوا بلقاءاتهم المشتركة فى الجنوب، كما أن عليهم مواصلة الاتصال برصفائهم فى يوغندا وكينيا.[71]

وهكذا عمدت مذكرة ماكمايكل لاطلاق يد التبشير المسيحى فى الجنوب من أجل حملة تنصيرية عارمة، وقد حمل حكام الجنوب الانجليز هذه الحملة محمل الجد حتى حققت أغراضها وهى:

١/ تحريم التخاطب بالعربية فى جنوب السودان ومنع استخدام أساليب الثقافة العربية، بل ومنع اطلاق الأسماء العربية وإكراه أصحاب الأسماء العربية على تغيير أسمائهم إلى أسماء أفرنجية والتسمى بأسمائهم التقليدية، وفى حالة عجزهم عن اختيار أسماء، يمنحون

69- Muddathir abd-Al-Rahim, Imperialism and Nationalism in the Sudan. Astudy of constitutional and Political Development 1899-1956.
Oxford. 1969. P. 77.

٧٠- المصدر السابق ص ٧٧.
٧١- المصدر السابق ص ٧٤.

أرقاما حسابية (واحد، اثنين . . الخ) حتى يغيروا أسماءهم بما يتفق مع سياسات الحكومة.

٢/ إبعاد التجار العرب من الجنوب، وإقصاء المهاجرين من قبائل غرب إفريقيا كمسلمى الفلاتة إلى الشمال.

٣/ إقامة أراض خالية من السكان فى مناطق التمازج القبلى بين القبائل العربية والإفريقية وإيقاف هذا التمازج.

٤/ القضاء على الإسلام فى منطقة غرب بحر الغزال وإبعاد النفوذ العربى والإسلامى وطرد المسلمين من مناطقهم فى راجا وكافيا كنجى. وتحويل طريق الحج إلى دارفور حتى لا يمر ببحر الغزال، وقد أحرقت قرية كافيا كنجى لإكراه سكانها المسلمين على إخلائها، ومات مائة من سكانها نتيجة للمجاعة التى أصابتهم بعد فرارهم من نيران الحريق وبطش الحارقين.

سياسات القهر الثقافى وغسل الادمغة:

ظل السودان أسيرا لسياسة الجنوب والمناطق المقفولة خلال الثلاثينات، بعيدا عن أى تأثير شمالى أو إسلامى. وأصبح المبشرون سادة للجنوب، يقررون سياساته وينفذون مشيئتهم وأصبح خيار الجنوب الحضارى إما أن يكون دولة تحت هيمنة المبشرين أو يتحد مع كينيا ويوغندا أو يقسم بينهما. وبعد انفراد المبشرين بالجنوب اتجهوا فى مقرراتهم التعليمية إلى غرس المفاهيم الموضحة أدناه فى أذهان الجنوبيين:

١/ الشماليون مسئولون عن تخلف الجنوب واستنزاف موارده الاقتصادية والبشرية.

٢/ تصوير الشماليين - أمام إخوانهم الجنوبيين بأنهم تجار رقيق وذلك تعميقا للشقة بين الطرفين، وقد ذكر مكى عباس فى كتابه (المسألة السودانية) بأن أحد أصدقائه الجنوبيين، ذكر له، بأن المبشرين كانوا يلقون عليهم الدروس تحت شجرة، مدعين بأنها ذات الشجرة التى كان الشماليون يبيعون تحتها آباءهم ويسومونهم ألوان العذاب.[٧٢]

وقد أخفى المبشرون حقيقة أن تجارة الرقيق فى جنوب السودان هى أصلا ممارسة أوربية ظلت الكنيسة تغض الطرف عنها فى فترة ما قبل المهدية. دفعت المتغيرات السياسية المحلية والدولية بالجمعية الإرسالية المسيحية إلى أن تغير موقفها من سياسة عزل الجنوب وقبلت فى عام ١٩٥٦ مبدأ وحدة السودان، بعد أن أصبح السودان الموحد حقيقة واقعة وكفت الإرسالية الانجليزية عن اجترار سير (الاسترقاق) ولكن هذا التحول أتى بعد فوات الأوان

72– Mekki Abbas, The Sudan Question. London, 1952. Pi 76

وبعد أن سممت عقول أجيال جنوبية بحالها، وأصبحت الصفوة المتعلمة أسيرة لذاكرة تاريخية مزيفة تصور لهم الشماليين بأنهم أعداء تقليديون.

نصت مذكرة ماكمايكل بتاريخ ١٠ أغسطس ١٩٢٨ بوضوح على أن سياسة الجنوب تهدف إلى خلق حاجز منيع، يحمى الجنوب من المؤامرات السياسية الماكرة، والتى ستؤثر على (حركتنا) أى الحركة الاستعمارية فى الشمال.

وربما كان أكثر ما يؤسف له فى مزاعم صناع سياسة الجنوب واستراتيجيات المبشرين ادعاؤهم بأنهم المدافعون عن التقاليد الإفريقية والأعراف المحلية، بينما كانوا هم اول من قوض الثقافة المحلية بالقضاء على اللغات المحلية والعادات التقاليد السائدة فى ذلك المجتمع التقليدى فى مجال الأخلاق والملبس والزينة والفنون بل إنهم كما سبق القول فرضوا على الجنوبيين تغيير أسمائهم تحت ستار التعميد والتدين، وبذروا فى نفوسهم الكراهية والبغضاء لإخوانهم فى المواطنة والمصير، ليس من الميسور تجاوز السلبيات والدمار الذى أفرزته سياسة الجنوب والذى تجلى فى تعميق الفجوة بين شطرى القطر وهى فجوة جغرافية وسياسية ونفسية يتعذر تخطيها إلا بروح العزم والمثابرة والمصابرة من قبل الشمال والجنوب.

ورد فى تقرير حاكم السودان ج. س. سايمس عن الفترة ١٩٣٢- ١٩٤٠ أنه بالرغم من سياسة الجنوب (مازال هناك أكثر من أربعمائة تاجر. . . . إنه ليس من المعقول القضاء عليهم جملة واحدة، إذ أن بعضهم ظل يعيش هناك أكثر من جيل إلى حد أنه أصبح متطبعا بطباع المنطقة، والحقيقة فإن التجريد من الممتلكات والطرد لايتم إلا فى حالة الغش والتفليسة ولكن الذين يتم طردهم يحل محلهم أبناء التجار الآخرين، الذين ولدوا وترعرعوا فى الجنوب. إن تصنيف كلمة «شمالى» يدخل تحتها أبناء العوائل المختلطة. هناك رقابة صارمة على تأشيرات الدخول للجنوب لأغراض التجارة وتمنح فقط فى ظروف استثنائية. . . . إن معرفة مبشرى إرسالية مل هل Mill Hill الكاثوليكية باللغة الانجليزية وتعاطفهم مع وجهة نظر الإداريين، من المتوقع أن تكون ذات فاعلية على توسيع سياسة الجنوب)[٧٣]

كان التعليم أكثر المجالات نجاحا فى «سياسة الجنوب» حيث ازدهر التعليم الكنسى بأبعاده الانعزالية وتأثيراته الفكرية والاجتماعية الضارة وقد نمت حركة التعليم فى الجنوب كالآتى :-

---

73- Fo 371, 24634-135170 P.2, 4,3.

العام الدراسي	١٩٣٢	١٩٣٤	١٩٣٦	١٩٣٨	١٩٤٠
مدارس أحراش	١٨٩	٣١٠	٣٩٢	٥٩٩	٤٤٢
مدارس أولية	٢٩	٣١	٣٤	٣٤	٣٤
مدارس أولاد وبنات	٥	١٦	١٧	١٨	١٩
مدارس أولية ومتوسطة	٣	٣	٣	٣	٣
مدارس فنية	٣	٣	٣	٣	٣
مدارس أخرى	١	٢	٣	٢	٢

وفى عام ١٩٤٤ تضاءلت مدارس الأحراش إلى ٢٢٧ ، والأولية إلى ٣٨ ، والمتوسطة من ٨ إلى ٣ والتجارية إلى ٣ وبلغ عدد الطلاب الذكور فى كل المدارس ٩,٥٧٨ ، وعدد الطالبات ٦٤٦ ، ولم يتحقق أي تحسن فى مدارس القرى والأحراش التى لم تزد عن كونها مظلة من المواد المحلية ، يتم فيها تلقين المعتقدات المسيحية . فشلت الإرسالية فى تطوير أي نظام تعليمي للبنات فوق المرحلة الأولية كما لم تحاول الحكومة تطوير أي تعليم حكومى حتى الخمسينات وإنما اكتفت بإلقاء ثقلها وراء الإرساليات ، حيث أرسلت مالا يقل عن سبعين مبشراً أجنبيا من أبناء فيرونا الكاثوليك على حساب حكومة السودان لنيل دبلوم الدورة التعليمية فى لندن .

أما إعانات الحكومة للبعثات التنصيرية فقد كانت أكثر من كافية لتأسيس حركة تعليم حكومى مدنى فكانت كالآتى :

١٩٣٢	١٩٣٤	١٩٣٦	١٩٣٨	١٩٤٠
٨,٧١٥	٩,٤٦٩	١١,٠٧١	١١,٩٢٩	١٩,٢١٨

نظرت الإرساليات إلى تعليم الفتاة باعتباره أساسا لتطوير المجتمع المسيحى وجاء التقدم فى التعليم المدنى للفتاة بطيئا ، لأن الإرساليات اختصرت تعليمها للمرأة على التدرج فى السلم اللاهوتى ، بحيث تصبح راهبة أو عاملة فى وسط الكنيسة ومدارسها ، وفى مارس ١٩٣٩ قامت حكومة السودان بالاتفاق مع جمعية الإرسالية التبشيرية بتكوين لجنة من الآنسة اينلى (Ainely) والسيدة بيرتون (War Burton) لفحص ومعالجة أمر تعليم الإناث فى الجنوب واقتراح عدد من التصورات ، وعندما انسحب الانجليز من السودان لم تكن هناك مدرسة ثانوية للبنات فى الجنوب على الإطلاق أما المدارس المتوسطة ، فقد أسست مدرسة متوسطة

واحدة للبنات، فى منتصف الأربعينات.

لم تتجاوز طاقة مدارس الجنوب للطالبات وعددها (١٩ مدرسة) طاقتها الاستيعابية ما بين ١٥ـ٣٠ طالبة، وقد بلغ عدد الطالبات فى عام ١٩٤٤ (٦٤٦) طالبة. لم يشجع المبشرون الفتيات الجنوبيات كى يصبحن معلمات ومن العجب أن حكومة السودان كانت تتحمل نفقات تأهيل عشرات المبشرين الاوربيين فى لندن ليعملوا فى مجال التدريس بدلاً عن تأهيل العناصر المحلية. لقد انصب جهد المبشرين فى حض الطالبات النابهات على الانخراط فى سلك الرهبنة مما أدى إلى عزوف نساء الجنوب عن العلم والتعلم. كما بدد الكاثوليك جهودهم فى ترجمة الكتب المدرسية إلى لهجات لا تتوافر لها مقومات اللغة، وأضاعوا الموارد فى طباعة هذه المواد فى مطابعهم فى واو وجوبا ويامبيو، وانصرفوا عن إعداد الإنسان المؤهل لقيادة الأوضاع فى الشمال والجنوب. كما اضاع الكاثوليك أوقاتهم فى أعمال استعراضية لاجدوى لها ولا عائد، كطباعة نشرات أخبارية باللهجات المحلية، لم يك هناك من يقرؤها غيرهم وكذلك، أصدروا عددا من الدوريات التى لا يطلع عليها إلا عدد ضئيل من الاكاديميين.

وفى عام ١٩٤٥ أنشأت جمعية الإرسالية التبشيرية كلية قوينى للاهوت بمندرى فى الاستوائية لتدريس الطلاب توطئة لانضمامهم إلى سلك اللاهوت المسيحى، بينما لم تبذل أى جهود لتنمية التعليم المدنى العالى. وقد علق الكاتب الجنوبى، المعروف بتحامله على الحكومات السودانية المتعاقبة بونا ملوال ـ قائلا: (يمكن تعليق بعض من اللوم على نظام التعليم فى ذلك الوقت حيث كانوا يصورون فى بعض مدارس التبشير المسيحى فى الجنوب أن اللغة العربية لغة معيبة مقارنة بالانجليزية والايطالية. وفى بعض الأحايين كان التحدث بالعربية يعاقب عليه بالفصل من المدرسة. لقد دجن الطلاب الجنوبيون كمسيحيين فى المدارس الإرسالية. وفى تلك المدارس، التى كانت وحدها فى الساحة كانت المسيحية تمثل كديانة متفوقة، فى مناقشة مع ديانات أخرى أقل تفوقا. ولم يسمح للإسلام .... بان يتحرك بطلاقة فى قرى الجنوب كالمسيحية.... ولم يك من الصعب بناء أحقاد جنوبية ضد الشمال فى مدارس الجنوب، التى كان يدرس فى تاريخها دور العرب فى شراء وبيع الأفارقة كرقيق.)[٧٤]

74- Bona Malwal, People and Power in Sudan. The Struggle for National Stability, England, 1981, PP. 3536.

الحركة الوطنية والبعوث التنصيرية:

حملت الحرب العالمية الثانية معها بوادر شعارات الحرية وتقرير المصير وانتهاء الاستعمار. واشتد ساعد الحركة الوطنية فى هذا المناخ، علما بأن حركات المقاومة السودانية، ضد الاستعمار الانجليزى، لم تخمد تماما بالقضاء على المهدية، إذ سرعان ما نهضت ثورة ود حبوبة فى عام ١٩٠٨، ثم أعقبتها ثورة أحد أتباعه عام ١٩١٢ فى كردفان. ثم حركة اللواء الأبيض فى عام ١٩٢٤ والتى أسسها على عبداللطيف وهو من أبناء الدينكا ثم حركة عبداللطيف الماظ العسكرية، فى أعقاب اغتيال حاكم السودان، سيرلى استاك فى أحد شوارع القاهرة فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤، وقد قمعت السلطات الانجليزية هذه الحركات بالحديد والنار. وباركت الإرساليات التنصيرية هذا القمع سرا وعلانية. ونظرت لكل مهدد للوجود الاستعمارى كمهدد للمشروع التنصيرى، لذا فلا عجب أن دشنت كنيسة انجلترا، برج كاتدرائية الخرطوم المجاورة لقصر الحاكم العام لتخليد ذكرى استاك فى تحد واستخفاف بالحركة الوطنية.

وما يهمنا فى هذا المقام ظهور فكرة مؤتمر الخريجين وتأسيسه عام ١٩٣٨ على يد مجموعة من المتعلمين السودانيين تكون منبرا سياسيا - اجتماعيا لترقية أوضاع السودان وتأكيد وحدته ونيل حريته سواء أكان ذلك فى إطار التاج المصرى أم في قيام دولة السودان المستقلة، وقد اتفق ظهور الخريجين واندلاع الحرب العالمية الثانية فى ١٩٣٩ - مع قيام السلطات الانجليزية بالسماح بإقامة مسجد جوبا وتعيين الشيخ عوض محمد أحمد سمساعة إماما لذلك المسجد وهو سودانى درس فى الأزهر وكان فى الثلاثين من عمره.[٧٥]

لقد فطن المؤتمر منذ سنواته الأولى لخطورة مشروع سياسة الجنوب الذى باركته الكنائس، وطالب بوضع حد لسياسة المناطق المقفولة وعزل الجنوبيين عن الشمال، كما استهجن المؤتمر رافضا سياسة الطوق التنصيرى، المضروب على الجنوب وممارسات البعوث التنصيرية هناك، وقد علق على ذلك أحد كبار الخريجين مكى عباس قائلا: (إن حرية التدين هى واحدة من الحريات التى نهض ميثاق الأمم المتحدة من أجلها، ويجب منح الجنوبى السودانى الحرية الكاملة لاعتناق الديانة التى يريدها).[٧٦]

ابتداء من عام ١٩٤٣ أخذت السلطات الانجليزية تستجيب تدريجيا لمطالب الخريجين فأقامت فى عام ١٩٤٣ المجلس الاستشارى لشمال السودان وهى تعمل لتأسيس مجلس نيابى.

75- PRO. FO. 24633-1361.

76- M. Abbas, The Sudan Question, London. 1952. PP.180.

يمثل الأهالى فى السودان الحديث، كما بدأت الحكومة فى مراجعة سياسات فصل الجنوب التى باركتها الكنائس والتى وصفها ماكمايكل قائلا: (إنه لمن المفهوم أن تلجأ البعوث المسيحية، خوفاً من تحدى التغلغل الإسلامى المتزايد إلى استخدام نفوذها فى اتجاه فصل الجنوب).[٧٧]

لم يك السؤال بالنسبة للخطط التنصيرية وحدة الشمال والجنوب أم اتصالهما، وإنما كان السؤال هل ستشكل المسيحية أم الإسلام الأساس الحضارى للبلاد، وكانت البعوث التنصيرية تعرف أنها إن لم تعرض بديلها الحضارى فى ظل الاستعمار فإن الإسلام سيفعل ذلك. وكانت بعوث التنصير فى حاجة للوقت فقط لتقوم بتمتين بنائها إذ أن البرنامج التعليمى والاجتماعى كان فى يدها.

وصف أحد قادة الخدمة المدنية الانجليزية فى السودان، الوضع الثقافى فى الجنوب قائلا: (إن فرص الثقافة الإفريقية الوثنية المتخلفة فى التعلق بالحياة ضعيفة جداً، إذ أنها لا تملك عناصر التأقلم والتجدد الخلاق، وهذه العناصر هى الكفيلة ببقاء القيم وتخليدها. إن مصير ميراث الجنوبى الثقافى أن يذوب فى خضم توجهات ثقافة أكمل عاجلا أو آجلا ولكن من المؤكد أنها لامحالة زائلة)

هدفت النصرانية الاوربية إلى أن تحل محل الثقافة الإفريقية ونظرت البعثات التنصيرية إلى الوحدة والسيادة السودانية كأنها تسير فى طريق ذى اتجاه واحد، يقود لامحالة إلى الاسلام والعروبة، وبذلك يضيع كل ما بذلته الكنائس من جهد غال ونفيس فى سبيل إعلاء الصليب، وقد أخطأت البعوث التنصيرية، حينما تجاهلت قدرة الإسلام على بناء مجتمع متعدد الثقافات وأخطأت الكنيسة حينما رفضت فى عناد أن تجعل للإسلام دورا فى مستقبل جنوب السودان.

أخذت البعوث التنصيرية منذ عام ١٩٤٦ تتجرع ما حسبته انتكاسات فى سياستها المتعلقة بجنوب السودان وأحست بأن كل انتصار للحركة الوطنية يمثل هزيمة لها. وعقدت الدهشة ألسنة المنصرين، حينما تسلمت الحكومة السودانية خطابا موقعاً عليه من ٧٣ موظفاً جنوبيا من خريجى مدارس التنصير والمتشربين بتعاليم الكنيسة ورد فيه: (إننا لا نفهم ماذا تعنى الحكومة حينما تقول بأننا مختلفون من الشماليين، علما بأننا كلنا سودانيون. ربما جاء هذا القول ليقر معترفا بتخلفنا فى أمر الحكومة)[٧٨]

وفى ديسمبر ١٩٤٦ أصدر السكرتير الإدارى جيمس روبرتسون أمرا معلنا فيه إلغاء

77– Sir Harold, Mcmichail, The Sudan. London. 1953. PP. 116

78– Peter Woodward, The South in Sudanese Politics, 1946-56. Middle Eastern Studies, October 1980–.P.181.

سياسة الجنوب وتضمن ذلك تلقائيا رفع الحظر عن الدعوة للإسلام فى جنوب السودان، وبينما استبشر الوطنيون بذلك، اكتأبت الكنيسة متشائمة ورأت فيه نذيرا لاحتمالات المستقبل الآخذة فى العمل ضدها، وفى مايو ١٩٤٧، خلصت اللجنة المنبثقة من المجلس الاستشارى لشمال السودان والمناط بها تقصى أوضاع التعليم بأنه ما عاد هناك أى مبرر لإيقاف الانتشار التدريجى للغة العربية فى الجنوب. وفى عام ١٩٤٧ انعقد مؤتمر جوبا تحت رعاية السكرتير الإدارى وقبل الجنوبيون الممثلون فى المؤتمر مع إخوانهم الشماليين المشاركين مبدأ وحدة السودان . وفى عام ١٩٤٨ صدّق الحاكم العام على قانون المجلس التنفيذى والجمعية التشريعية، والذى نص على قيام جمعية تشريعية موحدة لكل السودان بما فى ذلك المديريات الجنوبية الثلاث، وبذلك أصبح ماتوقعته البعثات التنصيرية حقيقة قائمة، إذ دخل الجنوب فى إطار السودان الجديد.

وفى ١٥ ديسمبر ١٩٤٨ افتتحت الجمعية التشريعية رسميا، مكونة من ٧٦ ممثلا معظمهم من أتباع السيد عبدالرحمن المهدى، بالإضافة إلى ثلاثة عشر جنوبياً لا يمثلون أحزابا أو جمعيات أو تجمعات بعينها.

انتخبت الجمعية السيد عبدالله خليل زعيماً لها وهو ضابط جيش متقاعد ينتمى إلى كنوز شمال السودان وإلى مجموعة السيد عبدالرحمن المهدى وقد أصبح بمثابة رئيس الوزراء المنتخب من قبل الجمعية وتم اختيار السيد عبدالرحمن على طه أول وزير للمعارف (وزارة التعليم) وقد قام الأخير، فور توليه مهام منصبه بإرسال فريق تعليمى إلى الجنوب فى ٢٣ ديسمبر ١٩٤٨ للقيام بمسح أولى لأوضاع التعليم ثم قام هو نفسه فيما بعد بزيارة مختلف أنحاء الجنوب فى يونيو ١٩٤٩، وأصدر أمرا بإدخال تدريس اللغة العربية فى كل المدارس وعلى كل المستويات جالبا على نفسه سخط بعثات التنصير. كذلك عارض دعاة الاتحاد مع مصر (حزب الاشقاء) الجمعية التشريعية إذ كانوا يعتقدون أن الجمعية لاتفى بطموح الأمة السودانية وتطلعاتها إلى الوحدة مع مصر. وفى عام ١٩٥٠ جاء الرد المصرى على قيام الجمعية التشريعية مشفوعا بتسريب أخبار عن اتجاه مصر لإلغاء اتفاقية ١٨٩٩ المتعلقة بالحكم الثنائى، وبذلك تفقد انجلترا أي حق دستورى فى إدارة السودان، وردت الجمعية التشريعية على النذر القادمة من مصر فى ديسمبر ١٩٥٠ بفوز اقتراح يدعو لقيام حكم ذاتى فى السودان بفارق صوت واحد، مما وضع الإدارة الانجليزية أمام خيار الإسراع بتصفية وجودها فى السودان وجاء رد الحكومة المصرية على قرار الجمعية التشريعية فى ٨ أكتوبر ١٩٥١، حينما أصدر الزعيم المصرى مصطفى النحاس ورئيس الوزراء وقتئذ بيانا أعلن فيه إلغاء اتفاقيتى ١٩٣٦ و١٨٩٩ مع انجلترا وبهذلك تعرى الحكم الانجليزى فى السودان من أية شرعية أو سند قانونى وفى ظل هذا التوتر وعلى إثر حرق القاهرة ٢٦ يناير ١٩٥٢ تسلم الضباط

الأحرار بقيادة اللواء محمد نجيب والرائد جمال عبدالناصر مقاليد السياسة فى مصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

فى ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، تم التوقيع على الاتفاقية المصرية السودانية التى نصت على إعطاء السودان حق تقرير المصير ممهدة بذلك لتصفية الحكم الثنائى وسودنة الوظائف العليا على الصعيدين الإدارى والعسكرى. وقعت حكومة مصر الاتفاقية فى مناخ من التفاؤل أن (الأشقاء) سيكتسحون الانتخابات. لقد فجع الكاثوليك بهذه التطورات ووصف الممثل البريطانى لدى الفاتيكان مشاعر الرومان الكاثوليك تجاه استقلال السودان مشبها إياها بمشاعرهم تجاه استقلال ليبيا عندما نالت استقلالها من ايطاليا. لم تظهر الحكومة البابوية حماسة لتوجهات حكومة صاحبة الجلالة البريطانية حيث التغيير يستدعى إحلال الإدارة المسيحية بادارة إسلامية قد لاتكون متعاطفة مع الكاثوليك.[٧٩]

أما مجلس الكنائس البريطانى فقد والى الضغط لإجراء تعديل فى دستور السودان المقترح بحيث ينص على منح الجماعات المسيحية فى السودان مزيدا من الحقوق وأن يمنح السودانى المسلم الحق فى تغيير دينه).[٨٠]

وفى نهاية عام ١٩٥٣ ، تم انتخاب مجلس نيابى وطنى جديد بعد فراغ دستورى دام أكثر من عام نتيجة لحل الجمعية التشريعية قبل إجراء الانتخابات. . وفى ٦ يناير ١٩٥٤ انتخب إسماعيل الأزهرى رئيسا للوزراء فى حكومة انتقالية لتحقيق حكم ذاتى خلال فترة محددة وسقطت بذلك صلاحيات السكرتير الإدارى وانتهى منصبة. وفى ٢٠ فبراير ١٩٥٤ شرعت لجنة السودنة فى عملها لسودنة الوظائف القيادية والوسيطة وبنهاية عام ١٩٥٤ تمت سودنة كل الوظائف العسكرية والإدارية. وفى عام ١٩٥٤ استقدمت حكومة السودان لجنة دولية للنظر فى أوضاع التعليم الثانوى برئاسة سير شارلس نور ريس (Charles Norris) مدير جامعة ليدز وقد ورد ضمن تقرير اللجنة الختامى. (لابد من أن يعالج التعليم مختلف القضايا، مثل توحيد الشعب وعلى الأخص مابين الشمال والجنوب وأن يعمل على محو الفوارق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ما بين مختلف المناطق وأن يسعى للقضاء على العادات والتقاليد الرجعية أو غير المتجانسة مع النظام الجديد)[٨١] كما أوصت اللجنة بأن تضع الحكومة يدها على كل مدارس التبشير وأن تصبح اللغة العربية لغة التدريس العامة فى

79- Fo. 371 - 97244.

80- Fo. 371 - 97244 - 135147

٨٠ـ خطاب من مجلس الكنائس البريطانى بتاريخ ٢١ مايو ١٩٥٢ الى حكومة السودان.

81- Sanderson, Education. P. 339 - 40.

الجنوب وأن توقف إدارة التعليم استخدام اللغات المحلية لغة للتدريس فى كل المستويات التعليمية، باعتبارها مضيعة للوقت، لأن هذه اللغات لاتملك أدبا ولايمكن استخدامها لغة خطاب ثقافى.

فى ١٧ أغسطس ١٩٥٥ تمردت الفرقة الاستوائية التى اسسها ونجت فى عام ١٩١٠ ترياقا مضادا لحركة الإسلام والوحدة فى السودان،حيث قصر التجنيد فيها على العناصر المسيحية مبعدا عنها كل من يدين بالإسلام أو يتحدث لغة العروبة والشمال.

لقد فسرت الفرقة الاستوائية المتمردة جهود السودنة والاستقلال بأنها توجه نحو الإسلام ومحاولة لإستعباد الجنوب. انطلق التمرد بغير مقدمات مستهدفا الشماليين المقيمين فى الجنوب وأسرهم دون تمييز بين صغير وكبير أو بين رجل وإمرأة وتمخض التمرد عن قتل ٢٦١ شماليا فى أيام معدودات.

نجحت حكومة الأزهرى فى إنهاء التمرد وفرض النظام،ولكن عشرات من أعضاء الفرقة المتمردة دخلوا الغابة أو تسللوا إلى يوغندا، مكونين نواة لحركة مسيحية مناوئة أخذت تعمل فيها بعد بأسلوب حرب العصابات. وفى منتصف عام ١٩٥٦ فوجئت الإرساليات بخطاب من وزير التعليم عبدالرحمن على طه فى جوبا معلنا عن نية الحكومة لتوحيد النظام التعليمى فى كل السودان خلال خمس سنوات. لم يتمالك الكاثوليك أنفسهم، وهم يرون جهودهم التعليمية تذهب أدراج الرياح أمام سياسة حكومة الاستقلال ورفضوا أن يتعاونوا مع الحكومة، بل وشنوا حملة صحفية مكثفة ضد الحكومة السودانية الوطنية، حيث وصفتهم جريدة المبشر الكاثوليكى والتى تصدر فى لندن قائلة: «تلوح الأزمات فى سماء السودان، وليس هناك حماية شخصية للمبشر وتتوالى الصفعات على المبشرين، من قبل حكومة الاستقلال الجديده . . . ومن وجهة نظر المبشرين، فإن الأحوال تزداد سوءاً إن المشكلات المثارة الآن فى السودان ربما تتكرر كلما نال شعب إسلامى استقلاله واحدا بعد الآخر.»[٨٢]

وأدت هذه الحملة الظالمة، إلى إثارة اهتمام عالمى بأوضاع التعليم الكنسى فى السودان، وأثيرت القضية فى البرلمان الانجليزى، حيث أجاب وزير الخارجية البريطانى فى ١٩ يونيو ١٩٥٦م على سؤال حول: إلى أى مدى تأثرت مدارس البعثات التنصيرية التى يقوم عليها عمال انجليز فى جنوب السودان بسياسات التمييز الحكومية منذ تسلم الوطنيون مقاليد الأمور وجاءت الإجابة (التعاون القائم بين الإرساليات والحكومة السودانية والسلطات المحلية فى الوقت الحاضر كاف، ولانعلم عن أى تمييز ضد مدارس الإرساليات الانجليزية فى جنوب السودان. وقبل عدة أشهر دخل المبشرون فى نزاع مع السلطات المحلية وأخلت المحاكم سبيلهم ومنع ستة منهم (ثلاثة كاثوليك وثلاثة أنجلكان) بأوامر إدارية من الرجوع إلى

82- Fo 371, 199686, Catholic Herald 1,6,56.

مراكزهم. وليس هناك حالات جديدة).[٨٣]

أدت الحملة غير المبررة التى شنها الكاثوليك على الإدارة السودانية الوطنية الجديدة على علمانيتها وتوجهاتها الوطنية إلى إثارة شكوك المتعلمين حول أهداف ونوايا الكنائس تجاه السودان، ووضع سياسات الكنيسة تحت دائرة المساءلة وحينما شرعت حكومة عبدالله خليل في وضع توصيات لجنة التعليم الدولية فى دائرة التطبيق وتوحيد حركة البلاد التعليمية وذلك فى فبراير ١٩٥٧، واصل الكاثوليك حملتهم على الحكومة. وحينما جاءت الحكومة العسكرية الأولى (حكومة الفريق عبود) وشرعت فى اتخاذ إجراءات تعليمية وأمنية فى جنوب السودان ازدادت ضراوة العداء الكنسى مما أدى إلى توحيد مشاعر السودانيين - حركة وطنية، حكومات حزبية، حكومات عسكرية- ضد المشروع التبشيرى، لذا حينما قامت الحكومة العسكرية بإبعاد المبشرين الأجانب جملة واحدة من جنوب السودان لم تجد الكنيسة لها نصيرا حتى بين أفراد حركة المعارضة السرية والعلنية لنظام الفريق إبراهيم عبود.

البعوث التنصيرية وتكامل الشخصية السودانية :-

يهدف التعليم المدنى إلى إعداد المواطن الصالح وتتجاوز النظرة الدينية ذلك، بتطلعها إلى إعداد الإنسان الصالح بتنمية إنسانية الإنسان وأخلاقه متجاوزة العقد التاريخية والعنصر واللون والوطن. أما التعليم الكنسى فى السودان فلم يؤسس ابتداء لا على نظرة وطنية ولا إنسانية دينية وإنما عمد إلى طمس الهوية وإلحاق المستفيدين منه على هامش الحضارة الغربية. انعدمت الرؤية الوطنية فى تعليم الكنيسة وغابت السياسة التعليمية المشتركة بين المبشرين كما لم تكن هناك رقابة أو إرشاد حكومى. كان الكاثوليك متحمسين لتعليم الطالب السودانى البسيط تاريخ الإمبراطورية الرومانية المقدسة مضيفين القداسة على حروبها وتقاليدها وإنسانها، موهمين الطفل بأن كل انتصار لهذه الإمبراطورية يمثل انتصارا له هو شخصيا أما الانجلكان فملأوا أذهان طلبتهم بعظمة بريطانيا وثقافتها وصاغوا وجدانهم على حبها باعتبارها قوة تمدينية جاءت لتنصير الأفارقة ولتحميهم من شرور التوغل الإسلامى. وتحولت العملية التعليمية إلى مسرح لعرض تاريخ وقصص وبطولات الفرق والمذاهب وأصبح عقل الطالب ساحة لمعارك الصليب ضد الهلال ولتغذية ذاكرته بالأحقاد ضد الإسلام والمسلمين. فى هذا المناخ اتسعت أبعاد الفراغ الروحى والاضطراب الثقافى حيث حشد القساوسة عقول الطلاب بقيم الحضارة الغربية وفكرها وسلوكها وآدابها ومسخت شخصية الطالب ولم يعد يصلح للحياة فى البيئة المحلية. كما أن تطرف خطاب التعليم

83- Fo 371, 119686, Parliamentary Question.

المسيحى أدى إلى حرمان المسلمين من التعليم حيث أصبح التعلم اسما آخر للتنصير فى بلد تخلت حكومته عن مسئولياتها وأصبح التعليم حكراً للإرساليات.

نسى المبشرون الذين حاربوا اللغة العربية، أن العربية هى لغة السودان والقاسم المشترك بين أهله، ولقد دفع الجنوب ثمن ذلك، حينما وجد متعلموه أن جهلهم بالعربية لا يرشحهم لمراكز الصدارة فى حكومة السودان. وجد الجنوبيون أنفسهم ضحايا لسياسات الكنيسة وأهواء المبشرين، التى دفعتهم للانزواء بعيدا عن تيار الحركة الوطنية وبعيدا عن مباهج التفاعل السياسى والثقافى حول هموم الوطن الواحد مع بقية إخوانهم. فشلت الإرساليات التى احتكرت التعليم فى الجنوب أكثر من نصف قرن، أن توفر القوة البشرية المؤهلة من المعلمين لأن أسبقياتها تعلقت بإعداد الصفوة التى تنخرط فى سلك الكهنوت لتمارس حياة الرهبنة والعزوبية أو تسير على غير هدى فى ركاب حضارة الرجل الاوربى، لقد فشلت البعوث التنصيرية فى تنمية هوية المواطن الجنوبى وثقافته، ونجحت فقط فى تخريج صفوة صبغتها بصبغتها الخاصة وافقدتها إحساسها بحب وطنها وإدراكها لهويتها المتميزة.

أدى التركيز على الثقافة الكنسية واللغة الانجليزية إلى تكثيف الحاجز اللغوى والدينى والجغرافى الموجود أصلا بين الشمال والجنوب. وظلت الصفوة الجنوبية ولعدة عقود تمارس أنواعا من الضغوط والتحالفات ضد وحدة البلاد وضد الثقافة الإسلامية سرا وعلانية.

إن الأدلة على فشل التعليم الكنسى كثيرة ولعل أكثرها وضوحاً افتقار الجنوب إلى القيادة السياسية الموحدة وقد تجلى ذلك فى إخفاق السودنة فى أن تملأ الوظائف التى شغرت فى الجنوب إذ لم تجد غير ستة جنوبيين مؤهلين وكان هذا - إلى حد ما - من أسباب اشتعال نيران التمرد العسكرى عام ١٩٥٥، كما اتجهت الصفوة إلى معارضة برنامج السودنة وجهاد السودان من أجل الاستقلال ذلك الجهاد الذى بدأه على عبداللطيف وهو كما سلف القول ينتمى أصلا إلى الدينكا. وقد عبر بنجامين لوكى عن طبيعة الثقافة التنصيرية حينما رفع صوته معارضا الحكومة الانتقالية (مرحلة الحكم الذاتى) وقال أحد الكتاب الانجليز (تحاول الكنيسة السودانية أن تستند إلى مقاومة الإسلام مقاومة إيجابيه. أما المقاومة السلبية للإسلام فهى - عند الصفوة الجنوبية من خريجى مدارس الإرساليات - تمثل واجبا دينيا مسيحيا)[٨٤]

ولئن كان هذا هو تفكير الصفوة الجنوبية، فلا عجب أن تكون ثمرته اشتعال الحروب والمجاعة والتخلف فى الجنوب على مدى ثلاثين عاماً بالتقريب.

84- Sanderson, Education, P. 430

الفصل الخامس

الإرساليات فى مواجهة الحركة الوطنية

المشروع التنصيرى فى جبال النوبة :

يسود التخلف والجهل الغالبية العظمى من سكان جبال النوبة فى مديرية جنوب كردفان وتطغى على الحياة الروحية، ممارسات الكجور وعادات الدجل والسحر،كما لاتزال بعض المناطق معزولة عن تأثير الحضارة الحديثة قانعة بأساليب حياتها البدائية الوثنية، بما تنطوى عليه من فقر وجوع وعرى: وقد ظهر التبشير بالإسلام فى هذه المنطقة منذ القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وقامت حوله مملكتان إسلاميتان هما مملكة تقلى الإسلامية التى ازدهرت فى القرن الثامن عشر ومملكة المسبعات (وهى قبيلة كردفانية) وقد بسطت نفوذها فى كردفان فى القرن الثامن عشر. وحينما جاء الحكم التركى وجد ما يقارب من ثلث النوبة وقد دخلوا فى الإسلام، بينما ظلت بقية السكان على وثنيتهم وإن كانوا يودون أن يعيشوا وفقا لنمط الحياة عند المسلمين.

بادر الكاثوليك باختراق منطقة جبال النوبة فى العقد السابع من القرن التاسع عشر، فى محاولة لتطويق المد الإسلامى وربط مراكز التبشير المسيحى فى جبال النوبة بحزام الكنائس التى أقاموها فى جنوب السودان. ولكن قبل أن تثبت وترسخ جذور النصرانية فى المنطقة، جاءت الحركة المهدية فبددت جهود المبشرين وقد حاولت إرسالية الدلنج أن تعبىء النوبة وتسلحهم لمقاومة المهدية ولكن قوات المهدى استطاعت أن تجتاح الحصن الإرسالى فى الدلنج وتستولى على أسلحتهم وتأسر المبشرين الأجانب والذين كان بعضهم من النمسا وايطاليا.

وبعد القضاء على دولة المهدية، ترددت الإدارة الاستعمارية فى السماح للمبشرين الأوربيين بمواصلة عملهم فى جبال النوبة، خوفاً من عاقبة ذلك، إذ لاتزال لحركة الجهاد الإسلامى بقايا جذور فى كردفان وقد يؤدى مجىء المبشرين إلى قيام حركة انبعاث إسلامى، لذا اكتفت الإدارة الاستعمارية بتكثيف جهودها فى مجال الأمن وإحكام السيطرة وتهدئة القبائل.

ولكن أدت حركة التهدئة والأمن الذى ساد إلى نزوح القبائل من أعالى الجبال إلى السهول، حيث ازدادت حركة التمازج والتداخل بين المجموعات الإسلامية والوثنية، مما

ساعد على زيادة انتشار الإسلام وسط النوبة.[85]

لقد أبدت الإدارة البريطانية فى المنطقة تخوفها وقلقها من ظاهرة انتشار الإسلام مما حدا بالمدير الانجليزى جيلان (J. W. Gillan) أن يلفت نظر السلطات فى الخرطوم ،ويحثها على دفع الإرساليات المسيحية لارتياد هذه المناطق. وفى بداية العشرينات، دعت الإدارة الانجليزية الإرسالية المتحدة (S. United Mission) أن تباشر جهودها التنصيرية فى مديرية الجبال، مستخدمة فى ذلك كل الوسائل بما فى ذلك الخدمات الاجتماعية والتعليم كما خصصت الحكومة البريطانية منحة مالية قدرها مائة وخمسون جنيها دعما لنشاط التنصير فى جبال النوبة[86] وقامت الإرسالية بإنشاء مركزين للتنصير فى هيبان وعبرى غير أن السلطات البريطانية لم ترض عن هذا الجهد الذى لم يرتفع فى نظرها إلى مستوى الاستجابة الكافية للخطر الإسلامى، كما رأت أن المراكز التى وقع عليها اختيار الإرسالية لم تكن ملائمة لصد مد حركة الدعوة الإسلامية، واقترحت الحكومة الانجليزية على الإرسالية المتحدة، أن تؤسس على الأقل ستة مراكز تبشيرية إضافية حددت أماكنها. وحينما عجزت الإرسالية عن الوفاء بهذه المهمة استدعت الحكومة الجمعية المسيحية الانجلكانية لفتح عدد من المدارس والمراكز والمحطات التبشيرية واعدة إياها بالدعم المادى اللازم.

استهلت الجمعية التبشيرية الانجلكانية عملها، بفتح مدرسة فى سلارا عام ١٩٣٥م وفى عام ١٩٣٦ افتتحت ثلاث مدارس أخرى فى طيبانة ومورو وكودا وقد جاءت هذه الجهود عقب مخاطبة حاكم كردفان، دوجلاس نيوبولد مؤتمرا تبشيريا فى جبال النوبة عام ١٩٣٤ قائلا: تقر الحكومة بأن هدف الإرسالية هو تنصير السكان والعمل على إقامة كنيسة محلية وترقيتها، بحيث تعتمد على ذاتها فى إدارة شئونها وتدبير مواردها المالية والانطلاق بعملها التنصيرى،ولعل الإرسالية تدرك أن تاسيس كنيسة قوية يتطلب بالضرورة توافر أناس متعلمين ومن ثم أصبح التعليم جزءا ضروريا من الدعوة التنصيرية.... ومع أن حكومة السودان تعهدت بألا تستخدم سلطاتها للتنصير، أو تحطيم الإسلام، فإن كبار موظفيها من الإداريين والفنيين هم بريطانيون وبالتالى مسيحيون ومن ثم تعين على كل إدارتها أن تستمد طاقتها المحركة من الأخلاق المسيحية وهذا هو الميراث الذى خلفه غردون للسودان.[87]

٨٥- أحمد عبدالرحيم نصر : الادارة البريطانية والتبشير الاسلامى والمسيحى فى السودان، دراسة أولية، وزارة التربية والتوجيه.

٨٦- الشئون الدينية والأوقاف، الخرطوم ١٨٩٩ - ١٩٧٩م.

87- The Making of Modern Sudan, op. cit PP. 69

كان نيوبولد ممتعضا من سياسات إرسالية السودان المتحدة وسلوكها، إذ أنها ركزت همها على تنصير النوبة مهملة أمر التعليم ولكنه وصل كما يبدو إلى حل وسط معها، كما جاء فى أحد رسائله لعام (١٩٣٥)، حيث يقول «تمكنت من الاتصال بأمناء الإرساليات حيث أخبرتهم بسياساتنا، ومع أنهم حاولوا المداورة، إلا أنهم انتهوا معى إلى سياسات وطنية ومثالية للنوبة تقوم على أسس محلية. أما عن مدى ما تحققه هذه السياسات من نجاح فإن ذلك يتوقف على مدى إيمانهم وإيماننا بهذه السياسات.»[٨٨]

اتخذ المبشرون فى جبال النوبة الحروف اللاتينية فى تدريس اللغة العربية، فى محاولة لخلق حاجز ضد أية محاولة لدراسة الإسلام وتعلم القرآن وقد أخذ المنصرون هذه الطريقة عن المبشرين الكاثوليك الذين أدخلوها فى مدارسهم فى واو حتى عام ١٩٣٠، وقد أدركت الحكومة أن تجربة تعليم العربية بالحروف اللاتينية باءت بالفشل وأن حركة الإسلام بين النوبة قد تصاعدت بخطى متفوقة تفوقا كبيرا على حركة التنصير وهنا تفتق ذهن الإدارة البريطانية الحاكمة عن نمط جديد من التعليم ألا وهو مدارس الكشافة للبنين التى تقوم على تعاليم الانجليزى بادن باول الشهيرة وتهدف إلى إقصاء التربية الدينية وإحلال صفات الأمانة والانضباط مكانها وظلت هذه المدارس قائمة حتى بداية اللاثينيات وبين عامى ١٩٣٦ - ١٩٣٩، توسعت الإدارة الاستعمارية فى فتح المدارس العلمانية فأنشأت أربع ومدارس فى سلارا وكوجا وكاتشا وعبرى، كما عينت عدداً من الأقباط لإدارتها. ولكن ابتداءً من عام ١٩٣٩، توقف تدريس الديانة المسيحية فى تلك المدارس أمام إرهاصات الحرب العالمية الثانية.

واصلت إرسالية الجمعية التبشيرية عملها فى سلارا، حيث ضم هذا المركز مدرسة ومستوصفا صحيا يقوم على أربعة مبشرين طبيبة وقس ومدرس وممرضة»[٨٩] أما مركز كاتشا فقد أشرف عليه المبشر د. س ماكذونالد Macdonald وزوجته كاترين، التى تولت رعاية المستوصف الصحى. «وتوجت أعمال جمعية الإرسالية بافتتاح مدرسة كاتشا المتوسطة ومدرسة أولية للبنات فى عام ١٩٤٦.»[٩٠]

أما الخدمات الطبية للجمعية الإرسالية بين قبائل النوبة فقد واصلت نموها بافتتاح مستوصف طبى عام ١٩٤٠، كما تم فى الوقت ذاته تخريج ١٧ مرشدة اجتماعية كنسية للعمل فى مراكز التنصير بين الأهالى»[٩١] وابتداء من عام ١٩٤٠م اجتهدت إرسالية السودان المتحدة

٨٨ـ المصدر السابق ص ٧٢

89- The Diocese of Sudan Op. cit., PP. 27.

90- The International Review of Missions, vol. 30, 1941, P. 1

91- The International Review of Missions Vol 31, 1942. p.

فى زيادة مدارس القرى للتصدى للإسلام، كما افتتحت مركزا لتدريب الطلاب المتازين، حتى يتخرجوا مشرفين ومدربين للمدارس توطئة لبسط النفوذ المسيحى فى سائر منطقة الجبال.

ومنذ بداية الأربعينات، أدركت الحكومة البريطانية فى السودان، أن التعليم الكنسي بتركيزه على التنصير، قد أدى إلى زيادة التوتر الاجتماعى ونمو العقلية الانعزالية وسط المتنصرين،كما كان عائقا أمام التقدم الاقتصادى والاجتماعى. لذا فقد سمحت الحكومة بتدريس الديانة الإسلامية فى المدارس الحكومية والتى كان نشاطها مكملا لنشاط مدارس القرى الكنسية. وأصبح الطلاب أحرارا فى تلقى التعليم المسيحى أو الإسلامى أو الإعراض عن كليهما.

وفى عام ١٩٤٧م ظهر أمر جديد كان بمثابة تهديد لسياسات الحكومة التعليمية تجاه جبال النوبة، وذلك عندما أعلن الشيخ محمد الأمين القرشى[٩٢] عزمه على التبشير بالإسلام وسط النوبة فى عام ١٩٤٧م. اجتهد الشيخ محمد الأمين فى الحصول على إذن من السكرتير الإدارى الذى ظل يراوغ ويماطل بل حاول أن يلهيه عن ذلك عارضا عليه منصب قاضى القضاة فى حضرموت واتجه الشيخ القرشى إلى الجمعية التشريعية لمناصرته خصوصا أن الإدارة البريطانية، تسخر أموال دافع الضرائب السودانى المسلم فى دعم مدارس الإرساليات المسيحية. ونجح الشيخ فى الحصول على موافقة الحكومة، وباشر نشاطه فى الدعوة إلى الإسلام بين النوبة،وهناك أحرز نجاحا منقطع النظير، حيث أقبل الالآف من الوثنيين ومن المنصرين على دخول دين الله. ولكن هذا التحول الكبير لفت الأنظار إلى حركة الشيخ القرشى وهو يبشر بالإسلام فى عقر دار المؤسسات الكنسية التبشيرية حيث استجاب جميع طلاب مركز سلارا للإسلام، وهو مركز تنصيرى فى المنطقة وقد ذهل أحد قساوسة المنطقة وسقط مغشيا عليه عندما رأى جهد عشرات السنين من التنصير ينهار أمام الإسلام فى لحظة،وقام السيد عبدالرحمن على طه أول وزير للمعارف ومعه المدير الإدارى الانجليزى بزيارة المنطقة لتقصى الحقائق وتقديم النصح فوجدا أن كل الطلاب أعلنوا إسلامهم، ولم تستطع الإدارة الانجليزية أن تفعل شيئا ـ خصوصا والسودان كان على أبواب مرحلة الحكم

٩٢ـ ولد الشيخ محمد الأمين القرشى فى رفاعة يوم الأربعاء ١٢ ربيع الأول ١٣٠٨هـ وينتمى إلى قبيلة الحلاوين الشهيرة فى الجزيرة، وقد نشأ الشيخ فى أجواء الثورة المهدية وكان أبوه من أمرائها، حفظ الشيخ القرآن الكريم وهو مايزال طفلا يافعا وشهد زوال دولة المهدية وقيام الحكم الثنائى، حيث التحق بكلية غردون قسم القضاء فى عام ١٩٠٨ وتخرج قاضيا فعمل فى الخرطوم وبارة وسنجة والحصاحيصا وعطبرة والأبيض والدويم حتى عام ١٩٤٦ عندما بلغ التقاعد. شغل نفسه بتحقيق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وصدرت له عدة مؤلفات ولقى الله على ذلك.

الـذاتى - فأذعنـا للأمر الواقع، ونصحا القس بمغادرة المنطقة[٩٢]. وقد خلّد الشيخ هذا الحدث فى قصيدة بعنوان سلارا الجميلة. والتى جاء مطلعها :-

تقــدم يا أخــى أسـلم
واهــلك كلهــم اعــلم
دخلت الدين لم احجم
جبــال الـنـوبــة انشرحــت
إلى الإســلام وانــفــرحــت

وفطنت الارساليات إلى مغزى ما حدث فى سلارا ودلالاته على ضعف الأساس الذى قامت عليه الكنيسة فى السودان. ولكن الكنائس لم تستطع أن تفعل شيئا فى ظروف التهاب المشاعر الوطنية التى تعبر عن أشواق إسلامية مكبوتة فى وقت أقبل فيه النوبة على اعتناق الإسلام إقبالا كبيرا،ولعل ما حدث، هو الذى فوت الفرصة على الكنيسة وجعل جبال النوبة تفلت من حصار المخططات التنصيرية التى ماتزال تكبل جنوب السودان.

الإرساليات : بين يدى حركة البعث الوطنى

وصف القس ترمنجهام، أسقف الكنيسة الانجلكانية فى الثلاثينات حركة التنصير ونموها خلال فترة مابين الحربين، قائلا: «اتسم تطور العمل التنصيرى فى السودان بسمة هى أقرب ماتكون إلى الانتهازية، إذ كانت تغتنم الفرص لإقامة المنشآت التعليمية ومؤسسات الرعاية الاجتماعية متى كان ذلك أمرا ميسورا ولم تفكر فى إنشاء كنيسة سودانية فى المستقبل ولم تخطط للعمل التنصيرى المتصل بها ومن ثم اتخذ عملها طابع الجمود وعدم التوازن».
بذلت الإرسـالية الكنسية التبشـيرية مساعيها لدى اللورد كرومر لتأمين الاعتراف بمنهج مدارس الإرساليات وشهاداتها فى السودان باعتبارها جزءا من نظام الدولة التعليمية، وذلك بوضعها تحت الإشراف الحكومى ومنحها الإعانات الحكومية. وفى عام ١٩٢١ انضم طبيبان

٩٢- راجع نص القصة فى مقابلة د. نصر مع الشيخ القرشى فى الدراسة السابقة الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامى والمسيحى فى السودان ٩٢-٩٤.

لجهود العمل الإرسالى الطبى فى السودان وهما الدكتور ليفى (Dr. Lavy) والذى جاء من بغداد وكان على معرفة طيبة باللغة العربية وخبرة فى تنصير المسلمين والدكتور وورسلى (Dr. Worsely) الذى جاء من فلسطين وأظهر نبوغا فى تفهم اللغة العامية فى السودان.

وابتداء من عام ١٩٢٨م، ظلت الحكومة تدفع خمسمائة جنيه إعانة سنوية للإرسالية مقابل إدارة المستشفى، وهكذا أصبح المستشفى تحت رعاية حكومة السودان.

واصلت إرسالية الجمعية جهودها لحمل أهل السودان على المسيحية مغتنمة كل الفرص فعمدت إلى تقوية طائفة الأقباط حتى تثبت أقدامها فى تربة السودان وأنشأت مدرسة فى حى المسالمة فى أم درمان، لإعادة الذين أسلموا إلى المسيحية، كما واصل مبشرو الإرسالية زيارة الأهالى فى بيوتهم.

وفتحت عدة فصول للأطفال المسلمين فى مدارسها وتشير إحصائيات الكنيسة عام ١٩٢٩ أن لها فى أم درمان وكردفان مدرسة أولية وروضتين يضمان ٣٥٠ طفلا. وفى عطبرة لها مدرسة أولية وروضتان تضمان ٢٤٠ طفلا ومدرسة أولية فى وادمدنى. ركزت الجمعية الإرسالية على تعليم البنات، حيث كانت تؤمن بأثر المرأة على حياة العائلة وبلغ مجمل عدد الطالبات فى مدارسها فى عام ١٩٢٤م ٨٥٠ طالبة، أي ماينقص قليلا عن العدد الكلى المنتسب لمدارس الحكومة وإذا أضفنا إلى ذلك عدد الطالبات فى مدارس الإرسالية الأمريكية والكاثوليك وغيرهما، فإن عدد طالبات المدارس المسيحية يفوق عدد الطالبات فى مدارس الدولة. وفى عام ١٩٤٥ بلغ عدد الطالبات فى مختلف مدارس الإرساليات ١٣٣٦ طالبة.[٩٤]

انتهجت الجمعية الإرسالية سياسة توسعية فى شمال السودان، عبر عنها القس ترمنجهام بقوله: «إنه لمن واجبنا فى الشمال أن نعد العدة لذلك اليوم الذى تصبح فيه المسيحية الديانة الرسمية لجنوب السودان، وأن نؤسس مراكز مسيحية فى كل مناطق التماس بين الإسلام والوثنية وأن نقيم كذلك مراكز مسيحية فى المناطق التى توطد فيها الإسلام، حتى تكون لمسيحية الجنوب مراكز اتصال عندما تتدفق نحو الشمال.»[٩٥]

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف قامت الجمعية الإرسالية بإعداد كنيسة مستقلة ألحقت بقاطرة استقلها المطران قوينى ليجوب بها كل أصقاع السودان. بلغت تكلفة القاطرة وملحقاتها ثلاثة آلاف من الجنيهات الاسترلينية، وقطعت فى تجوالها أكثر من ثلثمائة الف ميل، أقيمت خلالها ثلثمائة وخمسون صلاة وجرى الاتصال بألفى شخص.

٩٤- انظر Introducing the Diocese of Sudan P. 22

وانظر كذلك: Cash, P. 41

٩٥- Trimingham, Approach: P 49

وإلى جانب ذلك شرعت جمعية الإرسالية المسيحية فى إعداد مشروع لبناء كنيسة ضخمة فى وسط كل مدينة سودانية حتى تعطى الطابع الإسلامى العام لتلك المدن سمة مسيحية. وتنفيذا لهذه الخطة شيدت كنيسة سان بول عام ١٩٣٠ فى واد مدنى عاصمة الإقليم الأوسط، التى لم تكن فى ذلك الوقت تضم أية جالية مسيحية سودانية. بنيت الكنيسة من الطوب الأحمر وصخور الجرانيت وتضم برجا شامخا وقاعة للعبادة وكلف بناؤها أربعة عشر ألف جنيه، وتحتل موقعا هاما بين النيل الأزرق ووسط المدينة.

كنيسة سان بيتر فى الأبيض:

فى ٧ فبراير عام ١٩٣٢، أهدت الحكومة (الانجليزية) إلى الجمعية الإرسالية أحد مبانيها لتقيم عليه كنيسة «سان بيتر» وقامت الكنيسة بتجديد المبنى وإدخال تعديلات عليه ليتناسب مع مهامه الجديدة. ولايزال بعض المسلمين يتطلع إلى إعادة هذا المبنى إلى وضعه الأول، للإفادة منه باعتباره عقارا من عقارات السودان.

كنيسة عطبرة:

أنشئت هذه الكنيسة إحياء لذكرى المبشر فيليب Philipch Deacn وتقديرا لرجال السكة الحديدية الذين استخدمتهم حكومة السودان من المسيحيين والذين رفعوا علم المثل المسيحية فى منطقة تحفها الصعاب والعقبات.

كنيسة سان مارى فى وادى حلفا :-

كانت هذه الكنيسة فى الأصل بيت ضيافة لرجال الجيش البريطانى فى السودان ثم منحت للجمعية الإرسالية الكنسية فى عام ١٩٢٦، فحولتها إلى كنيسة.

كنيسة المسيح فى بورتسودان:

خصصت هذه الكنيسة فى ٤ مارس عام ١٩٣٢ من قبل المطران قوينى لخدمة معهد البحارة وافتتحها حاكم السودان السير جون مافى قبل ذلك فى فبراير ١٩٢٩.
أما التغيير الآخر الهام، الذى أصاب السياسة الكنسية فقد جاء حينما تدفقت أفواج

الجنوبيين وأهل جبال النوبة على العاصمة السودانية خلال الحرب العالمية الثانية، وقد جاء الجنوبيون والنوبة طمعا فى العمل والمغامرة وانفتاحا على الشمال. نسقت الإرساليات والكنائس فيما بينها للعناية بالقادمين، حتى لايعودوا حاملين تقاليد الشمال وثقافة الإسلام وتم فتح أندية الجنوبيين فى أواخر عام ١٩٤٢ فى الخرطوم وأم درمان كما أقيمت بيوت لاستضافتهم ومراكز استقبال لهم حتى لايفلتوا من أسر الكنيسة ويذوبوا فى المجتمع الإسلامى.

وفى عام ١٩٤٣ بدأت هذه الجهود تؤتى ثمارها، حيث تم تنصير وتعميد أول أربعة جنوبيين فى أم درمان، كما أخذ المد الكنسى يتصاعد مما مهد لظهور استراتيجية كنسية جديدة، واحتضنت المشروع كنيسة فى الشمال عمادها المنصرون من أهل الجنوب والنوبة المقيمين فى الشمال وهكذا وجد هؤلاء المنصرون الجدد بيئة كنسية جاهزة لاستقبالهم من كنائس فخمة ومدارس ومستوصفات وخبراء أوربيين.

وقد دفعت الهجرة الجنوبية، الكنائس البروتستانتية فى الشمال إلى أن تقوم بجهد مشترك لإقامة مركز مسيحى تعاونى فى أم درمان تتضافر فيه جهود المنظمات التبشيرية لمقابلة احتياجات الجنوبيين بجهد مشترك. وتتكون هذه المراكز من كنيسة وقاعة ونادى ومنزل للضيافة والإقامة ومنازل للقساوسة،وأنشئت مراكز على غرار هذا المركز فى مدن السودان الأخرى وقد اجتهدت الكنائس فى أن توفر للمهاجرين الجدد حلقات الأنس ومجالس التجمعات والمساعدات الاقتصادية والرعاية الطبية لعزلهم عن تأثير المجتمع الإسلامى. وبلغ عدد الجنوبيين فى الشمال عام ١٩٥٥ (٣١١) نسمة بينما وصلوا مع رفع علم الاستقلال فى عام ١٩٥٦ إلى ٥٦,٩٤٨.

تمت هذه الهجرة من الجنوب فى وقت شهد فيه شمال السودان تطورا سياسيا كبيرا وحدثا هاما ألا وهو ظهور الحركة الوطنية بأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية. وقد سبق قيام الحركة الوطنية تأسيس الجمعيات الثقافية والأدبية التى مهدت لهذا الحدث، حينما دعا الأستاذ أحمد خير المحامى فى عام ١٩٣٨ إلى قيام مؤتمر الخريجين، والذى أصبح المتحدث باسم طائفة المتعلمين واكتسب قوة وتأييدا. وجد المؤتمر نفسه منذ البداية فى مواجهة المد الكنسى فى ساحة العمل فى مجالات الثقافة واللغة والتعليم والسياسة. وفى ابريل ١٩٤٢، تقدم المؤتمر بمذكرة إلى حكومة السودان، اشتملت على المطالب الواردة أدناه:

١ـ إصدار بيان مشترك من قبل دولتى الحكم الثنائى بما يضمن منح السودان حق تقرير المصير.

٢ـ سودنة الخدمة المدنية والعسكرية.

٣ـ إعداد تشريع يتعلق بالجنسية السودانية وتعريفها.

٤ـ إلغاء قوانين المناطق المقفولة ورفع القيود المفروضة على التجارة وحركة السودانيين فى بلادهم.
٥ـ إلغاء الإعانات الممنوحة لمدارس الإرساليات.

وهكذا وجدت الحركة الوطنية نفسها فى معركة الهوية والثقافة مع الكنيسة وما تمثله من تعليم وخدمات اجتماعية واستراتيجيات لفصل الجنوب عن الشمال وخطط لتقويض المجتمع الإسلامى والثقافة العربية والذاتية الإسلامية. واستجاب مؤتمر الخريجين لهذا التحدى فى ندائه وجهوده لبناء المدارس الأهلية، وقد توافق مع ذلك خطاب سياسى وثقافى وغنائى، رافض لمدارس التبشير وحاثا على الانتماء لمعهد الوطن العزيز. وكان محتوى هذا الخطاب حث السودانيين على عدم إضاعة دينهم وتراثهم من أجل الانتماء لثقافة المبشرين والتعليم فى مدارسهم. وكانت أول ثمار هذه الحملة مدرسة أم درمان الأهلية والتى جاءت بعد حركة التعليم الأهلى التى عمت كثيراً من مدن السودان

ظهور حركة الإخوان المسلمين:

كان لتصاعد العمل الكنسى وسط المسلمين أثر غير مباشر فى التمهيد لظهور جماعة الإخوان المسلمين، فى محاولة لإيقاظ المجتمع الإسلامى السودانى حتى يتصدى لحركة الغزو الفكرى والثقافى والتنصيرى. وقد اتفق ظهور هذه الحركة مع إمعان الارسالية الأمريكية فى تنصير المسلمين، وكانت ثمرة هذا الجهد تنصير فتاة قاصرة تدعى «مندامت» وحينها علمت أسرة الفتاة بما حدث لابنتهم حاولوا ردها ولكن الكنيسة حملت الفتاة على الالتجاء إلى منزل أحد المبشرين الإنجليز. وهنا لم يجد والد الفتاة بدا من الاستغاثة بنادى الخريجين فى أم درمان، حيث ذهب إلى النادى وأخذ يصرخ فى ألم وحرقة "بنتى نصروها... بنتى عند الخواجة.؟ وحينها التف حوله الناس وخرجوا فى مظاهرة صاخبة.

ومايهم فى هذا المقام أن الرجل الذى تولى إعداد الحملة، حتى عادت البنت إلى ذويها كان المرحوم الشيخ على طالب الله وهو أحد أعضاء حزب الأشقاء والقائم على أمر جريدتهم. نبه الحادث الأستاذ على طالب الله إلى خطورة التبشير وفتح بصيرته على أن حركة التنصير أكبر من أن تستجيب لها الحركة السياسية بخطابها العلمانى. لذا لم يتردد فى دخول حركة الإخوان المسلمين فى منتصف الأربعينيات على إثر قدوم وفد من مصر مبعوثا من قبل الشيخ حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين وأصبح الأستاذ/ على طالب الله منذ ذلك الوقت مسئولا وقائدا لهذه الحركة فى السودان حتى دخلت حركة الإخوان طورا جديدا فى السودان فى عام ١٩٥٤م.

ومنذ نهاية الأربعينات أدركت الصفوة المستنيرة أن نشاط الإرساليات المسيحية ينطوى على إثارة الفرقة بين الجنوب والشمال ومعاداة اللغة العربية والثقافة الإسلامية وبث الكراهية نحو الشمال بين خريجى مدارس الكنائس من الجنوبيين. وأخذ الشماليون يتناقلون قصص الجنوب المؤلمة التى تحكى كيف أكره الشباب على تغيير إسمه ودينه، واتخاذ الأسماء الأوربية «كفيلب، وقرنق» وإلا فعليه أن يعرف نفسه بالأرقام كرقم ٣٩ ، ٤٩ حتى يختار لنفسه اسما أفرنجيا.

وبدأت حركة الإرساليات فى اتجاه المد التنازلى، مع قيام الجمعية التشريعية، حيث أصبح السيد عبدالرحمن على طه أول سودانى يتبوأ رئاسة وزارة التعليم، وفرض على الإرساليات تدريس اللغة العربية فى مدارسها بجنوب السودان.

الفصل السادس

الإرساليات:من بذر الكراهية إلى ثقافة الحرب ١٩٥٥ - ١٩٨٦م

مدخل تاريخ نقدى :

دارت علاقات إنسان أوربا الأبيض مع إفريقيا من خلال محورين : المحور الأول محور الاستعمار وما صاحبه من احتلال بقوة السلاح والنار وماتبعه من شركات وإدارات استهدفت إنسان إفريقيا واستنزفت خيرات أرضه وأورثته التبعية للتوجه الاوربى . والمحور الثانى محور الإرساليات وجيوش المبشرين ، التى استهدفت عقل الإنسان الإفريقى وثقافته حيث عمدت إلى قهر روحه وقطعت طريقه إلى الإسلام والثقافة العربية فاورثته خواء روحيا وفراغا ثقافيا .

شغلت الإدارة الانجليزية فى السودان ببناء هذا النظام الاستعمارى وعمدت الإرساليات إلى منحها التأييد الأدبى والدعم الروحى . . . وأخذ نفوذ الإدارة الاستعمارية فى التضاؤل منذ الاربعينات وبدأت جادة فى الإعداد للرحيل فى مطلع الخمسينيات ، لكن أمل البقاء فى السودان ظل يداعب حركة الإرساليات على الرغم من أن الثقافة الكنسية وتاريخها خلال الحقبة الاستعمارية كانت تمثل النقيض للثقافة السودانية بمضمونها العربى الإسلامى الإفريقى بل طرحت الثقافة الكنسية نفسها بديلا للديانة الإسلامية واللغة العربية والأعراف الإفريقية .

لقد سعت الإرساليات إلى تغيير ملامحها وتعديل أهدافها طمعا فى مواصلة البقاء فى السودان .

فكُيِّفَ شكلُ الكنيسة وفقا لملامح المكان وإحاطتها بجو من التقاليد المحلية وأُحِلَّت القوة البشرية الإفريقية مكان المنصرين الاوربيين البيض ، وكان تمرد أغسطس عام ١٩٥٥ ثمرة من ثمار هذا الجهد التنصيرى الذى تم التخطيط له بدقة وبراعة منذ مطلع القرن ، بالتعاون مع الإدارة البريطانية الحاكمة التى عمدت إلى بناء فصائل عسكرية ، صيغت عقول أفرادها ونفسياتهم فى معاهد الإرساليات .

لقد شرع الجنرال ونجت الحاكم العام منذ عام ١٩١٠ فى بناء الفرقة الاستوائية على أساس دينى من العناصر الإفريقية التى تم تنصيرها ، حتى تكون أساسا لجيش يمكن

استعماله ضد أى انبعاث يحمل توجهات الإسلام الجهادية فى الشمال[96] واستمرت سياسة عزل العناصر الإسلامية من دخول هذه الفرقة التى تشبعت بالروح الكنسية واتخذت عادات حربية وأسماء والقاباً لاتمت إلى واقع السودان بصلة كما تمت تعبئتهم باستمرار ضد الثقافة العربية وضد الإسلام وغذيت أدمغتهم بالعداء ضد إخوانهم فى الشمال واحاطوا الرجل الابيض بولائهم وقد صور اليهم انه انما جاء لحمايتهم وانتشالهم من هجمة تاجر الرقيق الشمالى وكان طبيعيا أن يكون على استعداد لمواجهة الشمال يوم يغادر البلاد حماتهم البريطانيون وهكذا مثلت الفرقة الاستوائية أول تحد يجابه السودان قبل إعلان استقلاله بأربعة أشهر بذلك التمرد الذى قادته الفرقة الاستوائية على النحو الذى نعلم لأسباب مازالت مجهولة، ربطها البعض بوصول برقية زائفة تكلمت عن إبادة منتظرة للجنوبيين، وربطها آخرون بالانتقال المفاجىء فى قيادة الفرقة من الضباط الانجليز إلى الضباط السودانيين وعزاها آخرون إلى روح السخط والإثارة والتعبئة التى وجهتها إذاعة القاهرة إلى الجنوبيين، انتقاما من الأزهرى الذى نكص عن وعده بالوحدة مع مصر.

كان معظم المتمردين فى الفرقة البالغ تعدادها ١٨٠٠ مجندا من المنصرين المعمدين المنتمين إلى قبائل الفرتيت وكان من بينهم مائة مجند ينتمون إلى قبيلة الدينكا وانتمى معظم قادة التمرد إلى المذهب الكاثوليكى وكان من أبرز المنتمين إلى هذا المذهب الملازم رينالدو لويلا - القائد الميدانى والمنظم والمنظر للعملية ساترلينو أوليو - وشاركهم فى ذلك أمين حزب الأحرار فى جوبا ماركو روم وهو كاثوليكى، ودانيال جومى المذيع الذى كان يذيع من راديو القاهرة ويلهب حماس الجنوبيين فى اتجاه الثورة على الشمال.

استطاعت السلطات السودانية محاصرة التمرد والقضاء على عدد من قادته كما تم حل فرقة الاستوائية، وبلغ العدد الكلى لضحايا التمرد ٢٦١ جلهم من المدنيين اطفالا، ونساء، وتجاراً، ومعلمين، كما قام الحاكم العام الانجليزى بإغلاق كل المدارس فى الجنوب، فى ظل مناخ التمرد، حتى تمت إعادة فتحها على يد السلطات الوطنية بعد إعلان الاستقلال فى عام ١٩٥٦، وبرغم ذلك فإن الثورة التى تقف خلف التمرد، حققت أهدافها، إذ كان التمرد نقطة تحول فى تاريخ العلاقات الشمالية - الجنوبية، كما أنّ القوة المعادية للسودان، أعطت التمرد مفهوما وطنيا كان بمثابة زاد لحركات التمرد والخروج على السلطة فى المستقبل، كما أن الأفراد الذين هربوا للغابة والدول المجاورة تجنبا للمساءلة القانونية، احتضنتهم الكنائس وغذتهم لاحتمالات المستقبل واتخذتهم رصيدا لحركة الثورة والتمرد ضد الشمال، فى محاولة لارتهان السيادة السودانية وتعطيل قرارها الوطنى. لقد عجزت الحركة السياسية الجنوبية (وهى الواجهة السياسية لحركة الفرقة الاستوائية) عن إدانة التمرد وقتل المدنيين الأبرياء،

96- Collins: Shadows. P 168

وربما كان ذلك أمراً مفهوماً لأنها نهلت من ثقافة الإرساليات أى من ذات المصدر الذى غذى حركة التمرد. كذلك لم تبد الكنيسة أى تعاطف مع السلطة الوطنية الجديدة، بل لجأت للتشكيك فى كل خطواتها ومحاولاتها لفرض سلطانها على الشمال والجنوب على حد سواء وخاصة فى مجال التعليم والتوجه الحضارى العام.

وفى عام ١٩٥٥، تكونت خلية سياسية ضمت كلا من بوث ديو وهو من النوير وينتمى إلى البروتستانت وستانسلاوس بياساما[٩٧] كاثوليكى من الدينكا وعبد الرحمن صالح وهو مسلم جنوبى. لم ترضخ هذه المجموعة لحركة الكنيسة وكونت فيما بعد حزب الوحدة برئاسة سانتينو دينج[٩٨] وشملت عضويتها فلمونت ماجوك وامبروز وول إلى جانب من سلف ذكرهم ولكن المجموعة المتطرفة التى تسندها الكنائس استطاعت أن تسود فى ساحة الجنوب بما لها من إمكانات تمثلت فى شبكة الكنائس والمدارس ودور الرعاية الكنسية وما تملكه من موارد مالية على امتداد الجنوب.

أخذت الحركة السياسية الجنوبية المناوئة للشمال تبحث عن أسباب تصلها بحركة التمرد التى فجرته أحداث ١٩٥٥ وركزت على العمل فى المنفى.

وفى عام ١٩٥٧ بدأ الكاثوليك حملة صحفية وسياسية على حكومة السودان زاعمة أن الحكومة تعمل على الحد من نشاط الكنيسة، كما امتنع الكاثوليك عن مباركة توحيد مناهج التعليم بين الشمال والجنوب وعارضوا تأميم مدارس الإساليات، ومنذ عام ١٩٥٩ وبعد أن استولت القوات المسلحة على السلطة فى السودان بدأت الحركة السياسية الجنوبية الموجودة فى المنفى تنتهج أسلوب حرب العصابات، فى مواجهة الحكومة، ولجأت السلطات السودانية بالمثل لتقييد حركة المبشرين الأجانب والحد من التسهيلات الممنوحة لهم بما فى ذلك منحهم تأشيراد الدخول للبلاد استنادا إلى أن عددهم يزيد عن الحاجة لهم بعد تأميم مدارسهم فى الجنوب.

وفى عام ١٩٥٩ تم اعتقال قس كاثوليكى ونائب سابق ينتمى لقبيلة الدينكا يسمى دومنينك موريل، وهو يحاول الهروب من البلاد للمساعدة فى قيادة حركة التمرد. وفى عام ١٩٦٠ أعلن يوم الجمعة عطلة أسبوعية فى الجنوب فى محاولة لتوحيد حركة العمل فى الشمال والجنوب. فعارض القساوسة هذا الإجراء وعلى الأخص الكاثوليك منهم أمثال دوجالى

٩٧- استانسلاوس عبدالله بياساما، ولد فى بنديسى فى دارفور فى عام ١٩٠٥ وأخذه الكاثوليك منذ صغره، وتعهدوه بالرعاية فى مدارسهم بواو وأصبح أول رئيس لحزب الأحرار كما صار نائبا فى أول برلمان.

٩٨- سانتينو دينق تينج من دينكا بحر الغزال. أصبح وزيرا للثروة الحيوانية فى الفترة ٥٨- ١٩٦٤، وقد اجتهد فى محاربة حركة التمرد حيث كون الحرس الوطنى.

هورى[٩٩] وأثاروا الجنوبيين ضد إعلان يوم الجمعة عطلة مما أدى إلى زيادة زخم حركة التمرد وقد ردت الحكومة على ذلك بإغلاق بعض مراكز الكاثوليك ومنع المبشرين من الاشتغال بالتجارة كما صادرت عددا من المؤسسات الاقتصادية ، أدى ذلك لازدياد ظاهرة الهجرة إلى دول الجوار الإفريقية يوغندا - زائير - إفريقيا الوسطى والانضمام لحركة المتمودين وكان أبرز قادة حركة التمرد وقتئذ هو الأب الكاثوليكى ساترينو وكان بمثابة الأب الروحى الذى لجأ الى يوغندا فى ديسمبر ١٩٦٠ ، حيث انضم إلى حركة التمرد التى التف حولها ٨٠٠ من الجنوبيين . وكان معظم المتمردين وقتئذ يحسون بالضياع إذ أنهم كانوا يفتقرون إلى المهن التى تؤمن معيشتهم وإلى التعليم الذى يؤهلهم للعمل وإلى القائد الذى يوجههم فانخرطوا فى أعمال حرب العصابات بتكلفتها النفسية والبدنية المرهقة نتيجة للتعبئة الكنسية وبحثا عن الطعام والهوية . دفع الأب ساترينو رابطة السودان المسيحية لأن تشق طريقها لدوائر الكنيسة العالمية حيث وفرت احتياجات المتمردين من الغذاء والكساء والعلاج وبعض السلاح كما تم التنسيق بين حركة الكنيسة فى الداخل والمتمردين ، مما أدى إلى تصاعد حركة التمرد .

وفى هذه الفترة ترك عدد من قادة الخدمة العامة فى الجنوب مناصبهم وانضموا إلى حركة التمرد وكان أبرزهم وليم دينق[١٠٠] وفى فبراير ١٩٦٢ كون قادة التجمع المسيحى اتحاد المناطق المقفولة السودانى الإفريقى فى كنشاسا عاصمة زائير وطغى الكاثوليك على التنظيم الجديد حيث أصبح الاب ساترينو راعيا للتنظيم وجوزيف أدهو - كاثوليكى من اللاتوكا - رئيسا له وماركو روما نائبا للرئيس ، ووليم دينق أمينا عاما وفى عام ١٩٦٣ وبعد أن أفرج عن

٩٩- ساترينو لاهورى قس كاثوليكى من قبيلة اللاتوكا شرق الاستوائية . قضى معظم حياته فى يوغندا ودرس فيها اللاهوت - أصبح أحد نواب حزب الأحرار فى الجمعية التأسيسية فى انتخابات ١٩٥٨م . وقاد موكب النواب الجنوبيين منسحبا من لجنة الدستور ولجأ إلى يوغندا فى عام ١٩٦٠ بعد انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ حيث قاد عدة حركات مقاومة ذات طابع مسيحى ، ولقى مصرعه على يد الجنود اليوغنديين عام ١٩٦٧ نظرا لعلاقاته بالكنيسة الكاثوليكية اليوغندية والحركة السياسية الكاثوليكية فى صراعها ضد الحركة السياسية اليوغندية ذات الكيف البروتستانى والتى كان يقودها الرئيس اليوغندى ملتون أبوتى .

١٠٠- وليم دينق (١٩٣٠ - ١٩٦٨) ينتمى لدينكا بحر الغزال ودرس فى معاهد الكنيسة الاسقفية الانجلكانية ومدرسة رومبيك الثانوية الحكومية وانضم للخدمة المدنية فى عام ١٩٥٤ حتى وصل منصب نائب المفتش لمنطقة كابويتا عام ١٩٦٠ . وكان معروفا بآرائه الوحدوية ، كتب مقالا دعا فيه إلى التكافل الكامل مابين الشمال والجنوب ومهما يكن فقد ذهب ابتداء من عام ١٩٦١ إلى المنفى وكتب كتابا عن مشكلة جنوب السودان .

دومنيك ميروال من السجن هرب عابراً الحدود ليحل محل ماركوروما نائبا للرئيس، واستطاعت القيادة الجديدة أن تلهب خيال قادة الكنائس على امتداد العالم وتسخر إمكانيات الكنيسة العالمية والمحلية لخدمة حركة التمرد. كما غضت السلطات اليوغندية - حيث يتعاظم نفوذ الكنائس - أعينها عن نشاط حركة التمرد ضد السودان. ويسرت الكنائس لحركة التمرد حرية الحركة كما منحتها التغطية الإعلامية والمنح الدراسية فى إفريقيا وأوربا مما أغرى الكثير من الطلاب إلى الفرار.

وقد ظهرت آثار هذا الترويج لحركة التمرد فى الصحافة العالمية عامة والكنسية بوجه خاص فى فترة مابعد ١٩٦٠[١٠١]

وفى ١٩ سبتمبر ١٩٦٣، انعقد مؤتمر لإعادة تنظيم الجناح العسكرى للحركة، ووقع الاختيار على العميل ايميلونا فنج - وهو ضابط صف كاثوليكى، عمل فى الفرقة الاستوائية لفترة قبل انخراطه فى حركة التمرد واتخذ الجناح العسكرى اسم انانيا، وكان أكثر الفصائل العسكرية نشاطا الفيلق الذى يقوده المبشر الكاثوليكى بيرناردينو موى الذى ينتمى إلى قبيلة الدينكا والذى قاد عملية الهجوم الجريئة على معسكر الجيش فى واو ١١ يناير ١٩٦٤وقد اعتقل الملازم ليبرناردينو وقدم للمحاكمة التى أصدرت عليه حكم الإعدام حيث شنق فى ٢٣ فبراير ١٩٦٤. و وجد فى حوزته حين اعتقل خطابا من وليم دينق الذى أصبح رئيسا لحركة حزب سانو.

فى فترة مابعد ١٩٦٠ بزغ نجم حركة حزب سانو، حيث جابت قيادة الحزب أوربا وامريكا وقامت بإجراء مفاوضات مباشرة مع منظمات الإغاثة العالمية، والصليب الأحمر، ومنظمات الاغاثة الكاثوليكية وإرسالية أوكسفام المسيحية، كما قام مجلس الكنائس العالمى بتقديمهم إلى المنظمات الاسكندنافية المسيحية،وفى عام ٧٢ تمثلت استجابة الحكومة

١٠١- نثبت هنا نماذج لهذه التغطية: صدرت جريدة The Tiding الكاثوليكة ١٩٦٠/١٠/ قادة الإرساليات يتكلمون عن القلاقل فى جنوب السودان وجاء فى جريدتى الكاثوليك ستاندرد والتايمز بتاريخ ١١/١١/١٩٦٠ المحاكم السودانية تحاكم قسا بتهمة الخيانة العظمى وقالت جريدة الكاثوليك تلجراف رجستر بتاريخ ١٨/١١/١٩٦٠ أعداء الكاثوليك فى السودان يتمنون سقوط كنيدى ومجلة نيوز سيرفس الصادرة فى ١٦/١٠/١٩٦١ والصادرة ١٠/١٠/١٩٦٢ اضطهاد الكاثوليك فى السودان يبلغ مراحلة الأخيرة فى حكومة السودان المسلمة تخطط للقضاء على المسيحية بالوسائل العسكرية.

أما حريدة الكاثوليك هيرالد الصادرة فى ٦٢/١٢/٢٨ فقد حملت خبرا بعنوان «السودان يصعد حملاته على الإرساليات».

السودانية فى صدور قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢، الذى نظم حركة المبشرين بحيث يمكن محاسبتهم وإخضاعهم للمساءلة الإدارية والقضائية كما عمد القانون إلى مساعدة حركة السودنة[١٠٢] فى الكنيسة.

جاءت أشد ردود الفعل ضد سياسات حكومة السودان من الكنيسة الكاثوليكية، حيث عبأ الفاتيكان صحافة العالم. وفى ابريل ١٩٦٣ صدر مطبوع آباء فيرونا Nigrizia كله عن جنوب السودان وفى ابريل ذاته ١٩٦٣ صدر كذلك مطبوع إرسالية آباء فيرونا فى أمريكا بعنوان نداء الحدود Frontier call والذى يطبع فى الولايات المتحدة كله عن السودان ومما ورد الآتى: «جنوب السودان عبارة عن سجن ضخم يفر منه كل من يقدر على الفرار من السجناء .... يجب أن تزول المسيحية عن جنوب السودان لأن وحدة السودان غير متصورة اذا لم يصبح السودان مسلما إلى آخر مواطن فيه. هذا التجاهل الفاضح لحقوق وحريات المواطنين ما يزال ساريا حتى اليوم فى السودان.»

وامتدت الحملة ضد السودان، مستعينة بعدد من رؤساء الدول الإفريقية، وأصبح الكلام عن السودان، كبش الفداء، لرئيس ملاوى كاموزا باندا، الذى تفادى الضغوط حول موقفه من نظام التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقيا قائلا: «إذا كان على ملاوى أن ترسل مرتزقة، فسترسلهم إلى السودان، حيث يقوم العرب بجزر نوعنا الإفريقي.»[١٠٣]

وفى عام ١٩٦٣، امتدت حركة التمرد إلى الأنواك والنوير فى منطقة الناصر. وقد أشارت أصابع الاتهام إلى المبشر الأمريكى القس دون ماك كلور Don Mac Clure وكان هذا القس الذى ينتمى إلى الإرسالية الامريكية الإنجيلية، مدعوما من قبل الإمبراطور هيلاسلاسى، ليتكامل نشاطه فى السودان مع نشاطه فى وسط نوير أنواك باثيوبيا[١٠٤] وكانت البعثة الامريكية فى الناصر معروفة بعدائها واستخفافها بالتوجهات الحكومية، مما كلفها إبعاد تسعة من مبشريها ولكن القس ماك كلور نقل رئاسة إرساليتها إلى الحدود الاثيوبية ومن هناك باشر عمله عبر خطوط السودان الطويلة بصورة غير شرعية، مستغلا عدم قدرات الأمن السودانى على تغطية الحدود وحركة القبائل. فى ذات الوقت استطاع الآباء الكاثوليك تطوير نظام مراقبة واستخبارات - بحكم وجودهم الكثيف فى الجنوب - فى المدارس والكنائس، حيث استطاعوا تغذية حركة التمرد بالمعلومات عن قدرات الجيش وحركته[١٠٥] كما أصبحت هذه

١٠٢- اعتمدت أساسا فى بناء معلوماتى حول تطور حركة المقاومة فيما بعد الستينات على:

Edgar O' Ballange, The Secret War in the Sudan 1958- 62. L. 170 1970.

١٠٣- Quoted in Beshir Mohammed Said, The Sudan: Cross Roads of Africa, 1965. P. 109.

١٠٤- Sanderson, Education P. 390

١٠٥- Ibid

المؤسسات أدوات للتعبئة والتثقيف السياسى وحلقة وصل بين المتمردين ورجال القبائل.

ومع أن الحكومة لم تك تملك البينات القضائية الكافية لتقديم المبشرين للمحاكمة، إلا أنها كانت تملك المؤشرات الكافية بأن المبشرين الأجانب يغذون حركة التمرد ويؤون رجالها ويقدمون لها الزاد الفكرى، مما جعل وجودهم يشكل خطرا على مستقبل العمل العسكرى ضد حركة التمرد لذا لم يك من المستغرب أن تصدر الحكومة قرارها القاضى بالغاء الإذن الذى منحتهم به حق البقاء والعمل فى جنوب السودان وبلغ عدد الذين منحوا الإذن ٢٤٢ مبشرا أجنبيا، منهم ٢١٤ من الكاثوليك و٢٨ من البروتستانت.[١٠٦]

العمل التنصيرى من مرحلة الانطلاق إلى بوادر الانحسار ١٩٦٤ - ١٩٧٣ :-

وافق مجلس الوزراء فى ٢٧ فبراير ١٩٦٤ على الآتى :-

١/ إبعاد كل المبشرين والقساوسة الأجانب . . . بالمديريات الجنوبية .

٢/ اتخاذ الإجراءات اللازمة للمساعدة فى سودنة الكنيسة، وذلك بمنح المساعدات للقساوسة السودانيين لتأهيلهم لمختلف الوظائف الدينية.

٣/ تقييد عمليات التجار الأجانب فى الجنوب بحيث لاتتجاوز مستوى العواصم والمراكز الإدارية.

كما أوضح مجلس الوزراء الأسباب التى دعته لاتخاذ هذه الإجراءات وهى :

١- عمل المبشرين الدءوب خارج وداخل السودان على إشاعة عدم الاستقرار وزعزعة الأمن الداخلى للبلاد عن طريق نشر المعلومات الكاذبة ضد الحكومة، وتحريض المواطنين على ترك البلاد للانضمام لحركة المقاومة وإثارة الطلاب وحضهم على الشغب والاعتداء على أساتذتهم وكذلك إيوائهم للمتمردين مع منحهم الغذاء والدواء.

٢- تدخل المبشرين الأجانب فى الشئون الداخلية للبلاد وانغماسهم فى السياسة المحلية وتحريضهم الجنوبيين لفصل الجنوب، وحضهم على الثورة ضد تغيير العطلة الأسبوعية من الأحد إلى الجمعة، وحثهم الجنوبيين على مكافحة استيطان الشماليين فى الجنوب بالإضافة إلى محاولاتهم التأثير على توجهات وميول الناخبين.

١٠٦- حسب رواية الكتاب الأسود للسودان - إجابة والذى أصدره الفاتيكان حول إجراءات الطرد العامة للمبشرين الأجانب، فإن العدد قد ضم المبشرين الذى كانوا فى إجازات فى أوربا وعليه فمن تم طردهم فعلياً أقل من ذلك.

٣- انتهـاك قوانين البلاد بالمتاجرة غير المشروعة فى الأدوية دون الحصول على ترخيص بذلك، وتدريس المسيحية لأبناء المسلمين وتعميدهم دون أخذ موافقة ذويهم.

أكملت الحكومة إجراءات إخلاء جنوب السودان من المبشرين الأجانب خلال أحد عشر يوما، أي مابين ٢٧ فبراير الى ٨ مارس ١٩٦٤.

صعقت الفاتيكان بهذه الإجراءات الحاسمة السريعة إذ لم يرد فى خاطر إدارة الفاتيكان، أن تجرؤ دولة لايتجاوز عمرها الثمانى سنوات على تحدى الفاتيكان الذى تحرك أصابعه كثيرا من الأنشطة فى دول العالم الكبرى. لقد ارتكبت إدارة الفاتيكان حماقة التقليل من شأن قدرات الإدارة الوطنية على المواجهة والمجابهة، وشنت على حكومة السودان حملة سياسية وصحفية جائرة وغير مبررة بكل المقاييس، إذ كان السودان يسعى دائماً لمعاملة القساوسة بالحسنى ومنحهم من الامتيازات مالم يمنحه لرؤساء المنظمات الدينية الإسلامية. فاستمتع القساوسة بتذكرة السفر المخفضة وبالإعفاء الضريبى على أمتعتهم وأمتعة كنائسهم بالإضافة إلى منحهم حرية التنقل فى أرض السودان الواسعة.

بدأت حملة الفاتيكان ضد السودان، حينما جمع وزير التعليم قادة الكنائس وبلغهم عزم الحكومة على توحيد المناهج التعليمية فى جنوب البلاد وشمالها، مما يقتضى وضع يد الحكومة على جميع المدارس. امتنع الكاثوليك من التعاون مع الحكومة، متعللين بأنّ مدارسهم تعتبر ملكا للفاتيكان وأن الفاتيكان وحده المسئول عن قبول أو رفض العرض السودانى، وهكذا جعلوا الفاتيكان فوق القانون السودانى، وممتلكات الكنيسة فوق السيادة الوطنية، علما بأن المؤسسات لم تؤسس بطلب الفاتيكان ولم يكن هناك تمثيل دبلوماسى أو معاهدة بين السودان والفاتيكان وإنما أقيمت بطلبات عادية وفى بعض الأحيان كانت بمثابة هدية حكومية، وعلى أية حال لم تجد الحكومة استحالة مادية فى إمضاء قراراتها. أما البروتستانت، فقد كانوا أكثر تعاونا حيث علق ممثل البعثة الامريكية المسيحية. قائلا: إن مثل هذه الأشياء تحدث فى كل مكان.

ولقد أدى سلوك الكاثوليك ونظرتهم العدائية لمختلف الحكومات الوطنية فى السودان والتى كانت بكل المقاييس شديدة التسامح مع مؤسسات التنصير، إلى قناعة شاملة لدى مختلف القيادات السياسية والوطنية أن الكنيسة لاتهتم بمصلحة السودان ولاتقيم كبير احترام لقيادته.

لقـد رحبت كل القيادات السياسية المـوالية والمعـارضة لنظام الفريق عبود بقرار إبعاد المبشرين الأجـانب باعتبـاره خطوة فى سبيل رد هيبة السلطة واستشعار الكرامة الوطنية، وظلت الصحـافة الكنسية طيلة الفترة ٥٤ - ١٩٦٤ تردد فرية أن السودان يسعى لفرض الإسلام ومحو المسيحية، بينما كانت تعلم حق العلم أن القيادة السودانية، قيادة علمانية وأنها

لم تفعل شيئا أكثر من محاولة لإقامة توازن بين المسيحية والإسلام وذلك بإتاحة فرص متكافئة للإسلام والمسيحية فى مجال الدعوة والحركة فى جنوب السودان.

فشلت الكنيسة فى تغيير عقلية ما قبل الاستقلال، حيث كانت صاحبة الأمر والنهى فى الجنوب، وحيث كانت تنظر لنفسها أنها صاحبة الأرض وأن الإسلام مجرد دين دخيل يجب محاصرته وإبعاده ومع كل حركات الابعاد التى تمت فقد أبقت السلطات الوطنية مائتى مبشر أجنبى فى شمال السودان، لإدارة حركة السودنة والإشراف على ممتلكات الكنيسة فى الشمال وإدارة شئون عشرة الاف طالب مسجلين فى مدارسها ومعظمهم من المسلمين.

رد فعل الإدارة البابوية:

حاول الفاتيكان أن يعمل شيئا فى معركته الخاسرة ضد حكومة السودان، وفى العاشر من مارس ١٩٦٤، استقبل البابا القساوسة المبعدين وخاطبهم قائلا: لقد تابعت بغم شديد كل تطورات الموقف، الذى بلغ هذا الحد من التأزم العظيم...... نريد أن نحفظ الذكرى ونصبر فى الحال على أملنا فى أن السلطات السردانية ستعيد النظر من كل القضية بموضوعية وهدوء.[١٠٧]

كما رفع المطران مازولدى، مطران جوبا السابق مع آخرين مذكرة إلى وزير الداخلية بتاريخ ٨ مارس ١٩٦٤ جاء فيها «نحن الموقعين على هذه المذكرة سبق أن عيننا البابا لرئاسة إدارات الكنائس المحلية فى الجنوب، ومانزال قائمين على هذه الإدارات حتى ولو تم إبعادنا، إلى أن يقرر البابا أمرا آخر ....

لقد ذكر سيادتكم مؤخرا أن المبشرين انغمسوا فى حملة شهيرة عمدت إلى نشر الأكاذيب وتحريف الحقائق. إننا نفترض أن معاليكم يشير إلى الصحافة العالمية التى تجد تقديرا كبيرا فى الأقطار الحرة. وبجانب ذلك فإن المبشرين المبعدين، متى ماقامت الصحافة بتوجيه الأسئلة لهم، فإنهم بالضرورة سيقولون الحقيقة كما لمسوها.»[١٠٨]

وقد أشار الكاثوليك، بأنهم لم يمنحوا الوقت الكافى لإغلاق كنائسهم وتسليمها. كما لم يكن هناك أى وقت لإنجاز أى شىء ولكن اختلفت رواية المبشرين التابعين لإرسالية غردون التذكارية: «لقد كان هناك ثلاثة مبشرين بزوجاتهم يمثلون إرسالية غردون التذكارية فى كل

١٠٧- Pope address to the expelled Missionaries., The Black Book of the Sudan PP. 193 - 4.

١٠٨- المصدر السابق ص ٢٠٠ - ٢٠٢.

الحالات فى وقت أمر الإبعاد، وفى جميع الحالات، فقد منحوا الوقت لحزم أمتعتهم الخاصة وعليه فإننا ندين بالعرفان للسلطات على ذلك».

وفى مذكرة أخرى ذكر الكاثوليك المبعدين بأن السلطات أبعدتهم لأنها لاتريد أن تترك أى دليل على مدى العنف والقمع والانتقام الذى قامت به الشرطة العربية والعساكر ضد سكان المناطق المقفولة الأبرياء وهو عمل يشبه حرب الإبادة من الناحية الفنية[109] كما رفع البابا مذكرة للأمم المتحدة مطالبا بتدخلها، ولكن الحكومة السودانية صمدت أمام كل الضغوط باعتبار أن قضية إعادة المبشرين الأجانب المبعدين قضية خاسرة لاطائل من فتحها أو إثارة الضجة حولها.

وحينما فشلت ضغوط الكنيسة فى إجبار الحكومة السودانية على تعديل قرارها، بدأت الكنيسة حملة أخرى ركزت على إفريقيا بقصد حشد الرأى الإفريقى ضد السودان وإشاعة مقولة الاستعمار العربى الإسلامى[110]. كما انخرط عدد من القساوسة المبعدين فى حملة نشطة ضد السودان، كذلك بدأ عدد من القساوسة المبعدين يعود إلى البلاد التى تدفق إليها اللاجئون السودانيون مثل يوغندا وزائير وإفريقيا الوسطى، حيث أقاموا معهم.

تزامن طرد المبشرين مع هجرة بشرية واسعة من الجنوب إلى دول الجوار الإفريقى، وهبت الكنائس والمنظمات المسيحية لدعم حركة هذه الهجرة وتوفير مستلزماتها من إغاثة وخدمات اجتماعية وتعليمية، وقد وضح أن ٧٠٪ من المهاجرين ينتمون شكليا الى الكنيسة الكاثوليكية.. والجدول التالى يوضح أعداد توزيع اللاجئين فى الفترة : ١٩٦٤ - ١٩٦٨م

اسم القطر المضيف	يناير ٦٤	يناير ٦٥	يناير ٦٦	يناير ٦٧	يناير ٦٨	يناير ٦٩
زائير	٨٬٠٠٠	٨٬٠٠٠	٢٢٬٠٠٠	٣٠٬٠٠٠	٤٠٬٠٠٠	٦٥٬٠٠٠
افريقيا الوسطى	-	٣٠٠	١٧٬٥٠٠	٢٧٬٠٠٠	٢١٬٠٠٠	١٩٬٠٠٠
يوغندا	٥٬٠٠٠	١٢٬٠٠٠	٤٤٬٠٠٠	٥٥٬٠٠٠	٦٠٬٠٠٠	٧١٬٥٠٠
اثيوبيا	-	-	-	-	-	-
الجملة	١٣٬٠٠٠	٢٠٬٣٠٠	٨٣٬٥٠٠	١٥٥٬٥٠٠	١١٢٬٠٠٠	٦٦٬٥٠٠

109- Said, sudan, op. cit P. 106

١١٠- المصدر السابق ص ١٠٦

رد فعل الكنيسة الانجليزية :

جاء توقيت الكنيسة الإنجليكانية لرد فعلها متزامنا مع زيارة الرئيس السودانى الفريق إبراهيم عبود إلى بريطانيا فى مايو ١٩٦٤، حيث صرح الأمين العام الجمعية إرسالية الكنيسة التبشيرية د. جون تايلور Dr. John Taylor بأن أعضاء الجمعية التبشيرية يحسون بالضيق والاشمئزاز من أن تستقبل الحكومة البريطانية وفد السودان، والأدهى والأمرّ أن يكون ذلك مصادفة فى دير ويستمنستر، إن طرد المبشرين يمثل إهانة لحقوق الإنسان الأساسية وحرياته.[111]

وبينما استمر التأزم فى علاقات الكنيسة مع الحكومة شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن ياتى القضاء على نظام الفريق إبراهيم عبود، من أكثر الجهات توجسا من المخططات الكنسية وذلك، هو اتحاد طلاب جامعة الخرطوم، الذى كان يسيطر عليه الاتجاه الإسلامى فى ذلك الوقت.

وقد تصدى الاتجاه الإسلامى لطرح قضية الجنوب على بساط البحث رابطا إياها بقضية استعادة الديمقراطية والحريات فى البلاد. وقد تصاعدت الحملة خلال أسابيع من حلقات نقاش إلى موت طالب، إلى انتفاضة شعبية عامة مطالبة بحل الحكومة. وفى ٣٠ اكتوبر ١٩٦٤ تم تشكيل حكومة مدنية انتقالية برئاسة السيد سر الختم الخليفة.

تلكأت حركة التمرد الجنوبية التى كانت منقسمة على نفسها فى الاعتراف بالوضع الجديد فى السودان، وقد عزا البعض ذلك إلى انتقال السلطة السياسية إلى المدنيين بشكل مفاجىء

١١١ـ انظر جريدة التايمز اللندنية، ٢٥/٥/٦٤ تحت عنوان رد فعل غاضب على زيارة سودانية كما حملت صفحات التايمز ٢١/٧/٦٤، خبرا مفاده أن السودان وافق على استقبال المبشرين الأجانب وفى ٢٠ يوليو أعلن وزير خارجية لبنان أنه ـ بمقتضى وساطة لبنان سيتم اعادة ثلاثة قساوسة كاثوليك للسودان. . . . . .

من أمثلة الحملة الصحفية ماورد فى صحيفة الكاثوليك هيرالد، ١٣/٣/٦٤ مطرودين كالابقار خارج السودان وفى يوم ٣/٤/٦٤ مذبحة فى انتظارهم فى جنوب السودان، جريدة غرب النيل الكاثوليكية، مايو ٦٤، القضاء على المسيحية وجريدة Leader ٢/٥/٦٤ السودان وسياسات الذبح الجماعى الخ.

سريع فى وقت دخلت فيه الكنيسة فى حوار مع السلطات العسكرية بمساعدة حكومة لبنان الكاثوليكية.

ابتداء من فبراير ١٩٦٥، أخذت الأحوال السياسية فى التبدل إذ قامت الملكة اليزابيث بزيارة السودان فى ١٠ فبراير ١٩٦٥ فى ظروف صراع حزبى وعدم استقرار داخلي، بينما كانت أوضاع حركة التمرد تعانى من التمزق والتفكك والصراع بين العسكريين والمدنيين من ناحية ومابين الكاثوليك وغير الكاثوليك من ناحية أخرى زد على ذلك الصراع العرقى والقبلى، بالإضافة إلى تأثيرات القوى الضالعة فى حرب جنوب السودان ومحاولتها بناء محاور للولاء وسط الحركة كإسرائيل وفرنسا وايطاليا وبلجيكا ودول اسكندنافيا. تكون حزب جبهة الجنوب فى الخرطوم فيما بعد الانتفاضة مباشرة تحت قيادة كلمنت أمبورو وهو من كاثوليك البلاندا وأصبح فيما بعد وزيراً للداخلية. ومع أن زيارة الملكة اليزابث باعتبارها رئيسة للكنيسة الإنجلكانية قد هدأت الانجلكان، إلا أن حملة الكاثوليك الصحفية تواصلت، حيث نشرت صحيفة الكاثوليك هيرالد فى ٢٧ أغسطس ١٩٦٥، مقالا حول السيف والنار فى السودان فى ١٩٦٥/١٠/٢٥ وتكلمت حول رهان إجلاء المسيحيين عن السودان..

وفى فترة الانتخابات للجمعية التأسيسية ومابعدها، طغت على الساحة شعارات الدستور الإسلامى وإحلال السلام فى الجنوب. وفى منتصف مارس ١٩٦٥ كللت محاولات الأحزاب فى إيجاد منبر للحوار مع الجنوبيين بالنجاح وذلك عندما افتتح مؤتمر المائدة المستديرة ١٦ مارس ١٩٦٥، لإيجاد سبل للسلام فى الجنوب. وقد شارك فى المؤتمر جناحان من حزب اتحاد السودان الإفريقى الوطنى المعروف بسانو وجبهة الجنوب بالإضافة إلى الأحزاب الشمالية، وبعد مداولات طويلة وبحضور مراقبين أجانب انتهى المؤتمر الى صيغة نظام للحكم الإقليمى لكل السودان. قاطعت المؤتمر الجماعة الكاثوليكية قيادة جوزيف أدوهو وساترينولوهورى وجورجى كوانى وبانكرياس اوجنج وماركو رومى ولم يعرفوا بقراراته حيث قام هؤلاء النفر بتأليف حركة ازانيا. أما وليم دينق وجناحه فى حزب سانو فقد مالو لطرح الحكم الاقليمى وانخرطوا مع مؤتمر القوى الحديثة - فيما بعد - والذى ضم حزب الأمة جناح السيد/ الصادق المهدى وجبهة الميثاق الإسلامى. رحب وليم دينق بالبرنامج الانتخابى للمؤتمر والذى يقوم على مبدأ دستور إسلامى للسودان مع استثناء الجنوب من أحكام الشريعة ولكنه قتل، كما سنرى، فيما بعد.

وفى ١٩٦٥/٨/٥ شغلت البلاد باعتقال قسيس كاثوليكى هو الأب اغسطينو بتهمة تزويد المتمردين بالطعام والمعدات الحربية، ومع أن المحكمة برأت المتهم، إلا أن القضية تركت بصماتها حول دور الكاثوليك فى التمرد.

وفى بداية عام ١٩٦٦، تم تكوين مجلس الكنائس السودانى وشملت عضويته الأرمن

وفى بداية عام ١٩٦٦، تم تكوين مجلس الكنائس السودانى وشملت عضويته الأرمن والكنيسة الاثيوبية الأرثذوكسية، والرومان الكاثوليك والكنيسة الإنجيلية والكنيسة الأسقفية. وكانت هذه هى المرة الأولى التى يوافق فيها الكاثوليك على الانضمام إلى تجمع مسيحى عام على قدم المساواة مع الآخرين وجاءت أولى توصيات هذا المجلس الكنسى قاضية بتخصيص يوم الأحد ١٩٦٦/٢/٦ باعتباره يوم صلاة من أجل السودان عامة وجنوب السودان بخاصة. وقد جاءت هذه الخطوة لتأليف قلوب المسيحيين ولفت أنظارهم تجاه حرب جنوب السودان على امتداد العالم.

فى ١٧ فبراير ١٩٦٦ أعلن مجلس الكنائس العالمى أنه قد دخل فى حوار مع مؤتمر كل الكنائس الإفريقية لبحث الخطوات الواجب اتباعها سعيا نحو رفع المعاناة عن المسيحيين فى جنوب السودان. نالت المبادرة موافقة هيئة مجلس الكنائس، كما أشار مجلس الكنائس فى توصياته إلى ما سماه بالمذابح التى تجرى فى الجنوب وقد عقب السيد محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان، على هذه المزاعم قائلا: (وهذه أيضا محاولة حمراء من رجال دين متمرسين فى العيش على حساب مصائب الآخرين)[١١٢]

وفى ١٠ ابريل ١٩٦٦، دعا رئيس أساقفة كنيسة وست منستر الكاثوليكية، الكاردينال هينان، هيئات الإغاثة واللاجئين، التابعة لرابطة المرأة الكاثوليكية، أن تفتح حسابا من أجل المسيحيين المضطهدين فى جنوب السودان قائلا: «لقد لقيت مأساة جنوب السودان تغطية إعلامية ضعيفة.. وقد شرد نصف مليون من الأبرياء من ديارهم وأجبروا على الفرار إلى الغابات أو طلب الحماية من الأقطار المجاورة .. كما أخلى الرجال من كل الملل الكنسية إرسالياتهم التى جعلتها قوات الحكومة طعما للنيران»[١١٣].

وفى ١٢ ديسمبر ١٩٦٦ زار الخرطوم وفد من مجلس الكنائس العالمى بدعوة من حكومة السودان، حيث قابل قادة الملل الكنسية المختلفة والمسئولين فى الحكومة وطالب الوفد بإعادة النظر فى قانون ١٩٦٢ للهيئات التبشيرية كما زار الأقاليم الجنوبية الثلاثة، حيث قضى يوما فى عاصمة كل إقليم. وذكر الوفد فى ختام طوافه، أن الصعوبات التى تواجه الكنيسة ما يزال بعضها قائما وقد جادلت بعض الجهات مقللة من قيمة تقرير مجلس الكنائس على الأخص اباء هيئة فيرونا الكاثوليك، وربما كان مرد ذلك الغيرة من اتساع نفوذ مجلس الكنائس وما صحب ذلك من إهمال لهم.

١١٢- جريدة التايمز اللندنية، ٦٦/١٢/١٨ ص ١١، وكذلك العدد الصادر من ٢٢ فبراير ١٩٦٦ ص ٨.

١١٣- جريدة التايمز اللندنية ٦٦/٤/١١ تحت عنوان نداء الكاردينال هينان من أجل السودان.

ومهما يكن الأمر، فقد فتحت زيارة مجلس الكنائس العالمى مجال التعاون بين حكومة السودان والبروتستانت، وفى ٢٧/٧/١٩٦٦ أصبح السيد الصادق المهدى رئيسا للوزراء، بعد إكماله الثلاثين عاما، وقد نشرت جريدة التايمز اللندنية خبر نيله لرئاسة الوزراء فى عددها الصادر فى ٢٨/٧/١٩٦٦ تحت عنوان (خريج أكسفورد يصبح رئيسا للوزراء) وناشد السيد الصادق اللاجئين الجنوبيين فى شرق إفريقيا بالعودة إلى بلادهم وامتدحت كذلك مجلة نداء الحدود الكاثوليكية[١١٤] الصادرة فى خريف ٦٦ السيد الصادق فى خبر عنوانه (حكومة جديدة وأمل جديد لجنوب السودان)، وفى اكتوبر ١٩٦٦ أصدر السيد الصادق بيانا دعا فيه اللاجئين إلى العودة ووعد بالحل الشامل لمشاكلهم - وفى يوم الجمعة الخامس من نوفمبر ١٩٦٦ اعتقلت السلطات اليوغندية السيد إبراهيم اجيجيول رئيس رابطة التجمع المسيحى السودانى والسيد جورج اكومبيك اكوانى، الأمين الإعلامى لجبهة تحرير ازانيا.

وفى ديسمبر ١٩٦٦، التمست الحكومة السودانية مساعدة البابا فى تخفيف حدة مواقف السياسيين الجنوبيين الكاثوليك وتلطيف تشددهم. وعلى أية حال، فقد مضى الكاثوليك فى تشددهم، بينما اختلفت لهجة الإنجلكان. حيث دعا الأب اولفر السن Rev. O. Allison رئيس أساقفة الكنيسة الأسقفية فى السودان الطلاب الجنوبيين اللاجئين فى يوغندا، للعودة إلى ديارهم.[١١٥]

وفى يناير ١٩٦٨ أعلن رئيس مجلس السيادة السودانى السيد إسماعيل الأزهرى رسميا، بأن إجراءات العفو العام تشمل كل الأشخاص الذين شاركوا فى أعمال مناهضة الحكومة بما فى ذلك الجنوبيين الفارين من الجنوب، طالما عادوا مسالمين. اتسمت أعوام ٦٨/٦٩/ بالفوضى والتشرذم الحزبى والصراع الداخلى حيث انقسم حزب الأمة، مع تقلد السيد الصادق منصب رئيس الوزراء، إلى قسمين، جناح الإمام وجناح الصادق. وتم حظر نشاط الحزب الشيوعى بينا كان نفوذه يتصاعد شعبيا ودخل أمينه العام السيد عبد الخالق محجوب الانتخابات وفاز على منافسيه فى دائرة تعتبر من أهم مراكز النفوذ السياسى العريق وهى دائرة امدرمان الجنوبية. وفى ٢٢ فبراير ١٩٦٨، توفى السيد على الميرغنى الأب الروحى لطائفة الختمية.. أحد ركائز الاستقرار فى السياسة الوطنية وفى الخامس من مايو ١٩٦٨، اغتيل السيد وليم دينق مع ستة من أعوانه، أثناء طواف انتخابى فى طريق رمبيك - واو. وأعقب ذلك إغلاق جامعة الخرطوم، فى أعقاب قيام الطلاب الشيوعيين باغتيال طالب نتيجة لصراع حول حفل غنائى مختلط اشتمل على رقصات مختلطة، كما تعرضت حركة الإخوان

١١٤- The catholic frontier call, fall 1966.

١١٥- D. M. Wai, The African Arab Conflict in the Sudan New York 1981. 143 - 144.

المسلمين عماد جبهة الميثاق الإسلامى . . لأجواء نزاع وصراع ، حينما حاول عدد من المعارضين تغيير منصب الأمين العام وأثاروا أسئلة تتعلق بالسلطة والسياسة والتربية ، وقد جاء ذلك فى وقت فشل فيه كثير من أعمدة السياسة السودانية فى الحصول على مقاعد البرلمان حيث خسر الصادق المهدى دائرته فى ربك وخسر السيد أحمد المهدى دائرته فى الجزيرة أبا ، ود. حسن الترابى فى دائرة المسيد وغيرهم .

وفى ٢٥ مايو ١٩٦٩ ، استولى صغار الضباط فى الجيش السودانى على السلطة وأصبح العقيد ، جعفر محمد نميرى - حينها - رئيسا لمجلس الثورة وتكون مجلس الثورة والوزراء أساسا من الشيوعيين واليساريين .[١١٦]

تجاهلت صحافة الكنائس - عمدا - أخبار التغيير السياسى الجديد فى السودان ، بينما كانت أخبار السودان تحتل الصدارة فى صحافة العالم . وفى صيف ١٩٦٩ - صدرت مجلة الإرساليات Mission تحمل مقالا بعنوان حرب أهلية أم إبادة؟ ومنذ شهر مارس ١٩٧٠ ، بدأت الصحافة الغربية حملة صحفية وسياسية منسقة ، مركزه على الحرب الأهلية فى جنوب السودان ، حيث ظهرت صحيفة الصنداى تايمز البريطانية بتاريخ ١/٣/٧٠ ، تحمل عنوان (مأساة بيافرا تهدد ثوار جنوب السودان) . والديلى ميل (فى أعماق إفريقيا - الحرب الأهلية تهدد ببيافرا جديدة .) جريدة الكاثوليك العالم ٦/مارس/١٩٧٠ (الحرب المنسية اللاجئون يهربون جنوبا) ولكن جاءت اخبار مجزرة معركة الجزيرة أبا فى نهاية مارس ١٩٧٠ فشغلت الصحافة العالمية عن الجنوب نحوا من شهر . وفى ١٠/ مايو / ١٩٧٠ نشرت جريدة الاندبندنت البريطانية خبرا تحت عنوان (السودان يفتح المجال للتعليم المسيحى) .

اما الديلى ورلد ، ٢٦ يونيو ١٩٧٠ ، فقد أوردت (الولايات المتحدة فى محاولة بيفارا الجديدة فى السودان) «وجريدة كنيسة ايرلندا جازيت : ٢٠ يونيو ١٩٧٠» ، أما الكاثوليك جيرالد - ٢٣ / أكتوبر ١٩٧٠ فقد حملت مقالا بعنوان «الكنيسة كبش الفداء فى متاعب السودان» اتفق مجيء انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩ مع التدنى الواضح فى نشاط حركة التمرد التى أعياها الانقسام والصراع الدينى وهنا رأت القوة الكنسية صاحبة المصلحة فى استمرار حركة التمرد

١١٦- ابرزت الصحافة الانجليزية أخبار السودان بالعناوين التالية فى فترة ماقبل الانقلاب صحيفة التايمز ٢١/٤/١٩٦٩ :- أزمة التباين والتناقضات التى تهدد السودان .

صحيفة التايمز ٢٥/٤/١٩٦٩ :- تحرك للحفاظ على قائد السودان فى منصبه صحيفة الجارديان ٢٥/٤/٦٩ :- أزمة السودان

Mission, Summer II, 1969 Civil War or Genocide

ان تستعين الحركة بخبرة مرتزق أوربى شهير هو رولف اشتاينر[117] ذهب اشتاينر الى روما، حيث قابل عددا من المبشرين الكاثوليك الذين ابعدوا من السودان قبل ست سنوات[118] فنصحوه بالذهاب لمقابلة الأب كايفن فى فرانكفورت Father Cyphens وكان الاب كايفن مشرفا على جمعية متخصصة فى دعم حركات التمرد الافريقية ذات الطبيعة الكاثوليكية وكانت جمعيته هذه المرة Forderung Squesels chaft Afrika مشغولة بجمع التبرعات لمساندة بيافرا مع جمعيات أخرى فى اوربا.

وعندما انتهت حرب بيافرا على نحو ماحدث، ارادت أن تحول هذه الأموال لدعم الحرب فى جنوب السودان وكانت ودائعها فى البنوك تنمو بنسبة مليون مارك فى السنة.[119]

أكمل/اشتاينر صفقته مع الأب كايفن والذى قام بنفسه باجراء الحجز لاشتاينر فى الرحلة القادمة لكمبالا، كما أفاده بأن المدير المحلى لمنطقته سيسهل له اجراءات دخول السودان سرا عبر الحدود اليوغندية - السودانية: وكان هذا المدير المحلى قد سبق له أن قام بتسهيل وصول الامدادات الكنسية لبيافرا،سافر اشتاينر الى جنوب السودان، على طائرة صغيرة هبطت فى مكان معد لذلك وسط الأحراش، حيث كان فى استقباله خمسين من افراد عصابات التمرد وبعدها ذهب لمقابلة قائدهم وهو اللواء تافنج، وعلى اية حال، فان اشتاينر كان يعامل الجنوبيين بترفع وشتمهم فى كتابه قائلا «انهم يعيشون كالحيوانات خائضين حروبا بعضهم ضد بعض.[120]

تعرف اشتانير فى مدة وجيزة على جهود اسرائيل وسط المتمردين الذين دربتهم اسرائيل

١١٧- اشتاينر Roif Steiner المانى كاثوليكى ولد فى ٣١ يناير ١٩٣٣ فى ميونخ قبل وصول هتلر للسلطة ب ٢٤ عاما وعمل فى قوات الصاعقة النارية ثم انضم للفرقة الفرنسية فى حرب المغرب والهند الصينية وفيتنام وحرب الجزائر. وانضم للجيش السرى لتحرير الجزائر الذى تمرد على قرار ديجول بمنح الجزائر استقلالها ثم ذهب مرتزقا فى الكنغو ثم ذهب محاربا فى بيافرا التى اعتبرها مجتمعا كاثوليكيا فى حروبه ضد الإسلام. وظل يفتخر بالآلاف الذين سفك دماءهم فى حروبه الطويلة، حيث تمكن حسب روايته من تدمير ٦ طائرات حربية فى بيافرا وحدها. أمضى اشتاينر عاما كاملا فى جنوب السودان وفى يناير ١٩٧١، اعتقلته السلطات اليوغندية وسلمته لحكومة السودان فى ١٠ يناير حيث قدم للمحاكمة وحكم عليه بالإعدام ولكن الرئيس السابق خفف الحكم إلى عشرين عاما ثم أطلق سراحه فى ٣٠ مارس ١٩٧٤ بعفو جمهورى بعد اشتداد الضغوط الغربية.

Roif Steiner, The Last adventurer, Translated by Steve Cox Boston, Toronto. 1978.

١١٨- المصدر السابق ص ١٧٧ - ١٧٥.

١١٩- المصدر نفسه ص ١٨٥ - ١٨٩.

١٢٠- اشتاينر - المصدر - السابق - ص ١٨٥ - ١٩٩.

وأمدتهم بالمعدات الحربية، كما تعرف على جهود الاستخبارات البريطانية التى قدمت عرضا لإقامة معسكر حربى للمتمردين.[١٢١]

أخذت النبرة الكاثوليكية تطغى على زعامة حركة التمرد المعروفة بانانيا، كما تميزت بالعداء لروسيا والشيوعية، فأخذوا يستعينون بمقولات منسوبة لقادة الكنيسة الكاثوليكية، مثل الكاردينال برنارد الفرنك Bernard Alfrink مطران أمستردام، وطبعوا عبارته القائلة «ظل المسلمون يحاولون خلال سنين طرد الأفارقة أصحاب الأرض الأصليين، والذين يعتنق الكثيرون منهم المسيحية عن أرضهم، إن التوتر هناك لايقل فى خطورته عما يحدث فى جنوب إفريقيا ولكنهم فى السودان أكثر نجاحا فى إخفاء جريمتهم. هناك مؤامرة صمت حول القضية فى الصحافة العالمية».[١٢٢]

لذلك شنت بعض مطبوعات الانانيا وقتئذ هجوما على دول المعسكر الشيوعى كما جاء فى بيانهم رقم (٥)، أغسطس ١٩٧١ القائل: «الفظائع التى يرتكبها العرب والروس والالمان الشرقيون، لايحس بها العالم، لأن الذين يملكون أجهزة التصوير فى جنوب السودان هم فقط الروس والالمان الشرقيون لقد أرتكبت هذه المذابح والمخازى فى ابريل مايو ١٩٧١ فى قطاع أكوبو ـ الناصر بمديرية أعالى النيل.» ويمضى بيان آخر:

"إن مواردنا الوحيدة هى البشر. وإنساننا هو الإنسان الوحيد الذى مايزال يؤسر ويسترق ويباع رقيقا على يد التجار السودانيين العرب فى الجزيرة العربية... .إننا لانستخدم المرتزقة ولكننا نقاتل جيش المرتزقة السودانى، الذى يدعمه ثلاثه الآف مصرى وألف سوفيتى»[١٢٣]

كان أبرز إنجازات اشتاينر أنه وجد فصائل الانانيا، توحيدا نسبيا تحت قيادة جوزيف لاقو. وقد تم ذلك، بعد عقد مؤتمر عام لجميع فصائل الانانيا فى كمبالا، تحت رعاية الجنرال عيدى أمين، رئيس جمهورية يوغندا فيما بعد. والإنجاز الثانى فى الأهمية لاشتاينر يتمثل فى نجاحه فى إقامة حزام عسكرى خاضع للمتمردين ولكن يبدو أن توجهات اشتاينر الكاثوليكية أزعجت ملتون أبوتى، رئيس وزراء يوغندا الذى يعتمد على تأييد البروتستانت والمسلمين، مما حدا به إلى إلقاء القبض عليه وتسليمه للسودان، فكانت ضربة لحركة التمرد والمنظمات الكنسية التى تقف وراءه.

١٢١ـ المصدر السابق ص ١٨٧.

١٢٢ـ ملحوظات معهد الدراسات الافريقية والاشتراكية، جامعة لندن تحت عنوان L.E. Per 334142 Anya Nya

١٢٣ـ المصدر السابق أنانينا ـ مايو ١٩٧١ ص ٨.

وفى هذا المنعطف زار وفد مشترك من قبل مجلس عموم كنائس إفريقيا ومجلس الكنائس العالمى السودان فى مايو ١٩٧١ ، حيث قابل المسئولين السودانيين وتفقد الأوضاع فى الجنوب والشمال ووجد ترحيبا من الحكومة للحوار مع المتمردين، ثم رتبت بعد ذلك مقابلة وزير شئون الجنوب ونائب رئيس الجمهورية السيد أبيل ألير مع البابا بول السادس فى الفاتيكان حيث ناقش معه أوضاع تحقيق السلام. والإغاثة وإعادة التوطين. وبعد ذلك، قام وفد الكنائس بزيارة عدد من الدول الإفريقية لمقابلة رؤسائها شارحا لهم أطروحاته لتحقيق السلام فى الجنوب، وحاثا قادة فصائل حركة التمرد على الاستجابة لأى دعوة يقدمها لهم مجلس الكنائس، كما اتصل وفد مجلس الكنائس العالمى بالزعيم الجنوبى المعروف مادينق قرنق وصنوه لورنس وول ممثلى حركة التمرد فى أوربا بالإضافة إلى ممثليهم فى اثيوبيا وكينيا، ويوغندا فى أغسطس عام ١٩٧١ .

وقع الاختيار على أديس أبابا لإجراء اللقاءات التمهيدية حيث مثل السودان وفد برئاسة السيد أبيل الير واللواء محمد الباقر ومثل حركة التمرد كل من مادينق قرنق ولورنس وول وول واليزابانا مولا ومثل مجلس الكنائس العالمى والإفريقى كل من د. ليبولدو نيلوس Nillus والقس كود وانكراه، وكانون بورجيس بينما مثل مجلس الكنائس السودانى صمويل يوقو. ثم بدأت المحادثات النهائية فى ٢٠ يناير ١٩٧٢ تحت رعاية الإمبراطور هيلاسلاسى ، وحينها اختار جوزيف لاقو ثمانية من قادة فصائل الانانيا للمشاركة فى الاجتماعات وكان وفد السودان برئاسة أبيل وعضوية اللواء الباقر ود. منصور خالد. ود. جعفر محمد على بخيت كما حضر الاجتماعات الأمين العام لمجلس عموم الكنائس الإفريقية وبعد مداولات استمرت لمدة أسبوعين توصل المؤتمرون إلى صيغة الاتفاقية النهائية المعروفة باتفاقية أديس أبابا والتى تم التوقع عليها فى ٢٨ فبراير ١٩٧٢ والتى تمخض عنها الحكم الإقليمى الذاتى فى إطار جمهورية السودان.

أثارت الاتفاقية كثيرا من الجدل فى الأوساط السودانية حيث أنها قايضت السيادة الشرعية بالتنازلات التى منحتها لحركة التمرد كما دار الجدل حول النص القائل بأن اللغة العربية هى اللغة الرسمية لجمهورية السودان وتعتبر اللغة الانجليزية اللغة الرئيسية فى جنوب السودان وطارت إشاعات حول نص غير مكتوب يحرم التبشير الإسلامى فى الجنوب.

١٢٤- أبيل الير ينتمى لدينكا بور، وتخرج من كلية القانون وعمل قاضيا لفترة ثم باحثا فى معهد الدراسات الشرعية المتقدمة فى لندن. اشتهر بالمذكرة التى قدمها مع آخرين للأمم المتحدة ضد ممارسات حكومة السودان فى الجنوب. وأصبح أول رئيس للمجلس التنفيذى العالى لجنوب السودان.

ومهما يكن الأمر فقد حقق اتفاق اديس أبابا السلام،فسلم معظم المتمردين سلاحهم للقوات المسلحة التى شرعت فى استيعاب خمسة الآف منهم فى صفوف القوات المسلحة : لم يؤيد الكاثوليك اتفاق أديس أبابا، إذ أنهم أحسوا بأنهم قد خدعوا من قبل رفاقهم الجنوبيين غير الكاثوليك، الذين وقعوا الاتفاق متجاهلين وزن الكاثوليك فى حركة المقاومة ومضيعين بذلك نصيبهم فى غنائم الاتفاق. إذ قاد وفد الحكومة - ابيل الير - وهو انجلكانى مثل جوزيف لاقو رئيس وفد المتمردين الذى ينتمى إلى قبلة اللاتوكا الصغيرة فى شرق الاستوائية.(١٢٥)

أما ضحايا الاتفاقية فقد كانوا من العناصر الوحدوية مثل الحرس الوطنى والسلاطين المسلمين ورعاياهم من المسلمين الذين تم تجريدهم من السلاح كما حرموا من الوظائف الحكومية حيث نُظِر إليهم باعتبارهم خونة وعملاء للشمال، كما تمّ هدم بعض المساجد وتحويل بعضها إلى نقاط بوليس وبعضها إلى حانات لشرب الخمور المحلية. كذلك تم تحويل مبانى عدد من المعاهد الإسلامية إلى وزارة التعليم الاقليمية واستخدمت بعضها ثكنات للجيش.

وتم الاستيلاء على منازل المعلمين الشماليين الذين أبعدوا الى الشمال ووضح ان الادارة الجديدة اخذت تسير بالجنوب فى اتجاه سياسات المناطق المقفولة من تكريس لسيادة الثقافة الكنسية واللغة الانجليزية.

لم تخل الاتفاقية من ردود فعل عالمية، حيث نظرت اليها مصر وليبيا كمحاولة لبيع السيادة الوطنية، اما فى يوغندا، فقد قام رئيس جمهوريتها اللواء عيدى أمين بطرد سبعمائة من الاسرائيليين. إذ انه شعر بانتهاء الدور الاسرائيلى بعد صلح الجنوب، ورأى ان الموقف يتطلب ان يصلح علاقاته مع السودان خاصة والعالم العربى عامة. وقد ذكرت جريدة التايمز الصادرة بتاريخ ١٩٧٢/٤/٤ فى كلمتها الافتتاحية ذلك واشارت الى ان سلام جنوب السودان أصاب اسرائيل بنكسة فى افريقيا.

١٢٥ـ خلال العشر سنوات الأولى من عمر اتفاق أديس أبابا (١٩٧٢ـ١٩٨١)، حكم الجنوب الانجلكان أبيل الير، جوزيف لاقو ثم عبدالله قبسم الله رصاص وهو مسلم ومع أن غالبية الجنوبيين من الكاثوليك ـ وفى رواية أن ٧٠٪ من متنصرى الجنوب من الكاثوليك، إلا أن معظم السياسيين من الدينكا، والجنوبيون كانوا اما انجلكان أو على مذهب الكنيسة الامريكية الإنجلية، ويبدو أن ضآلة تمثيل الكاثوليك فى مناصب الصدارة يعزى إلى ضعف مستواهم التعليمى.

تدفق العون الكنسى بعد الاتفاق:
أو صحوة فى العمل الكنسى ١٩٧٣ - ١٩٧٨ :-

أصبحت الكنيسة السودانية أحد المناصرين لنظام الرئيس جعفر محمد نميرى فيما بعد عام ١٩٧٢، وانتبه الكاثوليك للمردود السلبى لعزلتهم، حيث أحسو بأن هناك فرصة ذهبية لاتعوض، لاسترداد ما ضاع عليها فى أعوام التيه والانقطاع عن الجنوب. وعليه فقد بدأ الكاثوليك حملة لجلب المال والخبرات المسيحية للجنوب، كما قام السودان بإقامة علاقات دبلوماسية لأول مرة مع الفاتيكان، حيث قدم سفير السودان، السيد صلاح هاشم أوراق اعتماده للبابا بولس السادس فى اغسطس ١٩٧٢ كما عين الفاتيكان رئيس الأساقفة اوبالدوكالازبرى قاصدا رسوليا فى السودان. كما قام المطران باروني(١) المحنك الخبير بأوضاع السودان بزيارة لاوربا وامريكا الشمالية، بغية نوعية التنظيمات الكاثوليكية لفرص العمل المتاحة فى السودان من خلال حركة الاغاثة والتوطين والتعمير. وفى سبتمبر ١٩٧٢، قام مؤتمر الأساقفة الكاثوليك فى السودان بإيجاد «سودان ايد» كوكالة إغاثة كاثوليكية متخصصة فى أمور الإغاثة والتوطين والتعمير تحت رئاسة الأب ديجيمبى A. Degemeppe من جمعية الآباء البلجيكيين البيض، كما تم فتح فرع للوكالة الدولية للإغاثة الكاثوليكية، وقد قصد بتوزيع الأسماء إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المبشرين.

كاثوليك الدخول للسودان، تحت ستار الإغاثة والتوطين كفنيين وخبرات كنسية وتعليم وصحة وغيره. كما تمت إعادة تعمير المطبعة الكاثوليكية فى جوبا والتى بدأت فى إصدار جريدتى السلام باللغة العربية والرسول Messenger باللغة الانجليزية، وفى عام ١٩٨٢ وضعت إدارة المطبعة فى الساليين Salesian of Don Basca وهى منظمة كنسية أوربية، وربما كان مرد ذلك جزئيا، عدم ثقة الكاثوليك فى الإدارات الجنوبية المحلية.

قامت لجنة الإغاثة واعادة التعمير التابعة لمجلس الكنائس السودانى بالتعاون مع الكنيسة العالمية بالتنسيق بين مختلف الهيئات الكنسية التى اندفعت نحو الجنوب بجهدها ومواردها بعد اتفاقية أديس أبابا، كما بلغ متوسط المرتبات التى كان يدفعها مجلس الكنائس السودانى شهريا للخبراء الأجانب ٥٦ ألف جنيه سودانى[١٢٦] وفيما يلى بيان بالكنائس والمنظمات الكنسية التى تدافعت نحو الجنوب:

١/ بعثة بازل الكنسية وهى منظمة كنسية سويسرية

٢/ منظمة الغوث المسيحى الانجليزية Christian Aid

١٢٦- Gerhard G. Hennes, Alone You get Nowhere Wcc, Geneva 1977. PP. 71.

٣/ خدمة الكنيسة العالمية . Church World service

١٢ خبيراً اجنبى

٤ / كنسية دان الدنماركية Dan Church Aid

٥ / منظمة هولندية Dienste ovser chenzen

٦/ منظمة من المانيا الاتحادية : Deinstenlleverses

٧/ منظمة كنيسة المابنوين الامريكيه والكندية Mennonie

٨/ الاتحاد اللوثرى العالمى ـ جنيف

٩/ المجلس المسيحى الوطنى لكينيا

١٠/ الإغاثة الكنسية النيرويجية

١١/ برنامج الكنيسة الامريكية التبشيرية الإنجلكانية المتحدة

١٢/ إدارة الكنيسة التبشيرية .

١٣/ الكنيسة الكاثوليكية

١٤/ الهيئة الإفريقية لإعادة تعمير جنوب السودان

وهى تابعة لإرسالية السودان الداخلية وركزت على الإغاثة والتعليم واللغة والتنمية ولها عدة اتفاقات مع حكومة السودان .

١٥/ معهد اللغويات الصيفى : مريدى ـ وبدأ مباشرة نشاطه فى عام ١٩٧٧ لترقية الثقافة المسيحية وترجمة الأناجيل إلى اللهجات المحلية وإعداد مناهج دراسية باللهجات المحلية بالحرف اللاتينى .

١٦/ إرسالية أكسفورد المسيحية وقد تأخر توقيع الاتفاق معها إلى ٢٤ نوفمبر ١٩٨٤ .

١٧/ الهيئة العاملة بالمبادرات المحلية والتبشير الذاتى ACCOPMLISH تأسست فى تركاكا تحت رعاية الكنيسة الهولندية ومنظمات كنسية اخرى .

١٨/ الخدمات التطوعية لما وراء البحار وفتحت مكتبها فى الخرطوم فى عام ١٩٧٧ ولها مكتب آخر أسس فى جوبا فى ديسمبر ١٩٧٩ .

١٩/ وكالة التنمية الكندية (CIDA) وقعت على اتفاقية مع حكومة السودان وخصصت جل إعاناتها للسودان من خلال القنوات الكنسية .

وقد عملت معظم هذه المنظمات فى تنسيق مع مجلس الكنائس السودانى وأحيانا تحت اسمه مباشرة . وقد اقترن نشاط هذه المنظمات بتدفق خبرائها إلى السودان ، حيث استغلت التسهيلات الدبلوماسية والإعفاءات الجمركية فى تعمير الكنائس وتدفقت الآف السيارات والأدوات المكتبية والمطبوعات المسيحية . وهكذا بدأت مستعمرة كنسية جديدة تطل فى جنوب السودان مسلحة بالطائرات وأساطيل النقل النهرى والمطارات وشبكة الاتصالات

السلكية واللاسلكية وآلاف الموظفين.

وتدفقت عشرات الملايين من الجنيهات من المنظمات الخيرية والإنسانية والدول الغربية إلى جنوب السودان خلال القنوات التى أقامتها الكنائس، وأصبحت الكنائس بما توافر لها من مال وأجهزة محكمة قادرة على التحرك فى الجنوب على نطاق لم يسبق له مثيل، حيث كان راديو جوبا يبث أساسا البرامج المعدة فى استديو مجلس الكنائس السودانى بجوبا والذى كان أكثر إعدادا وقدرات من نظيره التابع للحكومة الإقليمية: وهكذا أطل فجر صحوة كنسية من جديد، حيث استعانت الكنيسة مرة أخرى باحتكارها خدمات التعمير والتعليم والرعاية الاجتماعية. ومهما تكن طبيعة هذه الصحوة فقد كانت صحوة بلا روح، إذ كان الجنوب يتطلع إلى تنمية حقيقية تؤهله للخروج من دائرة التخلف وقد اجتهدت الكنيسة فى توفير الخدمات المذكورة مقابل الولاء الشكلى. لقد اختار الغرب أن يتعامل مع الجنوب فقط من خلال القنوات الكنسية لأسباب سياسية وحضارية، وأكرهت الضرورة الجنوبيين للرضوخ أمام صغوط الغرب، لقد عمد الغرب إلى استخدام سلاح الإغاثة والطعام لجذب الجنوبيين إلى ساحات الكنائس، مما جرح كرامتهم وإنسانيتهم، لذا فلا عجب أن لفظ كثير من الشباب الجنوبى رابطة الكنيسة وأخذوا يبحثون عن رابطة أكثر إنسانية ان جاءت أطروحات حركة التمرد الحديثة تنشد الخلاص فى أفكار ماركس وممارسات لينين.

نجاح حركة التوطين وإعادة التعمير:

وضعت الحكومة المركزية ثقلها مع الحكومة الإقليمية فى سبيل إكمال مهام حركة استقبال اللاجئين وإعادة توطينهم وفتح المدارس ومراكز الخدمة الاجتماعية وشق الطرق وكللت جهود الحكومتين ومن ورائهما خدمات حركة الإغاثة والتوطين العالمى بالنجاح فتم استيعاب قرابة ربع المليون عائد فى قرى ومشاريع جديدة، كما تم إقامة نظام سياسى جنوبى - مسيحى مستقر نسبيا يقوم على مجلس نيابى وحكومة تنفيذية ونظام حريات سياسية.

وبلغ النجاح قمته فى افتتاح جامعة جوبا وتلاها العمل فى مطار جوبا الدولى كما تم فتح كل الطرق مع الشمال وشرق إفريقيا فازدهرت التجارة وعاش أهل الجنوب أياما طيبة لم يكدرها إلا طواف المبشرين الأجانب، الذين أرادوا أن يعيدوا حركة التاريخ إلى أيام سياسة الجنوب ونظام دولة المناطق المقفولة. ولكن هيهات.

سباق الكاثوليك لسودنة الكنيسة ومشكلة الجنوب :

فى ٦ ابريل ١٩٧٥ قام الكاردينال روزى A. Rosi أمين دائرة شئون السودان فى الفاتيكان، بتكريس ثلاثة مطارنة جنوبيين دفعة واحدة وهم الآباء غبريال الزبير وبيوس دينج وجوزيف كاسى ابنجايت. وفى ديسمبر ١٩٧٥، أجاز البابا الهيكل المقترح لكنيسة السودان، حيث قامت فيه إدارتان رئيسيتان، إحداهما فى جوبا والأخرى فى الخرطوم، يقوم على كل إدارة رئيس أساقفة، وأصبحت الخرطوم بمقتضى هذا التقسيم تمثل رئاسة الكنيسة الكاثوليكة فى شمال السودان وجوبا لرئاسة الكنيسة فى الجنوب، وأصبحت الرئاسة فى جوبا تشرف على أربع مطرانيات فى الجنوب وهى مطرانية جوبا ومطرانية ملكال ومطرانية رمبيك ومطرانية واو - يقوم على كل مطرانية مطران، وقد ارتفع عدد المطرانيات فى وقت لاحق إلى ست بإقامة مطرانيتين فى كل من توريت وطمبرة، وتبدو كل مطرانية كالآتى :

مطرانية جوبا: وتشرف على كل قبيلة الباريا البالغ تعداد سكانها مائتى ألف نسمة بالإضافة إلى القبائل الاستوائية الصغيرة شرق وغرب النيل واللاجئين اليوغنديين وسكان جوبا المدينة من شماليين وغيرهم، وتعتبر هذه المطرانية أكثر المديريات الجنوبية تعرضا لمؤثرات التبشير وأقلها تماسا مع القبائل العربية إذ أن الانتشار الإسلامى جاء نتيجة للتأثير المحدود للشماليين من جلابة وجنود وموظفين فى الحكومة، لذا فلا عجب أن طغى الطابع الكنسى واللغة الانجليزية على الحياة الرسمية، وفى عام ١٩٧٤، أصدر البابا بول السادس أمرا بتعيين رئيس الأساقفة أرينو دود على كرسى رئاسة الأسقفية، وخلفه بعد ذلك، على كرسى الرئاسة رئيس الأساقفة باولينو لوكودو، الذى عينه البابا جون الثانى فى ١٣ يوليو ١٩٨٣. تشرف المطرانية على ٨ دوائر أخرى تمثل المناطق. وتضم المطرانية ثلاث مدارس للاهوت فى جوبا وواحدة فى بسرى وثلاث مدارس ثانوية وعدة مدارس أولية ورياض أطفال، وبالإضافة إلى ذلك توجد مشاريع (سودان ايد)، ومطبعة جوبا وعدد من المستوصفات ونقاط الغيار. كما أنّ للكنيسة ثقلها باعتبارها مركزا للعلاقات مع الحكومة والكنائس والإرساليات المختلفة التى تنطلق من جوبا، ويساعد رئيس الأساقفة فى إدارة شئون الكنيسة أربعة من القساوسة الجنوبيين وتسعة من القساوسة الأجانب [١٢٧] وتضم المطرانية ست إرساليات ومركزاً تبشيرياً وثلاث جمعيات دينية هى جمعية رسل المسيح، وإخوان سانت مارتن باريس، وأخوات القلب المقدس.

١٢٧- Pro Mundi Vita Vita: Dossiers, 1, 1984 .P. 19.

مطرانية توريت:

تأسست فى يوليو ١٩٨٣ وتشرف على الجزء الشرقى من المديرية الاستوائية المتاخم لاثيوبيا وكينيا ويوغندا، ويشرف على المطرانية الأب باريد تعبان ويعاونه أربعة من القساوسة المحليين وثمانية من المبشرين الأجانب، وتضم المطرانية مدرسة صغيرة للاهوت تضم مائة طالبا ويشرف عليها قس جنوبى ومبشران أجنبيان وعدد من المعلمين، وهناك متطوعان المانيان يشرفان على معهد لتدريب المدرسين الجنوبيين لتدريس الديانة المسيحية فى مدارس الحكومة، ويقوم عدد من آباء فيرونا والراهبات اليوغنديات بالعمل فى محيط اللاجئين على امتداد مناطق الحدود وفى توريت ذاتها. وقد اتخذت الكنيسة النرويجية من توريت مقرا لها مما أثار قلق الكاثوليك، إذ أخذ عدد من رعاياهم يدين بالولاء للكنيسة النرويجية التى أظهرت اهتماما بالتنمية. هذا وتضم المطرانية ثمان دوائر كنسية فرعية، يقوم على كل دائرة قس وكنيسة.

مطرانية ملكال:

وتشرف على كل مديرية أعالى النيل، التى يسكنها الشلك الذين يقرب عددهم من مائتى ألف، والنوير وهم قرابة نصف المليون والانواك وهم كذلك يقرب عددهم من نصف المليون، بالإضافة إلى إعداد أقل، من الدينكا والقبائل الصغيرة الأخرى، وضمت المطرانية حينها فينسينت موجوك وهو من الشلك، ويساعده قسيسان وأربعة رهبان من الجنوبيين بالإضافة إلى ستة من آباء وأخوات مل هل، واثنين من أبناء فيرونا، وسبعة من راهبات فيرونا ويعمل فى المطرانية ٣٥ ملقنا محليا وتضم الأسقفية ١٥ دائرة كنسية[١٢٨]

مطرانية واو:

وهى، تاريخيه من أعرق المطرانيات، حيث اعتبرت بحر الغزال منطقة نفوذ كاثوليكى فى سياسات ما بعد الأستيلاء على السودان فى بداية القرن. ويقوم على أمر المطرانية حينها المطران جوزيف نايكيندى. وتشرف المطرانية على قسم كبير من قبيلة الدينكا والفرتيت. بمختلف تفرعاتهم. وتضم المطرانية خمس عشرة دائرة كنسية، وأقيمت مبانى الكنيسة الضخمة ومدارسها الصناعية فى قلب المدينة، مضفية عليها مظهرا كنسيا. وفى ضاحية بسرى، مدرسة سان بول الثانوية وهى بمثابة كلية للاهوت يدرس فيها مائة طالب على يد

سبعة من آباء فيرونا واثنين من الآباء .

كذلك أسست فى مدينة واو مدرسة لاهوت ـ سات مارى ـ وتضم مائة وعشرين طالبا يقوم على تدريسهم عدد من القساوسة منهم سودانيون وهنود ومصريون وايطاليون وغيرهم بالإضافة إلى عدد من المدارس ورياض الأطفال الكنسية وجمعية الناصر وجمعية إخوان يوسف .

مطرانية طمبرة :

وتشرف على منطقة غرب الاستوائية فى الجنوب الغربى لجمهورية السودان ، ويسكن هذه المديرية أساسا مجموعة الزاندى المتجانسة ويسود المذهب الكاثوليكى وسط الزاندى ، ويقوم المطران جوزيف على أمر إدارة المطرانية . وتضم المطرانية إحدى عشرة دائرة كنسية .

مطرانية رمبيك :

وتمثل الجزء الجنوبى الشرقى من مديرية بحر الغزال وتقع تحت إشرافها أجزاء من قبائل الدينكا والزاندى والمورو ، والموندو والبلكا والكاكوا وهى تشتمل على ثمان دوائر كنسية وتأسست المطرانية فى عام ١٩٥٥ على يد المطران ارونيو دود وفى عام ١٩٧٦ ، تم اختيار جبريل دواتوكا مطراناً لها ، ولكن تدهورت الأوضاع فى هذه المطرانية مع ظروف الحرب ، وابتداء من عام ١٩٨٣ أصبحت شبة مهجورة .

وقد تتباين هذه الصورة التفصيلية لعدد القساوسة من فترة إلى أخرى ولكنها تعكس الوضع حتى عام ١٩٨٣ ، كما أنها تعطى فكرة عن قوة هياكل الكنيسة ومواردها الأساسية ولكن الحرب أثرت على أوضاع الكنيسة عامة ، كما أدت مطالبة جون قرنق جميع القساوسة والخبراء الأجانب بإخلاء الجنوب إلى تغيير الصورة .



وضع البروتستانت ١٩٧٣ ـ ١٩٨٣

لعل الكنيسة الأسقفية الانجليزية الأصل هى أم الكنائس البروتستانتية فى السودان ولها سلسلة متصلة من الكنائس على امتداد الجنوب. وفى عام ١٩٧٤ وقع الاختيار على اليانانا جالا مطرانا لجنوب السودان. وفى اكتوبر ١٩٧٧، اقتفت الكنيسة الأسقفية طريق الكاثوليك وقسمت السودان إلى دائرتين روحيتين تتمتع كل منهما باستقلال إدارى ومالى، ويقوم على كل واحدة رئيس أساقفة وأصبح نجالا رئيسا للأساقفة وأول رئيس لكنيسة الجنوب الأسقفية. ركز نجالا جهوده على مايعرف بأفرقة الكنيسة ولكنها كانت أفرقة شكلية اهتمت بسودنة الوظائف الكهنوتية ومزجت الطقوس الانجلكانية بالطقوس المحلية الإفريقية بغير رؤية واضحة أو تمحيص.

تضم رئاسة الأسقفية ثلاث مطرانيات (أى دوائر) وهى مطرانية جوبا ومطرانية واو يامبيو ومطرانية رمبيك،ويشرف ثمانية مطارنة على كنيسة الجنوب الأسقفية. هذا وللكنيسة الأسقفية كلية لاهوت فى مندرى،ويعمل فى مختلف كنائس ومرافق الكنيسة ٢٥٠ قسا، ويوجد فى الكنيسة ٣٠ دائرة روحية تقوم على كل دائرة كنيسة رئاسة تشرف على كنائس ومدارس الكنيسة فى الدائرة. كما تملك الكنيسة (مطبعة اليوم الحديثة) فى جوبا ومكتبة الثقافة بالإضافة إلى إشرافها على حركة الغوث العالمى، من خلال قنوات الكنيسة من مشاريع التوطين فى جوبا وغيرها، ومشاريع الإغاثة بالإضافة إلى مؤسسات ومعاهد ومدارس الكنيسة التى سبق الإشارة اليها فى الدراسة.

ولعل أهم عائد لاستثمارات هذه الكنيسة، يتمثل فى خريجى مدارسها الذين سيسيطرون على حركة الإدارة والسياسة فى الجنوب كما يشكلون جماعة ضاغطة على حركة الإسلام فى الشمال.

الكنيسة المشيخية (الامريكية):

تدهورت أوضاع هذه الكنيسة فى جنوب السودان مما حدا بها أن تكثف دائرة نشاطها وسط الجنوبيين فى الشمال،وتقوم مراكزها الرئيسة فى دوليب هل والناصر وأكوبو وتشمل مراكز لتأهيل القساوسة ودوراً لتدريب النساء ومشاريع زراعية واقتصادية ومستوصفات ومشاريع للنقل منذ عام ١٩٨٦ لم يستطيع أي من قساوستها ـ الذين يبلغ عددهم ثلاثة وعشرين ـ البقاء فى موقع عمله.

كنيسة إفريقيا الداخلية :

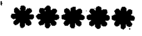
اتبعت هذه الكنيسة سياسة سودنة وظائفها بعد اتفاقية أديس أبابا، حيث قامت إدارة محلية مكونة من الأب زاكوت و ١٤ قساً، وأنشأت هذه الكنيسة مراكز لها فى توريد وكترى، واللبادى وايوم، وكابويتا، وأبو ويارجو وطلاقانة وجوبا وغيرها، كما أسست كلية لاهوت فى جوبا وثلاث مدارس بالإضافة إلى كلية الإنجيل فى جيلو. ولكن أدت الحرب إلى تدمير معظم هذه المراكز ولا يكاد نشاط الكنيسة يتجاوز جوبا فى فترة ما بعد ١٩٨٦ .

الكنيسة السبعية Seventh Day Adventist

وهى كنيسة نشأت أصلا فى امريكا على يد وليم ميلر عام ١٨٤٣ ، وتقوم عقيدتها على اقتراب نزول المسيح، وأنشئت هذه الكنيسة فى أواخر السبعينات وقد قام مبشر كينى بوضع حجر الأساس لها فى عام ١٩٧٩ فى جوبا (مركز رئيسى بالإضافة إلى كنيسة) وتهدف هذه الكنيسة، حسب ما تدعيه، إلى التنمية وقد أسست إلى جانب رئاستها فى جوبا - عدداً من المراكز فى توريت وملكال والناصر، وتدير عدة مدارس ومستوصفات ومراكز تدريب. ولها جهاز إدارى محترف.

إرسالية السودان الداخلية :

جددت نشاطها بعد الاتفاقية، حيث عمدت إلى التوسع فى نشر الإنجيل بين المابان وهو مترجم إلى لغتهم، كما دعمت عنصر السودنة فى نظامها حيث أصبح لها ٧ قساوسة محليين فى ملوط وحدها.



كنيسة بنت كوستال السودانية :

ازدهرت هذه الكنيسة فى كينيا، حيث ركزت على تنصير مسلمى الصومال فى أقاليم الحدود الشمالية الشرقية المتنازع عليها بين كينيا والصومال. جاءت هذه الكنيسة إلى جنوب السودان فى عام ١٩٧٧، حيث فتحت مقرا لها فى جوبا ثم فتحت مراكز فى مريدى وملكال وأصبح لها ٨ قساوسة أجانب.

بالإضافة إلى ذلك جاءت منظمات كنسية أخرى متعددة، بعضها مستكشف لفرص العمل، وبعضها مشارك فى مشروع أو مشروعين، ثم غادر، وبعضها جدد ما انقطع من نشاط، كجمعية رجال الكنيسة التبشيرية للإنجيل، ومن تلك الجمعيات جمعية الإنجيل البريطانية وجمعية الإنجيل الامريكية وغيرها. كانت الكنيسة سعيدة بفرص العمل التى أتيحت لها فى السودان.

استفادت كذلك الكنيسة من تحالفها مع حكومة نميرى العسكرية فكثفت عملها فى الشمال، حيث عمدت إلى استغلال ظروف القحط والغلاء والتحولات الاقتصادية، فعمدت إلى استغلال ظروف المجاعة ونجحت الكنيسة فى تنصير فرع من قبيلة صغيرة، مكونة من ٧٢ شخصا، حيث اعتنقوا المذهب الكاثوليكى فى واد مدنى وكانت هذه أول ظاهرة من نوعها بهذا الحجم فى تاريخ السودان[١٢٩] وقد هزت الظاهرة المجتمع السودانى لما صاحبها من استغلال بشع للحاجة واستخدام الإغاثة سلاحا للتنصير.

كانت الفترة بين عامى ١٩٧٢ و ١٩٧٧ - فى نظر أهل شمال السودان - فترة تحالف بين الكنيسة وحكومة نميرى، وكان أبرز سماتها، محاولات الجبهة الوطنية إسقاط النظام العسكرى فى السودان وإغاثة آلاف اللاجئين من الأنصار الذين هاجروا إلى اثيوبيا، وقد حاولت الجبهة الوطنية لفت نظر العالم إلى مأساة الأنصار اللاجئين فى اثيوبيا ولكنها كانت صيحة فى واد.

كانت أبرز مواطن الضعف فى اتفاقيات أديس أبابا، أنها لم تأت نتيجة قناعات أساسية وتحولات فكرية وسياسية فى المجتمعين الجنوبى والشمالى، لكنها كانت أشبه بالصفقة، التى حركتها عوارض طارئة، منها حاجة حكومة جعفر نميرى إلى مشروعية دولية وداخلية تستند اليها كما كانت حركة التمرد فى حاجة للسلام، حيث وجدت أن طريق الحرب لا يقودها إلا إلى المزيد من الحرب وشقاء المواطنين فى الجنوب، أما الكنيسة فكانت تخشى أن يؤدى غيابها

---

١٢٩ - Focus on Christian-Muslim Relations: The Islamic Foundation 223 London Rd. Leicester No. 5, 1982, qusting All African pres-service Which was quoting Bishop Baroni.

الذى طال إلى انحسار المسيحية بالكلية.

لقد كان ثمن السلام غاليا، إذ تخلت الحكومة فى سبيل حصولها على السلام عن كل مسئولياتها تجاه الجنوب: وسلمت الجنوب للسياسيين الجنوبيين من خريجى مدارس التبشير والكنيسة، الذين رأوا فى السلطة مجرد غنيمة يتقاسمونها مع ذويهم، فشاع الفساد بصورة لا مثيل لها وبددت الأموال والإعانات التى تدفقت من الهيئات الدولية والمنظمات والحكومات، ولم يعد المال العام يخضع لرقابة الحكومة وامتنع المراجع العام لحكومة السودان عن مراجعة حسابات الحكومة الاقليمية، باعتبارها منطقة تقع خارج دائرة المساءلة الحسابية وفى منتصف عام ١٩٧٧، تغير المناخ السياسى العام نتيجة لمشروع حركة المصالحة الوطنية، الذى جاء نتيجة لقاء الرئيس نميرى مع السيد الصادق المهدى فى بورتسودان فى ٢٢/يوليو/١٩٧٧. وبانبلاج فجر المصالحة الوطنية ما عادت سلطة الضباط تستند فقط على شرعية تحقيق السلام فى الجنوب، كما أن دخول الحركة السياسية الشمالية طرفا فى الرقابة العامة وسياسة الدولة، دفع الرئيس نميرى إلى اتخاذ إجراءات سياسية ضد الفساد فى الشمال والجنوب على حد سواء. وأعلن منهج القيادة الرشيدة، علما بأنّ أصابع الفساد كانت تشير إلى أقرب المقربين إليه فى السلطة.

وفى ظلال الانفراج التى صاحبت حركة المصالحة الوطنية، نمت الحركة الإسلامية فى السودان، فى إطار الصحوة الإسلامية العامة فظهرت المؤسسات المالية الإسلامية من شركات وبنوك إلى جانب مؤسسات الدعوة وازدهارها فى حركة بناء المساجد ومعاهد التعليم كما طغى الصوت الإسلامى وسط حركة الطلبة، وأخذت الحركة الإسلامية فى شق طريقها وسط التجمعات المهنية والنقابية. ومنذ ١٩٧٩ امتد النشاط الإسلامى من الشمال إلى الجنوب، فشهدت مدارس الجنوب بعض جوانب هذا النشاط وأقيم معسكرا إسلامي للطلاب الجنوبين المسلمين فى الخرطوم. وكان طبيعيا ان تتبرم الصفوة الجنوبية ومن ورائها الكنيسة من الشرعية الجديدة ومن بوادر النشاط الإسلامى. وانتهزت فرصة انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى، وهاجموا الحركة الإسلامية متهمين إياها بمحاولة تخريب السلام والتغرير بالطلاب الصغار، مشيرين إلى المعسكر الذى أقيم للطلاب الجنوبيين الذين دخلوا الإسلام حديثا.

وتمثلت استجابة الكنيسة لهذه الصحوة الإسلامية، فى محاولتها تعزيز وضع المسيحية فى الجنوب وذلك بخلق روابط الطلاب المسيحيين ومنافسة التيار الإسلامى فى أوساط الطلاب. وفى عام ١٩٨٠ شرعت جمعية الإرسالية التبشيرية فى مشرع تبشيرى تحت عنوان (المقاسمة مع السودان) اشتركت فيه ألف مدرسة وكنيسة فى جنوب السودان، كما أقيمت فى جوبا ورشة عمل بعنوان (شركاء فى بعثة) لمدة أسبوع، تحت رعاية الإرسالية التبشيرية،

شارك فيها عدد من قادة الكنائس فى العالم. ووضع الكاثوليك حجر الأساس لمركزهم العالمى للتأهيل فى الدراسات المسيحية(١٣٠)، كذلك أسرعت الكنيسة الكاثوليكية الخطى فى حركة السودنة حيث ألحقت الأب غبريال زبير بأسقفية الخرطوم ابتداء من عام ١٩٧٩، وفى سبتمبر ١٩٨١، عين خلفا لرئيس الأساقفة المحنك الأب الايطالى بارونى فكان بذلك أول رئيس سودانى، للاساقفة ولقد عنى هذا تطورا جديدا، إذ كان كل كاثوليك الخرطوم حتى عام ١٩٥٠ - رعاة ورعية من الأجانب اتجهت الهجرة الجنوبية نحو العاصمة واستطاعت الكنيسة أن تتبنى مخططا مكّن من تنصير ألفى جنوبى سنويا، وتحت قيادة الأسقف غبريال زبير أصبحت المطرانية خاضعة لإدارة مشتركة من القساوسة المحليين (جنوبيين) والأجانب، ولقد استطاعت الإدارة الكاثوليكية أن تكثف إنتاجها من الكتاب المسيحى، حيث بلغ ما وزعته منذ توقيع اتفاقية السلام وحتى عام ١٩٨٣، مليون كتاب مسيحى فى مطرانية الخرطوم، بينما لم يزد عدد الكاثوليك فى المطرانية عن خمسين ألف كاثوليكي(١٣١). هذا وقد أثار اختيار القس غبريال تساؤلا واستنكارا، باعتباره أقل خبرة من القس ارينو دود - ولكن يبدو أن اختيار غبريال زبير رئيسا للأساقفة (وهو لم يبلغ الأربعين بعد) راجع لعدم تورعه عن الخوض فى السياسة ومسلكه المتشدد تجاه الإسلام ومعارضة حركة تطبيق الشريعة، مما قد يعود بأسوأ العواقب على حركة الكنيسة.

١٣٠- افتتح الكاثوليك أول معاهدهم الدينية فى عام ١٩٥٤ على نهر التورى ما بين ياى ومريدى وقبل ذلك كان طلاب اللاهوت الكاثوليك السودانيون يذهبون للتأهيل فى يوغندا. أما فى ظروف الحرب الأهلية فقد انتقل تأهيلهم إلى يوغندا مرة أخرى. وبعد عام ١٩٧٢، أخذ التأهيل يتم محليا لفترة قصيرة فى جوبا ثم واو. وفى عام ١٩٧٨ قرر مؤتمر الأساقفة الكاثوليك إقامة مركز دائم للتأهيل اللاهوتى فى جوبا ولم يكتمل افتتاح هذا المعهد إلا فى عام ١٩٨٥ حيث - أخذ يستوعب فى الدورة التأهيلية الواحدة أربعين طالبا.

١٣١- تتبع لرئاسة الكنيسة الكاثوليكية لشمال السودان، مطرانيتان، هما مطرانية الخرطوم ومطرانية الأبيض، ويبلغ عدد الكاثوليك فى مطرانية الأبيض حوالى ١٤٦ ألف كاثوليكى ويشرف على الكنيسة القس النوبى مكرم ماكس، الذى عين رئيسا للكنيسة فى نوفمبر ١٩٨٣ ويساعده فى ذلك عشرة من القساوسة وخمسة من المبشرين وراهبة من راهبات فيرونا وتضم المطرانية عشر دوائر كنسية، بينما يبلغ عدد الدوائر الكاثوليكية فى الجنوب ٦٢ دائرة وبذلك يصبح فى السودان ٧٢ دائرة كنسية كاثوليكية.

العودة إلى الحرب :

استخدم الأب غبريال زبير موقعه - باعتباره رئيسا - للكنيسة فى الخرطوم فى معارضة تطبيق الشريعة. فعندما أعلن الرئيس نميرى إجازة القوانين الإسلامية بأوامر جمهورية فى سبتمبر ١٩٨٣ جاء رد الأب زبير: (إن تطبيق الشريعة سيغير أحوال المواطنين فى البلد سريعا ويجعلهم متعطشين لسفك الدماء) وربما كان يشير بذلك إلى حرب العصابات التى ظهرت قبل إعلان الشريعة فى جنوب السودان فى قطاع اريات واويل واستهدفت أساسا، مسلمى الدينكا ومساجدهم ومدارسهم الدينية.

أخذت أجواء السلام تتكدر فى جنوب السودان منذ النصف الثانى للسبعينات، وكان مرد ذلك أحيانا، لحركة التنقلات الروتينية التى تتم فى وسط القوات المسلحة، حيث كان ذلك يفهم أحيانا أنه محاولة لإخلاء الجنوب من الجنود الجنوبيين كما كان يفهم فى الشمال على أنه محاولة من نميرى لبسط سيادته من خلال الجنود الجنوبيين لعدم ثقته فى الجنود الشماليين، بينما كان الأمر فى حقيقته لا يعدو أن يكون محاولة طبيعة لتغيير المواقع وفقا للمصلحة العامة، كما زاد من التوتر، إحساس أفراد القبائل الجنوبية من غير الدينكا، باستئثار عنصر الدينكا بسلطات الإدارة والسياسة مما دفع بقيادات القبائل الاستوائية إلى المطالبة بإعادة تقسيم جنوب السودان إلى ثلاث مديريات، وأدى ذلك إلى انقسام الصفوة الجنوبية إلى حزبين، حزب التقسيم وحزب التوحيد، مما زاد التوتر فى صفوف القوات المستوعبة. والأمر الثالث ذو الأهمية، أن سلام الجنوب أدى إلى حركة صحوة إسلامية وسط القبائل الجنوبية المقيمة فى مناطق التمازج بين الجنوب والشمال، فى جنوب السودان، مما أدى إلى ظهور حركة تمرد بقيادة دينق ماجوك وبدعم من اثيوبيا تحت اسم (انانيا الثانية)، استهدفت المساجد والمعاهد الدينية والرموز الإسلامية والمدارس فى منطقة أويل، وأخذت هذه الحركة تكسب العناصر المتمردة التى لم تستفد من اتفاقية أديس أبابا كما أن غياب الحكومة المركزية والغلاء وتدهور الأوضاع المعيشية بالإضافة إلى الكشوفات البترولية فى منطقة بانتيو رفعت أسهم المطالبين بانفصال الجنوب، حيث جاء إغراء الموارد البترولية معززا رؤيتهم فى إمكانية استغناء الجنوب عن الشمال، كما جاء إعلان الحكومة عن اختيار مدينة كوستى موقعا لإقامة مصفاة البترول بمثابة صب الزيت على النار المشتعلة منذ نهايات ١٩٧٢. وهكذا أخذت حركة التمرد تتوسع وتتغذى من العناصر الرافضة للإسلام ومن المعارضين لفكرة تقسيم الجنوب، والرافضين لشق قناة جنقلى، والعناصر الساخطة الكافرة حتى بالمسيحية ذاتها والتى تم استقطابها لصالح الشيوعية ثم جاء إعلان الشريعة فى الشمال فانتهزها الغرب فرصة للترجيب بحركة التمرد وقطع الطريق على حركة الإسلام فى الجنوب والشمال على حد سواء.

نمت حركة انانيا فى اثيوبيا وليبيا،وفى مايو ١٩٨٣ تمردت كل من حاميتى ١٠٥ فى بور و٣٠٠ بالبيبور. وحاولت القوات المسلحة التفاوض مع المتمردين، واستعانت فى ذلك بالعقيد جون قرنق الذى ما إن وصل حتى انحاز إلى المتمردين ومعه واحد وعشرون ضابطاً وفروا إلى اثيوبيا بعد المواجهة العسكرية، وهناك استقبلوا فى المعسكرات التى أعدت لهم، كما قام بتدريبهم خبراء عسكريون من روسيا وكوبا،وفى هذا الظرف أعلن أهل الاستوائية عن عزمهم دخول الغابة إن لم يتم إعلان تقسيم الجنوب وفى ٢٣ مايو ١٩٨٣م، أصدر الرئيس نميرى أمرا جمهوريا بتقسيم الجنوب إلى ثلاثة أقاليم إدارية لتأمين الاستوائية خصوصاً أن دعاة توحيد الجنوب قد تمردوا رافعين السلاح فى وجه السلطة الشرعية.[١٣٢]

وخلال عدة اسابيع، نمت حركة التمرد مستفيدة من العسكريين الذين انحازوا بسلاحهم إليها. وفي سبتمبر ١٩٨٣ صدر أهم قوانين الشريعة الإسلامية متمثلة فى القانون الجنائى،وأعلن تطبيق الحدود الشرعية،وقد صحب ذلك قانون بالعفو عن السجناء استفاد منه عشرة الآف مجرم،كما أبيدت خمور قيمتها ١,٥مليون جنيه فى احتفال عام فى ٢٣ سبتمبر ١٩٨٣. أدى إعلان تطبيق الشريعة إلى انخفاض كبير فى حركة الجريمة برغم إخلاء السجون وإطلاق سراح المجرمين، الذين بدأ معظمهم حياة جديدة.

ماركسية قرنق:

ابتداء من عام ١٩٨٤، أخذت حركة التمرد تكشف عن مواثيقها وأهدافها حيث أعلنت عن قيام الحركة الشعبية الاشتراكية لتحرير السودان،وجناحها العسكرى جيش التحرير الشعبي لتحرير السودان: وقد ركز ميثاق الحركة على ما أسماه بأزمة الهوية فى السودان وتبنت الحركة أطروحات الفكر الماركسى الشيوعى،ودعوتها لقيام سودان اشتراكى - علمانى، وتحرير السودان من حكم الأقلية - الخرطومية كناية عن تحرير السودان مما يسمونه بطغيان الثقافة الإسلامية والعربية وطبعها لحركة البلاد بميسمها. كما هاجمت الحركة طريق التطور الرأسمالى

١٣٢- حذرت الولايات المتحدة الامريكية الرئيس نميرى من إعادة تقسيم الجنوب، ويبدو أن الاستخبارات الامريكية كانت ملمة بحقيقة الوضع فى الجنوب، كما ساعدت على تسرب السلاح لدعاة التوحيد والتقسيم، وشجعت الاستخبارات الامريكية دعاة التوحيد بعد قرارات التقسيم. أما العقيد جون قرنق فهو من دينكا بور وتلقى دراساته مابين تنزانيا وأمريكا حيث نال الدكتوراة فى الاقتصاد الزراعى ويقال إنه تلقى تدريبا عسكريا فى إسرائيل.

الذى تسير عليها البلاد، والتنمية غير المتكافئة، ودعت كل القوى المهضومة الحقوق إلى الانضمام لحركة التمرد.

وفى سبتمبر ١٩٨٣، حدثت واقعة جبل بوما والتى كشفت عن مدى اختراق حركة التمرد للجنوب، وكذلك المدى الذى وصله التغلغل التنصيرى ممثلا فى الإرساليات ومؤسساتها بطائراتها ومطاراتها فى جنوب السودان، تلخصت الواقعة فى قيام وحدة من وحدات جيش (التحرير الشعبى) بمهاجمة جبل بوما، حيث تم احتجاز عدد من الأوربيين العاملين مع منظمة الغوث المسيحى والتى تنطلق من كينيا واتخذت من جبل بوما قاعدة لعملياتها حيث أصبح لها نظام اتصال جوى وطائرات ومطار، حررت القوات السودانية الأوربيين المحتجزين وقضت على الوحدة المتمردة. وعقب ذلك اعتبرت حركة التمرد كل جنوب السودان، منطقة عمليات وطالبت كل الخبراء الأجانب بما فى ذلك المبشرين الأجانب بإخلاء جنوب السودان وهكذا جاء هذه المرة قرار إبعاد المبشرين الأجانب[١٣٣] من الحركة التى تغذت فى مدارسهم بالثقافة المسيحية. وفى نوفمبر ١٩٨٣ قام فصيل متمرد آخر باختطاف ١١ خبيرا أجنبيا (٩ اوربيين و ٢ باكستانيين) من العاملين مع المؤسسة الفرنسية التى تعمل بشق قناة جنقلى، مما حدا بالشركة إلى إيقاف عملياتها، وفى ٤ فبراير ١٩٨٤ أعلنت شيفرون الأمريكية توقف عمليات التنقيب عن البترول فى جنوب السودان بعد تعرض مواقعها لهجمات المتمردين. وفى ٢٩ ابريل ١٩٨٤ أعلنت الحكومة السودانية حالة الطوارىء فى كل الأقاليم الجنوبية.

اصبح المشروع التبشيرى والذى يعتبر أهم إنجاز حققته الكنيسة فى ظل الحكم البريطانى مهددا بالحرب الجديدة التى اندلعت فى جنوب السودان، وخاصة أن المتمردين الجدد لم يستثنوا الوجود الكنسى بل طالبوه بإخلاء الجنوب، وجاء رد الكنيسة على مطالب حركة التمرد فى صيغة هجوم على الحكومة الشرعية فى الخرطوم وركزت حملتها على تطبيق الشريعة، كما أخذت تتكلم عن أنّ ما يهدد المسيحيين، ليس حرب الجنوب ولكن الاضطهاد الشمالى المزعوم، وأن السلطات الحكومية تراقب حركة المسيحيين وتخضع كنائسهم للتفتيش، كما أنها تستدعى المؤمنين ـ أى النصارى ـ من أهل البلاد والأجانب للمساءلة[١٣٤]، وأرسل مجلس الكنائس العالمى وفدا للسودان لمناقشة قضية تقسيم الجنوب والشريعة، أما الأسقف زبير فقد كان موضوعه المفضل هو معارضة الشريعة، بينما تجاهل تماما المهدد الأمنى المتمثل فى حركة التمرد. وزعم أن تطبيق الشريعة يحد من حريات المسيحيين

١٣٣ـ القرار الأول بإبعاد المبشرين الأجانب جاء من سلطة ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ العسكرية بقيادة الفريق عبود والتى أجلتْ المبشرين فى فبراير مارس ١٩٦٤

134– The Evidence, March - April, 2 1984.

يحيلهم فى بلادهم إلى مواطنين من الدرجة الثانية. كما وجهت مجالس الكنائس فى شرق إفريقيا (كينيا، يوغندا، تنزانيا) نداء لحكومة السودان مطالبة إياها باحترام معتقدات النصارى واستثنائهم من قوانين الشريعة[١٣٥] ورفعت مذكرة وقعها قادة هذه الكنائس الكاثوليكية والأسقفية المسيحية ومجلس الكنائس السودانى مستنكرين تطبيق الشريعة بينما امتنعت الكنيسة القبطية عن التوقيع بل رحب بعض قادتها بإعلان تطبيق الشريعة.[١٣٦]

جاء رد الكاثوليك على مطالبة حركة التحرير الشعبى للخبراء الأجانب بإخلاء الجنوب، بأنهم يعانون نقصا حادا فى القوة الكنسية العاملة، وأن لهم قسا واحدا مقابل كل ٧٠٠ر٦ كاثوليكى - وقسا واحدا مقابل كل ١٢٤ ألف من السكان، أما الكنيسة النرويجية فقد استجابت لطلب قرنق، حيث تم ترحيل مائة من العاملين وأفراد أسرهم المنتمين لقوة الكنيسة النرويجية لتنمية جنوب السودان فى يناير ١٩٨٥، عن طريق الجو إلى نيروبى، ولكن ابتداء من عام ١٩٨٧ عاد بعضهم للعمل الإغاثى هذه المرة فى صفوف المتمردين.

ومنذ عام ١٩٨٤، أضحى الشعب السودانى، ضحية للصراع الدولى والإقليمى والمحلى على أرضه: الكنيسة ضد حركة تطبيق الشريعة، وحركة التحرير الشعبى ضد كل النظام القائم فى السودان، ابتداء بالإنسان وانتهاء بالتنمية، والمؤسسات التعليمية التى أضحى مصيرها النهب والخراب، وجاء ذلك كله فى ظروف ضائقة اقتصادية وجفاف وتصحر قضى على الزرع وأهلك الماشية والبشر فى بعض مناطق الأطراف القصية. زار نائب الرئيس الامريكى جورج بوش السودان فى مارس ١٩٨٥ وسط هذه الظروف القاسية التى كانت تمر بها البلاد وقد تضمنت زيارته تقويما اقتصاديا وسياسيا لأوضاع البلاد، حيث زار معسكرات النازحين واللاجئين فى مختلف أصقاع البلاد وقابل الرئيس نميرى والمسئولين فى الحكومة وعددا من رموز العلمانية فى السودان.

وبعد أيام من مغادرة بوش للبلاد، بدأت حركة اعتقال واسعة لقادة الاتجاه الإسلامى فى البلاد شملت د. حسن الترابى، وعثمان خالد مضوى وأحمد عبدالرحمن وعشرات من القيادات الأخرى، وقد دشن الرئيس نميرى حملة الاعتقالات ببيان أذاعته أجهزة الاعلام، اتهم فيه العناصر الإسلامية، بمحاولة اختراق مؤسسات البلاد الرسمية للانقضاض على السطة، كما قامت حملة ضخمة لتشويه سمعة المؤسسات الاقتصادية الإسلامية وتحميلها مسئولية المجاعة والتدهور الاقتصادى.

أدت اجراءات نميرى ضد الإسلاميين إلى عزله تماما، فى ظروف يئس العلمانيون من أى خير يمكن أن يأتى من خلال النظام، خصوصا بعد أن روّعوا بحادث إعدام محمود محمد

135- Focus, 7/84.

136- Focus, 11, 1983.

طه، أحد فلاسفة التجديد العلماني للإسلام،وفى هذه الفترة، غادر نائب الرئيس اللواء عمر محمد الطيب فى رحلة عمل لامريكا طمعا فى نيل الحظوة لدى الامريكان، خصوصا بعد أن خدمهم فى موضوع تهجير الفلاشا لإسرائيل، وأعقب رحلة نائب الرئيس / رحلة الرئيس نفسه فى ظروف سخط ومظاهرات، بدأها اتحاد طلاب جامعة أمدرمان الإسلامية ضد النظام، مما هيأ الظروف لثورة شعبية حدثت بقيادة الجيش إلى تسلم لسلطة والقضاء على حكم نميرى فيما عرف بثورة رجب ابريل عام ١٩٨٥، وأصبح الفريق عبدالرحمن سوار الذهب فى ١٢ ابريل ١٩٨٥ رئيسا للدولة خلال الفترة الانتقالية بين سقوط نميرى وبداية الديمقراطية الثالثة.

لم تمهل الحركة الشعبية الحكومة الانتقالية الجديدة حتى تتعرف على سياستها حيال مشكلة الجنوب وإنما سارعت لإدانتها دامغة إياها بأنها امتداد لنظام نميرى وأن لا سبيل لأى سلام معها، وعلى ذات الوتيرة، جاء رأى الكنيسة فى النظام الجديد، حيث ورد فى مذكرة الكنيسة الكاثوليكية التى رفعها الأساقفة الكاثوليك بأن المجلس العسكرى الانتقالى الجديد متطرف فى تحيزه ضد المسيحيين.. وأن المجلس جاهل باحتياجات المسيحيين ومطالبهم.. ولا يفهم لغة الكنيسة ولا هياكل بنائها ولا حتى وظائفها وطبيعة الكنيسة المسيحية"[١٣٧] وبعد فترة أرسل الفاتيكان الراهبة الكاثوليكية المعروفة ماما تريزا - الحائزة على جائزة نوبل للسلام - لمقابلة الفريق سوار الذهب لحثه على السماح لعدد من الراهبات للمجيء والعمل بالسودان، كما لجأ مجلس الكنائس العالمى للواء جيمس لورو سيرليو، رئيس المجلس التنفيذى العالى الانتقالى لجنوب السودان، حاثا إياه لمحاولة الشروع فى إجراءات صلح بين النظام الجديد والحركة الشعبية لتحرير السودان."[١٣٨]

ظهرت الكنيسة الكاثوليكية كقناة رئيسية لتوزيع الغذاء فى الشمال فى فترة مجاعة ٨٥-١٩٨٦، حيث جاء الكثير من العون الغربى من خلال قنوات الكنيسة، وفى اكتوبر ١٩٨٥ توسلت الكنيسة للنظام الجديد فى خطاب مفتوح نبذ طريق الحرب..

(إن الأمة تتجه إلى طريق القسمة تتوزعها صراعات بسبب الانقسامات الدينية والعرقية والإقليمية) كما اتهم الخطاب الحكومة بإشعال فتيل العنف على الأخص وسط المسيحيين. كما أبدى الأب غبريال زبير خوفه من أن تكون الولايات المتحدة، الممول الأساسى لنظام نميرى بالسلاح، مازالت ضالعة فى تغذية السودان بالعون العسكرى، حيث أن أى عون عسكرى للجيش السودانى سيذهب لمحاربة مواطنينا، وليس للدفاع ضد القوى الخارجية.

137- Focus G. 1985.

138- Ibid.

139- Focus/ 86.

وفى عام ١٩٨٧ جدد الأسقف الكاثوليكى تابادورالدعوة للإدارة الامريكية للامتناع عن تزويد السودان بالسلاح، وقد أدى توقف العون العسكرى الامريكى والغربى خاصة، إلى شلل فى حركة الإمداد العسكرى للمقاتلين فى الجنوب، كما احتجزت امريكا بعض الطائرات السودانية التى أرسلت للصيانة، مما أدى إلى اجتياح المتمردين للريف فى جنوب السودان وسقوط رمبيك.

اجتهدت الكنيسة خلال فترة الحكم الانتقالى فى مواصلة الضغوط لإلغاء الشريعة وإلغاء قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢ وإبطال وزارة الأوقاف والشئون الدينية[١٤٠] لطفت الكنيسة بعد فترة خطابها إذ ذكرت فى مقدمة خطاب دعوى مرفوع للسلطة (أنها ترى فى السلطة العسكرية الجديدة، مبعثا لآمال حياة جديدة، ودعا الخطاب، قادة المسيحيين أن يحرصوا على إيجاد حل مسيحى للقضايا والمشاكل التى تواجه البلاد. فتحت السلطة الانتقالية ملف قضية الفلاشا وصدم الرأى العام السودانى، حينما تكشف له ضلوع وتورط هيئات الإغاثة الكنسية فى ترحيل الفلاشا على الأخص هيئة الإغاثة الكاثوليكية الدولية و«الموساد» الاستخبارات الإسرائيلية، وكذلك الاستخبارات الامريكية.[١٤١]

ابتداء م عام ١٩٨٦ أطل تحالف كنسى جديد بوجهه، ضاما هذه المرة الكنيسة القبطية، لأول مرة منذ حكم نميرى، والكاثوليك والبروتستانت تحت اسم رابطة المسيحيين السودانية من أجل المجاهدة لإجهاض حركة تطبيق الشريعة[١٤٢] وفى منتصف عام ١٩٨٦ وبعد أسابيع من تقلد السيد/ الصادق المهدى منصبه رئيسا للوزراء، الذى التزم بإلغاء قوانين الشريعة وفتح صفحة جديدة، قامت كنيسة عالمية بإرسال أول حمولة إغاثة مقدرة بسبعمائة وخمسين طنا متريا من الزيوت والألبان المجففة والدقيق إلى واو عبر قنوات إغاثة الكنيسة الأسقفية وتحت إشراف أسقف واو جون ميلان[١٤٣]

كما قام البابا بتوجيه نداء من أجل شعب جنوب السودان، الذى يموت من جراء الجوع، وفى نوفمبر ١٩٨٦، قام حاكم الاستوائية وينتمى للمذهب الكاثوليكى اللواء بيتر سريلو - لدهشة الكنيسة - بطرد اثنين من القساوسة الأجانب من السودان. وبعد فترة طلبت الحكومة السودانية من هيئة البرانج الميدانى للكنيسة اللوثرية العالمية ومنظمتين كنيستين أخريين إيقاف عملياتهم فى السودان وذلك فى منتصف اكتوبر ١٩٨٧.

140- Omris Terra, December 1985.

141- Tudor Parfitt, Operation Moses, The Untold Story of the Exodus of the Falasha Jews from Ethiopia, London. 1985. P. 45.

142- Focus 4, 86 P. 7.

143- Focus. 86. P. 7.

في منتصف عام ١٩٨٦ أبدت الكنيسة السودانية، استعدادها للتوسط بين حكومة السودان والمتمردين، ونهض فريق ممثل للكنيسة السودانية، حيث تحاور مع المتمردين والسياسيين والجنوبيين، طالبا منهم التغلب على خلافاتهم فى سبيل حل مشكلة جنوب السودان ـ كما هاجم الأب غبريال زبير السياسيين الجنوبيين لعجزهم عن الدفاع عن مصالح مواطنيهم، نظرا لتفشى القبلية والحزازات الشخصية بينهم، وذكر الأسقف وانى (إن لم تقض الحرب على جنوب السودان، فسيقضى عليه تفشى الروح العدائى والا أخلاقى)[١٤٤]

طاف وفد الكنيسة السودانية بعدة أقطار إفريقية، طالبا من رؤسائها ممارسة مختلف الضغوط على حكومة السودان، حتى ترضخ لمحادثات سلام وفق صيغة كوكادام، التى وقعتها الأحزاب السياسية والقوى العلمانية مع حركة قرنق، والتى نصت على إلغاء الشريعة ورفع حالة الطوارىء. وقد وقع السيد/ إدريس البنا باسم حزب الأمة. ووجد الوفد قبولا حسنا على الأخص من الرئيس الزامبى كينيث كاوندا، الذى أدان ما وصفه بسياسات حكومة السودان العنصرية، كما طمأن قادة الكنائس السودانية، أن زامبيا ستظل أبدا حفيظة على دعم نضال شعب السودان الأسود.[١٤٥]

هذا التوجه المعادى لحركة الشريعة والذى يركز على مخاطبة العالم الخارجى وتعبئته ضد تطبيق الشريعة فى السودان، جعل الكنيسة تبدو، أكثر فأكثر ظاهرة خارجية غريبة على جسم المجتمع، تستمد مددها وتوجيهاتها من خارج الحدود، وقد أكدت هذه المعانى زيارة رئيس الأساقفة غبريال زبير لالمانيا الغربية حث ذكر أن الجنود السودانيين يقومون بتفتيش ممتلكات الكنيسة بصورة دورية وغير قانونية وأنهم يتدخلون فى حرية العباد.

فى بداية عام ١٩٨٧، اعتقلت قوات التمرد التابعة لقرنق ثلاثة من القساوسة الأجانب، حينما داهمت قرية تورى فى الاستوائية وأفرجت عن أحد القساوسة بعد عشرة أيام، بينما أخذ الآخران رهينتين لما يقارب العام. وفى ٧ يونيو ١٩٨٧ قامت قوات التمرد التابعة لقرنق باختطاف ثلاثة مدرسين امريكيين وممرضة بريطانية يعملون مع الرابطة الامريكية لمنظمة الموارد المسيحية[١٤٦]، وتبع ذلك تحذير آخر للعاملين مع منظمات الإغاثة بمغادرة جنوب السودان.[١٤٧]

تفادت الكنيسة كعادتها توجيه اللوم إلى حركة التمرد واكتفت بالقول إنها متفائلة بإطلاق سراح المعتقلين بسلام بناء على تجاربها السابقة مع حركة التحرير الشعبية، وبدلا من ذلك،

144- Focus 12/ 86/ p. 6.

145- Focus 1/ 1987.

146- International Herald Tribune, Thursday, 9th July, 1987. P.

147- The Guardian, Friday, 10 th July, 1987.

ركزت الكنيسة على عملية ابعاد اثنين من خبرائها على يد حاكم الجنوب . كما خلصت النشرة الكاثوليكية[148] فى تحليل خبرى عن السودان إلى (أنه فى ظل الأوضاع السائدة، فإن حرص الكنيسة على الحوار مع مجتمع السودان الإسلامى لا يكاد يجد له استجابة.)

برزت ظاهرة جديدة، كشفت عن الصراع الداخلى وسط العاملين فى الكنائس، ففى ٢٣ يونيو ١٩٨٧ كتب القس ادى. اس. امبروس المؤسس والمدير لكنيسة المائدة السودانية الى النائب العام لحكومة السودان شاكيا التدخل السافر للأجانب فى شئون الكنيسة وعلى الأخص خبراء الوكالة السويدية العالمية للغوث التنموى، حيث تجاوزت هذه المنظمة أداء عملها وحدود اختصاصها باستيراد وتوزيع الأناجيل (وزعت مائة وثلاثين ألف نسخة من الإنجيل) واستوعبت عددا من الموظفين الأجانب علما بأنهم دخلوا بتأشيرات سياحية، كما طرد بعضهم من الجنوب ولكنهم عادوا بجوازات سفر جديدة. كذلك درجت هذه الكنيسة على تعميد بعض الأشخاص قساوسة كما اتهم صاحب الشكوى الكنيسة بتزويد اللاجئين بوثائق ثبوتية سودانية كوثيقة الجنسية وجوازات السفر)، كما اتهم رجال الكنيسة بتحريض الأهالى للثورة ضد منظمة الدعوة الإسلامية وبالعمل لإحياء النزاعات والصراعات القبلية[149] ورفع القس اندريا وال، مدير الكنيسة الإفريقية المسيحية (السودانية) مذكرة إلى النائب العام لحكومة السودان ضد الهيئات والإرساليات الكنسية التالية:

الجمعية الإفريقية لإعادة تعمير جنوب السودان (وهى هيئة تطوعية)، والهيئة السويدية الحرة والكنيسة النرويجية، وأخذ عليهم أنهم انصرفوا عن التنمية والعمل الطبى إلى ترجمة الإنجيل وتدريب القساوسة خارج إطار اتفاقهم مع حكومة السودان. كذلك تأزمت العلاقات بين قساوسة الكنيسة الأسقفية نتيجة للصراعات القبلية، مما دفع كل قبيلة لترقية أتباعها فى الهيكل الكنسى للسيطرة على الكنيسة ومواردها.

وبينما كان هذا الصراع الداخلى محتدما فى أروقة الكنيسة، وجدت الكنيسة متنفسا فى معارضة تطبيق الشريعة، وهى القضية التى يمكن أن توحد الكنيسة وتصرفها عن خلافاتها الداخلية بعد أن انفض عنها سامرها وزال بريقها الروحى. ثم جاءت المزاعم التى نشرها

148- International Fide Service.

١٤٩ـ خطاب القس أدى باس. أمبروس الى ديوان النائب العام بتاريخ ١٩٨٧/٦/٢٣ كما نشرته جريدة الراية، السبت ٨ ربيع أول ١٤٠٨هـ الموافق ٣١ أكتوبر ١٩٨٧ ص ٣.

١٥٠ـ المصدر السابق ص ٣.

١٥١ـ انظر عشارى وبلدو ـ الرق فى السودان الخرطوم ١٩٨٧. عرف هذان الأستاذان بميولهما اليسارية وتجاوبهما مع حركة جون قرنق.

أستاذان فى جامعة الخرطوم حول ممارسة الرق فى السودان بمثابة هدية وقعت بردا وسلاما على الكنيسة، وقد استندت تلك المزاعم إلى نزاع قبلى معروف بين الدينكا وقبائل جنوب كردفان، فصورته على غير حقيقته وأصبح الموضوع فى قائمة جدول أعمال مجلس الكنائس السودانى وهو يتأهب للمشاركة فى اجتماع مجلس عموم كنائس إفريقيا المنعقد فى لومى عاصمة توجو فى الثانى من ديسمبر ١٩٨٧، فأوردت مذكرة المجلس، أن السودان يمارس نظام العبودية فى تحدٍ تام لقواعد العدالة وحقوق الإنسان. وورد فى ورقة رسمية بعنوان (إنقاذ السودان) مايلى: (المناداة بضرورة إيجاد السودان الجديد الخالى من السيطرة العربية.) ودعت الورقة مجلس الكنائس الإفريقى والعالمى إلى المساهمة فى إيجاد هذا السودان الجديد. وفى ٢٧ يونيو ١٩٨٨، أعلن رئيس الكنيسة الكاثوليكية بالسودان أن النازحين الجنوبيين إلى الخرطوم وغيرها من مدن السودان لا يهددهم الفقر والاستغلال فحسب بل يعانون من عنت سلطات الأمن كذلك.

وفى منتصف يوليو ١٩٨٨ قام مكرم ماكس، أسقف الأبيض، بجولة فى الولايات المتحدة الامريكية، داعيا إلى معاقبة السودان بفرض عقوبات اقتصادية عالمية وأهاب بالغرب - الذى توقف عن إعانة السودان عسكريا - أن يضغط الدول الإسلامية كى تكف من دعم السودان عسكريا، وأشار إلى أن الحكومة السودانية مقبلة على سن تشريعات تمنع غير المسلمين من تولى المناصب العامة فى الدولة، وأن الحكومة قد عقدت صفقة سرية لاستبدال وكالات الإغاثة الغربية بوكالات إسلامية. كما دعا إلى إقناع الثوار باستخدام الوسائل السياسية لتحقيق أهدافهم.[١٥٢]

اتخذت حركة تطبيق الشريعة بعدا عالميا، حينما أصبحت واحدة من القضايا المثارة فى أروقة مؤتمر لا مبث العالمى فى بريطانيا فى يوليو عام ١٩٨٨،[١٥٣] حيث صدرت ثلاث توصيات بشأن السودان من أصل التوصيات السبع الصادرة فى حق العالم الإسلامى. الأولى تعلقت بما أسماه المؤتمر بظاهرة بروز الأصولية. الإسلامية حيث ذكر، أن الانبعاث

152- All African Press service, 25/88, June 27, 1988. P. 6

153- The Universe, sunday, July 24, 1988, P. 6.

١٥٤- مؤتمر لامبث، يعقد كل عشر سنوات، تحت رئاسة رئيس أساقفة الكنيسة الانجليزية ويحضره كل قادة المذهب الانجلكانى على مستوى العالم، وللمؤتمر أهمية سياسية وفكرية نسبة لأثر الكنيسة على السياسة فى بريطانيا وامريكا وكندا واستراليا.

الإسلامى أدى إلى خرق فاضح لحقوق الإنسان الأساسية، وأن هذا الإسلام الأصولى مسئول عن ظاهرة تدمير الكنائس فى نيجريا والسودان، وحثت التوصية الثانية حكومة السودان على التفاوض مع المتمردين بواسطة طرف ثالث كمجلس الكنائس العالمى أو الإفريقى. كما أبدت التوصية الثالثة، قلقها المتزايد بشأن اتجاه حكومة السودان لإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية، وفرضها على شعب السودان وحثت التوصية الحكومة على إعادة النظر فى قرارها حتى تحل محل الشريعة قوانين أكثر إنسانية فى معاقبة المجرمين.

تمر الكنيسة السودانية بمنعطف تاريخى خطير، جعلها تتنكب عن أداء دورها وتبليغ رسالتها وتنصرف إلى العمل السياسى المحض ضد حكومة السودان وضد أمنه ومؤسساته العسكرية، كما أنها أخذت تروج الإشاعات الضارة بسلامة المجتمع السودانى، واصمة إياه بممارسة الرق، وهى الهيئة المسئولة، التى يسندها آلاف المبشرين المتفرغين وتعرف ما يجول داخل المجتمع السودانى، كما تعلم أن مسألة الرق هذه لا تعدو أن تكون فرية كاذبة، وعندما تسعى الكنيسة إلى ترويج الأكاذيب وتفقد القدرة على النطق بالحق، فإنها لا تعود مؤسسة روحية، ولا يتأتى لها أن تقود المجتمع نحو القيم العالمية والتماسك الأخلاقى، لأن فاقد الشىء لا يعطيه، ولما كانت رسالة الكنيسة الأساسية وجودها على ارض السودان وبين شعبه الطيب، الذى ينفحها بالامتيازات بينما تنفخ هى فى العالم ان يهب لمعاقبة السودان ومحاصرته بدلا من نجدته.

الكنيسة على مفترق الطرق:

الكنيسة ـ المؤسسة المعبرة عن حركة الحضارة المسيحية ـ تواجه تحديا خطيرا فى عالم اليوم حيث أن القضية ما عادت مدى ملائمة الكنيسة لعالم اليوم ولكن كذلك قدرة المسيحية ذاتها ـ فى أى شكل عبرت به عن نفسها ـ على الإجابة على قضايا واحتياجات الإنسان ومدى مصداقية المقولات المسيحية، ويمتد التساؤل إلى علاقات إنجيل اليوم بالإنجيل المنزل على عيسى، وما أصابه من تحريف وتبديل، كما أن أزمة المسيحية تتمثل فى الماضى والحاضر المنهج والرؤية والمعتقد، كذلك يتعلق السؤال بـ: هل المسيحية رسالة سماوية، ابتداء من عقيدة التثليث وعصمة البابا، وانتهاء إلى أسطورة نسيج قميص صلب المسيح[١٥٥]

١٥٥ـ ثبت أن ماتحفظه الفاتيكان، على أساس أنه القميص الذى صلب فيه المسيح لايتجاوز عمره الأربع أو الخمسة قرون على حسب قول مختبرات أكسفورد وزيورخ واريزونا، وعليه يستحيل أن يكون ذلك هو القميص الذى صلب فيه المسيح والذى مر عليه قرابة العشرين قرنا.

تكشف الرؤية المتعمقة فى توجهات الحضارة الغربية، مركز الكنيسة العالمية أن هذه الحضارة مبحرة صوب اللا أدرية والمادية والإلحاد. وقد أشار البابا نفسه إلى ذلك فى خطابه السنوى للمؤتمر الكاثوليكى المنعقد بالمانيا فى آخر عام ١٩٨٦. حين قال:

«إن الهوة آخذة فى الاتساع بين الرسالة المسيحية وسلوك المسيحيين، وإن هناك معالم محددة تشير إلى الحاجة إلى إعادة التبشير للإحاطة بالتوجه اللا أخلاقى، والمشاركة المتضاءلة فى الشعائر المسيحية مثل السر المقدس والعشاء الربانى - والتقصير الحاد وسط الأسر المسيحية فى نقل العقيدة للاجيال القادمة.» كما انتقد البابا المذاهب المادية الغربية المتعددة والتى فشلت فى إحراز سعادة إنسانية مسالمة، بل كان من نتائجها الحروب وويلات الدمار والتوتر وإهدار الدماء. وقد أعرض البابا - كما كان متوقعا - عن الاعتراف بأن الكنيسة تتحمل مسئولية ليست باليسيرة فى إهدار الدماء. كما حدث تحت راية الحروب الصليبية وما تلاها من حروب فى العصر الحديث تحت راية الرجل الأبيض وقهر الامم المستضعفة باسم الحضارة الأوربية المسيحية وتبلغ رسالتها.

وفى تقرير صادر عن هيئة الفتوى التابعة للمجلس العام - Synod - للكنيسة الانجليزية تحت عنوان (نومن بالله)We believe in God تساءلت مشككة فى حاكمية النص الإنجيلى بأن النص لا يمثل السلطة العليا لإعادة بناء الإيمان والعقيدة. لان كل محاولة تستخدم النص مرجعا ومعيارا لتجديد العقيدة تؤدى إلى ظهور فرقة مسيحية جديدة ولأن الإنجيل يبث أفكاره من خلال القصص والروايات، لا عن طريق العبارات المحددة القاطعة، والأقاصيص فى نهاية الأمر، تخضع للتأويل والتفسير.

كما أن الكنيسة الانجلكانية مثقلة بالمشاكل بدءا بالنظر فى جدارة المرأة بأن تكون قسيسة ومطرانة إلى تحديد رأى الكنيسة من قضايا الشذوذ الجنسى ونظرتها إلى الإنجيل، وهى قضايا شائكة تهدد وحدة الكنيسة وعقدها بالإنفراط. أما صورة المجتمع العامة فى بريطانيا، مركز العقيدة الانجلكانية، فهى صورة لمجتمع يقف على أعتاب تفكك وانهيار خطير، إذ تبلغ حالات الطلاق ١٧٠ ألف سنويا، أى أن ثلث الزيجات التى تعقد سنويا تتجه إلى الانفصال والطلاق، و ١٤٠ ألف من الأحداث يقدمون للمحاكمة سنويا بتهم خطيرة، فى مجتمع يتجه لبناء دولة الرخاء المادى والرفاهية. وفى عام ١٩٨٧ جاء نصف الجرائم المرتكبة فى بريطانيا على أيدى شبان تقل أعمارهم عن ٢١ عاما. وبين كل خمسة أطفال تحت سن السادسة يوجد طفل غير شرعى أو من عائلة فى حالة انقسام وخصام، بينما تبلغ نسبة الإجهاض حالة واحدة مقابل كل خمس حالات ولادة كتبت لها الحياة (١٨٥ ألف حالة إجهاض سنويا) وهذه القراءة لوضع واحد من المجتمعات الغربية - وهو أحسن حالا من امريكا ودول اسكندنافيا - تكشف عن فشل الكنيسة الغربية، فيما تنسبه لنفسها باعتبارها مركزا للخلاص والسمع

الأخلاقي فكيف يمكن للكنيسة التى فشلت هذا الفشل الذريع فى بلادها الأصلية - الغرب - أن تمثل الخلاص من الضياع الروحى فى إفريقيا؟ لقد أدت الثقافة الكنسية إلى ازدياد شقاء الإنسان الإفريقى، الذى اجتيحت هويته بعد أن ضاعت منه أرضه. ومازال الكنيسة تبشر بإنجيل السلام وإدارة الكف الايسر لصفعات الرجل الأبيض فى جنوب إفريقيا وغيرها.

تشهد الكنيسة الكاثوليكية الأم بدايات تمزق جديد هو الأول من نوعه منذ انبلاج الكنيسة الكاثوليكية الوطنية الهولندية عام ١٨٩٧. ومن العجيب أنه بينما ظل قدامى الكاثوليك يرفضون تعاليم المجلس الكاثوليكى الأول حول سلطة البابا، فإن رئيس الأساقفة ليفيبورى Lefebore قد نقض تعاليم المجلس الفاتيكانى الثانى المتعلقة بالانفتاح والحريات المدنية مما عرضه للمساءلة من قبل الكنيسة هو وأربعة أساقفة آخرون تم إخراجهم من دائرة الإيمان وأعلن ارتدادهم فى ٣٠ يونيو ١٩٨٨. ومن ثم أصبح المجال مفتوحا لظهور شرعية كاثوليكية جديدة.

والمشكل الثانى، الذى يؤرق الكنيسة قضية الرهبانية وتوابعها من امتناع عن الزواج، مما أدى إلى زهد ذوى الكفاءات فى دخول نظام الكنيسة، مما دفعها إلى عدم تحرى الدقة فى كل من يطلب الوظيفة دون أن يكون من ذوى المؤهلات المطلوبة، كذلك يزداد الشذوذ الجنسى والايدز وسط القساوسة.

كما تشير التقارير إلى ازدياد حالات الفساد وصراع القوى، والنزوع إلى الاستئثار بأى شكل وشيوع الماسونية وسط إدارات الفاتيكان العليا مما يشير إلى اضطراب وفوضى فى حركة الكنيسة.

أما الكنيسة فى إفريقيا، فقد مزقتها صراعات الطوائف الكنسية وأصبح الفكر والدعوة اللاهوتية يحتلان حيزا ضيقا من أوقات المبشرين الذين أخذوا يلهثون وراء دقائق الحياة السياسية: وما تزال فى حلوق الأفارقة غصة من تجارة الرقيق وما زالت ذكرياتها عالقة بأذهانهم وهم يسترجعون تاريخ القرن التاسع عشر، حينما كانت سفن الرجل الأبيض تتنافس فى تصدير الرقيق الإفريقى الرخيص، وقبل إجراءات الشحن يتم تعميد العبيد الإفريقيين بإضفاء أسماء اوربية عليهم، دلالة على الامتنان والإنسانية[١٥٦]، وتعبيرا عن مشاعر حب الكنيسة لهؤلاء البؤساء.

لقد دمرت الثقافة الكنسية المجتمعات الإفريقية، بقضائها على ركائز هذه المجتمعات من عادات ونظم وتقاليد ممثلة فى ظاهرة الأسرة المتشعبة Extended Family وعادات الزواج وتعدد الزوجات الخ.. وحلت مكانها عقيدة الاوربى القائمة على الاعتراف والخطيئة الأولى

156- Walbert Buhhamann OF MCAP, The Missions on Trial. Addis Ababa. 1980 P. 29.

والثانية وتحريم تعدد الزوجات، مما أدى إلى إخلال بالتوازن النفسى وانهيار التعاون الاقتصادى وإخلال بالنمو السكانى فى بلاد تصل فيها نسبة موت الأطفال ٢٠٪ كذلك عمدت الكنيسة الأوربية إلى قمع اللغة الإفريقية العربية وإبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى فى كتابة السواحيلية والهوسا وغيرها لفصمها عن جذورها العربية، ولا يمكن أن يمضى الإفريقى إلى الأبد مستخدما البرتغالية والإيطالية والفرنسية والانجليزية فى التخاطب متجاهلا اللغة العربية التى تمتد بجذورها فى تربة القارة إلى آلاف السنين.

ولا يمكن نسبة طقوس المسيحية الأوربية ومعاييرها إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، إذ أن شخصية المسيح نمت فى الغرب وضاعت وسط ركام الفلسفة الإغريقية الرومانية.

وبذات المنطق، يقوم الأفارقة بصياغة مسيح جديد وفقا لمزاجهم الإفريقى ولكن حينما شرع رئيس الأساقفة عمانويل ميلينجو Emmanual Miling [157] رئيس أساقفة لوساكا عاصمة زامبيا، فى نحت مسيح إفريقى فيما يعرف بأفرقة المسيحية تصدى له الفاتيكان واستدعاه لروما لغسل دماغه، ولكنه ثبت على دينه الجديد، فأعلن الفاتيكان أنه أصبح مرتدا وقد ذكر فى كتاب له: "أن محاولة إقناعى بأن سلامة عقيدتى المسيحية لاتتم، الابتبنى الحضارة والثقافة الأوربية هى بمثابة إكراهى على تغيير شخصيتى بالقوة وإذا جاز أن الله قد أخطأ بأن خلقنى افريقيا، فإن ذلك لم يتضح لى" [158] وقد أخذت حركة الكنيسة الجديدة التى يتزعمها ميلينجو تكتسح مواقع الكنيسة الكاثوليكية على نحو يهدد باستئصال الكاثوليكية.

أما زائير والتى تعتبر أكبر قطر إفريقى كاثوليكى، فإن الكاثوليكية تتعرض فيه إلى امتحان عسير، على يد الرئيس الزائيرى الكاثوليكى موبوتو سيسى سيكو نفسه، الذى لم تقبل عقليته منهج الكاثوليك المتطرف، الذى يطمس ثقافة الإفريقى، ويجرده من إسمه وعاداته باسم الثقافة الأوربية الوافدة. وفى عام ١٩٧٠، وفى محاولة للتغلب على الصعاب الناجمة عن طرح الخطاب الكاثوليكى المتطرف، استحدث موبوتو نظريته المسماه «العودة إلى الأصول» والتى ألزمت الزائريين بإلغاء الأسماء الأوربية واتخاذ أسماء إفريقية، وقضت على كل فرق العمل الكاثوليكية والصحافة الكاثوليكية.

كما صهر كل الزائريين فى الحزب الحاكم، وأبطل كل الاحتفالات المسيحية وألغى عطلاتها الرسمية باعتبارها أعيادا وابتداء من عام ١٩٧٤، أصبح العمل إجباريا فى أيام عيد الميلاد، كما ألغى كليات تدريس اللاهوت فى الجامعات وأمم المدارس الكاثوليكية الدينية والعلمانية

١٥٧ـ ولد عمانويل ميلينجو عام ١٩٣٠م وكرس قسا فى عام ١٩٥٨ ثم مطرانا فى عام ١٩٦٩ ابان زيارة البابا باول السادس ليوغندا وفى عام ١٩٨٢. استدعاه الفاتيكان فى محاولة لاثنائه عن معتقداته الجديدة بغسل الدماغ وغيره من وسائل القهر.

وجعلها خاضعة لقبضة الدولة،وأبدل تدريس الإرشاد الدينى بمادة(الموبوتوية)وهى الفلسفة المنسوبة له،كما أزال الصلبان.وفى وجه هذه الأعاصير التى عصفت بأوضاع الكنيسة، سعى الفاتيكان إلى معالجة الموقف وزار البابا جون باول الثانى زائير مرتين فى عام ١٩٨٠ ،١٩٨٥، حيث بارك نظام موبوتو وإدارته. وقد كشف تساهل الكنيسة مع نظام موبوتو وتشددها مع السودان،علما بأن السودان، اتخذ اجراءات ادارية ضد المبشرين ولم يلجأ الى إدخال تعديلات على الفكر الكنسى، عن التحامل الصليبى ضد السودان المسلم.

لقد استند بناء الرجل الأبيض فى إفريقيا على دعامتين: الأولى جيش الاحتلال لفرض إرادته الاستعمارية والثانية الإرساليات لفرض ثقافته،وقد أخطأت الكنيسة قراءة تطور أوضاع إفريقيا فيما بعد الحرب العالمية، إذ ظنت أن الاحتلال الاوربى سيخلد فى إفريقيا إلى الأبد، لذا،وبدلا من أن تسهم الكنيسة فى تغذية حركات التحرير بالمدد الروحى والفكرى،شغلت نفسها بالتمكين للحكم الأجنبى وإطالة بقائه وأدانت حركات التحرير، ومايزال القساوسة السود يصابون بالذهول والحيرة إزاء موقف الكنيسة الكاثوليكية من الصراع فى جنوب إفريقيا ومناداتها بنبذ العنف فى التصدى للقضاء على نظام التفرقة العنصرية [١٥٩] ويحفظ الأفارقة للبابا جون الثالث عشر موقفه فى عام ١٩٦٥ عندما رفض أن يقابل وفدا يمثل حركة تحرير أنجولا. وفى عام ١٩٧٠ وبعد ضغوط وافق البابا على مقابلة قيادة حركات تحرير أنجولا وموزمبيق وغينيا بيساو باعتبارهم مسيحيين وكاثوليك لابصفتهم قادة لحركات سياسية تحريرية وكانوا فى نظر الإعلام الكنسى مجرد عصاة خارجين. على السلطة الشرعية، ولم يظهر الفاتيكان أية توجهات ترضى تطلعات قادة الكنائس الإفريقية حول قضايا التحرير فى المستعمرات البرتغالية. وقال الرئيس الموزمبيقى، سامورا ميشيل فى عام ١٩٧٧: «لقد قررنا وضع حد نهائى لكل المعتقدات الدينية، كما منعنا تلقين الأطفال وكذلك الكبار مبادىء المسيحية فى العطلات العامة.» [١٦٠]

وهكذا انتهت أسطورة أن الكنيسة وحدها تملك مفاتيح الخلاص فى إفريقيا ماوراء الصحراء، حيث تعددت الأناجيل، من ليبرالية ـ مادية وإنجيل ماركس، وأناجيل الأنبياء الإفريقيين المحلية. لقد تمزق النسيج الكنسى الذى قام على تضحيات المبشرين والقساوسة الذين جاءوا فى أثواب، معلمين، ومكتشفين وجنود وأطباء وإلى وقت قريب كان ٩٥٪ من البرنامج التعليمى فى إفريقيا ماوراء الصحراء تقوم به الكنيسة،واليوم فإن الذين يتصدرون

159– Pro Mundi Vita: Dossiers 2 - 3/ 1986. P. 7.

(١) المصدر السابق ص ٧.

١٦٠ـ مايزال حتى يومنا هذا ـ عام ١٩٨٨ ـ، ٨٠٪ من المبشرين فى موزمبيق أجانب رغم انصرام زن كامل على دخول البعوث التنصيرية لموزمبيق.

مواجهة الكنيسة بالعداء، هم عين الذين خرجتهم مدارس التبشير،وحينما يقرأ الإفريقى العهد الجديد.يجده مليئا .بقصص الأنبياء الذين كانت لهم أكثر من زوجة، ابتدأ من أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام مرورا بسيدنا يعقوب وداود وسليمان، فأذا أجاز الكتاب المقدس تعدد الزوجات فكيف يقيده البابا، كيف يحرم البابا مالم يحرمه الكتاب وقد أذعن القساوسة الانجلكان لنداء الفطرة، حينما اجتمعوا فى يوليو ١٩٨٨ فى مؤتمر لامبث، حيث قرروا ألا يسحبوا المسيحية ممن له أكثر من زوجة على الايزيد بعد ذلك.

إن تشعب الفكر الكنسى وتعقيداته وغربته، جعل أهل كل بيئة إفريقية يأخذون ما يوافق هواهم، وقد تكاثرت الكنائس الإفريقية، حتى وصلت سبعة آلاف كنيسة لاتكاد تجمع بينها رابطة فكر أو تنظيم،وماتكاد تنقضى فترة زمنية، حتى تنبت أنواع جديدة من الكنائس بحيث أصبح لكل أربعة آلاف إفريقي فى المتوسط ما بين ١٠-١٥ كنيسة.

وتمارس هذه الكنائس مختلف أنواع الطقوس، التى يتصل بعضها بالسحر،وبعضها بعبادة السلف،والطب الروحى،والرقصات التقليدية المختلفة،وأبرز الظواهر فى غانا، تتمثل فى نفور كبار القوم من الكنائس التقليدية الكبيرة المعروفة والتى فشلت فى أن تلبى احتياجاتهم[(١٦١)] وكذلك فإن كثيرا من الأفارقة على مستوى رؤساء وقادة الكنائس يقبلون على الإسلام. ففى الجابون أسلم الرئيس عمر بنقو وفى نيجيريا أسلم عدد من النيجيريين على مستوى الأساقفة، وحدث مثل ذلك فى السودان،وفى تنزانيا انتقلت عائلة الرئيس التنزانى السابق جيوليوس نايريرى (وهو كاثوليكى)،إلى الإسلام.

أصاب الكنيسة قلق من ظاهرة نبذ النصرانية والتخلى عنها فى السر والعلانية، ودفعت البابا لأن يعجل ببرنامج تسييس إفريقيا، حيث سجل البابا أول زيارة فى تاريخ البابوية لإفريقيا فى رحلته ليوغندا عام ١٩٦٩. ثم تلا ذلك رحلات البابا جون بأول الثانى الذى يكاد يكون قد جاب معظم إفريقيا، حيث زار فى عام ١٩٨٠ كلا من زائير والكنغو، وكينيا، وفولتا العليا وساحل العاج. وفى عام ١٩٨٢ زار الجابون، وغينيا الاستوائية ونيجيريا وبنين وفى عام ١٩٨٥ زار توجو، ساحل العاج، والكامرون، وجمهورية إفريقيا الوسطى، وزائير وكينيا، وفى عام ١٩٨٨ زار زمبابوى، وموزمبيق، وبتسوانا، وليسوثو، وسوازيلاند، وجنوب إفريقيا التى لم تكن فى البرنامج وقد بلغت تكلفة زيارات البابا فى بعض الدول الإفريقية مايساوى نسبة مقدرة من ميزانية الدولة السنوية.

لقد ورد فى مقررات المجمع الفاتيكانى الثانى:«على الرغم من العداوات والمعارك التى دارت بين المسلمين والمسيحيين خلال العصور فإن هذا المجمع المقدس يحث الجميع على نسيان

161– All African Press Services, August 1988. P. 1.

ذلك الماضى ويهيب بهم أن يناضلوا معاً بإخلاص من أجل التفاهم المشترك، وأن يسعوا إلى ذلك التفاهم من أجل البشرية جمعاء، وفى سبيل تحقيق هذه الغاية عليهم أن يلتفوا حول القضية المشتركة لتأمين العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية. (١٦٢)

ويبدو أن هناك روحاً جديداً للتعامل مع الإسلام، إذ أن الأزمات الصليبية بحروبها وأبطالها ودعاياتها قد أعطت الغرب المسيحى صورة مشوهة عن الإسلام ومازالت آثار هذه الصوره واستمرارها على العقلية الغربية بجعلها متحيزة ضد الإسلام(١٦٣) لقد جاءت الإرساليات المسيحية معبأة بالأدب المسيحى الداعى إلى تدمير الإسلام و اقتلاع مجتمعاته والقضاء عليه عقيدة وشريعة، ولكن بعد كل مافعلته الإرساليات فى المجتمعات الإسلامية، فإنها عجزت عن تقديم البديل المسيحى. لقد حققت الإرساليات بعض النجاح فى تدمير صورة الإسلام وخلق حالة لاهى بالإسلامية ولا بالمسيحية ولا باليهودية. ومثال ذلك الوضع فى جنوب السودان، حيث دمرت الإرساليات الثقافة المحلية وصدت الإسلام ولكنها فشلت فى إقامة إنسان مسيحى ومجتمع مسيحى وحضارة مسيحية، مما جعل التكوين العقلى للجنوب رهينة للتوترات العقلية والنفسية والصراعات الذهنية، حيث إن الثقافة الغربية إجتاحت العقلية الإفريقية من جذورها دون أن يكون فى طاقتها إعطاء البديل الروحى المناسب. لقد أدت الدعاية المسيحية إلى مزيد من التوتر فى العلاقات العرقية والثقافية والدينية مما أدى إلى تصاعد الصراع وانقسام الصفوة وتفتيتها، وأصبحت المساهمة المرئية للفكر الكنسى تتمثل فى ظاهرة انعدام الثقة والخوف والمواجهة بين الشمال والجنوب.

إن الكنيسة تضمحل لأنها لاتملك الإجابات على الأسئلة التى يطرحها الناس، وعقيدتها شديدة الصعوبة والتعقيد. وإله الكنيسة شديد الأوربية ولايناسب المجتمعات المحلية.
ويبدو الإسلام قادرا على إعطاء إجابات على الأسئلة مثل:
هل هناك إله؟ وماصفاته؟ ولماذا الظلم؟ والمفارقات العجيبة فى الأقدار والأعمار واللامساواة؟
كما أن الإسلام فى وسعه منح الإنسان المعاصر إجابات لقضاياه وأزماته الروحية والفكرية.
إن إفريقيا أكثر انتماء لمجال الثقافة الإسلامية، حيث يرمز الإسلام للحقيقة فى شكل مبسط ومفهوم ومحبب للذهنية الإفريقية «كانت المسيحية بادىء ذى بدء هى تعاليم عيسى نفسه مكبلة فى التصانيف العبرية فى فلسطين، ولكنها فى مرحلة متأخرة تبنت التصانيف الإغريقية

162– George Emile Ivari, The Holy See and the Israeli-Palestinian Conflict, in Kail C. Ellis, The Vatican, Islam and the Middle East. P. 130

163– Montgomery Watt, Thoughts on Muslim - Christian Dialogue vol. 1, No 1 Summer 1978 Karatchē, P. 5.

فى الآمبراطورية الرومانية وإلى حد كبير تطابقت مع هذه[١٦٤]

لقد ذابت تعاليم عيسى عليه السلام فى الثقافة الرومانية والاغريقية إلى درجة لايمكن التمييز مابين تعاليم عيسى وتوجيهات قيصر، إن الانتقال من اعتناق دين لاعتناق آخر، ليس مسألة ثقافية وفكرية خالصة ولكنها تحتوى كذلك على عوامل نفسية واجتماعية.

ان نجاح حركة الارساليات المسيحية فى القرن التاسع عشر كان بصورة ما خداعا، إذ تم وسط أقوام متخلفين على مستوى متدن من الثقافة... وحينما جاء المبشرون بثقافاتهم الغربية، فإنهم أى الإفريقيين غلبوا على أمرهم نتيجة للتفوق الثقافى التبشيرى، مما حدا بهم لنبذ ثقافتهم والدخول فى طاعة العهد الجديد... لم تمثل الثقافة الجديدة إشباعا لاحتياجاتهم و «كانوا متعلقين بنمط الثقافة الدينية الغربية»[١٦٥]

لقد دخلت الثقافة الغربية على يد المبشرين والتجار الأوربيين حيث تتطابق توجهاتهم فى كثير من المناحى تجاه الحضارة، وبما أن الحضارة الغربية تملك التفوق الفنى والتقنى على ماعداها، فإنه من الصعب مقاومة الإفادة القائلة إنها كذلك تملك التفوق الثقافى بل وكذلك التفوق الروحى والأخلاقى. بحيث كان من المتعذر على القبائل المتخلفة أن تشق الحجب لتصل إلى أن هناك حضارة أصيلة مبدعة غير الحضارة الأوربية.

لعل هذا الزهو والكبرياء الناتج من التفوق المادى، مثّل طاقة دافعة متعالية، ظهرت فى الكيفية التى تم بها كسب الأفراد والقبائل للمسيحية، حيث لم يراع المنصرون فى تجنيدهم الأفارقة للمسيحية أي مظهر من مظاهر الاحترام لشخصية وكرامة وتكامل الشخصية للطفل الإفريقى، الذى ذهب للمدرسة ليتعلم، ولكى يكون إنسانا مفيداً لمجتمعه ولنفسه، ولكنهم نظروا إليه كخامة صالحة فقط كى تلحق بالكنيسة - إن الطفل غير مؤهل لاتخاذ قرارات خطيرة، وعليه فإن محاصرة الطفل، وإخضاعه لعمليات غسل الدماغ فى الفصول الدراسية لتنصيره وبوتقته وصهر سلوكه والتحكم فى نمو ذهنه وتطوره العقلى يرقى لمرتبة العبث والاستهتار بالطفولة والدين. لقد لجأ المنصرون إلى كل وسيلة للزج بالأفارقة فى النصرانية.

واستعملوا كل الوسائل المتاحة من إغراءات مادية واستغلوا حاجتهم للبس فكسوهم بالملابس المزينة بالصلائب وأرغموهم على اتخاذ دروب النصرانية حتى فى ظروف المجاعات والأوبئة بسلطان الطعام والقهر النفسى والعقلى. لقد تمثل القهر الفكرى والإرهاب العقلى فى تنفير، الأفارقة من الدين الإسلامى، الذى هو مجالهم الطبيعى للتكامل ومتابعة الترقى

١٦٤ـ المصدر السابق ص ٧.

١٦٥ـ المصدر السابق ص ٩.

لقد شن المبشرون حملة جائرة ظالمة ضد الإسلام، عمدت إلى تشويه مقاصد هذا الدين وربطته بكل قبيح. لقد فشلت أجيال المنصرين التى تكالبت على إفريقيا منذ القرن الثامن عشر أن تعيش طبقا للمثال الذى تتحدث عنه، وهى مسئولة عن كل هذا الخراب النفسى والفكرى والاجتماعى والاقتصادى الذى أصاب المجتمعات الإفريقية.

وحتى يومنا هذا، فما يزال هناك كنيسة أو كنيستان تحاولان باستماتة الدفاع عن سياسات التمييز العرقى واللونى على قواعد مسيحية، منطلقين من القصة الواردة، فى العهد القديم، والتى ورد فيها أن حاما نظر لعورة أبيه نوح السكير وضحك، وحينما علم نوح بذلك دعا على ابنه حام قائلا ((فلما استيقظ نوح من خمره علم به ابنه الصغير فقال عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبدا لهم)) وهكذا ينص العهد القديم على أن الأفارقة جبلوا بلعنة نوح ليكونوا عبيدا للأوربيين والساميين.

وماتزال هذه النظرة للأفارقة، قابعة فى أذهان الأوربيين، لقد عمل فى جنوب السودان، الآلاف من الأوربيين، كتجار وموظفين وجنود ومبشرين ومغامرين وسواح. ومات بعضهم ودفن هناك، وكون آخرون ثرواتهم هناك، ولكننا لم نسمع أن أحدا منهم تزوج امراة إفريقية، الكثيرون منهم اتخذوا من الإفريقيات خليلات ولكنهم لم يرقوا بهم إلى مرقى الزوجية، لقد كان بعضهم يهجر الخليلة بعد أن ينجب منها عدة أطفال ويتركها دون مال ودون أمل. من الصعب اتهام المسلمين بالعرقية، لأن الإسلام فى السودان كان نتاجا لزيجات العرب المسلمين بالأفارقة، وعليه فإن هذا التكالب الإرسالى على الجنوب لن يجنى منه الجنوب أى خير، لخص أحد المبشرين العاملين من إرسالية إفريقية الداخلية الوضع فى جنوب السودان قائلا: ((أى وكالة إغاثة ممكنة التخيل، ممثلة بشكل أو آخر فى جنوب السودان. ويكتب الفشل على المشاريع أمام أعين الخبراء الأجانب القائمين على إدارتها. . . . والمؤسسة الكنسية فى حد ذاتها فى جنوب السودان، قرية تتجاذبها الصراعات مثلها مثل البلد. . . . ولقد دمرت كل واحدة من الملل الكنسية الكبيرة بظروف عدم الاستقرار الناتج من صراع القوى داخل الكنيسة. . . الذى بدد جهود الكنيسة وأضناها.

إن الصراع الداخلى وليس الحكومة المسلمة فى الخرطوم هو الذى جعل الكنيسة أقل تأثيرا، وفى الحقيقة، فإن حكومة الخرطوم تفعل القليل: لمنع انتشار المسيحية فى الجنوب. . . وحتى اللاجىء يمكنه أن يدرس ويبشر بالإنجيل علانية حتى فى مدارس الحكومة والمستشفيات والسجون. إنه لمن الحماقة الظن أن حكومة الخرطوم المسلمة تمثل تهديدا أكبر للداعية المسيحى من عصابات جون قرنق. . . إن الكنيسة تستمتع اليوم بحرية

١٦٦- الكتاب المقدس، الاصحاح التاسع - الفقرة قبل الأخيرة.

الشهـود ومـاعـلى المرء إلا أن يتأمل إن كان انتصار قرنق إذا افترضنا أنه يحارب من أجل المسيحية سيسمح بذات الوضع . إن التاريخ المعاصر للمسيحية فى اثيوبيا وموزمبيق يشير بعكس ذلك .(١٦٧)

وهذه ليست نظرة هذا المبشر وحده ولكن كذلك فإن التقارير الكاثوليكية لاتخلو من هذه الرؤية التى تفيد بأن المجتمع الكاثوليكى المحلى غير واع بمقتضيات واجباته . ولاينتهجون إطلاقا العقيدة المسيحية ويمكن الاستشهاد بمطبوعة كاثوليكية رسمية وردت تحت عنوان جانبى «شوكة فى خاصرة الكنيسة» ان أكثر القضايا التى تجابه الكنيسة الكاثوليكية إلحاحاً هى إيجاد العدد الكافى من المبشرين خالصى التوجه للرسالة . . . . بعض الأساقفة يبدون أكثر حرصا على زيارة عواصم أوربا من الطواف على أسقفياتهم المحلية . وعدد القساوسة المحليين على ضآلة عددهم ، فان بعضهم اتضح عدم نفعه وعدم إمكانية الاعتماد عليهم ، إذ يفتقرون إلى الالتزام والحماس الرسالى . . . ومن الأمثلة على ذلك أن خمسة وعشرين من القساوسة الذين كانوا لاجئين بيوغندا ، أنهم حين عودتهم فى ١٩٧٢ ، اكتفوا بالإقامة فى المدن الرئيسية . . . وبعضهم أهدر وقته متعطلا غير مكترث باحتياجات شعبه الروحية . ثم ترتب بعدها تركهم للمنصب . . . منذ عام ١٩٦٤ حتى الوقت الحاضر تم تعميد ١١١ قسا محليا فى السـودان مات منهم سبعه عشر وتخلى ٣٨ منهم عن الخدمة (٤٠٪) وخلال عام ١٩٨٣ هاجر اثناعشر قسيساً إلى أوربا والولايات المتحدة ، بحجة مواصلة دراسات عليا ولكن الاقرب للتصديق أنهم فروا من مشاق العمل فى مجتمعاتهم . بالإضافة إلى ذلك فإنهم يعيشون بعيدا عن حياة الأسرة وبعضهم يجمع بين الوظيفة الكنسية والحكومية ومع أن أثنى عشر من القسـاوسـة السـودانيين يحملون درجـات علمية ، لم يعمل أى منهم فى مدارس اللاهوت الكنسية . . وهكذا ينتهى الحلم الطويل المتطلع إلى رؤية كنيسة سودانية تقف على رجليها إلى لاشىء(١٦٨) «تنعم الكنيسة فى جنوب السودان بحرية كاملة فى الحركة ، ولكن خللها الأساسى يتمثل فى نقص العاملين . ومن جملة الدائرة الكنسية فإن ثلثى هذا العدد يفتقـر إلى قس مقيم» (يمكن القـول بأن هنـاك الكثـيرين من المسيحيين ولكن يفتقرون للمجتمع المسيحى) ، ويقوم كثير من المسيحين بممارسات لاتتفق مع العقيدة إلى حد ما كالسحـر والشعـوذة وتعـدد الـزوجـات ، كما تعوق العادات السيئة مثل السكر والتسيب الأخلاقى والكسل والرقص الذى لانهاية له والمخدِّرات ، النمو الصحى . وحينما تمت إقامة

167– Power Struggle rip Church, Society in Southern Sudan. Pulse Semi-monthly bulletin, published by evangelical Mission information Services July 10, 1987, Vol. 2, No 3 , 4 Geneva PP. 2 - 3.

168– Pro Mundi Vita: - 13 - 14.

الحكم الإقليمى تفشت الرشوة والمحسوبية واستغلال المال العام وسوء السلوك فى المكاتب خاصة بين المسئولين والصفوة(١٦٩).

لقد فقدت المسيحية روحها العام وهدفها فى السودان.

أما الكنيسة الإنجلكانية، فإنها تحاول ما أمكن ألا تقطع شعرة معاوية مع الكنيسة الأسقفية السودانية، (حتى تحتفظ بها عبر إيجاد محل لما يعرف بالطابع الإفريقى فى تعاليمها الكهنوتية). والكنيسة الانجلكانية ومعها الملل البروتستانتية الأخرى، ماعادت تؤمن بمقولة زويمر) إن الإبقاء على المسيحية الإفريقية صافية أكثر أهمية من أن تعتنق إفريقيا كلها المسيحية). وطبعا لم يرفض الإنجلكان تعاليم زويمر لأنها تتنافى مع تعاليم الكنيسة ولكن لأنّ الضرورة نسخت تعاليم زويمر بل وتعاليم الإنجيل ذاته، لقد ترك ابن الكنيسة ونائب رئيس الجمهورية السابق، جوزيف لاقو، الذهاب إلى الكنيسة لما فيها من صراعات علما بأنه يصبح من روادها عندما يذهب لانجلترا.(١٧٠)

والدرس المستخلص من تجربة الكنيسة فى السودان، والتى استخدمت، أساساً، التعليم لنشر تعاليمها، أن التعليم وسيلة وليس غاية فى حد ذاته وأن التعليم قد يقود إلى البناء والتعمير وسلام النفس والسلام مع المجتمع والعالم،وقد يكون ضارا ومدمرا للفرد والمجتمع والعالم،وذلك يعتمد على نوعية التعليم ومقاصده. وحال الجنوب وصفوته يكشف أن التعليم الذى رضعوه قد عاد عليهم بالضرر والدمار. إن فشل التعليم الكنيسى لايرجع إلى أن الكنيسة بخلت بما عندها من مال ورجال خلال عملها فى السودان، ولكن الأصح، أن الكنيسة نفحت السودان بأكثر جنودها قدرة وأقواهم إرادة وإصرارا وصبرا، من أمثال كمبونى وقوينى وجير واورلير وجيفتن وغيرهم،فقد بذل هؤلاء وقتهم ومالهم وعرقهم فى السودان، ولايمكن أن نبخس حماسهم ونصرتهم لدينهم. لقد نذر كمبونى نفسه قائلا: السودان أو الموت، ومنذ ذلك الوقت أصبح للكاثوليك مايزيدعن الخمس والستين مقبرة فى مجاهل السودان فى جهادهم لرفع الصليب. لقد كان متوسط العمر التبشيرى للمبشر قرابة العشرين عاما فى بيئة قاسية طاردة تلفحها الشمس المحرقة وتجتاحها العواصف الترابية وتغمرها المستنقعات وتنتابها الأمراض.

لقد بذل هذا الجيش التبشيرى، كل مافى وسعه فى سبيل تنصير السودان. وكانت النتيجة ورطة إنسانية وكارثة تاريخية ذات أبعاد مأساوية. لقد انتهى جهود المبشرين فى جنوب السودان إلى إعداد جيل وصفوة من المتنصرين الغرباء فى وطنهم يفقدون الهوية بقدر

169- Ibid. pp . 15.

١٧٠- انظر لقاء جوزيف لاقو فى مجلة سنابل الاسبوعية ١٩ أكتوبر ١٩٨٨. ص ٨.

مايفقدون الإحساس بالانتماء للأرض والأمة والثقافة والوطن.
فالغربة تحيط بهم وتحاصرهم فى اللسان والمكان والزمان والمظهر والمخبر، وقد صور المؤرخ الانجليزى توينبى غربة «الاسم» هذه بصورة ساخرة فى كتابة بين النيجر والنيل قائلا: «على مدى جيلين تم استيعاب عدد من الشلك والدينكا فى عداد الإنسان الحديث. وأحد هؤلاء كاتب شارك فى إعداد كتاب صدر حديثا باللغة الإنجليزية عن مشكلة جنوب السودان، وقد تم تعميده ليصبح اسمه «وليم» ووليم دينق هذا يعيش فى هذه الأيام لاجئا. ولوكنت فى وضعه لغيرت اسمى المسيحى إلى اسم من جنس العالم الذى أعيش فيه»[171].

لقد أدت وسائل الاتصال الحديثه من سفن وطائرات - وكذلك التجارة والإرساليات ومؤسسات الحكومة - إلى إتصال مباشر ومفاجىء وترابط بين شمال السودان وجنوبه وشعب الشمال هو صانع حضارة السودان خلال الأربعة الاف سنة المنصرمة. ومن ثم توجس الجنوب خيفة من الشمال القوى وساوره الشك والخوف شأن الضعيف دائما فى تخوفه من القوى غير أن الإرساليات سعت إلى توسيع هذه الشقة وأفادت من هذا التباين بين شمال البلاد وجنوبها لزرع الأحقاد وبث الفرقة وتأجيج الصراع والخلاف.
لقد صرف المبشرون جهودهم خلال نصف القرن المنصرم إلى نقض الإسلام ومحاصرته، ومحاربة الثقافة العربية واللغة العربية وبث الثقافة - الدينية الأوربية. وعندما فشل تلامذة المبشرين فى مواصلة هذه المشروع التنصيرى لجأوا إلى شعار «عليّ وعلى أعدائى» وظلوا لاهثين فى محاولة يائسة لتحصين الثقافة الانعزالية التى أفرزها الاستعمار والتى فقدت كل مبررات البقاء بعد زواله، وحينما حققت الصفوة الجنوبية حلمها بأن تكون الآمرة والناهية وسيدة فى إقليمها، اتخذ التوتر الحضارى والنفسى والتأزم الروحى أشكالا أخرى فى ظل صراعات قبلية وشخصية. قضت على قدر كبير من موارد الإقليم. وتطور الصراع على السلطة إلى نزعة تخريب وتدمير، إلى حد أن البعض دمر ممتلكات الحكومة من مكتبه إلى منزله الحكومى، حتى لايترك لمنافسه ابن القبيلة الأخرى حق التمتع، كما فعل هو. وحصد الجنوب ثمرة هذا الصراع، دمارا وخرابا.
ربما دافع المبشرون عن تعليمهم، قائلين لولاه لم يكن تعليم، وهذه مقولة مرفوضة، إذ لولا أن المشروع الإرسالى احتكر حق التعليم لانتشر التعليم الحكومى المدنى ولازداد التفاعل الشمالى - الجنوبى وكان بوسع الجنوب أن يسير خطوات إلى الأمام واثقا بنفسه معتزا بأرضه - ولكن هيهات وهل يجدى الندم على مافات!
لعل أسرة الفقيد دينج ماجوك، تتمنى أن ترى ملايين دينق ماجوك فى الجنوب ولكن من

171– Toynbee, Between the Niger and Nile, P. 33.

هو دينق ماجوك[١٧٢]؟ وكيف نشأ وماهى فلسفته؟ دينق ماجوك نتاج للتلاقح والتمازج الحضارى بين عرب كردفان ودينكا أبياى، وأصبح منذ الثلاثينات السلطان المطاع وسط قبيلة دينكا ناجوك. وفى عام ١٩٥١ أغراه الانجليز بالانضمام الى بحر الغزال ولكنه تمسك بالبقاء فى كردفان وقد رحب به مجتمع القبائل الكردفانية المسلمة بأعتباره نداً لهم وزعيما للمجلس المحلى المشترك لقبائل المنطقة، مما هيأ له الاستقرار حيث نبغ أبناؤه وأصبحوا معروفين على مستوى العالم ـ ولكن ماذا حدث، عندما تمرد بعض أبنائه فى أبريل ١٩٨٣ واعلنوا الحرب على الحكومة والقبائل العربية؟

لقد حلت الحرب محل السلام والوحدة وأصبحت ابياى مسرحاً للصراع والدمار، وكان لتعليم مدارس التنصير أثر واضح فى انقلاب الأبناء على ميراث الاباء والقضاء على جسور الالفة والتعاون والسلام التى بناها دينق ماجوك

لقد لعبت الثقافة التى بذرتها الارساليات دورا كبيرا فى خلق هذا التوتر الذهنى والاكتئاب النفسى والجنوح الى العنف والتمرد ـ وهل تكون عاقبة هذا التكوين النفسى الا الخراب والدمار.

ان المأساة التى خلفتها الثقافة الغربية بتغذية النزعة الاستهلاكية والغربية والتطلعات المادية التى أفرزتها فى بيئة فقيرة تقوم على التكاتف والاثرة، لايمكن تصور ابعادها. لقد مسخت هذه الثقافة النفسية الافريقية وجعلتها أسيرة لتطلعات مادية يتعذر تحقيقها فى المجتمعات الافريقية المتواضعة لانها لاتناسب تلك المجتمعات لاماديا ولاروحيا. وهكذا جعلت هذه الثقافة الفرد الافريقى كالمنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقى.

ان الجيل الجديد فى الجنوب، جيل الحرب والتشتت والتيه، يحس بالضياع واللا انتماء والفقر والجوع، جوع البدن وجوع الروح. وعلى الجيل الجنوبى الجديد أن يتحمل مسئوليته فى تصحيح مساره وأن يعمل على اصلاح ما افسدته الثقافة الكنسية وأن يعيد بناء جسور الوفاق والمودة على انقاض الهوة التى صنعها الحكم الاجنبى وعملت على تعميقها الارساليات لتفصل بين شقى الوطن الواحد.

ان جيل المحنة فى جنوب السودان يقف على مفترق الطرق، وقد بدأت طلائع جيل المحنة تتجه نحو الاسلام عساه ان ينتشلها وان ينتشل الجنوب والشمال على حد سواء مما هو فيه من تمزق وضياع ـ وربما كان نور الطلائع خافتا ولكن ضوء الفجر يتجلى فى ساعات الظلام، ويقينى أن هذا النور سيقوى وينتشر، واستبشارا بمقدم هذا النور كتبت هذه الكلمات، تيمنا بطلوع الفجر الجديد والله متم نوره ولو كره الكافرون.

١٧٢ـ لمراجعة سيرة دينق ماجوك انظر.
Francis Mading Deng, The Man called Deng Majok. Yale U. P. U. S. A. 1986

الجزء الثانى
جذور وأبعاد التبشير المسيحى
بالعاصمة المثلثة

الفصل الاول :-

التعريف بالكنائس والإرساليات بالعاصمة

(١) الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم :-

كما ورد سابقا فقد تأسست الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم فى منتصف القرن التاسع عشر ابان الحكم التركى فى السودان عندما وصل الاب لوبيجى فى عام ١٨٤٨م وفتح مدرسة صغيرة لابناء الجالية المسيحية بالخرطوم ثم أنشأ كنيسة، كما حصل على قطعة أرض لاقامة مقبرة مسيحية.

ووصل فى نفس الفترة من القاهرة بعض الآباء الكاثوليك ونزلوا فى ضيافة زعيم دينى ساعدهم على شراء قطعة أرض على النيل. واستؤنف هذا الجهد عام ١٨٥٤م حتى وصلت دفعة من القساوسة من كلية مازا الايطالية النمساوية لتأسيس مركز لها فى الخرطوم، غير ان وفاة بعض هؤلاء القساوسة بفعل الامراض وظروف البيئة القاسية كانت سببا فى فشل هذه البعثة.

وفى عام ١٨٦١م وصلت دفعة تبشيرية مكونة من خمسة وثلاثين عضوا من جمعية الفرنسيسكان اعقبتها دفعة أخرى من ثمانية وعشرين شخصا تعرضوا بدورهم لنكبات المرض والموت. وحين لاحظ المسئولون بالفاتيكان وفاة أربعة وستين مبشرا فى وسط افريقيا خلال اربعة عشر عاما أمر البابا باغلاق هذه الإرساليات وبقاء العاملين فيها بالخرطوم.

أما المحاولة التى لاقت حظا أكبر من النجاح فهى التى بدأها المطران دانيال كمبونى الذى وصل الخرطوم مع دفعة من المبشرين فى عام ١٨٧٣م وامتدت جهوده لجبال النوبة وشرق السودان وقد منحه الخديوى اسماعيل باشا صلاحيات واسعة للعمل حيث اعتبره ممثلا مفوضا لمحاربة الرقيق وقد قام مطران كمبونى فى ١٨٧٨م باكمال تشييد مبانى الإرسالية الكاثوليكية بالخرطوم التى بدأها الدكتور كنوباخر فى عام ١٨٥٣م. وتوفى دانيال كمبونى فى ١٠ اكتوبر ١٨٨١م من مرض الحمى ودفن فى حديقة الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم.

وبعد فتح الامام المهدى للخرطوم توقف النشاط الكنسى تماما. فقد فر بعض المبشرين الى القاهرة ووقع من تبقى منهم فى الاسر. ولم تتمكن الكنيسة الكاثوليكية من استئناف نشاطها الا بعد سقوط دولة المهدية ودخول الجيش البريطانى الغازى السودان. فسرعان ما قدم فى ١٨٩٩م قسيسان كاثوليكيان منحهما السردار كتشنر حاكم السودان قطعة أرض واسعة على النيل هى ذات الارض التى تقع عليها حاليا كاثدرائية القديس متى ومدرسة الراهبات. وقد شيد مبناها الحالى فى ١٩٣٣م.

وقد قام المطران روايجو فى عام ١٩٠٠م باستجلاب دفعة من راهبات جمعية كمبونى واشترى بعض المنازل فى حى المسالمة بامدرمان ثم حولها الى مساكن للراهبات ومدرسة للاولاد. وفى ذات العام حضرت دفعة من الراهبات وفتحت أول مدرسة للبنات بامدرمان وأخرى بالخرطوم وبدأ نفوذ الكاثوليك يتسع تدريجيا ويمتد نشاطهم فى أرجاء السودان المختلفة.

وقامت الحركة التعليمية الحديثة بالخرطوم على أكتاف المبشرين من مختلف الكنائس. واستطاعوا بمساعدة الحكم البريطانى احتكار التعليم والخدمات الصحية فى جنوب السودان وقاموا بصياغة مناهجهم التعليمية على نظام المدارس المسيحية الاوربية دون اعتبار لثقافة المجتمع السودانى ودينه وقد درجت السياسة البريطانية فى السودان على فتح الباب للارساليات التبشيرية لمزاولة نشاطها فى السودان واقفلت الجنوب ومنطقة جبال النوبة حماية للتأثير الدينى المسيحى، وحاربت انتشار الإسلام واللغة العربية فى هذه المناطق.

وابان الحرب العالمية الثانية قام الحاكم العام بطرد المبشرين الكاثوليك من السودان نظرا لتحالف ايطاليا والمانيا ضد انجلترا وحلفائها الا انه سمح لهم بمزاولة نشاطهم عقب الحرب. وقد شعرت الكنيسة الكاثوليكية بعد ذلك بضرورة الاهتمام بابناء جنوب السودان وجبال النوبة الذين بدأوا يفدون الى الشمال وخاصة للخرطوم باعداد متزايدة بحثا عن العمل وهروبا من بيئتهم المحلية القاسية. فخشيت الكنيسة ان يؤدى اختلاط ابناء هذه المناطق بالمسلمين فى الشمال للتأثير عليهم وقبولهم للإسلام.

لذا بدأت الكنيسة الكاثوليكية مع رصيفاتها بفتح أندية للجنوبيين والنوبة ووضعت استراتيجية لاستيعابهم وفق محورين:-

١) استقطابهم عن طريق الاندية وتقديم الخدمات التعليمية بلهجاتهم المحلية وباللغة العربية العامية فى فصول تقوية ومدارس للاطفال وما فوق هذين المستويين.

٢) تجميعهم حتى لايذوبوا فى المجتمع الشمالى المسلم، واعداد مجموعة ليصبحوا دعاة للكنيسة وتدريب بعضهم تدريبا فنيا ومهنيا.

ولما كانت الخدمات الاجتماعية كالعلاج والتعليم وغيرها ليست كافية لاحداث حركة

التغيير مالم يتم ربطها بالكنائس المحلية تعبيرا عن حركة الكنيسة، فقد نشطت حركة بناء الكنائس والطباعة، واصدار النشرات وانشاء معاهد تدريس اللاهوت وتخريج المؤهلين منهم علميا. واستمر هذا النشاط وسكتت عنه الحكومة ولم تتم مواجهته فى ظروف الاستقلال أو مابعده. وفى عام ١٩٦٤م حدثت المواجهة بين الحكومة والكنيسة بسبب النشاط السياسى للمبشرين الاجانب فى جنوب السودان وقامت الحكومة بطردهم جميعا من جنوب السودان مع مراقبة نشاطهم فى المناطق الاخرى.

وفى اجتماع رقم (٤٥) لمجلس الوزراء بتاريخ ١٩٦٤/٢/٢٦م برئاسة اللواء احمد رضا فريد صدرت اللوائح المنظمة لعملية التبشير وجعلها خاضعة للقانون لكن عندما جاءت ثورة اكتوبر ١٩٦٤م استغلت الكنيسة ظروف الحرب وانشغال الاحزاب بالصراع السياسى ومحاولتهم كسب القساوسة لزيادة نفوذهم وسط الجنوبيين، فاخذت فى استعادة موقفها السابق. كما أن حركة الكنيسة الكاثوليكية تحت ادارة المطران اغسطنيوس بارونى[١٧٣]، الخبير بالشئون السودانية والذى حصل على الجنسية السودانية، أخذت فى الامتداد افقيا ورأسيا فى الخرطوم، حيث بدأت الكنيسة فى التبشير المكثف فى اصقاع العاصمة، كما بدأت بتركيز العمل فى الكنائس وتجديد الخدمات التعليمية وتكثيف المطبوعات.

خطوات جديدة نحو التدعيم :

ثم بدأت حركة انطلاق واسعة فى العمل التبشيرى بعد اتفاقية اديس ابابا حيث قام السودان بتبادل التمثيل الدبلوماسى مع الفاتيكان.

واستقبل البابا بولس السادس فى اغسطس عام ١٩٧٢م السيد صلاح الدين عثمان هاشم سفيرا للسودان فى الفاتيكان. كما تم تعيين سفير للفاتيكان بالسودان - قاصد رسولى - وهو رئيس الاساقفة (أو بالدو كالا زبرى) وسافر المطران بارونى بعدها فيما يشبه المهمة الرسمية فى اكتوبر ١٩٧٢م الى الامريكتين فى رحلة عمل لتوضيح احتياجات الجنوب فى مجالات الاغاثة والتوطين واعادة تعمير الكنائس خاصة والعمل التبشيرى عامة.

---

١٧٣ ولد أغسطنيوس بارونى فى بولونيا بايطاليا فى ١٥ اكتوبر ١٩٠٦م وأتم مراحل تعليمه الابتدائى والأوسط والثانوى ودراسة الفلسفة واللاهوت فى بولونيا وميلانو وفيرونا وانجلترا، ليقوم بتدريب وارشاد وتثقيف المبتدئين فى سلك الرهينة لاكثر من سنتين ثم غين مطرانا فى مدينة بولونيا فى ٢١ ديسمبر ١٩٥٣م وصار بعدها نائبا رسوليا على أبرشية الخرطوم ثم ترقى الى مرتبة رئيس الاساقفة بقرار من البابا فى ١٢ ديسمبر ١٩٧٤م وهو يجيد اللغة الايطالية والانجليزية والفرنسية واليونانية واللاتينية والعربية ويتحدث الالمانية ايضا وملم بشئون السودان.

ومنذ ذلك الحين اخذت تتدفق على البلاد اعداد كبيرة من المبشرين الكاثوليك فى صور مختلفة، مبعوثين ودبلوماسيين ومندوبين لوكالات الاغاثة وأهمها وكالة (سودان ايد) وهى هيئة مسيحية متخصصة فى مساعدة المسيحيين. انشئت فى سبتمبر ١٩٧٢م من قبل مؤتمر الاساقفة السودانيين من الكاثوليك. ويقع مركزها الرئيسى فى الخرطوم عند تقاطع شارع الزبير باشا مع شارع الحرية وهى جزء من ثمانين فرعا تعمل فى انحاء العالم المختلفة مصنفة فى الامم المتحدة تحت إلجمعيات الخيرية العالمية. وأمينها العام هو الاب دجمبو وهدف (سودان ايد) الاساسى هو مساعدة الكنيسة فى تعمير وتشييد الكنائس فى الاقليم الجنوبى فى السودان ودفع تكاليف تعليم وايواء الجنوبيين والنوبة فى انحاء العاصمة المثلثة. وللوكالة مكاتب فرعية فى الاقاليم، حيث يوجد مكتب فى مدينة الابيض ويشرف على مديريات الغرب الاربع ومكتب جوبا ويشرف على الاقليم الجنوبى كله.

تقدم (سودان ايد) خدمات للقرى والمدن المختلفة فى شكل مضخات مياه وطواحين وآلات زراعية. وتأتى الطلبات بواسطة اقرب كنيسة كاثوليكية بالمنطقة على ان يكون الطلب مستوفيا للاجراءات المطلوبة وهى :-

(١) موافقة السلطة المحلية.

(٢) موافقة وتزكية الكنيسة.

حيث تقوم الكنيسة باعداد دراسة عن المنطقة ونوع السكان وكثافتهم وطرق المواصلات... الخ وكذلك جاءت منظمة (Catholic Relief Service) أى خدمات الاغاثة الكاثوليكية وهى منظمة كاثوليكية تعمل فى معظم الدول الغربية والولايات المتحدة الامريكية وينحصر عملها فى توفير الاغذية والملابس والادوية وبرامج تنمية الخدمات الصحية والتعليمية والزراعة وتركز جهدها على خدمة اللاجئين الافارقة. ومكاتبها فى شارع الجمهورية ولها صلة تعاون مع سودان ايد. وهناك قسم اللاجئين التابع للكنيسة الكاثوليكية وهو بعمارة الصفاء فى الطابق الثانى. وثمة قسم آخر انشىء حديثا فى عام ١٩٨١م ويؤدى نفس المهام السابقة ويهتم بتركيز اكثر بالطلاب الارتريين فيدفع لهم نفقات الدراسة والاغاثة والسكن. تمول هذه المنظمات من قبل الهيئات الكنسية والمنظمات الدولية. كما تفضل كثير من الدول الاوربية ارسال معوناتها عن طريق هذه المنظمات الكنسية. فقد اعلنت هولندا مثلا تبرعها بما يعادل اربعمائة ألف جنيه سودانى لاغاثة اللاجئين. وتم تحويل هذا المبلغ عن طريق (سودان ايد). هذا مع ان طلب العون تقدم به معتمد شئون اللاجئين بوزارة الشئون الداخلية.

وكما سبق ان قلنا فان نقطة الانطلاق الجديدة فى العمل التبشيرى بدأت باتفاقية اديس ابابا. ذلك لان الكنيسة لعبت دورا بارزا فى الاتفاقية فارادت قطف ثمار تلك الجهود. وقد

قامت استراتيجية الكنيسة على التوسع الافقى والانتشار فى مناطق جبال النوبة والجنوب. ومناطق السكن العشوائى بالعاصمة المثلثة حيث تسكن مجموعات كبيرة تعانى من الفقر والاهمال والاحساس بالغربة. ويسهل التأثير على هذه المجموعات لانها تكون طيعة فى ايدى الذين يقدمون لها العون ومن ثم يسهل توجيهها وتوظيفها. كما قامت الكنيسة بزيادة فعالية مؤسساتها القديمة من كنائس ومدارس لخدمة الاغراض التبشيرية ومخاطبة اكبر عدد من الناس من خلال ثلاثة.منابر هى :-

١) المؤسسات التعليمية الكاثوليكية.

٢) الكنائس الكاثوليكية ودور العبادة.

٣) المؤسسات الصحية والتجارية مشروعة كانت أو غير مشروعة [١٧٤] تضطلع الكنيسة والارسالية بمهام عديدة فالكنيسة تقوم بالنشاط الدينى المحض أما الإرسالية فهى ادارة تبشيرية تتولى التعليم والرعاية الصحية والاتصال بوسائله المختلفة. وهناك نوعان من الإرساليات :-

الاول: ويتصل عمله بالجمهور لخدمة البعثات التبشيرية ويطلق عليه اسم الجمعيات المساعدة للإرساليات التبشيرية (Mission Aid Association)

الثانى: ويتصل عمله بتوظيف البعثات التبشيرية وتدريب العاملين فى ميدان التبشير ويطلق عليها (Mission Sending Societies)

هذا وللكنيسة الكاثوليكية بالسودان، بالاضافة إلى المجلس الكهنوتى، مجلس ادارى مدنى رئيسه انتونى استامبولى ونائبه سعد سليمان تادرس. كما هناك مؤتمر سنوى لاساقفتها يعقد احيانا فى صالة كمبونى واحيانا فى خارج العاصمة «الابيض» «جوبا».. الخ.

٢) الإرساليات البروتستانتية بالعاصمة [١٧٥] :-

وهى ارساليات مختلفة بعضها ينطلق من بريطانيا كجمعية تبشير الكنيسة البريطانية لإفريقيا والعرب (The Church missionary society) اختصارها (C.M.S) وقد تكونت فى لندن

١٧٤- احينا تكون المؤسسة مشروعة لكن النشاط الذى تقوم به غير مشروع كما يحدث ان تكون المؤسسة غير مشوعة والنشاط الذى تقوم به مشروعة ايضا.

١٧٥- هناك تنسيق بين هذه الكنائس فى توزيع الدور والعقارات والاموال فمثلا فى القضية المرفوعة من قبل ورثة عبدالحميد ابراهيم حسين ضد جمعية الارسالية المسيحية Charistion Missionary Society حول القطعة رقم ١٤٧٧٢/١ بامدرمان والبالغ مساحتها ٢٦٥٢ والمسجلة بالملك الحر اتضح ان ملكيتها آلت بالهبة الى البطريقية المسيحية

البريطانية ولقد كانت هذه الجمعية تلعب دورا بارزا فى توجيه السياسة البريطانية فى السودان ابتداءً من عام ١٩٠٥م ومن أشهر روادها فى السودان ج. اسبنسر برمنجهام الذى صار أسقفا للكنيسة الاسقفية الانكليزية بالسودان فى الثلاثينات ويعتبر حجة فى المسائل الكنسية والإسلامية فى السودان وافريقيا عامة. وله دراسات متعددة ومعروفة. ثم خلفه القس (الفرالسن) والذى ولد بانجلترا فى ١٩٠٨/٥/٢٨ وجاء للسودان فى اكتوبر ١٩٣٨م وظل يترقى حتى وصل الى درجة المطرانية وكان يشارك فى السياسة ومن تلاميذه فيليب عباس غبوش.[١٧٦]

كانت استراتيجية الجمعية البريطانية ان تكون لها السيطرة فى مجالات التعليم والصحة ومن ثم التغلغل داخل السكان المحليين بالعاصمة فتبرعت اولا بمبلغ ثلاثة الاف جنيه استرلينى لتأسيس كلية غردون تخليدا لذكرى غردون وفتح الباب لدخول الحضارة الغربية والافكار المسيحية وكذلك فتحت مستشفى بامدرمان ومدرستين بامدرمان احداهما للبنات وكان مديرها مستر قويني الشهير والذى سميت كلية قويني للاهوت باسمه وهى كلية تقوم بتغذية الكنيسة بالقوة البشرية واعداد المعلمين والمبشرين ويعتبر مستر قويني هو منشىء العمل التبشيرى المنظم والحديث فى السودان. كما أسست الإرسالية مستشفى امدرمان عام ١٩١٢م

وفى مجال التعليم كانت الدروس الدينية المسيحية تلقى على كل الطلاب الا اذا كان هناك اعتراض من والد الطالب فيمكن استثناء الطالب من حضور الصلوات والدروس الدينية المسيحية.

وقد بدأت (C.M.S) عملها فى السودان باستعارة راهب من الكنيسة الانجيلية المصرية ينتمى الى قبيلة الشلك ومرتد عن الإسلام كما أمد مستشفى (C.M.S) القديمة بالقاهرة مستشفى امدرمان بطبيب من قبيلة الدينكا وهو الآخر مرتد عن الإسلام. كما تمت الاستعانة بامرأة من دارفور مرتدة عن الإسلام وأخذت تعمل بعد ارتدادها فى مجال التبشير: ولجأت الكنيسة على الرغم من تعاليمها الى تشجيع المبشرين الافارقة على الزواج لتأسيس أسرة نصرانية. كما قررت الكنيسة ان يكون احد مداخلها الاساسية فى السودان استقطاب مرتادى عام ١٧٩٩م وهى أكثر الجمعيات البروتستانتية نشاطا تنظيميا بحكم ارتباطها بكنيسة الدولة فى بريطانيا لذا فقد حظيت برعاية الاسرة المالكة ورؤساء اساقفة كنيسة كنتربرى الرسمية وعادة مايتم الاختيار لمنصب رئاستها من الشخصيات البارزة التى عملت فى الحكومة

١٧٦ـ قسيس من منطقة جبال النوبة اصبح زعيما قبليا بمنطقته وله دور سياسي بارز.

(الانادى)[١٧٧] طلبا (للمريسة)[١٧٨] وقد تم تأسيس ناديين لهم فى الخرطوم وامدرمان. حيث تقدم لهم الخدمات الدورية والارشادات المسيحية وبذا يتم تحويلهم من الإسلام، كما يتم تحسين اوضاعهم الاقتصاديه حتى لايذوبوا فى المجتمع الإسلامى اذا كانوا من غير المسلمين. وتلبية لتلك الخطة تم فى عام ١٩٤٠م افتتاح مركز اجتماعى فى جنوب خور أبى عنجة تابع لـ (C.M.S.) كما قام مجلس امدرمان بمنح الكنيسة الانجيلية قطعة أرض فى قلب المدينة لاقامة مركز للتبشير فى امدرمان اشتمل على كنيسة ومركز لتوزيع المنشورات ومركز للشباب. وناد للجنوبيين ومركز نسائى ودار ضيافة ومنزلين للرهبان وفى ذات الوقت بدأ تدريس الانجيل بلغة الدينكا. حيث قام ارشيد كون أ. شو (Archdecon A.Chow) فى عام ١٩٣٣ باكمال العهد الجديد بلغة الدينكا (New Dinka Testament) بعد جهد دام ثلاثين عاما. وتستفيد هذه الكنيسة من المؤسسات البريطانية الموجودة بالعاصمة كالمراكز الثقافية البريطانية (British councils) فى تقديم خدماتها.

(٢) الارساليات الامريكية (American Mission):-

المجلس الخاص للإرساليات المسيحية بشمال امريكا عام ١٨٣٧ (the Board of Foreign Mission of the united presbyterians) بدأ نشاطه الحقيقى فى العاصمة بوصول الدكتور سورلين ١٩٠٣ حيث اشترى دار الكنيسة الانجيلية الواقعة شرق مستشفى امدرمان الحكومى حيث بنيت فيه اول مدرسة للبنين عام ١٩٠٧ كما قام دكتور جفن فى سنة ١٩٠٥م بشراء المربع الذى يقع على شارع القصر غرب سينما كلوزيوم على مقربة من الجامع الكبير حيث تم فتح مدرسة عام ١٩١١م كما ارست الإرسالية الامريكية مدرسة :-
(Kelly J.Kelly Ciffen) الزراعية بالجريف غرب. حيث اشترت الكنيسة ثلاثة عشرة فدانا وتم اقامة المدرسة عليها. ولكن اغلقت الإرسالية المدرسة فى عام ١٩٣٨م ومازال الارض تحت سيطرة الكنيسة فى شكل مزرعة ضخمة ليس واضحا مايجرى فيها. على ان التصديق الاصلى كان بمدرسة زراعية كما قامت حكومة السودان بمنح كنيسة امريكا الشمالية قطعة

---

١٧٧ الكلمة الدارجة السودانية تعنى الحانوت الذى يجتمع فيه بعض العامة لتناول الخمور.
١٧٨ أشهر أنواع الخمور البلدية الشعبية. Cikker

ارض فى منطقة الملازمين مربع ٢٦ (أ) الحارة الثالثة بامدرمان ومساحتها ٧٨٢٥ مترا مربعا (تعتبر كنيسة ومركزا مسيحيا) وقد تم التصديق بخطاب موقع بتاريخ ١٢ ابريل عام ١٩٤٧م.

هذا ولاتزال كنيسة الخرطوم هى ام الكنائس الانجيلية. وقد نشطت الإرسالية الامريكية الى حدما فى العمل السياسى بعد ثورة اكتوبر ولذا فقد احرق المواطنون مكتب الإرسالية الامريكية بعد احداث الاحد المؤسفة* لصلتها بتلك الاحداث. وهناك ارساليات بروتستانتية اقل اهمية منها ركزت جهودها على الاقليم الجنوبى واكتفت بوجود رمزى لها فى العاصمة كارسالية أرض افريقيا (African Inland Mission) ومقرها تورنتو بكندا وارسالية السودان المتحدة التى تكونت فى بريطانيا عام ١٩٠٤م. وارسالية السودان الداخلية (The sudan internal Mission) ومقرها كذلك فى تورنتو ولها مركز فى الخرطوم.

٤/ الكنائس الارثوذكسية :-

الكنيسة القبطية الارثوذكسية بالسودان :-

فى مطلع القرن العشرين اصبح البطريق كيركسى الخامس بابا الاسكندرية رئيسا للاقباط الارثوذكس. وفى عام ١٩٠٤م أسس كتدرائية السيدة العذراء بالخرطوم وتلاها تأسيس الكنائس الاخرى فى الخرطوم بحرى وامدرمان وكانت الكنيسة القبطية الارثوذكسية قد فتحت المدارس للبنين والبنات فى الخرطوم وأمدرمان وفى سنة ١٩٥٨م تولت وزارة المعارف المصرية الاشراف على هذه المدارس بموجب اتفاقية مع السلطات الكنسية.
تحتوى الكنيسة القبطية الارثوذكسية بالسودان على مطرانيتين الاولى تسمى مطرانية الخرطوم واوغندا ومقرها الخرطوم. وقد ظلت الكنيسة القبطية الارثوذكسية بالسودان كنيسة رعاية دون نشاط تبشيرى. ولعل مرد ذلك لكونها قادمة من مناطق اسلامية (مصر - الشام) حيث رسخ فى اللاوعى ان المسلم مسلم والمسيحى مسيحى كما تشبع انصارها بالتقاليد الإسلامية وفوق ذلك فان سياسة هذه الكنيسة فى السودان ظلت الى حد ما مرتبطة بمصر الدولة. ولقد نشطت الكنيسة القبطية بعد زيارة البابا شنودة (الاولى) للسودان حيث بدأت نشاطا تبشيريا واسعا بين أبناء النوبة والجنوبيين كما أخذت تنشط فى توزيع الصلبان والكتيبات فى اوساطهم. وقد ربطت تقارير الامن بين تكالب ابناء الطائفة على اراضى المسالمة وزيارات البابا ودعمه المادى لهذا الاتجاه كما لوحظ تدفق النقادة المصريين المسيحيين بعد زيارات البابا شنودة فى شكل تجار وحرفيين وغيرهم.

---

* أحداث الأحد

مجلس الكنائس العالمى :-

مجلس الكنائس العالمى تنظيم مسيحى يجمع كل الكنائس البروتستانتية والانجيلية والارثوذكسية. ويعتبر هذا المجلس قوة مؤثرة لها نفوذها ووزنها وأهم الانشطة التى يقوم بها تتركز فى مجالات مساعدة اللاجئين والتبشير المسيحى والدراسات والبحوث الاجتماعية والدينية والاقتصادية وله مع ذلك انشطة خاصة بالمجالات السياسية وقد قدم هذا المجلس العون للمتمردين فى الحرب الاهلية بالجنوب. كما لعب دورا فيما يتصل بمشاريع استيطان واستقبال اللاجئين من الدول المجاورة وكان له موقفه المناهض للعرب والقضية العربية عموما ابان احداث الشرق الاوسط.

الغرض من قيام مجلس الكنائس العالمى :-

١) تسيير التبشير العالمى عن طريق كنيسة متحدة متماسكة شكليا واداريا.
٢) المجلس ليس بكنيسة عظمى لانه لايمثل اية طائفة أو هيئة أو مؤسسة كنسية مشتركة فى عضويته الا اذا فوض من قبلها.
٣) يقر المجلس مساعدة الكنائس ويلتزم بمدها بهذه المساعدات لتحقيق الوحدة التى ينشدها المسيح ولكنه ليس مذهبا واحدا أو طائفة أو خطة معينة للوحدة الكنسية.
٤) يمثل المجلس عصبة أمم كنسية تمكن الكنيسة الدولية من التفاوض والتشاور واجراء التنسيق وتبادل المعلومات، من خلاله، لاداء الاهداف المشتركة. والمقر الدائم لهذا المجلس فى جنيف بسويسرا ومركزه الرئيسى بالخرطوم العمارات شارع المطار. وله وكالة متخصصة فى عمليات غوث اللاجئين وتقوم بتقديم المساعدات للحركات التحريرية واللاجئين فى شرق افريقيا وقد لعب مجلس الكنائس دورا فعالا فى اتفاقية اديس ابابا. وهو يعمل بنشاط فى الخرطوم لتنسيق وربط حركة المسيحيين وتمويل الانشطة الاخرى، هذا بالاضافة الى عمله المستمر فى مجالات المراقبة والرصد وتحليل المعلومات.

فائدة

هناك كنائس جاليات يقتصر نشاطها على رعاية ابناء الطائفة ككنائس الارمن والكاثوليك والكنيسة الاثيوبية وغيرها.

ويلى مجلس الكنائس العالمى مجلس الكنائس الإفريقى . ذلك أن ـ تكوين المجلس الاخير مشابه لدور مجلس الكنائس العالمى مع اختلاف يسير هو ان الاطار الموضوعى له هو افريقيا كما أنه محاولة لانشاء كنيسة محلية تهتم بافريقيا وقضاياها . ويلى ذلك مجلس الكنائس السودانى والذى ينظم حركة الكنيسة السودانية وله صلة عضوية بكل من مجلسى الكنائس العالمى والإفريقى وهناك تنسيق بين هذه المجالس لمكافحة حركة تطبيق الشريعة الإسلامية فى السودان وتحريك العالم المسيحى فى اتجاه ممارسة الضغوط ضد حكومة السودان .

جمعيات الكتاب المقدس :ـ

أنشئت هذه الجمعية بالسودان فى حوالى عام ١٨٦٦ كفرع للرئاسة الموجودة بمصر والمسجلة تحت اسم (British and Foreign Bible Society) والغرض الواضح منها هو بيع ونشر الكتب المقدسة كالانجيل والتوراة وكتب الثقافة المسيحية كافة خصوصا فى البلاد الإسلامية وتزعم الجمعية انها لاتنتمى الى أية هيئة تبشيرية وانها تقدم خدماتها للكل ولها فروع تقريبا فى كل بلاد العالم . وللجمعية مندوبون متجولون فى الانحاء المختلفة من البلاد وفى عام ١٩٢٣م ظهرت جمعية منافسة لها وهى (الكتاب المقدس الامريكي) وفى عام ١٩٤٧ اندمجت الجمعيتان تحت اسم (جمعيتى التوراة البريطانية والاميريكية) . وفى عام ١٩٦٢م غير الاسم مرة أخرى الى جمعية الكتاب المقدس . وبالرغم من نفى الجمعية انتماءها لاية هيئة تبشيرية .إلا انه من المؤكد ان لها ارتباطات وثيقة بالهيئات الكنسية العالمية التى تعمل على اعداد وطبع الكتب الدينية وتصدرها للجمعية للتوزيع فى السودان . هذا وقد نشطت الجمعية ابتداء من النصف الثانى من السبعينات فى اقامة معارض للكتاب المقدس بعضها متحرك كالتى تعرض فى باخرة تقوم برحلة نيلية تعرض اثناءها بعض الكتب وتبيعها كما نشطت فى طباعة الهدايا الورقية والكتيبات الصغيرة والمنشورات المجانية التى توزع لتلصق فى السيارات وغيرها .

ويقع المكتب الرئيسى للجمعية والمكون من طابقين مميزين فى يمين الشارع الممتد شمالا من مسجد الخرطوم الى المحطة الوسطى جوار معهد التأليف والنشر التابع لجامعة الخرطوم . هذا وتستفيد الجمعية من الاعفاءات الجمركية فى غمر الاسواق بالمطبوعات . كما يتم تحت اسمها استجلاب القساوسة الاجانب على اساس انهم من (المترجمين أو اللغويين والناشرين) . بالاضافة الى المطبوعات التى تصدرها جمعية الكتاب المقدس فان لكل كنيسة مطبوعاتها الخاصة وادبها الخاص ومجلاتها الخاصة وتقوم بتوزيعها فى الخرطوم وما جاورها .

الفصل الثانى
المؤسسات التعليمية والتبشيرية

مقدمـــة :ـ

يظن الكثيرون ان مجال الخدمات التعليمية أكاديمى محض ولكن الواقع غير ذلك فان مؤسسات التعليم الكنسى لها اهداف ودوافع تبشيرية . وحينما تم قهر الدولة المهدية وتمكنت سلطات الحكم الثنائى من وضع يدها تماما على السودان لم تشأ أن تفتح الباب للتبشير المسيحى فى السودان الشمالى خوفا من ردة فعل المسلمين ولكنها تنازلت شيئا عن ذلك وفتحت الباب للإرساليات فى أمر التعليم وعن ذلك يحدثنا القسيس الشهير قوينى الذى جاء عند استعادة السودان لمباشرة تنظيم ارسالية الكنيسة التبشيرية الانجليزية و بينما كنت مهموما حزينا فى دارى على اثر عدم التصريح لى بتنصير المسلمين جاءنى رسول يدعونى مستعجلا لسراى الحاكم العام وذهبت والدنيا مظلمة امامى ، واذا بى اتلقى معاملة مذهلة فقد قال لى الحاكم العام مبتسما : (لقد صرح لك بافتتاح مدارس الشمال) ورقص قلبى فرحا ، وايقنت أن الله استجاب الى دعائى ، فما الفرق بين رفض السماح لى بتنصير المسلمين والسماح لى بتعليم اطفالهم" وهكذا كانت بداية المؤسسات التعليمية التبشيرية حيث اخذت تنمو الى ان اخذت شكلها الحالى .

مدارس امدرمان :ـ
١) مدرسة كمبونى الابتدائية للبنين :ـ

موقعها فى حى المسالمة بامدرمان شمال شرق سوق أمدرمان الكبير معظم سكان المنطقة من الاقباط وهذا الحى من الاحياء القديمة فى امدرمان والمستوى المعيشى لسكانه متوسط على الغالب وهناك اقلية غنية الى جانب الاقباط والمصريين (والنقادة) تسكنه بعض الاسر السودانية المسلمة .

مساحة المدرسة تقدر بحوالى ١٥٠٠ متراً مربعاً وهى مجاورة للكنيسة الكاثوليكية تماما ومكتب الكنيسة داخل ميدان المدرسة . كما يسكن القسيسان اللذان يشرفان على المدرسة فى منزل منفصل عن المدرسة ببوابة حديدية تفتح داخل ميدان المدرسة وتشتمل المدرسة على مرحلة واحدة هى الابتدائية وهى للبنين فقط وليس لها فصل للسنة الاولى اذ يأتيها الاطفال

بعد أن يقضوا سنتين فى مدرسة «الراهبات» المجاورة لها فى الحى حيث يقبلون من عمر خمس سنوات بروضة الراهبات ويدرسون لمدى عامين فى فصل يسمى (Zero) ثم ينتقل الطفل الى كمبونى الابتدائية والاقبال على المدرسة كبير جدا اذ فتح باب التقديم فى العام ١٩٨٢/٨١ لمدة ساعة ونصف فى نهار يوم واحد وحددت الفرصة الموجودة لـ ٤٠٠ (اربعمائة) من الاطفال وبلغ عدد الطلبات ٧٠٠ (سبعمائة) خلال هذه الساعة.

لايشترط عامل السن عند القبول اما المصاريف فقد كانت مائة جنيه فى السنه حتى عام ١٩٨١ ومعظم الاطفال من الاسر الميسورة الحال (ابناء السفراء الوزراء ورجال الاعمال. . . الـخ) وهنـاك اطفـال آخرون من الاسر الفقيرة كابناء الجنوب وهؤلاء تساعدهم المدرسة ويعفون من المصاريف وبالمدرسة نهر واحد ولكن بعض الفصول توسعت فاصبحت قسمين منفصلين، .

ومتوسط عدد الطلاب بالفصل ٤٥ طالبا ولكل طالب مقعد ودرج والفصول فى غاية النظام والنظافة.

عدد الفصول الكلى بالمدرسة سبعة فصول بها مكتبان للاساتذة.

المعلمون :-

بالمدرسة خمس معلمات وخمسة معلمين كلهم من خريجى المدارس الثانوية وبعضهم مازال يدرس فى الجامعة وهم اما سودانيون اصلا أو سودانيون مولدون أو أرتريون «والمولدون» اقبـاط ونقـادة. ومدرس اللغة الانجليزية مسيحى من ابناء جبال النوبة. ومدرس اللغة العـربية سودانى مسلم وكـذلك مدرس التربية الإسلامية. والاب (القس) يشارك معلم التربية المسيحية فى التدريس، والمدرس الاساسى قبطى «مولد» كل المعلمين تعينهم المدرسة وفق شروطها عدا معلم التربية الإسلامية فتعينه وزارة التربية والتوجيه فاذا لم تعين الوزارة مدرسا فلا تهتم المدرسة بتعيين احد وقد يقوم بالتدريس أى معلم مسلم موجود بالمدرسة مثل معلم الرياضيات مثلا.

المناهج :-

ان المناهج التى تدرس هى مناهج وزارة التربية السودانية حتى التربية المسيحية، غير أن اللغـة الانجليزية يبدأ تدريسها من فصل صفرZERO «صفر» ويدرس فى هذه المدارس منهج شهادة اكسفورد المدرسية اما الكتب فتشتريها ادارة ـ المدرسة من الوزارة وتقوم ببيعها

للطلاب وليس هناك نقص فى الكتب. المناهج الخاصة تستورد كتبها من الخارج.

اليوم الدراسى :-

يبدأ اليوم الدراسى الساعه السابعة صباحا وينتهى فى الثانية بعد الظهر. ويشرف على طابـور الصبـاح الاب المسئول. واثناء فسحة الفطور تبث اذاعة المدرسة موسيقى غربية كلاسيكية أو حديثه. وبالمدرسة نشاط رياضى ويتوسط المدرسة ميدان لكرة السلة مضاء ليلا، وليس هناك نشاط اجتماعى أو جمعيات ولكن القساوسة يقضون كل وقتهم بين المدرسة والكنيسة ويخرجون احيانا بالعربه محملة بالمواد التموينية الى حى امبده وجهات اخرى مما يؤكد قيامهم بخدمات اجتماعية تبشيرية. ويقضون ليلة السبت بحدائق كوبر حيث تقع السفارة الفاتيكانية. أو فى حدائق الكنيسة الكاثوليكية ويدعون أساتذة المدرسة أحيانا الى سهراتهم والى حفلات النادى الكاثوليكى بحى المطار.

اما النشاط الثقافى فيتمثل فى بعض الصحف الحائطية التى ينشرها الطلاب كما توزع الادارة جريدتى السلام والرسول اللتين تطبعان فى كمبونى بالخرطوم ومؤسس هذه المدرسة هو دانيال كمبونى.

٢) مدرسة الراهبات بامدرمان :-

بنيت المدرسة فى مساحة تقدر بثمانمائة مترا تقريبا وتقع فى حى المسالمة مجاورة للكنيسة الكاثوليكية ومدرسة كمبونى الابتدائية للبنين الموصوفة سابقا ويشمل جميع المراحل الدراسية من (Zero) صفـر وروضة ومراحل ابتدائية ومتوسطة وثانوية. والروضة مختلطة ثم ينفصل الاولاد بعد سنتين ليذهبوا لمدرسة كمبونى للبنين. أما البنات فيواصلن تعليمهن بها حتى الثانوية العليا.

وتقع الروضة جنوب المدرسة خلف الفصول وبها مجموعة من الالعاب فى مكان جميل وانيق ولهـا ادارة خاصة بها. اما المدرسة الابتدائية فتتكون من نهرين ويدرس فيها المنهج السـودانى ايضـا، بالاضافة للغة الانجليزية واما المتوسطة فيدرس فيها المنهج السودانى ايضا. وتدرس كل المواد باللغة الانجليزية[١٧٩] ومستوى المدرسة الاكاديمى ممتاز.

١٧٩- يلاحظ ان ذلك يخالف الوضع فى البلاد اذ ان المنهج السودانى يدرس باللغة العربية.

الثانوى العالى :ـ

بنيت المدرسة من طابقين وفصولها متوسطة المساحة وتمتاز بحداثة وجمال المبنى وتختلف مقاعدها عن بقية المدارس السودانية. يقع فى الجانب الغربى من المدرسة منزل لسكن الراهبات مكون من طابقين بالمدرسة ماكينات خياطة داخل الفناء كما ان للمدرسة سيارة خاصة بها.

طلاب المدرسة سودانيون، اما المعلمون فخليط من السودانيين والاقباط والارتريين والاثيوبيين. وتشرف على المدرسة كلها راهبة ايطالية كما ان كل قسم من الاقسام تشرف عليه راهبة.

٣) روضة كمبونى :ـ

تقع فى حى بانت الذى يسكنه سودانيون متوسطو الحال وفيه طائفة من ابناء النوبة والجنوبيين. مساحة الروضة ٢٥×٣٠ مترا وبها نحو خمسة فصول وفرندة يتوسطها ميدان فسيح ومشجره.

٤) مدرسة الفتيحاب الكاثوليكية العشوائية :ـ

تتكون المدرسة من منزل صغير مساحته حوالى ٢٠٠ مترا مربعا ويتكون من غرفتين احداهما كبيرة والاخرى صغيرة للغاية وقد الحقت بها مظلة وتستغل الكنيسة الكاثوليكية هذا المنزل لممارسة بعض انشطتها التعليمية وذلك مساء كل يوم وينقسم المنزل الى الفصول الاتية :ـ

١) مجموعة اطفال عددهم حوالى ١٥ طفلا يدرسون فى فناء المنزل حيث تقدم لهم مادة الدين المسيحى فقط وبعض الاناشيد الدينية باللغة العربية ويشرف عليهم استاذ جنوبى شاب وكل الاطفال من الجنوبيين.

٢) فصل لتعليم اللغة الانجليزية للبنات وعددهن حوالى ٣٠ طالبة كلهن من الشماليات ويشرف على تدريسهن مدير المدرسة الجنوبى.

٣) فصل لتعليم اللغة الانجليزية للاولاد وعدد الطلاب فيه عشرون طالبا تقريبا جميعهم من الجنوبيين.

٤) فصل لتعليم اللغة الانجليزية للاولاد وعدد الطلاب يضم حوالى عشرين (٢٠) طالبا جميعهم من الجنوبيين.

٥) وتحت المظلة تدرس لغة الدينكا للطلاب الجنوبيين اما الكتب الانجليزية التي يدرسونها فانها فى حالة رديئة جدا وهى تمثل المنهج السودانى القديم. يتبع هذا المنزل لكنيسة بانت وينتقل منه الى كمبونى الخرطوم.

تعتبر المنطقة التى يقوم فيها هذا المنزل فقيرة نسبيا وأغلب سكانها من الشماليين يخالطهم الجنوبيون وتنتشر فيها صناعة الخمور والدعارة (وقت اعداد البحث) ويقع المنزل شمال شرق مقابر الفتيحاب وقد كان فى البداية ملكا لاحد المواطنين المسلمين فاغرته الكنيسة بالمال فباعه لها.

٥) مدرسة أمبدة الحارة الاولى :

هى مدرسة كنسية فى القطعة رقم ٩٦٧ مساحتها ٤٦٨م ومسجلة بالحكر (ملكية محدودة) لمدة تنتهى فى ١٩٨٩/١٢/٣١م وبايجار سنوى قدره ٤٧٠ مليما وهى[١٨٠] مسجلة باسم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية وخالية من الموانع وزودت بالكهرباء ويأتى الى هذه المدرسة قسيس اجنبى يوميا وبانتظام، كما تأتى اليها راهبة على فترات. ومعظم الدارسين من الجنوبيين وقليل من الاقباط وبعض فقراء الاعاريب المسلمين، والقطعة كانت اصلا مسجلة باسم (؟) واشتراها منه مسيحى جنوبى ثم تحولت إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالخرطوم.

٦) روضة أطفال أمبدة الحارة الثامنة :-

هناك روضة للاطفال الجنوبيين ويشرف عليها قسيس جنوبى.

٧) مدرسة الخواجة بأمبدة الحارة ١٨ :-

اطلق على هذه المدرسة اسم الخواجة حتى الان وكان بها تلاميذ يتراوح عددهم بين السبعين والمائة وليس بها أية اثاثات سوى مجموعة من الكراسى فى مكتب المدرسين وكل ما يعرف عنها أن أحد الجنوبيين تقدم للتصديق له بمدرسة ولكن المسلمين الذين يسكنون بجوارهم تصدوا فاوقفوا التصديق ومع ذلك فان البناء مازال مستمرا لفصلين ومكتب وفناء كلها من الجالوص وقد اشتهرت بمدرسة الخواجة.

١٨٠- وقت اعداد البحث.

٨) مدرسة أمبدة الحارة ١٨ :-

ويكثر فى هذه الحارة شرب الخمر وفى وسط هذا الجو قامت المدرسة من حجرتين وقد الصقت سبورة على ظاهر كل من الحجرتين عدد طلاب المدرسة وطالباتها ٧٥ طالبا وطالبة (مختلطة) ويبدأ اليوم الدراسى فيها صباحا فى السادسة ويستمر حتى التاسعة ثم يعودون فى المساء حتى المغرب.

مدارس الخرطوم :-

٩) كمبونى قسم الابتدائية والمتوسطة بنين :-

تقع شرق مدرسة الخرطوم الاهلية العامة بالسوق العربى وفى شرقها يمتد القسم العالى لمدارس كمبونى.

أ/ المنشآت :- وتشمل على :-

١) بيوت الراهبات فى الركن الجنوبى الغربى.
٢) ورش عربات كبيرة ومخزن.
٣) ميدان كرة سلة وميدان كرة طائرة.
٤) سينما تقدم عرضا كل يوم سبت.

المستوى	المرحلة	عدد الفصول
رابعة	الابتدائية	٢
خامسة	الابتدائية	٣
سادسة	الابتدائية	٣
أولى	عام (المتوسظة)	٢
ثانية	عام (المتوسطة)	٢
ثالثة	عام (المتوسطة)	٣ زائد فصل من كمبونى امدرمان.

١) المدرسة مقسمة لفرق رياضية كما أن الرياضة اجبارية وترصد لها مائة درجة فى الامتحانات.
٢) هناك اذاعة مدرسية تبث من مكتب المدير، وتبث الاغانى العربية فى فترة الطابور والصلاة المسيحية.

٣) المكاتب ـ المدير ـ السكرتير ـ الاساتذة.
٤) المدير: قسيس.

١٠) مدرسة الجريف غرب :-

وهى مركز لتعليم الكبار (للنساء) تابع لكمبونى وقد الحقت به روضة للاطفال مساحتها ٢٥×٣٣ مترا مربعا وله سور من الطوب الاحمر به غرفتان ٤×٤ م تستغل احداهما لادارة المدرسة وهناك مسرح ملحق بالمكان ومبنى وشاشة صغيرة للسينما.

نوع النشاط: فصول مسائية لتعليم اللغة الانجليزية للكبار يدرس به عدد من الجنوبيين (عشرون شخصا تقريبا) وهناك فصل ثالث للنساء معظم رواده من المواطنات السودانيات وكذلك الارتريات وعددهن يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٠ وكان هذا الموقع يتبع لتعليم الكبار الحكومى.

ورسوم التسجيل خمسة جنيهات تجمع شهريا. يتعلم الطلاب فى الروضة حتى يصلوا مستوى جيدا ثم يلحقون بكمبونى الخرطوم. يدرس الاطفال المسيحيون فى العصر كما تقوم احدى (الاخوات) على روضة الاطفال بالنهار ويدير المدرسة احد ابناء الجنوب. والمواد التى تدرس هى الدين المسيحى للاطفال ولغة الدينكا واللغة الانجليزية.

١١) مدرسة كمبونى الثانوية بنين :-

وتقع شرق كمبونى الابتدائية والمتوسطة مباشرة وبينهما شارع صغير بها سينما وغرفتان تحت الارض فى القسم الثانوى العالى بغرض عرض الافلام ولها مطبعة تجارية ضخمة فى الجزء الشرقى تطبع الكتب والامتحانات تحت الارض وهناك ماكينات لف الورق (رونيو) فى غرف السطح بها مكتبة كبيرة ومجهزة مساحتها حوالى ١٠×٢٠ مترا. كذلك بها مكتبات بيع الكتب والادوات المدرسية تشرف عليها راهبة الجمعيات (Combony Youth movement) يتم توزيع الطلاب لمجموعات ثقافية تناقش موضوعات متنوعة، كأن يجتمع الطلاب والطالبات ويطلب منهم أن يناقشوا موضوع الحرية مثلا بعيدا عن الدين والنظرة الدينية. ثم هناك فترات للراحة تتخللها الموسيقى والرقص المختلط. وفى الماضى كانوا يقسمون الطالبات

والطلاب، كل طالب يختار بطاقة مكتوب عليها رقم طالبة معينة ثم يجلس معها ويراقصها. وأوقف هذا النوع من النشاط بواسطة بعض الاساتذة والطلاب الإسلاميين بعد مشاكل مع الادارة.

الفصول :-

هناك فصلان للفرقة الاولى واثنان للثانية وفصل واحد للفرقة الثالثة بها أربع قاعات كبيرة للامتحانات بالاضافة الى المعامل. وبها مكاتب الاساتذة ومكتب المدير وبيوت القساوسة تمثل الواجهة الشرقية للمدرسة. والمدرسون هم يمثلون خليطاً من السودانيين والاجانب وكل المدرسات اجنبيات.

النشاط الرياضى :-

هناك اهتمام واضح بالرياضة وتمثل ذلك فى أن الرياضة اجبارية لكل الطلاب ولها مائة درجة فى الامتحان وتقع الملاعب داخل المدرسة فهنالك ملعب للسلة وللكرة الطائرة وغرفة للجودو وغرفة لكرة اليد وغرفة للادوات الرياضية. وهنالك موظف مسئول عنها. يوجد فى السودان ١٣ لاعبا يحملون الحزام الاسود فى الجودو ومنهم ٧ من خريجى كمبونى وقد حاز فريقهم للسلة على بطولة الدورة المدرسية بلاعبيه وللمدرسة ميادين أخرى منفصلة يجمعها مبنى واحد كبير على شارع السيد عبد الرحمن وبه ميدان كرة قدم، مسجل ويؤجر احيانا لبعض فرق الدرجة الاولى. وهناك حوض سباحة وملعب للكرة الطائرة وكرة السلة ويشتهر المكان باسم كمبونى جراوند (Combony Ground) وهناك ملعب آخر بنفس المواصفات غرب النادى الكاثوليكى.

الادارة :-

كان مدير المدرسة فى بداية الثمانينات يبدو عليه التعصب ولا يتكلم اللغة العربية البتة. ونائبه من المكسيك ويبدو أكثر اتزانا من المدير ويجيد التحدث بالعربية وهو حلقة وصل بين المعلمين السودانيين وبين الادارة - ثم هناك العميد.

بالمدرسة مطبعة ضخمة، تعمل يوميا بعد الرابعة. وتطبع صحيفة السلام وهى جريدة مسيحية متخصصة، تحوى اخبار الطائفة المسيحية محليا واقليميا وعالميا مع مواضيع دينية

اخرى وهى فى حجم جريدة الأيام السودانية كما تقوم المطبعة بطباعة الرسائل والكتيبات.

وعـدد القساوسة الكاثوليك الذين يعملون بالتدريس سبعة، كما أن هناك قسيساً من البروتستانت. وكل القساوسة الجدد الذين يصلون الى السودان من الخارج يتم تدريبهم على اللغة العربية بصورة جادة ويقبلون على ذلك بحماسة واضحة.

سياسة المدرسة :ـ

ادارة المدرسة لاتشجع تدريس اللغة العربية والتربية الإسلامية كما ان رقابة وزارة التربية والتوجيه ضعيفة. ومن ذلك أنه حينما هاجر استاذ التربية الإسلامية فى القسم الثانوى العام ظلت المدرسة لعدة شهور بغير استاذ الى ان تولى استاذ التربية الإسلامية فى القسم العالى هذا الامر مع الوزارة. يقوم عدد من الأساتذة والإداريين باستفزاز الطلاب المبرزين فى اللغة العـربية والـتربية الإسلامية بالكلام السافر الذى فحواه (هذه مدرسة علمية وعليكم ان تركزوا على العلوم الطبيعية والا فالأولى بكم أن ترتادوا معاهد اللغة والدين).

النشاط المسائى :ـ

فى المساء يتحول القسم الثانوى العام إلى مدرسة تؤمها أعداد كبيرة من الجنوبيين وابناء النـوبة ذكورا واناثا ويصل تعدادهم لثلاثة آلاف حيث يدرس بعضهـم اللغة الانجليزية والبعض اللهجات المحلية ويكونون صرحا لنشاط الكنيسة التبشيرية، حيث يتم تقسيمهم والعناية بهم وتقديم المساعدات المادية وتوفير الجو الاجتماعى المساعد على عملية التنصير.

ممتلكات الكنيسة :ـ

كل الممتلكات والمطبوعات التى تصل مدرسة كمبونى معفاه من الضرائب هذا مع وجود مطبعة تقوم بعمل تجارى. وفى المدرسة اسطول من السيارات وكل الاجانب الذين يعملون فى مؤسسات الكنيسة يعطون سيارات.

مدرسة القديس سانت فرانسيس (بنين وبنات) :ـ

هذه المدرسة تتبع لمدرسة الزاهبات وهى لصيقة بالكنيسة والدير وتجاور مقابر المسيحيين.

تقع غرب مكاتب امن الدولة جنوب غرب القسم الشرقى ويلاصق من الناحية الغربية النادى الامريكى. تبلغ مساحة المدرسة ٩١٢٠ مترا ويتكون البناء من طابقين من الطوب والخرصانة.

الإدارة :-

ان العدد الكلى لإدارة المدرسة ١٥ راهبة و٢٨ من المدرسات، ست منهن مسلمات والبقية من القبطيات والمسيحيات. وثلاثة مدرسين من المسلمين.

يبلغ عدد الفصول ٢٢ فصلا وعدد الطلاب الكلى ١٥٥٠ طالبا ويجىء تقسيم الفصول كالاتى :- فصلان روضة ٥ فصول ثانية، ٤ فصول ثالثة، ٣ فصول رابعة، ٦ فصول خامسة، فصلان سادسة، ومتوسط الطلاب ٥٠ طالبا فى الفصول العليا أى بعد الرابعة وأما دونها فالمتوسط ٧٢ طالبا. والطلاب مسلمون ومسيحيون وجنسياتهم مختلطة ويكثر بينهم ابناء الجنوب والمولدون من السودانيين. وهنالك اجانب ايضا. ويتبع للمدرسة عدد من السيارات منها سيارتا نقل لترحيل التلاميذ وسيارة صغيرة فلكسواجن لاستعمال الراهبات ايضا، وهناك راهبتان مسنتان تقوم احداهما بعمل المطبخ كما تقوم الاخرى بمداواة المرضى من التلاميذ كما ان هناك راهبة شابة لقيادة السيارات والخياطة.

النشاط الخارجى :-

هناك اذاعة مدرسية تبث مقطوعات موسيقية واغانى (الديسكو) والاغانى المصرية الشعبية وهناك تمارين رياضية صباحية للفصول الصغيرة، وتعليم الخياطة للفصول الكبيرة.

١٣) مدرسة الراهبات الكاثوليكية :-

الموقع :-

شرق مبانى الاتحاد الاشتراكى (سابقا) جوار الكنيسة الكبيرة (الكاتدرائية) شارع الملك نمر إدارة المدرسة من الراهبات. بها حوالى العشرين من المعلمات منهن ست من المسلمات أما المدرسون فهم حوالى ١٥ مدرساً، وعدد الفصول ٢٢ فصلا، ٣ فصول سادسة، ٣ أولى عام، ٤ ثانية عام، ٣ ثوالث، ٣ أولى عالى ٣ ثانية عالى ٣ ثوالث فى كل من أولى وثانية وثالثة عالي، فصلان علميان وواحد أدبى والطالبات من جنسيات مختلفة، مسلمات ومسيحيات.

١٤) مدرسة فيلا جلدا :-

تقع غرب السوق العربى أمام شارع الحرية وتلاصق من ناحية الشمال مستشفى الراهبات ومطبعة التمدن. يقع فى جزء من المنطقة المحيطة بها سوق وماتبقى من المنطقة حى سكنى، وعدد الفصول سبعة منها فصلان ابتدائيان واثنين للسنة الثانية الابتدائية وفصلان للثالثة الابتدائية ايضا وهناك صالة كبيرة لتلاميذ فصل صفر (Zero) روضة. كل معلمات المدرسة من النساء والمسلمات منهن خمس وبالمدرسة كنيسة للصلاة. يدفع الطلاب مصاريف الدراسة على ثلاثة اقساط ويساوى القسط الواحد ٢٩٫٧٠٠م ج.[١٨١] ومتوسط عدد التلاميذ فى الفصل الواحد ٦١ طالبا.

١٥) كمبونى الصناعية :-

تقع بحى السجانة أمام المطبعة الصناعية الخرطوم بالمنطقة الصناعية شمال مشتل بلدية الخرطوم بها منشآت تتكون من ورش نجارة وورش عربات وورش كهربائية كما ان بها عددا من السيارات وخاصة سيارات اللاندروفر.
المساحة :- المبنى مسور بسور من الطوب الحجرى كبير الحجم. وبالداخل مبنيان كبيران مسقوفان بالزنك (جملونات) مساحة الاول منهما ٦٣×٩ م . م - والمساحة الكلية ٢٠٤١٢ مترا مربعا.

١٦ كمبونى الصناعية حى مايو :-

تقع المدرسة فى منطقة سكنية آهلة بالسكان وحولها أماكن لصناعة الخمور البلدية. المساحة ١١٥٥٤ مترا مربعا، وهناك مساحة مسورة من الناحية الغربية مساحتها ٢٣٨٥ مترا مربعا.
لم يكتمل بناء المدرسة حتى الان ولكن الدراسة بها منتظمة وقد اكتمل السور وبعض الفصول كما ان العدد الكلى هو تسعة فصول اثنان كبيران من الحصير و ٧ من الحجر. وتلاميذها من الاطفال الصغار من حى مايو والعشش ووصلوا فى دراستهم للسنة الخامسة الابتدائية الآن. مما يدل على ان احد هذه الفصول يستخدم مكانا للعباده وبالفصول مراوح كهربائية رغم أن المنطقة لم تصلها الكهرباء بعد، ويستخدم أحد الفصلين المنفصلين قاعة للكشف الطبى.

١٨١- وقت اعداد البحث.

١٧) مدرسة المنشية :-

المنشية منطقة أغلب سكانها مسلمون من ذوى الحال الميسور ولكن بها مجموعة من الخفراء والعمال يقيمون تحت بيوت لم تكتمل سقوفها. وبها مساحة كبيرة مسورة بالسلك الشائك والاشجار. وتضم بداخلها كنيسة ومدرسة من أربعة فصول وملعباً لكرة القدم وآخر للكرة الطائرة وهناك بئر ماء.

١٨) مدرسة الديوم الابتدائية :-

هذا الحى من الاحياء القديمة بالعاصمة ومعظم سكانه من المسلمين وكثرتهم من الطبقات المتوسطة ورقيقه الحال. وتاريخ المدرسة يعود الى ماقبل عام ١٩٥٦م أو بعد ذلك بقليل. كانت المدرسة سكناً للجنوبيين وكانت تباع فيها الخمور.[١٨٢] وقد تقدم أهل الحى بشكوى ضد بائعى الخمور الى السلطات المختصة، فتحول المكان الى مدرسة لتعليم الخياطة تحت ادارة الكنيسة وعند احداث الاحد الشهيرة فى عام ١٩٦٤م هجم السكان المسلمون على المبنى - وقد كان بسيطا - فأزالوه وبعد شهرين من الحادث قامت الكنيسة باحضار ادوات البناء لاقامة المدرسة الحالية. مساحة المدرسة نحو ٢٥٠ مترا مربعا وهو يعادل متوسط مساحة البيوت فى المنطقة وكثير منهم مسيحيون. كما أن هنالك بعض الجنوبيين المسيحيين يدرس فى المدرسة بعض الطلاب المسلمين، والمدرسة مختلطة حتى الصف الرابع وبعدها ينقل الطلاب الذكور الى مرحلة اخرى فى مدارس كمبونى الاخرى وقد ذكرت طالبة ان المذيرة أعلنت كذلك انها لن تقبل الاولاد من العام القادم ١٩٨٣م تدير المدرسة راهبة ويزور المدرسة القساوسة والراهبات فى الحفلات والرحلات التى تقوم بها المدرسة من وقت لآخر ولم يذكر انهم يقدمون للطلاب أية معونات مادية. يعمل فى المدرسة معلمون ومعلمات مسلمون وبعض الارتريين وينقل المعلمون بسيارة خاصة كما ان هناك بعض المعلمين يقضون عطلتهم الصيفية فى مصر كل عام ويتضح من ذلك أن وضعهم المالى أحسن بكثير من السودانيين.

وتتكون المدرسة من نهر واحد ويدرس فيها المنهج السودانى مع التركيز على اللغة الانجليزية وعند حصة الدين يفصل الطلاب المسلمون ليدرسوا التربية الإسلامية تحت ظل شجرة. ويمارس الطلاب الرياضة من الصف الاول.

١٨٢- وقت اعداد البحث.

١٩) مدرسة كنيسة العشش الكاثوليكية :-

تقع المدرسة بحى عشش فلاته وسكان الحى من المسلمين ولكنها منطقة فقيرة وموبوءة بالخمر والجريمة ومساحتها حوالى ٢٠٠ مترا مربعا والسور من الطوب الاحمر مع ٤ ابواب حديدية وتقوم الفصول تحت مظلات مساحتها ١٠٠ مترا مربعا تؤدى فيها الشعائر المسيحية وتقدم فيها الافلام السينمائية فى نهاية المظلة وتدور الافلام حول شخصية المسيح والافكار المسيحية وتقدم معها بعض الافلام الترفيهية، هناك ثلاثة غرف صغيرة تستخدم مكاتب للاساتذة، ويدرس منهج كمبونى فى الجغرافيا، والتاريخ، واللغة الانجليزية واللغة العربية باستثناء التربية الإسلامية. والمراحل الدراسية متصلة حتى الصف السادس، وهناك معلمات يحملن اسماء اسلامية يؤدين الصلاة المسيحية يوم الاحد بالمدرسة، كما تستخدم الفصول لتوزيع الحلوى والاغذية. ويحمل كل طالب وطالبة بطاقة خاصة به من المدرسة.

٢٠) مدرسة الجريف الكاثوليكية بالخرطوم :-

الجريف غرب من احياء العاصمة القديمة وسكانه غالبا من المسلمين الفقراء ومتوسطى الحال. تحتوى المدرسة على روضة تضم كل الاجناس من الجنوبيين والشماليين وهى التى تمد مدارس كمبونى الابتدائية بالطلاب والمدرسة عبارة عن منزل يتكون من حجرة واحدة ومطبخ وفناء صغير. عرفنا من ادارة ـ المدرسة انها تستأجر هذا البيت وليس ملكا لها كما ذكروا ان مصادرهم المالية تأتى عن طريق اشتراكات الطلاب بالاضافة الى الاعانات التى تصلهم من كمبونى. عدد الطلاب فى الفصول يختلف من فصل لآخر. أكبر عدد من طلاب الدفعة ٣٠ طالبا وبقية الفصول يتراوح تعدادها فيما بين ٢٠ ـ ٢٥ طالبا. تتم الدراسة فى الظل داخل سور المنزل على مقاعد من الزوايا لتدريس الديانة المسيحية للجنوبيين باستخدام اللهجات المحلية للشلك والدينكا وتستعمل المدرسة فى الامسيات لتدريس الكبار ومقرراتهم مطابقة لمنهج شهادة اكسفورد المدرسية ويؤمها ايضا بعض الطلاب من المدارس السودانية لتقوية حصيلتهم من اللغة الانجليزية. ويقوم بتدريس اللغة العربية اساتذة اقباط وعرفنا من ادارة المدرسة عدم رضاهم عن الاقباط.

مدارس الخرطوم بحرى :-

٢١) المدرسة الكاثوليكية الابتدائية بحلة حمد :-

هذا الحى يعتبر من الاحياء العريقة وأكثر سكانه من المسلمين من طبقة الموظفين

متوسطى الحال. المدرسة الابتدائية الكاثوليكية تطبق المنهج السودانى فى الفترة الصباحية وأما الامسيات فهى مفتوحة لاجتهادات المبشرين وأغلبية الطلبة فى المدرسة من المسلمين وكذلك الاساتذة فنصفهم تقريبا من المسلمين وليس هناك نشاط لجمعيات ولا أى نشاط خارجى للطلبة وهناك مدرس للتربية الإسلامية حيث يحضر ابناء المسلمين وحدهم مادة التربية الإسلامية بعد خروج الطلاب المسيحيين من الحصة.

٢٢) مدرسة كوبر الكاثوليكية :-

بالحى اقلية من ابناء الجنوب أما الاغلبية فهى من المسلمين الفقراء نسبيا ومتوسطى الحال وقد بدأ النشاط فى المدرسة عام ١٩٨١م وهى عبارة عن بيت تملكه الكنيسة الكاثوليكيه فى المنطقة الشعبية من كوبر الدرجة الثالثة على بعد ٤٠٠ متر من مسجد السوق. مساحة المدرسة ٥٠٠ م٢م - وبها ثلاث حجرات احداها عبارة عن فصل دراسى يحوى ١٢ مقعدا و١٢ مقعدا طويلا و٣ سبورات مثبتة على الحائط. وعدد الطلاب المنتظمين ٤٠ طالبا جلهم من الجنوبيين. ويقوم بالتدريس فيها ثلاثة من الدينكا. أما المقرر فأنه يقوم على تدريس اللغة الانجليزية والديانة المسيحية. تقدم بالمنزل بعض الخدمات الصحية كما تؤدى فيه الشعائر الكنسية وتنطلق منه الرحلات الاسبوعية وتقدم فيه العروض السينمائية ويزوره خمسة قساوسة باستمرار.

٢٣) مدرسة كاثوليكية بمنزل بحلفاية الملوك :-

حلفاية الملوك من الاحياء العريقة وعامه سكان الحى من المسلمين متوسطى الحال. ومبنى هذه المدرسة من الطوب الاحمر والاسمنت والمساحة الكلية ٨٠٠ م.م. بدأ النشاط فى هذه المدرسة المنزل الذى يقع على مقربة من مسجد أم دوم على بعد ٢٠٠ خطوة فقط - فى عام ١٩٧٤م وهو عبارة عن ثلاث حجرات وصالة ويحوى خمسين مقعدا طويلا وستة مناضد و ٤ دواليب وماكينات تطريز عدد الطلاب المنتظمين به ١٥٠ طالبا بنين وبنات[١٨٣] كما أنه ملحق بالمنزل روضة تضم ٣٠ طفلا لابناء المسيحيين فقط. تقوم معلمات مسلمات بتعليم بعض الفتيات التطريز بينما تقوم بالعلاج راهبة وتقدم فى المنزل عروض سينمائية كذلك يتم توزيع اللبن والاقمشة بصفة دورية على بعض المترددين على الدار.

١٨٣-ليس هناك مايدل على انهن تنصرن ولكن هذا ماجرت عليه العادة فى بعض هذه المدارس وهى واحدة من وسائل التأثير على المسلمين.

٢٤) مدرسة من الحصير بمنطقة كرتون كسلا العشوائية :

تقع المدرسة فى منطقة شعبية وسط منازل الخمور حيث يسكن الجنوبيون الذين يقدر تعدادهم بألف نسمة وتبعد عن دار حفظ القرآن الكريم بحوالى ٢٥٠ مترا تقريبا وقد بدأ نشاطها فى عام ١٩٧٠م وبها سبورتان و١٠ مقاعد طويلة ويتردد عليها حوالى ٣٠ طالبا كما تقوم الكنيسة بتقديم اللبن المجفف الذى يستفيد منه حوالى ٢٠٠ شخصا.

٢٥) مدرسة فى بيت مؤجر بالدروشاب :

بدأ النشاط عام ١٩٧٧م يقع المنزل فى الشمال الغربى من الحى ويبعد عن المسجد بحوالى ٧٥٠ مترا والمنزل عبارة عن حجرة ومظلة وبه سبورتان على الحائط وعدد قليل من الكتب ويوالى الحضور حوالى ٢٥ طالبا حيث يتم تدريسهم الدين المسيحى واللغة الانجليزية وقد قام صاحب المنزل بتأجيره للكنيسة خوفا من نزع الملكية منه باعتباره من السكن العشوائى.

٢٦) مدرسة كنيسة بارونا :

بدأ نشاط المدرسة عام ١٩٨٠م وتقع فى منطقة سكن عشوائى وتنتشر فيها بيوت الخمور البلديه والدعارة والمدرسة عبارة عن صالة كبيرة من الحضير والقش بها سبورة متحركة و ٢٠ مقعدا طويلا ومزودة بسيارة (استيشن) ويقوم بجانب الصالة فصل للمدرسة الصناعية وتستخدم الصالة لطلاب الدراسة المسائية الذين يبلغ عددهم مائة طالب. ويقوم بتدريسهم ثلاثة من المعلمين من ابناء الدينكا وعدد الاطفال الذين يحضرون الدراسة ٢٠ طالبا وهناك حافلة لنقل الطلاب فيما بين منازلهم والمدرسة.

خـــــلاصـــة :

يتروح عدد المستفيدين من هذه المدارس العشوائية التابعة للكاثوليك فى الخرطوم بحرى ما بين ٦٠٠ الى ٧٠٠ طالبا وتجدر الاشارة الى أن منطقة بحرى تعتبر منطقة تركيز بالنسبة للكنيسة الانجيلية. وتمنح هذه المدارس شهادات معترفا بها فى الاقليم الجنوبى حيث تتاح للخريجين فرص التوظيف ومتابعة الدراسة فى المدارس الرسمية. وترتبط هذه المدارس

بمدرسة كمبونى بحلة حمد حيث ينتظم فى الدراسة بها الذين يحرزون نجاحا طيبا.

ويشتكى الأساتذة من عدم انتظام الطلاب ويرجعون ذلك لاهمالهم او استغراقهم فى العمل الشاق. وعموما فهم منتظمون فى حضور الدروس والتربية المسيحية حيث يجلسون فى حلقات صغيرة ولكل حلقة استاذ يوجهها ويرددون الطقوس المسيحية باللهجة المحلية للقبيلة. ولهم حس عدائى وانطوائى نحو الشماليين الذين حاولوا الانضمام لهذه المدارس، يدفع الطلاب القادرون رسماً شهرياً رمزيا هو ٥٠ قرشا وتبدأ الدراسة فى الفصول الصباحية الساعة التاسعة والنصف صباحا وتنتهى فى الثانية عشر ظهرا وتشتمل على اربع حصص.

تقدم الكنيسة خدمات مختلفة لهذه المدارس من غذاءات وكتب وتجهيز الرحلات الخاصة ايام الجمعة، حتى لا يلتفتوا لمراسم المسلمين وتشمل الغذاءات المدرسية لبن الاطفال. زيت السمك والدقيق الابيض المستورد والبسكويت ووجبات غذائية معلبة للاطفال والسجائر. ولايقل عدد المستفيدين من الخدمات الاجتماعية بهذه المدارس عن بضعة الاف.

٢٧) مدارس الكنيسة الانجيلية :-

هى المدارس التى انشأتها اساساً الارساليات لتعليم ابناء السوريين والمصريين الذين اعتنقوا المذهب الانجيلى فى السودان خاصة وفى إفريقيا عامة وفى سنة ١٩٦٥م رأت الارسالية نقل مسئولية العمل الانجيلى بالسودان للسودانيين فانشىء مجلس الطائفة الانجيلية بالسودان وآلت اليه ادارة المدارس والمنشئات التابعة للارساليات الامريكية بالتعاون مع مجمع مشيخة السودان الذى انفصل واستقل فى نفس العام من تبعية النيل مع احتفاظه برابطة العقيدة معه.

كانت الكنيسة الانجيلية رائدة فى تعليم البنات اذ فتحت اول مدرسة أولية لتعليم البنات بالسودان بالخرطوم بحرى سنة ١٩٠٧م وتدرجت فى سلم التطور حتى أصبحت مدرسة ثانوية فى العشرينات وتحتوى حسب احصاءات وزارة التربية على طلاب مسلمين. والجداول أدناه تبين اعداد المدارس والطلبة والطالبات الملتحقين بمدارس هذه الكنيسة والذين بلغ عددهم حوالى ١٣٠٠ طالبا وطالبة فى عام ١٩٨٢م.

أ) المدارس الابتدائية (الأوليات):-

٢٩) اسم المؤسسة	عدد الفصول	المجموع	سودانى	اجناس أخرى	مسلم	مسيحى
الانجيلية السودانية بحرى المختلطة	١٠	٥٠٩	٤٨٧	٢٢	٤٢١	٨٨
٣٠) الانجيلية السودانية امدرمان	٤	٦٧	٤٢	٢٥	٣٩	٢٨

ب) المدارس المتوسطة (ثانوية عامة):-

٣١) الانجيلية السودانية أمدرمان	٥	٢٩٨	٢٩١	٧	٢٦٤	٣٤
٣٢) الانجيلية السودانية الخرطوم بحرى	٣	٩٥	٩٠	٥	٦٧	٢٨
٣٣) الانجيلية السودانية امدرمان	٥	٢٧٦	٢٧٦	-	٢٤٤	٣٢

ج) المدارس الثانوية العليا:-

٣٤) الانجيلية التجارية امدرمان	٣	١٥٢	١٥٢	-	١٣٤	١٨
٣٥) الانجيلية بحرى بنات	٣	٤	٤	-	١٨	٢٧

مدارس الكنيسة الاسقفية السودانية

بدأ نشاط الكنيسة الاسقفية - أى الانجليزية - فى مجال التعليم بفتح مدرسة الخرطوم بمبنى الكنيسة وفى سنة ١٩٠٤ بلغ عدد البنات فى المدرسة الاسقفية بمدرسة الاتحاد ٨٠ طالبـة منهن ٦٣ طالبـة مسلمـة وكـان المنهـج الدراسى يشتمل على العربية والانجليزية والحساب والعلوم المنزلية والتربية المسيحية وتم اتفاق على ان تركز الكنيسة الاسقفية على تربية البنات وان تتولى الانجيلية تربية الاولاد. وهكذا أسست فى الخرطوم سنة ١٩٢٨م مدرسة الاتحاد الثانوية العليا للبنات كما فتحت الكنيسة الاسقفية مدرسة أخرى فى أمدرمان عام ١٩٠٦م وموقف الكنيسة الاسقفية فى التعليم كالاتى :-

(أ) احصائية بعدد التلاميذ والتلميذات برياض الاطفال التابعة للكنيسة الاسقفية

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سودانى	اجناس أخرى	مسلم
١) روضة الكنيسة الاسقفية بامدرمان	١	١١٦	١١٦		١٠٨

(ب) احصائية بعدد التلاميذ والتلميذات بالمدارس الابتدائية الاسقفية :-

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سودانى	اجناس أخرى	مسلم
٣/ مدرسة الكنيسة الاسقفية بام درمان	٦	٢٣٣	٢٢٧	٦	١٩٠
٣/ الاتحاد	١	١٩٠	١٩٠	صفر	١٤٥
الجملة	٧	٤٢٣	٤١٧	-	٣٣٥
(هذه احصائية عام ١٩٨٢م)					

(ج) احصائية بعدد الطلبة والطالبات بالمدارس المتوسطة التابعة للكنائس الاسقفية :

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سوداني	اجناس أخرى	مسلم	مسيحي
٤) الكنيسة الاسقفية بنات أمدرمان	٣	٩٦	٨٧	٩	٧٨	١٨
٥) الاتحاد الخرطوم.	٣	٩٢	٨١	١١	٦٠	٣٢
الجملة	-	١٨٨	١٦٨	٢٠	١٣٨	٥٠

(د) احصائية بعدد الطلبة والطالبات بالمدارس الثانوية التابعة للكنائس

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سوداني	اجناس أخرى	مسلم	مسيحي
٦) الكنيسة الاسقفية أمدرمان بنات	٣	٩٣	٩٠	٣	٧٣	٢٠
٧) الاتحـــاد الخرطوم	٣	٤٥	٤٥	-	٢٦	١٩
المجموع		١٣٨	١٣٥	٣	٩٩	٣٩

وعليه يكون وضع الطلاب الخاضعين لولاية الكنيسة الاسقفية كالاتى :-

المجمـوع = ٦٨٠ وعـدد المسيحيين ١٨٥ أى أن حوالى ٢٧٪ من طلاب هذه المـدارس مسيحيون و ٧٣٪ مسلمـون ولا توجد معلومات عن المدارس التجارية التابعة للكنيسة، ولكن هناك مدارس عشوائية تابعة للكنيسة الاسقفية منها كنيسة زقلونا الاسقفية وهى تقع جنـوب شرق مصنـع الثلج زقلونا فى شمال امدرمان وتقع شمالها كنيسة زقلونا الكاثوليكية ومساحتها حوالى ٣٠٠ مترا مربعا، وتعتبر المنطقة من مناطق السكن العشوائى الفقيرة وتنتشر فيها الخمور البلدية، والمدرسة عبارة عن مظلة ويبلغ عدد الطلاب فيها ٧٠ طالبا وطالبة وتعمل المدرسة ليلا ويدرس المنهج السودانى بالاضافة الى الديانة المسيحية والمعلمون من الجنوبيين.

مدارس الكنيسة القبطية بالخرطوم (أرثوذكس) :-

بدأ النشاط التعليمى لهذه الكنيسة فى عام ١٩٠٤ حيث فتحت بعض المدارس للبنين والبنات بالخرطوم وأمدرمان . وبما ان الكنيسة القبطية تابعة للبابا بالاسكندرية وبالتالى للحكومة المصرية فان وزارة المعارف المصرية قد تولت الاشراف على هذه المدارس بموجب اتفاقية بين وزارة المعارف المصرية والسودانية باعتبارها مدارس حالية أو مجرد مدارس قامت على أسس تجارية ومعظم هذه المدارس تقع فى المسالمة شرق شارع الشنقيطى الذى يعتبر مركز نشاط الارثوذكس . اذ فيه كنيستان هما القديمة مارى جرجس والجديدة مارمينا ودار رابطة الشباب القبطى ومستوصف الشباب القبطى والمقبرة القبطية والنادى الجديد ودار الرحمة (مارى جرجس) كما أن معظم المنازل هنالك اما ملك لاقباط أو مؤجرة لهم أو هم يحاولون شراءها ان كانت لغيرهم . وعدد المسلمين بالحى محدود.

(أ) رياض الاطفال التابعة للكنيسة القبطية :-

اسم الروضة	عدد الفصول	المجموع	سودانى	اجناس أخرى	مسلم	مسيحى
٤٣) ١/الاقباط بالخرطوم بحرى	—	١٨٢	١٧٨	٤	١٥١	٣١
٤٤) ٢/التوفيقية بامدرمان (تأسست عام ١٩٤٨ (وتدرس المنهج المصرى)	—	٢٤٤	١٩٦	٤٨	٤٥	١٩٩

(ب) احصائية طلاب وطالبات المدارس المتوسطة التابعة للاقباط :-

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سودانى	اجناس أخرى	مسلم	مسيحى
٤٧) مدرسة التوفيق امدرمان	٨	٣٥٧	٢٧٧	٨٠	٣٤	٣٢٣

(ج) احصائية بالمدارس الابتدائية التابعة للكنيسة القبطية بالخرطوم:-

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سوداني	اجناس أخرى	مسلم	مسيحي
٤٥) الاقباط بحري بحري المختلطة	٩	٢٢١	٢١٧	٤	١٤٥	٧٦
٤٦) التوفيقية الابتدائية امدرمان المختلطة	٨	٣٥٧	٢٧٧	٨٠	٣٤٤	١٣

*** ملاحظـــــة :-**

هناك مدارس البعثة المصرية، وبعضها كان اصلا تابعا للكنيسة الارثوذكسية المصرية وهي مدارس تبدأ من الروضة وتنتهي بجامعة القاهرة فرع الخرطوم وتستخدم المنهج المصري ولا علاقة لها الان بالتبشير اللهم الا باعتبار وجود طائفة المعلمين الاقباط.

مدارس الجاليات :-

لبعض الجاليات المسيحية مدارسها الخاصة وهى تبدأ بالروضة وتنتهى بالثانوى العالى ولعل أهم هذه الجاليات اليونانية والارمنية:-

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سوداني	اجناس أخرى	مسلم	مسيحي
٤٨) روضة الجالية الارمنيــة بالخرطوم	١	١١	٦	٥	-	١١
٤٩) روضة الجالية اليونانية	١	٢١	١١	١٠	-	٢١
٥٠) مدرسة الجاليه الارمنية الابتدائية بالخرطوم	٣	١٩	١٧	٢	-	١٩

اسم المدرسة	عدد الفصول	المجموع	سودانى	اجناس أخرى	مسلم	مسيحى
٥١) مدرسة الجالية اليونانية بالخرطوم	٦	٧٩	٦٩	١٠	-	٧٩
٥٢) مدرسة الجالية اليونانية الثانوية العليا بالخرطوم	٦	٦٧	٥٩	٨	-	٦٧
المجموع	١٧	١٩٧	١٦٢	٣٥	-	١٩٧

خلاصـــــة :-

قامت المدارس التبشيرية تحت مظلة الحكم البريطانى ابتداء من عام ١٩٠٤ وقد نشأت بغرض توفير خدمات التعليم للجالية البريطانية وابناء الجاليات المسيحية الاخرى ولكن بعد الاستقلال - أخذت بعض الاسر السودانية من أهل الوظائف العليا توفد ابناءها لهذه المدارس ولرصيفاتها فاصبحت بذلك مدارس لطبقة معينة فى المجتمع تحاول هذه الطبقة توفير التعليم الجيد لاطفالها بصرف النظر عن موقع الاسرة وبأغفال تام لاعتبارات التربية الإسلامية، وفى بداية امر هذه المدارس لم يكن الطلبة المسلمون يتلقون أية تربية اسلامية مطلقا ثم بدأت فكرة تدريس التربية الإسلامية فى أواخر الحكم العسكرى أى أوائل الستينيات ولكن إدخال هذه المادة لم يفد شيئا اذا قيس بمناهجها العامة وبالتحول الذى حدث فى طبيعتها حيث زاد عدد ابناء المسلمين فيها بدرجة هائلة وأصبح دور المدارس اوسع واقوى بين المسلمين مما كان عليه أول الامر.

تقوم هذه المدارس حاليا بدور مزدوج فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تيسير اعمالها، تركز فى نفس الوقت على ابناء الجنوبيين وابناء النوبة وتمارس وسطهم نشاطا تبشيريا مركزا. ولقد ساعد استقرار هذه المدارس وادى الى تحسين مستواها بينما انحدر مستوى التعليم العام بالبلاد وساعدت هذه الظروف على مضاعفة الاقبال على مدارس التبشير وتشجيع ادارتها على اتخاذ سياسات تبشيرية لم تقتصر اثرها على أبناء الجنوب ومناطق النوبة بل تجاوزها الى الاغلبية المسلمة بين التلاميذ ولو أن التبشير وسط هؤلاء كان يتم بطريقة غير مباشرة.

ان تقارير بعض المسئولين وبعض اللجان التى كونت على فترات مختلفة تتعاضد فى تأكيد بعض النقاط الخاصة بسياسة هذه المدارس. فمن ذلك مذكرة رفعها معلم باحدى المدارس

المعنية الى السيد مساعد المحافظ للتعليم بالخرطوم يذكر فيها مايلى :ـ[١٨٤]

١) تحرص المدرسة التبشيرية على قبول ابناء علية القوم على أساس طبقى وتعتذر عن قبول ابناء الطبقات الاخرى من صغار الموظفين والمزارعين والعمال.

٢) يقوم المنهج على أساس وضع مادة التربية الإسلامية على الهامش، فى سلم المواد الدراسية اذ أن مدرس التربية الإسلامية مفروض على المدرسة فرضا من قبل الوزارة ومعزول فى مخزن صغير جدا يستعمله مكتبا ويمنع حضور التلميذات الى مكتبه، وتقام العراقيل البيروقراطية فى وجه إحياء المناسبات الدينية القومية بينما تجند الامكانيات لاحتفالات المسيحيين.

٣) تمنح المدرسة معاملة خاصة لابناء المسيحيين من اعفاء من الرسوم وفطور مجانى وكتب مجانية. ويحرم المسلمون من جنوبيين أو غيرهم من هذه المعاملة.

٤) معلمو اللغة العربية اضعف المعلمين رواتبا كما لوحظ أن رواتب المعلمين والمعلمات السودانيين عموما ضئيلة.

وهناك خطاب آخر من وكيل الشئون الدينية الى مساعد محافظ مديرية الخرطوم للتربية عن راهبات اجنبيات يمارسن التبشير المسيحى فى اوساط الطالبات.

وكذلك تقرير مجلس شعبى مدينة ابى عنجة قسم شئون التعليم بتاريخ ١٥/١١/١٩٧٨م عن روضة اطفال كمبونى شرق والتى تضم مائة طفل مسلم وطفل مسيحى واحد حيث يلقن الاطفال من سن ٦ الى ٧ اناشيد مسيحية ترسخ فى اذهان الناشئة منذ السن المبكرة عقائد المسيحيين وفيما يلى بعض من هذه الاناشيد.

يسوع الطفل الجديد
ذو الحب الجميل
اننى أشقى فى حبك
ولا أعرف كيف أحبك.

أو كالاتى :ـ

ماما لبستنى الجزمة والشراب
بابا ودانى مدرسة الراهبات
هناك تعلمت أربع كلمات

١٨٤ـنقل معلم التربية الإسلامية الذى احتفل بالمولد النبوى فى مدرسة (سانت فرنسيس) مما دفعه الى الاستقالة من وزارة التربية والتعليم.

أبــانــا الــذى فى الـــســمــوات

وكذلك تعويذة مسيحية :ـ

يا مريم الـطاهــرة
كل الاطـفــال المــاهــرة
فى ليلة الـعـيد الـبـاهــرة
أجـعــلى قلوبـنــا ساهــرة

وكذلك مذكرة المدرس بمدرسة الاتحاد العليا للسيد مساعد المحافظ للشئون التعليميه بتاريخ ٢٢/٣/١٩٨٠م حيث يقول إن المدرسة تقيم لقاء بين المدرسات الانجليزيات المسيحيات وطالبات مسلمات لاستمالتهن للمسيحية وبلبلة عقيدتهن الإسلامية كما فرضت المدرسة على التلميذات صلوات وتراتيل كنسية تقام كل يوم قبل بدء الدراسة وقد تأثر بعض الطالبات بما سمعن من دعاية للمسيحية وتنسيق لها، اذ مال بعض الطالبات الى المسيحية واعتنقنها. وقد طالب الاستاذ بوضع نظام محكم للاشراف من قبل وزارة التربية والتوجيه لمكافحة عملية التبشير التى تتم تحت ستار التعليم ولسد منافذ التضليل والتغرير بالطالبات الساذجات.

كما ورد فى تقرير اللجنة التى كونها مساعد المحافظ لشئون التعليم بأمر وزير التربية ووكيلها ورئيس جهاز امن الدولة بتاريخ ٢٤/٢/١٩٨٠م ان مدرسة الاتحاد العليا عبارة عن قطعة ارض سودانية تدار باسلوب غير واضح المعالم لاى مسئول سودانى.

لجوء المسلمين الى المدارس التبشيرية :ـ

هذا ويلجأ المسلمون الى مدارس كمبونى خاصة وللمدارس التبشيرية عامة للأسباب الاتية :ـ

١) لاعتقادهم بانها أفضل بكثير من المدارس الحكومية من حيث النظام ومستوى الخدمات ومستوى التعليم.
٢) تقبل التلاميذ فى عمر مبكر.
٣) تقدم اللغة الانجليزية فى وقت مبكر بالمقارنة مع المدارس الحكومية التى تبدأ تدريسها فى المرحلة المتوسطة.
٤) هربا من المدارس الحكومية لزحمة الفصول فيها وتدنى المستويات وانعدام الضبط

والربط .

٥) تناسب نوع التدريس الذى كان يلقاه بعض الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون بالخارج مع ذويهم ولاسباب مختلفة .

٦) نظام ارسال التقارير الدورية لاولياء الامور عن سير وسلوك ابنائهم وبناتهم .

على انه قد ثبت من نتائج امتحانات الشهادة السودانية ان مدارس كمبونى لاتتفوق على المدارس الحكومية وترتيبها يأتى فى مستوى غيرها من المدارس السودانية ذات المستوى المتوسط. ولكن خطورتها تكمن فى انها تخرج ابناء الطبقات العليا دون تسليح كاف بالتربية الإسلامية واللغة العربية وتعدهم حسب منهج اكسفورد ولندن ومن خريجيها ينتقل الكثيرون الى أروبا حيث يكمل انسلاخهم عن مجتمعهم .

ان هذه المدارس لاتزال تتمتع بأحسن المواقع فى العاصمة وبكثير من الامتيازات وقد اكتسبت هذه المواقع من أيام الحكم البريطانى حينما كان التعليم من صلاحيات الكنيسة . ولعل أفضل مثال لذلك هو مدرسة الجريف غرب الزراعية التى اسسها الدكتور (جفن) من تبرعات الخيرين بقصد انشاء مدرسة زراعية تحت رعاية الكنيسة الانجيلية التابعة للارسالية الامريكية فى عام ١٩٢٤م وبلغت مساحة الأرض التى اشتريت من التبرعات ١٣٠ فدانا (مائة وثلاثين) ولكن لسبب ما أقفلت الكنيسة المدرسة عام ١٩٣٨م ومنذ ذلك الحين كان يجب ان تؤول لوزارة الزراعة أو التعليم العالى ولكن مازالت الأرض وهى من أجمل بقاع العاصمة (الرياض وأمام الجريف) تابعة للكنيسة الانجيلية .

ان مدارس الكنائس فى العاصمة تضم أكثر من عشرة الاف طالب لايتجاوز المسيحيون منهم العشرين فى المائة بل ان أعداد كل الطلاب المسيحيين فى المدارس الحكومية بالعاصمة حسب احصائيات ١٩٨٠/٧٩ لايتجاوز الـ ٥٠٠ (خمسمائة) طالب ولذا فان الحل الناجز لانهاء ازدواجية التعليم وابطال دور التبشير الاجنبى واحلال السيادة الوطنية هو ضم هذه المدارس إلى وزارة التربية والتوجيه والغاء الثنائية وان كان هناك طلاب جاليات يريدون مدارس مستقلة يمكن توفير هذا النوع من التعليم الخاص بهم وريثما يتم هذا الحل فهناك حلول مؤقتة وبديلة هى :ـ

١) تقوية شعب التربية الإسلامية واللغة العربية بهذه المدارس وتوفير المعلمين الاكفاء فى هذا المجال حتى يكون المعلم نفسه قدوة للطلبة فى ذلك والزام هذه المدارس بتوفير الجو الملائم من مكاتب وكتب لهاتين المادتين .

٢) تيسير القيام بالشعائر الدينية فى اثناء اليوم الدراسى وتشجيع احياء المناسبات الدينية وتكوين الجمعيات الدينية .

٣) التوعية المستمرة لطلبة هذه المدارس وتقوية مشاعر العزة الإسلامية فى نفسهم

٤) مراقبـة كل مايفسـد الـطلاب من موسيقى ديسكو ورقص مختلط وحفلات مختلطه والـوقـوف بصلابة أمام أية محاولة لافساد عقائد الطلاب، وصد أى اغراء لزحزحة الطلاب عن اصولهم الإسلامية الوطنية.

٥) تكوين مجالس اباء ومعلمين بالمدارس التبشيرية.

٦) ارسـال موجهـين ثابتـين للمدارس التبشيرية لكل المواد لفحص مؤهلات المعلمين والمعلمات بهذه المدارس وفحص شروط خدمتهم واعداد تقارير عنها.

الفصل الثالث
الخدمات الاجتماعية والصحية للارساليات بالعاصمة المثلثة

لعل الهدف الرئيسى للخدمات الاجتماعية التى تقدمها الارساليات والكنائس هو:-

١) العمل الايجابى لنشر المسيحية فى أواسط من لايؤمنون بها ونشر الحضارة المسيحية ومبادئها واحتضان المرتدين من الاديان الاخرى وذلك عن طريق اعانة المحتاج وعلاج المريض وتعليم الجاهل والترفيه والمجاملة لمن يحتاج لذلك.

٢) تحييد نظرة المسلمين للتبشير المسيحى باعتبار مايؤديه خدمة هامة وضرورية للمجتمع، خصوصا وان قيام الارساليات بالخدمات أدى الى اهمال الحكومة لمسئولياتها فى هذا الشأن فى مناطق الحاجة اذ يتحتم عليها امداد تلك المناطق المعنية بالتعليم والعلاج والخدمات البديلة للنشاط الكنسى

ولقد لخص هذه المبادىء منشور البابا بيوس الثانى عشر فى ٢ يونيو ١٩٥١م بالنص التالى:-

«الاهتمام بحل مسائل العمل والعمال فى ضوء المبادىء الكاثوليكية بان يتخذ التبشير وجهة دينية اجتماعية فى اوساط العمال فى افريقيا وآسيا لوقاية طبقات العمال من الوقوع فى فلك الدعاية الشيوعية ومقاومة النزعات الماركسية وافساح المجال لتعاون المبشرين العلمانيين المندمجين فى جمعيات العمل الكاثوليكي مع الإرساليات التبشيرية وتوسيع نطاق صفوف هذه الجمعيات بحيث تضم الرجال والنساء وهيئات الطلاب والعمال وأرباب الحرف ومجالات الرياضة البدنية والعون الاجتماعى والاهتمام بوجه أخص بالنشاط الطبى والصحى والاجتماعى باعتباره اداة ناجعة مؤدية الى طريق الانجيل والسعى لاقامة مجتمع مسيحى يخضع لمبادىء الكاثوليكية لاسيما وان انتشار المذهبية الشيوعية العالمية يتطلب بالحاح الاسراع بالتطبيق العملى للمبادىء الاجتماعية الكاثوليكية وضرورة أن تعهد بذلك الى أطباء ومساعدين من المدنيين يحظون بتأييد الكنيسة»[١٨٥].

وتاريخ الخدمات الاجتماعية التبشيرية فى السودان يتصل ببداية دخول أول فوج من المبشرين للسودان فيما قبل عام ١٨٥٠م ولكن العمل المكثف فى هذا المجال بدأ بشمال السودان عامة ومديرية الخرطوم خاصة عند اعلان زوال الحكم الثنائى ورفع القيود عن الهجرة

١٨٥- المصدر السفير/ صادق أحمد المصطفى (السياسة البابوية العليا للتبشير المسيحى (ص ٢ – ٣)

لابناء الجنوب والنوبة للمدن الشمالية الكبرى للعمل بالحرف غير الفنية كعمل اليومية والخدمة فى المتاجر والمصانع والمنازل اذ أن هجرة أبناء هذه المناطق كانت بأعداد ضخمة وبلغ عدد الجنوبيين الموجودين بالشمال عام ١٩٥٦م (٣١١ر٠٠٠) - ثلاثمائة وأحد عشر ألفا، وقد سارعت المؤسسات التبشيرية للاستفادة من الظروف التى يعمل فى نطاقها هؤلاء البسطاء الذين يعيشون بعواطفهم القبلية البدائية فاظهرت لهم الحنان والعواطف واحتضنتهم وأهتمت بمشاكلهم الخاصة كمشكلة السكن ونظمت لهم الصلوات والدروس الليلية واقامت أندية اجتماعية وأقامت لهم فرقاً تمثيلية لا تعرف الحكومة عنها شيئا واهتمت بارسال مندوبين من أهلهم للاتصال بهم والتعرف على مشاكلهم، بل وجعلتهم يتخذون من الكنيسة دالة على وجودهم فرسائلهم تصل عن طريق الكنيسة وبواسطتها يتصلون بأهلهم كما وفرت الجو الاجتماعى الذى يعين على تماسكهم ومواجهة صعوبات الحياة فى المدينة بل ان القادم الجديد للمدينة يجد مندوب الكنيسة فى انتظاره حيث يأخذه من محطة القطار أو موقف العربات الى منزل الضيافة الكنسية ومن هناك يبدأ فى التعرف على المدينة. وهكذا وبدلا من ان تؤدى - الهجرة الى تقوية صلات الود بين اجزاء الوطن، كان نتيجة هذه الخدمات تثبيت النفوز وشعور العداء الذى ليس له ما يبرره (١٨٦).

ان الكنيسة عندما تقدم خدماتها لاتسعى لان تتحول الى مؤسسة خدمات كما فطن لذلك قس الكنيسة الاسقفية السودانية السابق سبنسر ترمنجهام وانما تستخدم الخدمات الاجتماعية وسيلة للتبشير اداة لتحطيم النظام الاجتماعى للاسلام حتى لايقوم بالتأثير على الوافدين. وقدناقش ترمنجهام ذلك ضمن نقاشه لآثار الحرب العالمية الثانية على السودان من دخول للسينما وماكينات الخياطة والمواصلات والمشروبات الكحولية وازدياد عدد المجندين من السود فى قوة دفاع السودان والحكومة وانتشار اللغة العربية وسط النوبة والعائدين من ليبيا وارتريا بتجارب جديدة.

ابتداء من الخمسينيات اخذت أساليب العمل الاجتماعى لمختلف الارساليات تتنوع حيث شملت :-

---

١٨- لقد امتدت الخدمات الاجتماعية الى كل المناطق العشوائية بالعاصمة المثلثة وقد جاء فى كتيب دعاية اصدرت (African Inlard Mission) مايلى :

The Medical work is a means of contact with many who would not otherwise hear the Gospel ..... as their diseases are Treated Patients are told of that greater healing for thr sould and many are Saved.

ترجمة النص اعلاه (ان العمل الطبى وسيلة للاتصال بكثير ممن قد لايسمع الانجيل . . . وفى أثناء علاجه تتم مخاطبتهم عن الشافى العظيم للروح وبذلك يتم انقاذهم).

١) رعاية المرضى فى المستشفيات وشراء الادوية لهم.

٢) اقامة مستشفى الراهبات للولادة حيث يتم الحجز للولادة، للوافدين وسكان المناطق المختلفة بالمجان بينما تبلغ تكلفة ذلك للمواطنين الاخرين ٣٠٠ جنيه (ثلاثمائة جنيه) عام ١٩٨٣م.

٣) اقامة زيجات للوافدين والعمال الموسميين فى الكنائس.

٤) تعميد الاطفال بأسماء نصرانية.

٥) اقامة الفرق الرياضية والترفيهية على مستويين ـ مستوى مسيحى من الطبقة الراقية (الفريق الاولمبى لكرة السلة) ومستوى سكان مناطق الاطراف.

٦) الزيارة والطواف على سكان مناطق الاطراف والمناطق العشوائية.

٧) اقامة الكرنفالات والمهرجانات فى اعياد الميلاد والفصح وغيرها وارسال كروت عيد الميلاد.

٨) جمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين.

٩) بناء صداقات بين المسيحيين الجدد.

١٠) دفن الموتى على الطريقة الكنسية.

١١) اعترافات الخاطئين للقديسين.

١٢) توزيع الغذاءات والبطاطين على المسجونين.

١٣) مجاملة المسجونين فى المناسبات وجعلهم يشعرون انهم ينتمون لجهة ما وأن الكنيسة تتحرك من أجلهم.

١٤) تأجير البيوت الفسيحة والتى يمكن لاى غريب أو عابر طريقٍ أن يتوقف ويقيم بها واجداً منها الترحيب والكلمة الطيبة وهو أمر يترك فيه اثرا لاينسى[١٨٧].

١٥) الاهتمام باللاجئين والوافدين عن طريق وكالات الاغاثة المتخصصة.

١٦) اقامة حلقات محو الامية والارشاد الصحى والدينى فى أى مكان، منزل، ميدان، نادى، فى أحياء الاطراف.

١٧) ملء فراغ السكان بتنظيم الاحتفالات فى الغناء والرقص.

١٨) تعهد الملاجىء وقرى الاطفال والعناية باللقطاء وتبنى القساوسة للصغار نيابة عن ابويهم وتعليمهم مما يؤدى الى سيطرة الكنيسة على مستقبلهم وتكييف وضعهم مما يؤدى الى ربطهم من المهد الى اللحد بعجلة الكنيسة.

١٩) تقديم خدمات صحية، هذا ولم تقتصر الخدمات الصحية التى تقوم بها الارساليات على انشاء وادارة العدد الذى صدق لهم بل أن ـ عددا من المبشرين ظل يحتفظ معه

---

(١٨٧) المصدر السابق.

بكميات من العقاقير والمستحضرات الطبية والحقن ويعالجون الاهالى دون مؤهلات طبية وقد حدث ان أدين بعض المبشرين قضائيا بمزاولة الطب بغير ترخيص.

٢٠) تقديم خدمات للاسر، ارشاد، وتعليم، وخياطة، ورياض اطفال.

٢١) اقامة الجمعيات التعاونية والطواحين مما أدى الى تكثيف العمل الاجتماعى. كما أن المسيحيين (جنوبيين ونوبة... الخ) يتمتعون بيومى عطلة فى الاسبوع هما الجمعة والاحد... بل أن بعضهم يتعمّد أن يتنصر من اجل عطلة الاحد وبالنسبة للجنوبيين والنوبة فأن اعلان يوم الاحد عطلة جاء نتيجة لكفاح الكنيسة ويعتبرونه انجازا سياسيا واجتماعيا حققته لهم الكنيسة ولذلك فهذا اليوم له طعم خاص عندهم.

٢٢) المشاركة فى توجيه نشاط الجاليات المسيحية.

• ومع ان لكل الارساليات الموجودة فى الخرطوم جهودا كبيرة ووجودا ضخما فى المناطق الاخرى (مناطق الاطراف) الا أن الارساليات الكاثوليكية بزت غيرها وذلك لان هناك قانونا يلتزم به الكاثوليك من تمسك به نجا ومن حاد عنه حاقت عليه اللعنة الابدية، ووفقا لهذا القانون فان الكاثوليك يحتاجون لحضور ومساعدة القساوسة لهم ساعة الولادة والزواج وفى المرض وفى فراش الموت وفى تأدية الطقوس الدينية وفى صلاة الاحد وممارسة القضاء فى المسائل الدينية والزيارة والطواف على مزار الصلاة.

وتعتمد الارساليات الى حدما فى تمويل هذا النشاط على مساهمات الجنوبيين وافراد الجالية المسيحية، كما تقوم الراهبات بالطواف على مدارس الارساليات طالبة من الطلاب التبرع بملابسهم القديمة فى بداية ونهاية العام الدراسى بالاضافة الى دخل المعارض الخيرية والحفلات الغنائية والفنية التى تقوم فى اعياد الكرسماس والفصح فى اندية الارساليات كما تنسق فى ذلك مع وكالات الاغاثة والهيئات التطوعية على الاخص وسط اللاجئين الوافدين بالاضافة الى البند المخصص فى ميزانيتهم التابعة لتسيير العمل الاجتماعى (المرتبات وايجارات المنازل... الخ).

نماذج من العمل الاجتماعى بالعاصمة :-

امدرمان :-

١) مع أن كل المؤسسات الصحية اصبحت تابعة لوزارة الصحة الا أن هناك وجودا للراهبات فى شكل ممرضات فى مدرسة القابلات بامدرمان حيث يقمن بممارسة نشاط التمريض

الروتيني ، كما يوجد مستوصف تابع لـ (C.M.S) بحي أبي كدوك ولكن دون عمل يذكر .
٢) بيت الرحمة (ماري جرجس) بحي المسالمة ويعتبر جزءا من الكنيسة القبطية وهو عبارة عن ملجأ للقطاء (شماليين وجنوبيين ونوبة . . . الخ) . حيث عهد الى راهبات متفرغات بالعناية بهؤلاء الاطفال وتقديم الغذاء والخدمات لهم وعددهم ما بين ٣٠ ـ ٤٠ نزيلا .
٣) مستوصف رابطة الشباب المسيحي ويقع شمال المسالمة وبه طبيب مسيحي يعالج باجر رمزي ، كما يقوم بختان الاطفال ونظرا لخدماته الممتازة والسريعة والمتخصصة في الختان يؤمه الكثير من المسلمين .
٤) توجد فرقة كشفيه تنطلق من كنيسة الاقباط ومدرسة التوفيقية المسيحية .

٥) النادي القبطي بامدرمان :ـ

يقع جنوب مدرسة محمد حسنين ويفصل بينه وبين المدرسة مجمع اسلامي مازال في طور التأسيس . وكل رواده من الاقباط المستوطنين في السودان ويبدو انهم من الاغنياء كما يظهر من ازدحام المحل بالعربات الفخمة وعدد رواد النادي حوالي ١٥٠ شخصا يوميا ، يتخللهم بعض القساوسة ويشتمل النادي على ميدان كرة سلة وميدان كرة قدم نصفي وكرة طائرة ومركز فرقة كشافة جرجيوس (عبارة عن غرفتين) وبالنادي مكتبة وصالة مساحتها حوالي خمسين مترا مربعا . وبالنادي ايضا بوفيه يقوم بتقديم وجبة العشاء . ويصدر شباب النادي جريدة حائطية ضعيفة المستوى .

٦) رابطة الشباب القبطي :ـ

مقرها حي المظاهر بامدرمان وقد تأسست في فبراير عام ١٩٠٨م . والحق بها مستوصف في اغسطس من نفس العام . المبنى متداعي وقديم وتعمل الرابطة بصفتها مؤسسة اجتماعية ، وتقوم بتقديم بعض الخدمات الصحية لافراد الاسرة القبطية وبعض فقراء المسلمين ، ويشرف على تقديم الخدمات شخصان احدهما يقوم بعملية ختان الاطفال من الجنسين واعطاء الحقن والعمليات البسيطة ويتقاضى عشرين جنيها عن ختان الطفل ويتبرع هذا الطبيب بدخله عن الخدمات العلاجية للرابطة باستثناء دخله عن ختان الاطفال اما الطبيب الآخر فهو اخصائي يتبرع يوميا بعمل ساعتين واحدة صباحية واخرى مسائية . بالمستوصف نادي اجتماعي يؤمه عدد كبير من النقاده وهم من فئات اجتماعية مختلفة ، تجار ، وصناع ، وتجار رصيف . . . الخ والنادي مقتصر على النقادة واصحابهم من المسلمين .

٧) منزل الثورة الحارة العاشرة :ـ

يقع امام منطقة القلعة ويحمل الرقم ١٢٧ وتجاوره عمارة حديثة البناء ويتكون المبنى من ثلاث غرف ومطبخ ومظلة حصير وتوجد بفناء المنزل عشرة مقاعد طويلة تسع ستين شخصا بالاضافة الى عدد من المقاعد. ويشمل النشاط دروساً فى الارشاد الدينى ومحو الامية يقدمها راهب وراهبة قبطيان فى يومى الاحد والخميس من كل اسبوع ومعظم الحضور من ابناء النوبة، وقد لوحظ تركيز الكنيسة القبطية على ابناء النوبة.

الخرطوم :ـ

١) الكنيسة الكاثوليكية بالجريف القلعة :ـ

تهتم هذه الكنيسة بكل سكان منطقة اركويت والرياض والبرارى بالاضافة الى الجريف ومن يدخلون فى نطاق عملها ويتركز النشاط فى الاتى :ـ

أ) تعليم كبار وارشاد دينى لحوالى ١٦٠ شخصا.

ب) مساعدات عينية ومالية لاطفال الحى اللاجئين الارتريين (٥ جوالات ذرة و ٥٠ صفيحة زيت و٥٠ كيس لبن ومبلغ ٢٤٠ جنيه اعانات للارامل واصحاب العاهات المستديمة فى حدود ٥٠٠ جنيه شهريا)

ج) خدمات صحية فى شكل أدوية وزيارة للراهبات مرتين فى الاسبوع.

د) تقديم اللبن للفترة الصباحية للتلاميذ (يزيدون على المائة).

هـ) ملابس شتوية.

و) ايجار المنازل شهريا فى حدود ٣٠٠ جنيه (ثلاثمائة جنيه) تقريبا.

ز) الطواف وزيارة الاسر وتقديم الهدايا خصوصا فى عيد الميلاد حيث تمتلىء البيوت بالزوار ويوزع الزيت والقمح واللعب للاطفال.

٢) وكذلك فان ذات النشاط تقوم به الكنيسة الانجيلية فى كنيستها بالجريف القلعة ويشمل :ـ

أ) حلقة لمحو الامية والتربية المسيحية.

ب) مساعدات فى شكل لبن وسكر وارز، ملابس، توزع اربع مرات فى العام (يناير، مايو، يوليو، ديسمبر) ففى ديسمبر مثلا يمنح كل طفل مسجل بالكنيسة علبة لبن وكيس أرز و ٥ أرطال سكر بالاضافة الى الملابس.

٣) حى مايو على سبيل المثال :-

اقيمت فى هذا الحى مضخة مياه تابعة للكنيسة لسقاية سكان، الحى ويعمل فيها جنوبيون يحملون تذاكر بها ارقام مسلسلة وقد اتاحت هذه المضخة فرص العمل لما بين المائة الى المائة وخمسين شخصا يعملون ناقلين للمياه داخل الحى مستخدمين ناقلات تجرها الحمير (الكارو) وسعة الواحدة برميلين من المياه ويقدر دخل المضخة بمئات الجنيهات يوميا ويصرف هذا الدخل على العمل الكنسى فى الحى باستثناء مصاريف التشغيل والوقود.

٤) النادى الكاثوليكى :-

يقع غرب المطار مباشرة وجنوب نادى الضباط وغرب مؤسسة الاسواق الحرة وشمال النادى الايطالى، يتكون من طابق أرضى وبلكونة وبه مكان للعرض السينمائى ويستخدم مسرحا لاقامة الحفلات، وبه ملاعب رياضية لكرة القدم وكرة السلة وتبلغ مساحته ٢٠٠م٠م. (٨٠×١٠٢,٥) والميادين مساحتها ٥٦ ألف م.م.

٥) نادى كمبونى :-

الموقع امام ملعب كمبونى الذى يقع شرق مدرسة الاتحاد للبنات ويحد بشارع السيد عبد الرحمن جنوبا ويلاصق مصلحة الارصاد به اربعة فصول وبقية المساحة صالات تستخدم لتدريس اللغة العربية واللغة الانجليزية والعلوم ويضم حوالى خمسين استاذا من ابناء الاقليم الجنوبى، ولكل استاذ طاولة أو اثنتين للتدريس. يدير النادى قس من مدرسة كمبونى عمره نحو سبعين عاما ويتكلم العربية. ساعات العمل :- يفتح النادى فى الساعة الثانية عشر ظهرا وحتى الثامنة مساء ورواده جنوبيون، مسيحيون، ومسلمون ذكورا واناثا ويلاحظ كثرة البنات فى هذا النادى ومعظمهن مسلمات، ويحضرن فى العصر غالبا ويتعرضن للاحراج والالفاظ النابية من بعض ابناء الجنوب، يتم الالتحاق بالنادى بعد دفع خمسة جنيهات رسوما للتسجيل ثم يدفع بعد ذلك ثلاثة جنيهات شهريا ولا يقل رواده فى اليوم عن ثلاثة آلاف شخص.

٦) المستشفيات :ـ

مستشفى دار القديسة مريم (مستشفى الراهبات بالسوق العربى) وهو خاص بالنساء ويتكون من قسمين (أ) مستشفى الولادة القيصرية وهو مبنى قديم. (ب) قسم الحالات الاخرى ويتكون من ثلاثة طوابق به تسع غرف فى الدرجة الاولى، كل الغرف تسع شخصين. بالمستشفى غرفة عمليات ويشرف على المستشفى دكتور سليمان تادرس، تتولى الراهبات الكشف على المرأة الحامل، حتى وقت الوضوع، وتدفع المرأة مقابل ذلك ثلاثمائة جنيه، حيث تقضى خمسة أيام بالمستشفى وتجد عناية جيدة ومستوى الخدمات عال جدا بالمستشفى، مزود بجهاز لتوليد الكهرباء يعمل فى حالة انقطاع التيار الكهربائى ويلقى الجنوبيون وابناء جبال النوبة من المسيحيين معاملة شبه مجانية للكشف والعلاج والولادة.

٧) النادى الكاثوليكى ببرى اللاماب :ـ

يقع فى منطقة (ابو حشيش) عند شارع ٩ رواده من الجنوبيين والنوبة وكان النادى فيما سبق للنوبة فقط. يستخدم النادى فى المساء مدرسة لتعليم اللغتين الانجليزية والعربية. والمنطقة من المناطق الفقيرة ويسكنها خليط من الشماليين والنوبة والجنوبيين.

٨) نادى المكتبة القبطية بالخرطوم :ـ

يقع غرب مسجد جامع فاروق شرق جامعة القاهرة فرع الخرطوم مربع ٩/ب غرب، يتكون النادى من طابق ارضى وسطوح وبه ملاعب للكرة الطائرة والسلة والدخول به مقصور على الاقباط فقط ومعظم النشاط اجتماعى ترفيهى.

٩) الخرطوم بحرى ـ الحاج يوسف ـ كنيسة بارونا :ـ

١) كنيسة بارونا :ـ

تقدم الكنيسة نشاطا يشتمل على :ـ

أ/ خدمات تعليمية وارشاد دينى بالمساء.

ب/ ايواء الضيوف القادمين.

ج/ خدمات غذائية مثل توزيع السكر واللبن على الاطفال.

٢) المركز الصحى الكاثوليكى بالحاج يوسف :ـ

يقع هذا المركز شرق مربع ٣ وغرب مربع ٦ فى منطقة غالبية سكانها من عرب شمال السودان مع قلة من الجنوبيين وابناء جبال النوبة بالاضافة الى بعض الاقليات من منطقة غرب افريقيا ومعظم السكان من البسطاء والمتقدمين فى السن مساحة المستوصف ١٥ ألف مترا مربعا (١٥٠×١٠٠) والبناء مسلح ومن طابق واحد. تقدر قيمة البناء بـ ٢٧٥ ألف جنيه ولا تقل قيمة الارض عن ذات القيمة.

المؤسسات الملحقة به هى :ـ مصلى كنسى ملحق به ثلاثة مكاتب صغيرة ومزودة بأدوات الطباعة وادوات مكتبية اخرى ودور سكن الممرضات والزائرات الصحيات وكذلك الاطباء.

وسائل الترحيل :ـ سيارات خاصة للاطباء والزائرات الصحيات بالاضافة الى سيارات وزارة الصحة التى تبنت المشروع رسميا.

الاطباء ثلاثة :ـ منهم مسيحيان وثلاث ممرضات مسيحيات هنديات الجنسية، يسكن داخل المستوصف نفسه ويضم المستشفى ثلاثين سريرا للمرضى. والاقبال عليه كبير وقد نبعت أخيرا فكرة اقامة صندوق خيرى داخل المستشفى لتمويل بعض المشاريع الكنسية الخيرية.

هناك بناء جديد تحت التشييد داخل الفناء.

٣) نادى المكتبة القبطية بالخرطوم بحرى :ـ

هو نادى ضخم يقع فى قلب الاملاك ببخرى فى موقع ممتاز شرق سينما حلفاية. ومساحته ألف م.م. تقريبا وبه ملاعب للكرة الطائرة والسلة، كما يضم فريقا للسلة من الدرجة الاولى، تزينه مقاعد وثيرة للجلوس، أسس النادى عام ١٩٤٧م وهو للاعضاء فقط ولا يسمح لغير الاعضاء دخوله ولكن قد يستأجر النادى احيانا لاقامة حفلات اعراس بعض المسلمين. يقيم الاقباط مناسباتهم الاجتماعية فى النادى كالاعراس وحفلات الخطوبة.

وخلاصة القول ان هذا النشاط نمطى ويتكرر فى كل المنطقة ولقد استطاعت الكنيسة أن تجند وتضم حولها بهذا النشاط اعدادا ضخمة ترتبط بالكنيسة اسما وان كانت غير نصرانية حقيقة والكنيسة تأمل أن يكون هؤلاء مجرد جسور لعبور الجيل الجديد للمسيحية وقد يستخدمون اداة للضغط السياسى. لم تحاول الحكومة أن تواجه هذا النشاط بصورة جادة حتى فى عام ١٩٦٢م حينما قامت باصدار قانون تنظيم العمل التبشيرى[١٨٨] اذ اكتفت بمواجهة القساوسة الاجانب فى الجنوب وتركت الرأس ينمو ويخطط ويستشرى فى الخرطوم.

١٨٨ـ انظر جعفر محمد على بخيت (مشاكل التبشير فى السودان ص ٢٣.

الفصل الرابع
الكنائس ودور العبادة ومدارس اللاهوت

يكشف هذا الفصل من الدراسة أن الكنائس تحتل اهم المواقع الاستراتيجية فى العاصمة المثلثة عامة، كما أن هذه الكنائس ملحق بها دور سكنية ومخازن. وأن عدد الكنائس فى منطقة الخرطوم القديمة يساوى عدد المساجد اذ يبلغ عدد المساجد اربعة هى مسجد القوات المسلحة مسجد الجامعة، مسجد فاروق، مسجد الخرطوم الكبير ونصف هذه المساجد قد بنى حديثا، بينما نجد من الكنائس كتدرائية القديس متى وكنيسة كلية كمبونى، والكنيسة الاسقفية (حول مقرها أخيرا لظروف امنية) وكنيسة العذراء[189] وهذا يعنى أن الكنائس اسْتطاعت أن تضفى مظهرا نصرانيا على الخرطوم.

الامر الثانى، أن عددا كبيرا من المؤسسات الكنسية كمدارس اللاهوت والاندية تحتل ايضـا مواقع استراتيجية هامة فمثلا النادى الكاثوليكى يطل مباشرة على مطار الخرطوم، حيث أنه أول مبنى خارج المطار يقع عليه نظر القادم.

الامر الثالث أن هناك ظاهرة جديدة وهى ظاهرة الكنائس العشوائية التى أخذت تقوم دون تصديق فى المناطق السكنية بل وشيدت كنيسة فى مقابر رابطة الشعوب البريطانية امام مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة دون تصديق.

الكنائس ودور العبادة :ـ
أمدرمان :ـ
١) كنيسة حى المسالمة :ـ

إن أعرق الكنائس فى امدرمان هى التى تقع فى حى المسالمة بين مدرستى كمبونى للاولاد والـراهبـات. مبنى الكنيسـة عتيق بنيت بعض اجـزائهـا بالطوب واجزاء اخرى بالطين ومسـاحتها ٨٠٠ مترا مربعا وقساوستها ايطاليون يسكنون مدرسة كمبونى للاولاد كما ان الراهبات يسكن خلف الكنيسة وهن المشرفات على مدرسة الراهبات.

وغـالبية رواد الكنيسـة من الجنوبيين ولكن العدد فى مجمله ضئيل نسبيا كما أن نشاط الكنيسة ضعيف لبعدها عن مساكنهم. ومعظم سكان المنطقة من الاقباط والنقادة وبينهم

١٨٩- توجد المعلومات التفصيلية عنها داخل الدراسة.

بعض الاسر السودانية المسلمة. وقد تقدم الكلام عن هذا الحى. وتجاور الكنيسة كنيستان احريان احداهما الكنيسة القبطية (مارى جرجس) واخرى قبطية تحت التشييد بينها لا يوجد مسجد مجاور.

٢) كنيسة بانت:-

تقع فى الركن الجنوبى الغربى لمدرسة المؤتمر العليا للبنين وتفتح على الميدان الذى يقع غرب شارع الموردة وجنوب مدرسة المؤتمر وخلف مسجد النيلين من الناحية الغربية. مساحة الكنيسة ٤٠×٢٥ مترا مربعا. رواد الكنيسة من الجنوبيين وأهالى جبال النوبة وبالكنيسة منزل يسكنه بعض هؤلاء النوبة، لها بابان صغيران وباب آخر كبير وبها من الداخل ميدان واسع ومشجر. وفى الوسط مبنى كبير من الطوب الاحمر مزود بمكيف الهواء ويجاور ذلك المبنى مبنيان احدهما به مقاعد وكراسى مثل تلك التى بالمدارس وغرفة منفصلة وباب يفتح على الشارع. لاتوجد دور عبادة مسيحية أخرى وبجوارها مسجد على بعد شارعين غربها كما يقع مسجد النيلين أمامها مباشرة.

٣) كنيسة زقلونا (كاثوليكية):-

تقع جنوب مصنع الثلج بزقلونا (غوب الثورة بامدرمان) وشكلها غير مميز وتقع خلفها الكنيسة الاسقفية بنفس الشكل. والكنيسة عبارة عن منزل مساحته حوالى ٣٠٠ مترا مربعا تقريبا والمنزل مبنى من الطين وجدرانه بالية وبداخل السور مظلة كبيرة تشغل حوالى ثلث مساحة المنزل وبها مقاعد من الطين تؤدى الصلاة فيها وتعقد فيها فصول دراسية ومسائية وقد ورد ذكرها فى الفصل السابق.

أغلب السكان من غير القبائل المسلمة (جنوبيون، ونوبة ووافدون - وأجانب وبعض أعراب امدرمان القدامى).

٤) دار العبادة المسيحية (بمنطقة بانت) :-

تمارس الشعائر المسيحية فى منزل صغير مساحته حوالى ٢٠٠ مترامربعاً ويضم غرفتين احداهما كبيرة وأخرى صغيرة للغاية ومظلة وتستغل الكنيسة الكاثوليكية هذا المنزل لممارسة بعض انشطتها التعلمية وذلك مساء كل يوم.

٥) أم بدة شمال وأم بدة جنوب :-

بدأ التبشير المسيحى أو التنصير بطريقة مطردة وسط الجنوبيين فى هذه المنطقة وبممارسة العمل فى بيوت الجنوبيين وقد بدأ ذلك بتأجير البيوت ثم تطور الى شراء المنازل وبناء الكنائس فى شكل مدارس ثم انتقل النشاط التبشيرى الى الترشيح للمناصب القيادية فى المجالس الشعبية كما حدث فى الحارة الرابعة عشر بأم بدة جنوب .

٦) الحارة الثالثة :-

بها منزل استأجره احد الاقباط وهو صاحب متجر لبيع الخمور بأمدرمان . وقد سكن فيه هو وزوجته لفترة ثم رحل منه فجأة واستعمل لايواء أبناء الارتريين . لسكان المنزل برنامج يبدأ من الخامسة صباحا حيث يخرجون فى طابور منظم بقيادة فتى وبعده يدخلون المنزل ويتلقون دروسا فى المسيحية ومعهم طبيب ومدرسون أجانب ومعلمة تقوم بتدريس اللغة العربية ويجتمع الجميع فى الجارات الاخرى كل ستة أشهر،وينضم اليهم عدد كبير من أنحاء العاصمة ويأتى قساوسة وراهبات يقومون بجلب المؤن وقد وضح مؤخرا تقلص نشاطهم وان ظل المنزل مستأجرا لهم .

٧) الحارة الخامسة :-

بهذه الحارة منزل استأجره بعض الجنوبيين تحضر اليه بعض الراهبات ويقمن بجلب الهدايا لسكانه ويعالجن اطفالهم وآخيرا قام أحد الاقباط بشراء المنزل .

٨) الحارة السادسة :-

هناك قطعة أرض قام بشرائها قسيس جنوبى اسمه خميس من شخص يدعى (. . . . . .) وهو درويش مرقع الملابس ، وقد تم شراء القطعة بمبلغ ٥٠٠ر١ جنيه سودانى ، أشرف على بنائها طبيب سويسرى يسكن أبوروف وهو نفسه الطبيب الذى وجدت لديه المطبوعات التى اعدت لتشويه الإسلام . قام المواطنون بتقديم عريضة فحواها أنه لايوجد نصرانى فى هذه المنطقة واتضح انه ليس هنالك تصديق ببناء كنيسة ، وهنا أوقف البناء لفترة ثم استؤنف حتى أكتمل وهو الان فى شكل مدرسة كثيرة الحجرات ، وتحت ضغط

المواطنين ظل البيت مغلقاً حتى الان. وقد سأل أحد المواطنين القسيس الاسئلة التالية :-

س: ماذا تريد بهذا المبنى؟

ج: هذا المبنى سيكون استراحه للراهبات والممرضات اللائى يعملن فى المنطقة

س: لماذا اخترت هذا المكان؟

ج: لتعليم اللغة العربية.

س: البيت مسجل باسمك وانت سودانى؟ وما علاقتك بالسويسريين؟

ج: مساعدة من باب الاحسان.

س: هل أخذت أذنا من السلطات المختصة؟

ج: أنه لاستعمالى العائلى.

الكنائس ودور العبادة :-

الخرطـــوم :-

٩) كنيسة كلية كمبونى بالخرطوم :-

تقع الكنيسة داخل مدرسة كمبونى العليا غرب شارع القصر، فى منطقة السوق العربى وتحيط بها عيادات الاطباء والمركز الثقافى الامريكى وسينما كلزيوم ومكاتب حكومية. يقابلها من الناحية الشرقية معهد يهودى وهناك بيوت القساوسة تتكون من نحو ١٥ غرفة، وعدد كبير من السيارات.

روادهـا فى غير يوم الاحد من الجنوبيين ويحضر يوم السبت لهذه الكنيسة مجموعة من الدبلوماسيين الاجانب تشاهد سياراتهم بالخارج فمن ذلك السفارة الاسبانية والامم المتحدة والسفارة الفرنسية واحيانا السفارة الامريكية.

١٠) كنيسة الرسول بطرس وبولس :-

تقـع فى الامتداد شارع ٣٧ وغرب شارع مدنى، فى منطقة سكنية غالبية سكانها من الاغنياء والاجانب وتحدها من الناحية الغربية مدرسة العمارات النموذجية وفى جنوبها أرض خالية ومعظم روادها من الجنوبيين وبها راهبة جنوبية.

١١) كنيسة مدرسة فيلا جلدا الابتدائية :-

كنيسة صغيرة بالمنشية اقيمت على أرض مسورة فى شكل حديقة وبها مدرسة صغيرة (أنظر ص ١٨) واستخدمت احدى حجراتها كنيسة يأتيها القساوسة والراهبات يؤدون فيها الصلاة للاطفال وبعض المواطنين من برى وما جاورها

الاحياء الشـعبية :-

١٢) منزل العزوزاب :-

هو منزل يقع فى المربع رقم واحد وقد سبق الكلام عن نشاطه التعليمى، تؤدى فى هذا المنـزل صلوات وتعرض فيه أفلام ترفيهية مثل أفلام شارلى شابلن وأفلام دينية. المنطقة يسكنها المسلمون وبها مسجد على بعد ٣٠٠ مترا تقريبا. تم شراء هذا المنزل من صاحبه بمبلغ باهظ. وخصصت سيارة لاحضار الرواد من المناطق البعيدة.

١٣) مدرسة الدعاة الكليرلكية :-

تقع فى مربع ٨ غرب الخرطوم على شارع الحرية بالمنزل رقم ١٨٤ - وذلك فى وسط المنطقة السكنية واكثر سكانها سودانيون مجنسون. المساحة الكلية ١٣٨٠ متر مربع بها ثلاثة مربعات يحتوى كل مربع على طابقين وكل طابق على أربع غرف وعدد الغرف الكلي ٢٤ غرفة محاطة بسور من الطوب الاحمر ويدرس فيها دعاة المسيحية فى السودان.

١٤) اللاماب بحر أبيض :-

بها كنيسة مساحتها حوالى ٣٠٠٠ مترا مربعا تؤدى بها الصلوات وبها دروس مسائية للكبار والجنوبيين، وكانت تحيط بها منطقة واسعة لصناعة الخمور البلدية.

١٥) مدرسة تأهيل القساوسة بالخرطوم (٢) :-

وهى عمارة من طابقـين بالقرب من مطبعة التمدن. تقع فى مساحة ٦٠٠م.م. تقدر تكلفة بنائها بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه سودانى. الطابق الاول مجهز لاستضافة الزوار من خارج السودان. أما الطابق الثانى فهو سكن ومكان دراسة للطلاب وبه ثلاثة غرف سكنية كبيرة وفصل واحد للدراسة وعدد الطلاب ٢٥ طالبا.

طريقة اختيار الطلاب :-

يتم اختيار الطلاب الذين يبرزون فى المجتمع بمهارات تؤهلهم للقيادة والتأثير على المجتمع. فمثلا قابلنا طالبا كان متخرجا من المدارس الوسطى القديمة واشتغل بالصناعة الحرفية ثم بعد ذلك - اختير لهذه المدرسة والقاسم المشترك بين الدارسين انهم من الذين أكملوا الثانوية العليا ويراعى فيهم تمثيل كل مناطق السودان التى يشملها التبشير المسيحى. ويتخرج الطالب بعد سنتين من الدراسة ليكون المسئول عن النشاط الكنسى فى جبال الفاو مثلا أو كادوقلى أو غيرها والطلاب كلهم ذكور وأعمارهم تتراوح ما بين ٢٠ - ٣٠ سنة ويعطى كل طالب دولاب ويمنح اعانة مالية قدرها ٤٥ جنيها سودانيا للغذاء.

نظام الدراسة :-

يدرس الطلاب اللغة العربية واللهجات المحلية والانجيل وغيرها من المناهج. ومما يدرس مثلا: انجيل بلغة الدينكا مكتوب بالحروف اللاتينية.

الخرطوم بحرى :-

١٦) كنيسة مارى جرجس :-

وموقعها جنوب المجلس البلدى ببحرى فى مواجهة مكاتب النقل النهرى وهى تجاور السوق ومنازل موظفى الحكومة. ومعظم سكان المنطقة من المولدين وقد أنشئت الكنيسة فى الثلاثينات. مساحه الكنيسة حوالى ١٠٠٠م.م وبناؤها ضخم وبالخرصانة المسلحة وتبلغ قيمة الارض وحدها ٥٠ ألف جنيه تقريبا باسعار عام ١٩٨٢ كما تبلغ قيمة البناء حوالى ٢٠٠ ألف جنيه وهناك اضافات تمت فى عام (١٩٨٢)م ملحق بالكنيسة مدارس الاقباط الابتدائية والاعدادية. وللكنيسة اسطول من الحافلات والناقلات للايجار حافلتان تملكها مع حافلات وناقلات أخرى مكشوفة تؤجرها وسيارات صغيرة الحجم معظمها من ماركة فيات. والاخيرة خاصة بالقساوسة والراهبات. وتعتمد الكنيسة على تمويل المجلس الاعلى للكنائس وتبرعات المسيحيين وعائدات استثماراتها من الوقف.

١٧) كنيسة حلة حمد وما جاورها :-

موقعها فى حلة حمد بالقرب من شاطىء النيل. السكان اغلبهم مولدون مسلمون وهم

خليط من الاغنياء ومتوسطى الدخل. وهناك راهبة تعالج المسيحيين مجانا. وذلك مساء كل يوم وصباح الجمعة وكذلك توزع الغذاءات المجانية من حين لاخر خاصة في العطلات والمناسبات وتقدم كذلك عروضا للسينما المتجولة ويتردد على الكنيسة نحو ٢٠٠ شخصا. وبالمنطقة مسجد صغير شمال الكنيسة. ومن السمات المميزة للمنطقة قربها من النيل وفندق قصر الصداقة. تاريخ انشاء الكنيسة يعود الى ما قبل الاربعينات ومساحة الكنيسة الفا متر مربع. البناء مسلح وضخم تقدر قيمته ٤٠٠ ألف جنيه.[١٩٠] المؤسسات الملحقه بها هى مدرسة كمبونى (ثانوى عالى) وتمارس المدرسة نشاطا اجتماعيا كبيرا حيث انواع الرياضة المختلفة (كرة القدم - والسله - والطائرة - والسباحة) ويجتمع بها ابناء المسيحيين واصدقائهم فى العطلات. لا تضم المدرسة مستوصفات علاجية. وهناك مدرسة ليلية داخل الكنيسة وفى مبانى مدرسة كمبونى الملحقة بالكنيسة.

١٨) منزل الفاتيكان شارع كبرى شمبات :-

للفاتيكان منزل قديم فى شارع كبرى شمبات بالقرب من محطة البنزين وهو ملك للكنيسة منذ عام ١٩٦٥م أى منذ تأسيس الحى الذى يقع فيه ومكتوب على الباب الخارجى العبارات الاتية (القصادة الرسولية) ( ) وهو منزل فخم مكون من ثلاثة طوابق ومساحته ٤٢٥٥ مترا مربعا تقريبا وبه علم ذو لونين هما الابيض والاصفر وبه حديقة كبيرة ومسجل ملكا حرا باسم الكنيسة الكاثوليكية قطعة رقم (٢٤). أما مجمل النشاط الذى يدار فيه والذى لاحظه أهل الحى فهو كما يلى :-

١) يسكن به عدد من الراهبات يمتنعون عن مخالطة الناس.

٢) تأتى عربات محملة ببعض أبناء الاقليم الجنوبى خاصة الاطفال فى الاعياد وتدخل المنزل.

٣) تحصلت الكنيسة الكاثوليكية على هذه الارض عن طريق المبادلة مع أحد المواطنين من الخرطوم بحرى بقطعة أرض رقم (١) مربع ٥/ب غرب باسم الكنيسة الكاثوليكية ونظرا لوقوع هذه المنطقة بالقرب من مسجد الخرطوم بحرى الكبير فقد رفض المواطنون السماح للكنيسة باقامة مؤسسات فيها مما أدى الى هذه المبادلة مع صاحبها. بتاريخ ١٨/١/١٩٦١م.

١٩٠- وقت إعداد الدراسة

١٩) جنينة القسيس :-

عبارة عن حديقة فواكه كانت تتبع أصلا لممتلكات كافورى. ولاندرى كيف آلت الى الكنيسة وتقع بالقرب من معمل ألبان كافورى وبها بناء فخم من طابق واحد وحوض للسباحة وانتقلت سفارة الفاتيكان الى مبنى الحديقة.

٢٠) أرض مسوره تابعه للكنيسة الكاثوليكية (الحاج يوسف)

استطاع رجال الكنيسة تسوير مايقارب ٨٠ ألف متر مربع فى منطقة غير آهلة بالسكان تقع شرق حى الشقلة الجديد، وعلى بعد ١٠ كيلو مترات من مطار الخرطوم الجديد وهى مسوره بالاسلاك الشائكة وليس فيها من المبانى سوى حجرة صغيرة بنيت عام ١٩٧٥م وهنالك آراء متضاربة أدلى بها بعض المسيحيين حول المشاريع المزمع اقامتها فى هذه الأرض فقد ذكر بعضهم أنه سيتم فيها قيام مزرعة للدواجن وذكر آخرون بأنه سيكون فيها مركز للمناشط الكنسية المختلفة. أما عن طريقة حصولهم على هذه الأرض فقد ذكر أحد مواطنى المنطقة بأن الكنيسة اشترت هذه الأرض من الأهالى عن طريق أشخاص مسئولين وهنالك مساع من المواطنين لاستخلاص هذه الأرض من الكنيسة.

٢١) منزل حلفاية الملوك :-

المكان منزل مبنى بالطوب والاسمنت بامتداد الحلفاية -الحلة الجديدة ويقع المنزل بالقرب من مسجد أم دوم على بعد ٢٠٠ متر منه تقريبا وتقع الى القرب منه مدرسة حكومية ولقد كان المنزل بيتا للدعارة، فحاربه أهل الحى وما كان من صاحب المنزل الا أن باعه للكنيسة الكاثوليكية ومساحته ٨٠٠ متر مربع وبه ثلاث حجرات وصاله وهو مجهز ليكون مدرسة اذ به ٥٠ مقعدا و ٦ ترابيز وأربعة دواليب أحدها يحتوى على أدوية وبه مخزن للمواد الغذائية تخزن فيه كمية كبيرة من الأرز واللبن ويوجد تلفزيون بالمنزل وكما هناك جانب من المنزل به حجرة صغيرة يسكن فيها المسئول عن النشاط الكنسى فى المنطقة وقد اشترت له الكنيسة دراجة نارية (موتر سايكل) تعينه فى تنقلاته..

النشاط الاكاديمى (بمنزل حلفاية الملوك) :-

تدرس اللغة الانجليزية من الساعة الرابعة وحتى السابعة مساء وعدد الطلاب المنتظمين ١٥٠ طالبا من أبناء الدينكا وقليل من أبناء النوبة مختلطين رجالا ونساء ويؤتى باطفال المسيحيين فقط أيام العطلات (الاحد والجمعة). الروضة موسمية ومدة الدراسة الليلية

سنتان ينقل بعدها من أحرز نتيجة مناسبة لمدرسة الكنيسة .

٢٢) حـــى كـــــوبر :

هناك بيت تابع للكنيسة فى كوبر بدأ فيه النشاط فى سنة ١٩٨٠ . يقع هذا المنزل فى كوبر الى الشمال من السجن . والى الغرب منه قشلاق ثكنات الجيش وفى ناحية الجنوب والشرق تقـوم منـازل المواطنين . والمنطقة عموما شعبية ومن الدرجة الثالثة وهناك أعداد من أبناء الاقليم الجنوبى يسكنون متفرقين فى الحى .

وصف المنزل ومحتوياته :

مساحته ٥٠٠ متر مربـع (٥٠×١٠) يحتوى على ٣ حجرات واحدة عبارة عن فصل (٦×٦) والاخريات سكن لاحد الجنوبيين وعائلته وهناك صالة طولها ١٢ متر وعرضها ٥ أمتار. والمنزل مبنى من الطوب الاحمر ويحتوى على ١٢ مقعدا طويلا و ١٢ مقعدا يتسع المقعد لخمسة اشخاص وهنالك ثلاث سبورات مثبته على الحائط .

نوع النشـــاط

(أ) النشاط الاكاديمى :

تدرس اللغة الانجليزية يوميا عدا يومى الجمعة والاحد من الساعة السادسة حتى الثامنة مسـاء والـدراسة على حسب منهج اكسفورد (الانجليزى المبسط) وعدد الطلاب اربعون ويقوم بتدريسهم ثلاثة اساتذة من أبناء الدينكا فى ثلاث مجموعات . وكل الطلاب من أبناء الاقلم الجنوبى ما عدا اثنين . ويدفع الطلاب رسوما رمزية (١٥٠) قرشا رسم اشتراك وجنيها واحدا شهريا ولا تصرف لهم كتب وما زالت الدراسة مختصرة على الكتاب الاول والثانى . ويشتكى الاساتذة من عدم مواظبة الطلاب على الدراسة .

الكنيسة الاسقفية

تم بناء المركز الرئيسى فى عام ١٩١٢م فى مساحة تقدر بأربعة عشر ألف مترا مربعا فى شارع الجامعة بالقرب من قصر الشعب (القصر الجمهورى سابقا) وقد أنشىء لاستعمال الحاكم العام البريطانى ولخدمة جيش الاحتلال ورجال الادارة البريطانيين ، وابتداء من عام ١٩٣٠م مدت الكنيسة خدماتها التبشيرية والتعبدية لقطاعات المجتمع الاخرى ، ومن أشهر من تم تنصيرهم فيها بطرس تيه شوقى (أسقف بالكنيسة حاليا) وفليب عباس غبوش (زعيم

دينى وسياسى) وكلاهما من قبائل النوبة.

قامت الحكومة بمصادرة الكنيسة بعد الانقلاب الشيوعى فى يوليو ١٩٧١ نظرا لحساسية موقعها ولان الانقلابيين استخدموها قاعدة هجوم على القصر ومنحتهم الدولة بدلا منها ثلاثة مواقـع بالعاصمة، اثنين بامتداد الخرطوم وآخر بالرياض، كما قدمت لهم الحكومة تعويضا مقداره ٢٥٠ ألف جنيه سودانى حسب تقديرات المهندسين لقيمة المبانى.

ثم قام رئيس الجمهورية فى ابريل ١٩٨١م بالتصديق لهم بمبلغ أضافى قدره ٣٠٠ ألف جنيه سودانى بعـد زيارة وفد قيادى من الكنيسة وقد تمت سودنة قيادة الكنيسة فبدلا من القيادة الانجليزية أصبح المجلس القيادى الان مكونا من الراعى ابراهام والاسقف النيانا ناجملو والاسقف بطرس تيه.

بدأت الكنيسـة فى ممارسـة نشاطها من موقعها الجديد، ويحضر احتفالات عيد الميلاد (الكريسماس) فيها ثلاثة آلاف شخص وتقدم طقوسها باللغة الانجليزية ولهجات المورو والشلك والدينكا. وكان مقررا ان يتم الافتتاح الرسمى فى سبتمبر ١٩٨٣. هذا ولما حاولت الكنيسة الاستفادة من قطعة أرض الرياض احتج السكان المجاورون للمبنى المقترح بحرق الخيمة التى نصبتها، وما يزال الاشكال قائما بين السكان والكنيسة.

الكنيسة الارثوذكسية القبطية (بالخرطوم وامدرمان):

على الرغم من أن الاقباط يتركزون أساسا فى حى المسالمة بأمدرمان الا ان كنائسهم تنتشر فى أنحاء اخرى من العاصمة وهناك نوع من التنسيق بين الكنيستين القبطية والانجيلية وربما يعود ذلك الى ان معظم رواد الكنائس والمدارس الانجيلية من الاقباط اذ نجد أن أصحاب المـذهب الانجيلى قليلون فى السـودان بينما نجد ان امكانات الكنيسة الانجيلية المدعمة بالإرساليات الأمريكية كبيرة نسبيا.

تحتوى الكنيسة القبطية الارثوكسية بالسودان على مطرانيتين الاولى تسمى مطرانية النوبة وعـطبرة وام درمـان والاخـرى تسمى مطرانية الخرطوم واوغندا ومقرها الخرطوم فى كنيسة السيدة العذراء التى يحدها شارع الجامعة جنوبا وشارع النيل شمالا وشارع على عبداللطيف غربا. وملحق بهذه الكنيسة مدرستان هما مدرسة الاقباط ومدرسة القديس اللاهوتية وهى اقدم كنيسة ارثوذكسية بالسودان حيث تم تأسيسها فى عام ١٩٠٤م ويجرى تجديدها هذه الايام وتبنى فيها عمارة حديثة مكونة من ثلاث طوابق.

تقوم بحى المسالمة بامدرمان كنيسة مارى جرجس القبطية والى جانبها الكنيسة القبطية

الجديدة المقامة غرب مدرسة محمد حسين الثانوية . وتحيطها من الجنوب والغرب مقابر المسلمين والى الشمال منها مقابر المسيحيين . ولقد كان التصديق الاصلى لبناء استراحة ولكن الاقباط قاموا ببناء كنيسة من طابقين للصلاة بالاضافة الى عمارة ضخمة من ثلاثة طوابق فى كل طابق ثلاث غرف كبيرة ودورة مياة والبناء من النوع السميك . لم تفتتح الكنيسة بعد اذ لم تكتمل بعض منشآتها الكبيرة . هذا وقد توافق الشروع فى بناء هذه الكنيسة مع زيارة البابا شنودة للسودان وقد أوصى البابا شنودة الاقباط فى زيارته بشراء الارض فى حى المسالمة خاصة وقلب العاصمة عامة كما لوحظ تدفق النقادة المصريين المسيحيين الى السودان تجارا وعمالا على أثر الزيارة .

أدى قيام كنيسة حى المسالمة الجديدة مع نظيراتها الى تغير وجه مدينة ام درمان وطابعها الوطنى والإسلامى المميز . وأخذت الكنائس تضاهى المساجد من حيث الجمال والشكل والارتفاع علما بأن عدد المسيحيين فى أم درمان لا يكاد يجاوز ال ٥٪ من مجموع السكان .

كنيسة مارى جرجس بحلة حمد بالخرطوم بحرى :

هى واحدة من اضخم الكنائس بالخرطوم وتقع جنوب غرب مسجد بحرى الكبير على بعد ٢٠٠ مترا تقريبا . وللكنيسة عقارات تابعة لها منها عمارة بسوق بحرى باسم الشهيد مارى جرجس وجزء منها مؤجر لبنك الخرطوم .

الجزء الثالث

العمل التبشيرى فى اقليم كردفان والاقليمين الشرقى والاوسط

الفصل الاول

التبشير فى كردفان

مقـــدمـــة :

تظهر مديرية كردفان فى خريطة السودان فى شكل مستطيل، تبدأ زاويته الشمالية الشرقية من حدود مدينـة أم درمان وتنتهى زاويته الشمالية الغربية فى المديرية الشمالية وتمتد زاويته الجنـوبية الشرقية الى منـاطق الشلك وبحـيرة (نـو) ببحـر الغـزال وتبلغ مساحة المديرية (٤٠١٢١٠ كلم) ويقطنها (٣٠٩٤٢١٠ نسمة) حسب الاحصاء السكانى الاخير لعام ١٩٨٣ . (١)

وتجمع مديرية كردفان بين المناخ الصحراوى فى شمالها والسافنا فى جنوبها وسكان كردفان خليط من عرب البقارة وعناصر النوبة الزنجية بالاضافة الى الفلاتة والداجوا وسكان الحضر.

مديرية كردفـان من المديريات التى اسهمت فى اثراء حركة الإسلام فى السودان حيث نهضت فيها مملكتا تقلى والمسبعات الإسلاميتان ـ أما الاولى فقد أسسها الفقيه محمد الجعلى الذى جاء لمنطقة تقلى فى عام ١٥٣٠م مبشرا بالإسلام وتوج جهده بمصاهرة ملك تقلى الذى زوجه إبنته الكبيرة، والتى انجبت سلالة ملوك مملكة تقلى الإسلامية، الذين تبدأ سلسلتهم بالجعلى أبو جريدة وقد زار مملكة تقلى كل من مؤسس الطريقة القادرية فى السودان محمد تاج الدين البهارى والشيخ حسن ودحسونه كما كان لمملكة تقلى صلات راسخة بمملكة سنار الإسلامية[١٩١] كما اسهم أهل مديرية كردفان فى ترجيح كفة الثورة المهدية، حيث وجد محمد أحمـد المهدى فى أهل كردفان الرجال الشجعان الذين وهبوا انفسهم لنصرة الدين وفداء للإسلام وأثمر جهادهم عن فتح الابيض وانتصار شيكان واندحار غردون وتحرير السودان.

ومع ان الإسلام ساد مناطق شمال كردفان وأجزاء من جنوبها منذ القرن السادس عشر

١٩١ـ مصلحة الاحصاء.

R. C. Stevenson, The Nuba Peopleof Kordofan province Graduate College Publications. Monograph 7. U. of Khartoum. Page 32 -- 36.

الميلادى فإن نور الإسلام لم يتمدد ليضىء جيوب متعددة فى منطقة جبال النوبة فى جنوب كردفان الا فى بدايات هذا القرن لاسباب أهمها:ـ

١/ العزلة الجغرافية لهذه المناطق التى ادت الى عزلة حضارية تسببت فى خصوصية العادات والتقاليد واللغة والدين فى المناطق.

٢/ تعرض سكان هذه المنطقة لغارات اصطياد الرقيق منذ قديم الزمان وابان العهد التركى مما جعلهم يحسون بعدم الامن. ويلجأون للسكن فى قمم الجبال مما خلق فجوة حضارية حتى بين سكان الجبال انفسهم.

٣/ المنطقة منطقة طاردة وفقيرة لذا لم تمتد اليها الهجرات العربية والشمالية إلا مؤخرا، مما أخر انتشار الإسلام والثقافة العربية.

الدعوة للنصرانية فى شمال كردفان:
العمل الكنسى قبل المهدية.

كانت الابيض بمثابة نقطة الانطلاق للحركة النصرانية لكل المنطقة لتوسطها وخصوبة أرضها وكثافتها السكانية. واول اتصال معروف بين الإرساليات النصرانية والابيض، بدأ مع زيارة اثنين من القساوسة الكاثوليك للابيض بأمر من الاب دانيال (كمبونى)[١٩٢] مؤسس العمل النصرانى الحديث فى السودان، وقام هذان الأبوان بتأسيس كنيسة ومدرسة كنسية بالابيض فى وقت لم يكن فيها مسيحى واحد ـ ولا نعرف ردود الفعل لذلك ـ ثم ان الاب دانيال كمبونى نفسه قام فى عام ١٨٧٣م بزيارة الابيض حيث قام بتقوية بنيان العمل الكنسى وواكب ذلك صحوة كنسية فى السودان بمجىء غردون باشا حاكما سنة ١٨٧٧ حيث فتح مدرسة للبنين والبنات بالابيض. ومركزا زراعيا فى قرية ملبس من ضواحى الابيض سنة ١٨٧٩م. ولكن كل هذا الجهد ضاع مع قيام الثورة المهدية، حيث تمت مصادرة المؤسسة الكنسية وابطال كل ترويج للنصرانية.

١٩ـ ولد فى ايطاليا عام ١٨٣١ ـ وبعد آن اصبح قسا اختار العمل بالسودان حيث وصل الخرطوم مع جماعة من القساوسة فى عام ١٨٥٨ ـ فذهبوا أولا للجنوب واستقروا هناك فى بحر الغزال بالقرب من شامبى ـ وفى ١٨٧٢ عين مطرانا للسودان وافريقيا الوسطى، حيث فتح مدرسة كنسية صناعية بالخرطوم ثم زار الابيض قبل موته (سبق تعريف كمبونى فى صدر الدراسة) فى ١٩ يونيو ١٨٧٢ وفى ١٨٧٥ وفى ١٨٨١ وبنى بها أفخم كنيسة إفريقية فى ذلك الوقت. كما زار مدينة الدلنج واسس مركزا كنسيا وزارها مرة اخرى فى ١٨٨١.

الدعوة للنصرانية فى جنوب كردفان :

ابتدرت الكنيسة الكاثوليكية العمل فى جبال النوبة وذلك حينما آوى الاب دانيال كمبونى اثنين من القساوسة الى الدلنج حيث قضوا عاما كاملا بين السكان المحليين وتم انشاء كنيسة بالدلنج عملت فيها فتاة من الجبال تم تنصيرها وتدريبها فى روما والقاهرة. وفى يونيو عام ١٨٨١ زار كمبونى الدلنج واقفا بنفسه على مستقبل حركة النصرانية فى منطقة الجبال باعتبار ان الدلنج مدخل لكل المنطقة.

العمل الكنسى فى ظروف المهدية :

لعل مما هيأ الاجواء الثورة المهدى الإسلامية، استشراء التبشير المسيحى فى السودان على يد المبشرين والحكام القادمين من قبل دولة أحفاد محمد على لحكم السودان، اذ نشطت الارساليات المسيحية بمجيء غردون باشا لحكم السودان فى عام ١٨٧٧ وقد اسهم التبشير المسيحى فى استفزاز المسلمين واستجابتهم لنهضة اسلامية كما حدث فى الصومال على عهد مهـدى الصـومال محمد عبدالله الحسن. يهمنا فى هذا المقام ان المواجهة التى حدثت فى الخرطوم فى يونيو عام ١٨٨٥ انها كانت مواجهة بين الصليب والهلال بين المهدى وغردون علماً بأن غردون كان يمثل سلطة الخديوى المسلم. ولعل المهدى حينما جاء من أبا فى هجرته الاولى عبر تقلى لكسب الملك آدم دبالو ـ لاحظ تغلغل التبشير المسيحى حتى فى منطقة جبال النوبة، لذا فان الحركة النصرانية توقف نشاطها تماما فى سنة ١٨٨١ مع اندلاع الثورة المهدية فى كردفان حيث قام المهدى بمصادرة ممتلكات الكنيسة والقى القبض على المبشرين، الذين حاولوا مقاوة الثورة الإسلامية بسلاحهم النارى.

استئناف النشاط التنصيرى :

استأنفت الارساليات التنصيرية عملها فى السودان، بعد سقوط الدولة المهدية واندحار جيش المجاهدين أمام اسلحة الغزاة النارية حيث بدأ عهد الحكم الانجليزى ـ المصرى ابتداء من عام ١٨٩٨، وهذه المرة أخذت الارساليات النصرانية تعمل فى حذر شديد خوفا من ردود الفعل الإسلامية.

استأنفت الكنيسة الكاثوليكية عملها فى جبال النوبة بالدلنج عام ١٩٠٦ ولكن لم يسجل العمل الكنسى فى الديار القريبة العهد بالمهدية اى نجاح كما تم طرد القساوسة الالمان غداة

انـدلاع الحرب العالمية. وفى عام ١٩١٦م توقف النشاط الكاثوليكى بالدلنج بموت آخر قسيس كاثوليكى ولم ترسل الكنيسة الكاثوليكية الى تلك المنطقة قسيسا آخر ويبدو ان فى الامر تنسيقا فقد أخلى الكاثوليك المنطقة لمصلحة الكنيسة الاسقفية والبروتستانتية. حيث بدأت ارسالية السودان الداخلية نشاطها فى جبال النوبة عام ١٩٢٢ فأسست مراكز فى هيبان وعبرى وجعلت لغة التدريب فى مدارسها باللغة المحلية ابتداء من عام ١٩٢٣.

صحوة العمل الكنسى :

توافقت صحوة العمل الكنسى فى مديرية كردفان مع مجىء نيوبولد حاكما لمديرية كردفان فى عام ١٩٣٤م، حيث اسس ست مدارس حكومية بالقرب من مراكز التبشير المسيحى للاستفادة من المبشرين فى التعليم ولربط حركة الشباب المتعلم بالكنيسة، كما باشرت فى هذه الفترة الإرسالية التبشيرية المتحدة العمل وسط قبيلة النيانج اهم واكبر قبائل النوبة بالجبال، كما نشطت الكنيسة الاسقفية فى منطقة الجبال حيث فتحت فى عام ١٩٣٤ نفسه مراكز للتبشير، اشتمل كل مركز على كنيسة ومدرسة فى سلارا وكادوقلى، أبرى، ضيبان، كاتشا كاودا، مورو، تالودى، تبانيا[(١٩٣)]

أما الكنيسة الكاثوليكية فقد ركزت على شمال كردفان، حيث وصلت عام ١٩٤٨ راهبتان للابيض، وأسستا مدرسة بنات وافتتحت المدرسة عام ١٩٤٩م باستيعاب مائة طالبة وفى سنة ١٩٥٣م شيدت الكنيسة الكاثوليكية مبنى جديدا لمدرسة البنين وفى مدينة النهود فتحت الكنيسة روضة وبعض الفصول الاولية[(١٩٤)] وهكذا أخذ العمل الكنسى ينمو حتى أخذ شكله الحالى الذى سنستقصيه مفصلا. والمنطقة الوسطى التى تتبع لمنطقة كادقلى وهذه تتركز فيها المسيحية الآن اذ طبق عليها قانون المناطق المقفولة فى عهد الحكم البريطانى وطرد منها المسلمون الشماليون ـ مما جعلها معزولة عن حزام الإسلام واليوم فإن ٩٠٪ من مسيحى جبال النوبة يتركزون فى هذه المنطقة البالغ عدد سكانها مائتى ألف.[(١٩٥)] أما المنطقة الجنوبية المتاخمة لجنوب السودان فيسود فيها الإسلام.

١٩٣ـ الأب فانتينى، تاريخ المسيحية فى السودان الحديث ص ٢٧٩.

١٩٤ـ المصدر السابق نفسه، ص ٢٨٢.

١٩٥ـ أحمد على سبيل ـ الاثار الاجتماعية والثقافية للهجرة من جبال النوبة الى العاصمة بحث مطبوع بالرونيو ومحفوظ بشعبة البحوث والنشر بالمركز الإسلامى الإفريقى.

العمل الكنسى فى مدينة الابيض(١)
الكنائس :

توجد فى الابيض ثلاث كنائس ضخمة، أكبرها الكنيسة الكاثوليكية ثم الكنيسة الانجيلية ثم الكنيسة الارثوذكسية.

١) الكنيسة الكاثوليكية :

تعتبر الكنيسة الكاثوليكية بالابيض من أبهى وأجمل الكنائس السودانية بل تنافس رصيفاتها الافريقيات. ويقوم بأعباء الكنيسة راهب برتبة مطران. وقد بدأ انشاء هذه الكنيسة فى عام ١٩٦١م ودشنت فى عام ١٩٦٤ وتقع الكنيسة فى حى الابيض الجديدة وهو من ارقى أحياء المدينة واكثرها حيوية اذ يجاور السوق كما تربطه المواصلات بكل أنحاء المدينة. تقع الكنيسة فى مساحة ٢٢٠٠م٢ حيث تحتوى على المعبد بقبابه الخمس وبيوت القساوسة وفصل تعليم الخياطة وورشة صيانة العربات بالاضافة الى مساحة ١٠٠م٢ أعدت موقفا للعربات. وتزدان الكنيسة بحديقة فسيحة.[١٩٦]

يدير الكنيسة المطران مكرم ماكس وهو من منطقة النوبة بشمال السودان ويعاونه ثلاثة من الايطاليين وأربعة راهبات بالاضافة الى عدد من السودانيين منهم نائب المطران ورعاة الكنائس الفرعية فى كل من الدلنج وكادوقلى والابيض بالاضافة الى عشرة عمال نوبة وجنوبيين بجانب عدد من المتطوعين من الشباب المسيحى وقد لجأت الكنيسة مؤخرا لتكثيف عملها (السياسى) حيث زار المطران مكرم ماكس فى يوليو ٨٨ الولايات المتحدة داعيا الغرب الى ايقاف العون العسكرى والاقتصادى عن السودان، حتى يسالم المتمردين ويلغى الشريعة.

تقوم الكنيسة بعدة انشطة اجتماعية وخيرية كمشاركة وزارة الخدمة الاجتماعية فى ادارة ملجأ للايتام، كما تساهم فى حل مشاكل التشرد والجفاف وغيره. بل ان الكنيسة سبقت الاخرين واعدت دراسة عن الجوع فى دارفور وكردفان قبل حدوث المجاعة بعام. وتقدم

١٩٦ـ يتركز العمل الكنسى فى شمال كردفان أساسا فى الابيض ولكن فى الأونة الأخيرة نشطت كنيسة النهود الكاثوليكية فى العمل وسط الجنوبيين الوافدين للنهود وملحق بهذه الكنيسة مدرسة كمبونى من اربعة فصول. كما بدأ العمل الكنسي يتركز فى مناطق الميرم وبابنوسة والمجلد والضعين بمقتفيا اثر التحرك السكانى الجنوبى الناجم عن الحرب.

الكنيسة مساعدات يومية للفقراء والمعوزين الذين يترددون عليها يوميا. وللكنيسة فصل لتعليم الكبار بالتعاون مع المجلس ولها عدة رياض أطفال وفرقة كشافة تبلغ عضويتها خمسين كشافا اغلبهم من المسلمين. للكنيسة كذلك فريق لكرة السلة، اضافة الى اهتماماتها بالتنمية الريفية والتعليم و ٩٠٪ من طالبات فصل الخياطة مسلمات. هذا ويبدو أن أسلوب العمل الكنسى قد تغير نوعا بالنظر الى الملاحظات ادناه.

أ/ تجنبهم القيام منفردين بمشاريع خيرية وحرصهم على اشتراك السلطات المحلية والهيئات الرسمية.

ب/ التركيز على مجال الخدمات ببناء المدارس والفصول والفرق الرياضية لجذب أبناء المسلمين.

جـ/ التعاون مع الهيئات الاجنبية الرسمية كالمعونة الامريكية والمركز الثقافى البريطانى.

د/ محاولتهم ايجاد فرق شبابية منضبطة أشبه بالتنظيمات العسكرية.

١) الكنيسة الارثوذكية (القبطية):

تقع هذه الكنيسة بالقرب من السوق فى مساحة قدرها ٧٥٠ م.م. وهى على درجة عالية من المتانة والجمال. وتحتوى على معهد وبيت للقسيس وآخر للمعلم وبيت للقرابين.

انشطة الكنيسة :

توجد بالكنيسة جمعية خيرية بالاضافة الى مركز للتربية المسيحية يدرس فيها طلبة المدارس على اختلاف مراحلهم التربية المسيحية، والدراسة فيها مختلطة ويضم هذا المركز حوالى ٨٠ دارسا. كما تقوم الكنيسة برعاية نشاط أبناء الطائفة القبطية الذين يقدر عددهم بمائة وثمانين نسمة.

الكنيسية الانجيلية :

كرصيفتيها الاخريين تقع بالقرب من منطقة السوق بالقرب من عدد كبير من المدارس وتبلغ مساحتها ٧٠٠م.م. وتحتوى على معهد ومكتبة وفصل وبهوين. ومع ان هذه الكنيسة هى الرأس المدبر لكل حركة التنصير الانجيلى فى منطقة جبال النوبة، الا انها من ناحية التأسيس والمظهر أفقر من رصيفتيها.

تتبع الكنيسية الطائفة الانجيلية السودانية ورئاستها بالخرطوم (مجمع مشائخ السودان) ولها صلة عضوية بالكنائس الانجيلية فى امريكا والنظام المتبع يقوم على انتخاب هياكل الكنيسة فى كل سنة (نظام برلمانى) على نقيض الكاثوليك.

أنشئت الكنيسة أولا باعتبارها نادياً فى عام ١٩٤٩م على يد المبشر الامريكى روبرت ملاوى لايواء أبناء جبال النوبة الوافدين ثم تصدق لهم بقطعة ارض عام ١٩٥٠ باسم الإرسالية الامريكية حيث حوفظ على النادى زائدا المعبد ثم مدرسة لتعليم الكبار وبعض الانشطة التبشيرية. عمل فى هذه الكنيسة القسيس الاميركى جيمس دير ثم قسيس مصرى (بخيت متى) والقسيس الحالى سودانى (طالبات كومى) يعاونه ثلاثة معلمين مسيحيين.

أنشطة الكنيسة :

بالكنيسة فصل لتعليم الكبار به حوالى ١٥٠ شخصا معظمهم من المسلمين وتدرس التربية المسيحية مساء الخميس بيما يجرى التركيز على اللغة الانجليزية والرياضيات واللغة العربية فى الايام الاخرى. وهناك ايضا فريق للكرة الطائرة ومكتبة ثقافية، وجمعية تسمى جمعية شباب الكنيسة ـ وللكنيسة نشاط منبرى كالندوات والمحاضرات.

ملاحظـــــة :

الكنيسة الانجيلية ذات مرونة ومقدرات تكتيكية فقد عرفت باسم الكنيسة الانجيلية، ومجمع مشايخ السودان، وكنيسة المسيح السودانية. وربما كان ذلك تفاديا لقانون الهيئات التبشيرية الذى يحظر التبشير على الاجانب فأضفت على نفسها سمات سودانية لاكتساب الشرعية الوطنية.

المدارس والاندية التبشيرية بالابيض:

كلية كمبونى :

عبارة عن بناء جميل من طابقين فى مساحة قدرها ٢٥٠٠م.م. وتشتمل على قسم ابتدائى ومتوسط وعالى. وأسست الكلية فى صيف ١٩٤٨م بالقسم الابتدائى ثم المتوسط ثم الثانوى فى عام ١٩٥٣م، تحت مسئولية مطران الابيض. وبالمدرسة اليوم ٦٩٠ طالبا منهم ٤٧٩ طالبا وطالبة مسلمين و ٢١١ مسيحيين. وتقوم المدرسة بتدريس المنهج السودانى الا أن لغة التدريس هى الانجليزية فى القسمين المتوسط والثانوى. وتضم المدرسة ٣٠ معلما ومعلمة منهم عشرون مسلمون.

يدفع طالب القسم الابتدائى رسما شهريا مقداره خمسة جنيهات والمتوسطة ٦ ــ ٩,٥ جنيهات والثانوى ما بين ١٠ ــ ١٥ جنيها وهذا فى بداية عام ١٩٨١/٨٠).

مناشط المدرسة :

بالمدرسة ميدان لكرة اليد والسلة وتنس الطاولة. بالاضافة الى الجرائد الحائطية والمسرح والموسيقى والجمعية الخيرية التى تساعد الطلاب الفقراء (وسيلة تبشيرية ناجحة).

تضم المدرسة فصول لمحو الامية تدرس فيها اللغة العربية والحساب واللغة الانجليزية، وتستوعب ٧٠ دارسا ـ وهناك دورة للطباعة على الآلة الكاتبة تستوعب ٣٠ دارسا وكذلك دورة لتعليم اللغة الفرنسية ومعظم الدارسين من المسلمين.

ملاحظة :

مستويات الطلاب فى اللغة العربية والتربية الإسلامية ضعيفة وأساتذة هذه المواد غير مستقرين اذ يتم استبدالهم بصورة متكررة وبعضهم غير مؤهل لتدريس المادة.

نادى المكتبة القبطية :

يقع فى مساحة قدرها ٢٥٠٠م . م . ويتكون من ثلاث غرف ومطعم وميدان لكرة السلة والطائرة ومكتبة. أنشىء النادى عام ١٩٤٥م وكان وقتها داخل فناءالكنيسة وكانت الكنيسة راعية وممولة ومنظمة لنشاطه وفى عام ١٩٦١ منح النادى قطعة الارض الحالية. هذا واعضاء ادارة النادى هم أعضاء ادارة الكنيسة.

المنـاشـــــــط :

تفتـح مكتبـة النادى ابوابها يوميا من الساعة الخامسة مساء وتقيم الندوات والحفلات الساهرة ـ ويؤم النادى يوميا ما يقارب ٣٥٠ شخصا، ٩٠٪ منهم مسلمون وجزء كبير من الرواد يحضرون بعائلاتهم.

وحسب لوائح النادى، (كما يقول رئيسه: «ممنوع التحدث فى السياسة أو الدين».

العمل الكنسى فى جنوب كردفان

مـدخـــل :

تعتبر منطقة جنوب كردفان منطقة تركيز للدعوة النصرانية وذلك لأن اعداد كبيرة فيها ما تزال تدين بديانات الآباء وعبادة السلف والكجور. كما أن واحدا من مخططات الكنيسة كان يرمى لربط حركة المسيحية فى جنوب السودان بحركة المسيحية فى جنوب كردفان وذلك لتطويق حركة انتشار الإسلام وحصره فى الشمال. لذا فقد عمدت القيادات النصرانية فى بسط حزام من الإرساليات والكنـائس والمـدارس التبشـيرية ونشطت فى مجال الخدمات الصحية والاجتماعية الثقافية وللحقيقة فقد نجحت استراتيجيتها فى تنصير اعداد كبيرة من الناس وحجبهم عن نور الإسلام ولكنهم فشلوا فى حركة تطويق اللغة العربية اذ فرضت اللغة العربية وجودها وأصبحت لسان الجميع، شعبيا ورسميا. ولاستقصاء العمل الكنسى فى الدلنج وكادوقلى وهيبان وعبرى وجلد ودلامى وأم كبر الله والليرى وبابنوسة والمجلد يمكن

تقسيم منطقة الجبال الى ثلاثة أقسام :ـ القسم الشمالى الذى يتبع منطقة الدلنج وفى هذه المنطقة رسخت أقدام العمل الإسلامى وأصبح معظم المواطنين مسلمين باستثناء المناطق التى سنتحدث عنها والمنطقة الوسطى وهى منطقة الحزام المسيحى ويتركز فيها ٩٠٪ من مسيحيى الجبال (كادقلى وما حولها) [(١٩٧)]
المنطقة الثالثة هى المنطقة الجنوبية المتاخمة لجنوب السودان وهنا يسود الإسلام وهذا اثر من آثار مملكة تقلى الإسلامية .

العمل الكنسى فى الدلنج :ـ

مدينة الدلنج من المدن الرئيسية بجنوب كردفان وهى ثانى مدينة من حيث الاهمية فى منطقة الجبال بعد كادوقلى ويربطها شارع معبد مع الابيض سكان المدينة خليط من العرب وقبائل النوبة . رنت أبصار الكنيسة الى الدلنج منذ عام ١٨٧٥م ـ ولكن برغم ذلك ترسخت أقـدام الإسلام فى الدلنج ولا يعدو المسيحيون أن يكونوا أقلية ، وبالدلنج اليوم كنيستان الاولى كاثوليكية والاخرى بروتستانتية .

١/ الكنيسة الكاثوليكية :ـ

تقع فى حي المعاصر فى مساحة قدرها ٢٠٧٥٠ م . م ومبنى الكنيسة ضخم وفخم ويتكون من المعبد بالاضافة الى أربع غرف ومنزل القسيس .
ويسع المصلى أربعمائة كرسى زائدا الاثاثات المكملة من مناضد ومقاعد مريحة وغير ذلك وزين المعبد بلوحات من بينها صورة مبنى الكنيسة فى عام ١٩٧٥م . هذا وقد تم تحول الكنيسـة من مقـرهـا الاول بالقـرب من الجبل الى مقرها الثانى فى الستينات وفى أواخر السبعينات تم تجديد مبنى الكنيسة وتمتلك الكنيسة سيارتين لاندروفر.

١٩٧-المنطقة الثالثة هى المنطقة الجنوبية المتاخمة لجنوب السودان وهنا يسود الإسلام وهذا اثر من آثار مملكة تقلى الإسلامية .

المناشـــط :ـ

يقوم بادارة المناشط قسيس جنوبى تخرج من مدرسة اللاهوت بمدينة واو بعد أن قضى بها تسع سنوات. ويتركز النشاط فى الاحياء الفقيرة مثل حى الحلة الجديدة، والطرق، وصنقعت والتـومـات، والقوز حيث يتم-توزيع الملابس المستعملة التى ترد من الخارج. بالكنيسة فصل لتعليم الكبار وفصل للخياطة وروضة (٢٠ طفلا وطفلة) ويدير العمل أربع من الممرضات وعلى الرغم من توافر مجموعة مؤهلة ومدربة والمعدات الحديثة، فان الاقبال ضعيف مقارنا بالامكانات المتاحة.

تملك الكنيسة ثلاثة جرارات زراعية ومشروعا زراعيا كاملا تعمل فيه الجرارات كما تقوم بحرث أراضى الاهالى وهناك اقبال كبير على استخدام هذه الجرارات حتى اضطرت ادارة الكنيسـة الى وضع اسبقيات للعمل كما تبرعت الكنيسة للمدرسة الثانوية العليا للبنات •بمبلغ عشرة آلاف جنيه ولمعهـد تدريب المعلمين بعشرة آلاف أخرى كما وتدعم الكنيسة تعليم سبعـة عشر طالبـا جنـوبيا كاثـوليكيا بمعهـد الـتربية كى يتخرجوا اساتذة للتربية المسيحية. كذلك تبرعت الكنيسة ببناء غرفة كبيرة للاطفال فى المستشفى وتشرف الكنيسة على جلب وتوزيع البطاطين وبعض الاغذية كاللبن والادوية وللكنيسة علاقات مع منظمة سودان ايد الكاثوليكية ومنظمة African Cross Road ومن الواضح أنه لولا هذا الجهد الكبير لما كان للمسيحية شأن يذكر فى الدلنج ولكن برغم ذلك فأن ثمرة هذا الجهد ضئيلة.

٢/ الكنيسة البروتستانتية :ـ

تقع فى حى الشرطة جوار مكتب الشباب والرياضة، وهو من أحياء الدلنج الراقية، تبلغ مساحة الكنيسة ٧٠٠م. م. وتتكون من سور كبير من الشوك ومصلى من المواد الثابتة وبيت للقسيس من القش.

مناشط الكنيسة :ـ

تهتم هذه الكنيسة بالشباب وتركز على المداخل الناعمة حيث يوجد مثلا فريق نسائى للكرة الطائرة مما يؤدى الى جذب الشباب والشابات واختلاطهم وهناك فصل تقوية للغة الانجليزية وفصل لمحو الامية وروضة اطفال ويقود هذه الانشطة قسيس من أبناء الجبال

دعمته الكنيسة بعربة لاندروفر لتوفر له حرية الحركة، ويضم سور الكنيسة مزرعة صغيرة بداخله.

منطقة الدلنج :-
مجلس ريفى دلامى وعبرى :-
مدينة دلامى :-

تعتبر مدينة دلامى رئاسة الكواليب، وهى من قبائل جبال النوبة المسيحية يقوم فى دلامى المجلس الريفى برئاسة ضابط ادارى ومؤسسات تعليمية تشمل مدرستين متوسطتين - بنين وبنات - وثلاث مدارس ابتدائية ومستوصفا ومركزا للشرطة ووحدة للسجون ووحدة بيطرية بالاضافة الى مضخة مياه وهناك مسجد للمدينة مبنى بالمواد الثابتة ويقدر عدد سكان البلدة بتسع آلاف نسمة. معظمهم من الكواليب والبقية خليط من العرب والحوازمة والتجار الشماليين (الجلابة) ويبلغ مجموع سكان ريفى دلامى ٢٣ ألف نسمة حسب أحصاء سنة ١٩٨٣م - منهم ستة آلاف بقرية عبرى.

تعتبر دلامى مركزا لانطلاق وادارة العمل التنصيرى فى المنطقة الريفية الخلفية، وتوجد فى دلامى كنيستان انجيليتان. وهما كنيسة دلامى الانجيلية وكنيسة كدبر الانجيلية والكنيستان مبنيتان من المواد المحلية (الطين والقش).

ولكل كنيسة مبشر متفرغ تقوم ادارة الكنيستين بنشاط يمتد اثره الى المؤسسات التعليمية الموجودة وعلى المسلمين والوثنيين. فمثلا تقوم كنيسة كدبر بتعليم طالبات المدرسة الابتدائية المسيحية، حيث لا يوجد معلم لا للتربية المسيحية ولا للتربية الإسلامية

استطاعت الكنيسة هنا، تنصير عدد من المسلمين الشباب، اذ وجدنا حالة تنصير لاثنين من طلبة الثانوى العالى (بنت وولد) وفى عام ١٩٨٣م اتخذت الكنيستان اسلوبا جديداً للدعوة المسيحية، يتناسب وبيئة الجبال اذ تجهز الكنيستان بعض المسيحيين المختارين للقيام بجولات ميدانية يحملون معهم الغذاء والنقارة للطواف بالقرى والارياف فيلتف حولهم الناس ويسمعوا كلمة المسيح كما يقولون.

تسجل الكنائس فى هذه المنطقة - الريفية - تفوقا وحضورا على الوجود الإسلامى، اذ بينما يوجد فى كل المنطقة مسجدان ومعهد دينى أوسط - هو (معهد كرتالة) نجد عدد الكنائس حسب الاحصائية الرسمية يصل الى أربعين كنيسة ريفية. وبناء الكنائس متنامى ومتزايد - ولكل من هذه الكنائس مبشر وعدد من الكتب الدينية والاناجيل المترجمة الى لهجة الكواليب.

منطقة عبرى :-

عبرى قرية تابعة لريفى دلامى وبها مجلس شعبى وثلاث مدارس ومركز بوليس ومصحة - ومثلها مثل دلامى ، فسكانها من الكواليب مع قليل من أفراد القبائل الاخرى (والجلابة) يبلغ تعداد أهل البلدة حوالى ستة آلاف نسمة معظمهم من المسيحيين . ويتبع لمجلس شعبى عبرى عدة قرى صغيرة الا أن عدد المسلمين أكبر من المسيحيين فيها .

توجد فى منطقة عبرى خمس عشرة كنيسة كلها انجيلية مبنية من المواد المحلية وبكل كنيسة مبشر ، ويرأس هؤلاء المبشرين مبشر كنيسة عبرى ، ويسمى رئيس الشيوخ وفى بعض هذه الكنائس لايمنح المبشر راتبا معينا وانما يعتمد على الهبات والتبرعات وأوقاف الكنيسة ان وجدت . وبعض هؤلاء المبشرين تلقوا تدريبا لا بأس به على الارشاد الكنسى وأساليب التنصير . ويوجد فى معظم هذه الكنائس مثلها - كما فى دلامى - نسخ من الانجيل والكتب الدينية الاخرى المترجمة الى لهجة الكواليب .

النشـــاط :-

تقوم الكنيسة الانجيلية بتجميع المبشرين والوعاظ سنويا فى عبرى فى دورات تنشيطية ، يناقشون فيها مسار حركة التنصير ويجيزون خططا ، كما يتم تدريب العناصر غير المدربة فى دورات قصيرة لا تزيد عن الاسبوع ، يدرس فيها مجموعة من المبشرين المؤهلين . وبعضهم يرسل الى دورات طويلة فمثلا أحدهم منتدب فى بعثة لاهوتية الى نيجيريا لمدة خمس سنوات .

يوجد فى المنطقة نشاط للكنيسة القبطية الارثوذكسية ، حيث يجوب أحد الاقباط المنطقة بأفلام تلصيرية .

هناك تركيز على تنصير المرأة حيث اتضح لنا أن مدير مدرسة البنات الوحيدة مسيحى وكذلك وكيله . وقد لاحظنا أنه فى بداية تسجيل الطلبة للقبول تتساوى نسب المسلمين والمسيحيين أو تكون متقاربة ولكن كلما تقدمت الدراسة زاد عدد المسيحيين على المسلمين وربما كان مرد ذلك الى :-

١ / وجود معلم التربية المسيحية وغياب معلم التربية الإسلامية .

٢ / وفرة الكنائس واغراءاتها .

٣/ صعوبة منهج اللغة العربية والتربية الإسلامية مقارنة بالتربية المسيحية .

٤/ تركيز المبشرين على العمل النسائى، والاختلاط والرقص فى الكنيسة أوجد وفرة فى النساء المسيحيات وهؤلاء بدورهن أصبحن يشكلن جزءاً كبيرا من حركة الضغط على الشباب ليتنصروا - وهناك عدد من المسلمين المتزوجين بمسيحيات وعدد من المسيحيين المتزوجين بمسلمات وهناك حالات كثيرة لشباب مسلم تنصر فى سبيل ارضاء زوجته أو طمعا فى زواج مسيحية. والمسيحيات فى أغلب الحالات اكثر مالا وتحضرا بلغة العصر ونظافة وتعليما.

٥/ فى المدارس عدد من التلاميذ الوثنيين غالبا ما يختارون دراسة التربية المسيحية خوفا من سوط معلم التربية الإسلامية ان وجد وخوفا من حفظ (لم يكن - السورة -) لأن مايدرس من مادة التربية المسيحية لايعدو الأناشيد والنجاح فيها مضمون.

٦/ نشاط الكنيسة الاقتصادى يجذب اليها المزارعين، اذ تنظم مزارع تعاونية يباع محصولها ويستفاد منه جماعيا فى الاعاشة والضيافة والتوزيع على المساكين، كما يبيعون بعض المواد الغذائية كاللبن وغيره والتى تصل من هيئات الاغاثة وكنيسة الدلنج باسعار رمزية.

٧/ للكنيسة مبادرات ثقافية، فلها ندوة كل يوم أربعاء وترانيم وابتهالات وسينما متجولة كل يوم أحد مما يكسر من حدة روتين البيئة الريفية.

كنائس منطقة عبرى :-

١) كنيسة عبرى الانجيلية.
٢) كنيسة عبرى البروتستانتية.
٣) كنيسة سبات فى ديرى انجيلية.
٤) كنيسة ديرى كاكا انجيلية.
٥) كنيسة أميرى عينبر انجيلة
٦) كنيسة كورتجا انجيلية.
٧) كنيسة ارتقل انجيلية.
٨) كنيسة اندونا انجيلية.
٩) كنيسة كيرو انجيلية.
١٠) كنيسة حلة عوض.
١١) كنيسة مشيشايا (القتى) انجيلية.
١٢) كنيسة أبو قورى انجيلية.

١٣) كنيسة جكـــر أبو قورى انجيلية.
١٤) كيسة كرتقولا انجيلية.
١٥) كنيسة البطحة.

العمل الكنسى فى كادوقلى :-

مدينة كادوقلى هى عاصمة جنوب كردفان ومركز الثقل السياسى والادارى، وتقدم فيها كنيسة كاثوليكية.

الكنيسة الكاثوليكية بكادوقلى :-

تقع الكنيسة الكاثوليكية شرق سوق كادوقلى وسط مجموعة من مبانى الادارات الحكومية فى مواجهة مركز البوليس. مساحة الكنيسة ١٥٠٠م.م. وتشمل المعبد وهو بناء ضخم يسع مائتى شخص. بالاضافة الى غرفة كبيره متخذه روضة للاطفال ومنزل للقسيس وآخر للراهبات. وبالكنيسة ثلاث عربات لاندروفر ومولد كهربائى - والكنيسة محلاة بالصلبان والتماثيل والصور فى داخلها وبالزهور والرياحين فى الخارج.

المناشط :-

بالكنيسة ثلاثة قساوسة، اثنان منهم ايطاليان والثالث سودانى من ابناء الجبال، اضافة الى ثلاث راهبات احداهن ايطالية قضت فى السودان قرابة الاربعين عاما، وتتكلم العربية بطلاقة. هذا بالاضافة الى عدد من العمال ولجنة عمل مسيحية تطوعية يتكون مكتبها التنفيذى من اثنى عشر شخصا من أبناء الجبال ومعظمهم أرسلته الكنيسة لدورات تبشيرية خارج السودان. وهؤلاء جزء من الجيل الذى بدأت الكنيسة فى اعداده منذ الآن لتولى العمل الكنسى فى عام ٢٠٠٠م ويعمل هؤلاء الشباب بمختلف الوسائل لجذب أبناء الجبال للنصرانية عن طريق الخطاب الفردى والجماعى والرحلات التبشيرية والطواف بالمناطق النائية والمساعدات الاجتماعية والثقافية، كما أن تواضعهم ومخاطبتهم للمواطن العادى ومخالطتهم لهم من العوامل المشجعة للتنصير - وللكنيسة مخطط لجذب الشسباب. يلتقى الشباب من الجنسين خيث يتعارفون فى اطار الكنيسة بالاضافة الى المنح الدراسية والبعثات الخارجية والداخلية. وكذلك هناك الجرائد الحائطية والافلام السينمائية والاحتفالات فى المناسبات

الدينية.

للكنيسة صندوق خيرى يساهم فى اعانة المحتاجين وتوزيع المواد الغذائية وغيرها. كما تساهم الكنيسة فى عقد الزيجات بين الذين يتعارفون من الشباب فى اطارها كما تجذب الذين يتزاوجون بالطرق التقليدية لتوثيق زواجهم فى الكنيسة.

ويقوم بعلاج المرضى طبيب فى الكنيسة وتوفر SUDAN AID الدواء وكذلك تضم الكنيسة مدرسة لمحو الامية يرتادها مائتان طالب من مختلف الاعمار والاجناس وثلاثة من مدرسى المدرسة مسلمون وهناك فصل لتقوية طلبة المدارس وتأهيلهم لاداء امتحانات المراحل الدراسية بالروضة ٣٠ طالبا وطالبة مسيحية بعد أن أوقفت السلطات الروضة الكبيرة التى كانت تضم اطفالا مسلمين ومسيحيين. وتقوم بالتدريس الراهبات اللائى وهبن انفسهن لخدمة النصرانية.

وبالكنيسة فصل للخياطة لتعليم الفتيات فنون الخياطة المختلفة به خمسة وعشرون دارسة معظمهن من طالبات المدارس، ويحضرن مرة فى الاسبوع وتشمل ميزانية الكنيسة على فصلين، فصل يختص بنفقات تسيير الكنيسة (الادارة والاثاثات والعربات) وفصل يختص بالانفاق على النشاط التنصيرى ويقوم الفاتيكان بالتمويل عن طريق القاصدية الرسولية بالخرطوم من خلال التسلسل الهرمى لادارة الكنيسة الكاثوليكية السودانية.

العمل الكنسى فى جنوب كادوقلى :-

تعتبر مناطق (ام دورين، البرام، هيبان) عمق المنطقة الوسطى فى جبال النوبة وتتميز بسهولها الواسعة وتربتها الخصبة ومواشيها وأغنامها وقد ركزت الادارة البريطانية والمنظمات التنصيرية على هذه المنطقة، فسرى فيها قانون المناطق المقفولة الذى ابتدعه الحكام الانجليز لمحاربة الثقافة العربية الإسلامية والحد من ذيوعها فى هذه المنطقة من أجل ترسيخ النصرانية وطمعا فى اخضاعها لنفوذ الكنائس وسيطرتها، وأملا فى ربطها بحزام الكنائس فى جنوب السودان. وجاء الاختيار المتصبر وقد اختارت الادارة البريطانية والكنائس هذه المنطقة نظرا الى أنها تضم القبائل الاكثر عددا كقبيلة المورو والتيرا واطورو، كما أن هذه المنطقة تمازج حضارى بين شعوب جبال النوبة... لذا فلا عجب أن وجدنا أن ٩٠٪ من مسيحى الجبال يقطنون هذه المنطقة.(١٩٨)

١٩٨- أحمد على سبيل، الآثار الاجتماعية والثقافية للهجرة من جبال النوبة الى العاصمة، ص ٣.

وقع الاختيار على دراسة قرى أم جبر الله، مجلس شعبى اندولو وأم دورين ومجلس ريفى هيبان.

العمل الكنسى فى أم جبر الله :-

تمثل أم جبر الله مجموعة من القرى المتراصة وتقع الى الجنوب الشرقى من كادوقلى (عاصمة مديرية جنوب كردفان) وتبعد عنها نحو اربعين ميلا وعدد سكان أم جبر الله ما بين خمس الى ثمانية آلاف نسمة، معظمهم من المورو. وهناك عدد من التجار الشماليين وتبلغ نسبة المسلمين حوالى ١٠٪ والوثنيين حوالى ٤٥٪ والمسيحيين ٤٥٪ من جملة سكان المنطقة. المهنة الغالبة فى المنطقة هى الزراعة كما يملك المواطنون أعدادا كبيرة من الماشية وبالقرية مدرسة ابتدائية حتى الصف الرابع ومصحة صغيرة. هى كل ما يمثل الدولة بينما تدير الهيئات التبشيرية سبع كنائس.

وتباشر كنائس القرية السبع التى سلف ذكرها مناشط تعليمية واجتماعية ودينية على النحو التالى :-

١) الكنيسة الاسقفية وهى مبنية بالطين والقش ورئاستها فى اندولو. أسست فى أوائل السبعينات. ويشرف عليها أحد أبناء المنطقة ويدعى ابراهيم القرنتى.
٢) كنيسة أم ضرام الاسقفية. مبنية من الطين والقش وتتبع كنيسة العتمور. ومبشرها يدعى عثمان مالنجا (مرقص) ويعود انشاؤها الى السبعينات.
٣) كنيسة الليو الانجيلية مبنية من المواد المحلية (طين وقش) واسم قسيسها بطرس ستابا من أبناء المورو واسست فى الستينات.
٤) كنيسة أم انجبار الاسقفية وهى كنيسة أنشئت حديثا فى الثمانينات واسم مبشرها سليمان كمك ورئاستها فى اندولو.
٥) كنيسة طبلانق الانجيلية.
٦) كنيسة شيخ الحمادى الانجيلية.
٧) كنيسة شيخ الحمادى الكاثوليكية.

المناشـــــط :-

تكاد تكون مناشط هذه الكنائس مشابهة للادوار التى فصلناها لنظائرها اذ تقوم بتجميع

المواطنين كل يوم أحد وتقيم لهم الطقوس التعبدية كما تقيم مهرجانات واحتفالات للشباب والنساء والاطفال فى المناسبات حيث تضرب النقارة ويتم الاختلاط والرقص. كما توجد جمعية تعاونية كنسية تخصص جزءا من محصولها لصالح الكنائس. كما يقوم المبشرون والمسيحيون الاكثر التزاما بالطواف على منازل الوثنيين للدعوة للنصرانية خصوصا فى أيام الاحد فى طريق العودة من الكنيسة. وبرغم ذلك فان رئيس المجلس الشعبى مسلم ومعلم المدرسة الابتدائية الوحيد مسلم.

العمل الكنسى فى قرية أم دورين :-

تتكون أم دورين من حوالى ستة وعشرين مجلسا وقرية، وتقع بالقرب من أم جبر الله ويقارب سكان هذه القرى السبعين ألف نسمة أغلبهم من المورو بالاضافة الى التيرة والعربـ. وبالمنطقة ثلاث مدارس، واحدة بنينوواحدة بنات ومدرسة متوسطة بنين. ويعمل فى المدرسة المتوسطة سبعة معلمين من بينهم معلم التربية المسيحية والمدير وهو مسيحى.

يمثل المسيحيون أكثر من ٥٠٪ من المواطنين ورئيس المجلس الريفى مسيحى بينما قد تصل نسبة المسلمين الى ٢٠٪ وفى المنطقة سبع كنائس من بينها اثنتان بالقرية الام وخمس بالارياف وهى :-

١) كنيسة أم دورين الانجيلية ويديرها مبشر متطوع ولكنه يتلقى اعانة من ا لرئاسة بكنيسة ابو ليلة.
٢) كنيسة قصر الحجر الكاثوليكية.
٣) كنيسة الليو الارثوذكية.
٤) كنيسة ام غربان الانجيلية.
٥) كنيسة أم غربات الانجيلية.
٦) كنيسة أبو ليلة الانجيلية.
٧) كنيسة القردود التمر الانجيلية.

المناشـــــط :-

تقوم بنشاط دينى مشابه لما ذكر من اقامة الطقوس يوم الاحد والمهرجانات وتوزيع الاغذية. ومما يلفت النظر فى المنطقة ظاهرة زواج المسلمين بالوثنيات حيث ينتقلن معهم الى الإسلام ولا يحدث عكس ذلك ولا تخلو المنطقة من نوع من التوتر بين المسيحيين حول توزيع

الاراضى الزراعية.

النشاط الإســـلامى :-

ومع وجود بعض المسلمين المنتمين الى الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والبرهانية فإن المنطقة تخلو من أى نشاط دينى أو إرشاد أو حتى وعظ. هناك مسجد فى أم دورين وخلوة مهجورة. . ويتطلع المسلمون الى بناء مركز إسلامى فى منطقتهم من قبل احدى الدول الإسلامية.

مجلس شعبى اندولـــو :-

وهو كذلك منطقة من مناطق المورو - واندولو فى حد ذاتها قرية صغيرة لايتجاوز سكانها الخمسمائة نسمة، ٦٠٪ منها مسيحيون و ٣٠٪ مسلمون و ١٠٪ وثنيون - ومعظم المسلمين من العرب.

هناك مسجد باندولو وامامه احمد مطر وهو رئيس المجلس الشعبى والطابع العام لاندولو طابع كنسى حيث يحيى الناس بعضهم بعضا بتحايا المسيحيين ويرددون شعارات الكنيسة التى يحفظونها عن ظهر قلب (المجد لله فى الاعالى وعلى الارض السلام وبالناس المسرة). وينطبق هذا حتى على الاطفال والنساء.

تشتمل المنطقة على سبعة كنائس ثلاثة منها انجيلية وثلاث اسقفية وواحدة كاثوليكية ومسجد واحد وكلها مبنية بالمواد المحلية وثمة خطة لبناء أخدى الكنائس بالمواد الثابتة حيث تم تجهيز الطوب والزنك فى تلك المنطقة النائية مما يعطى فكرة عن امكانات العمل التبشيرى. ولكل كنيسة مبشر متفرغ. كما تقوم هذه الكنائس بتقديم بعض المساعدات وتوزيع الاغذية على المواطنين وحتى امام المسجد يصله العون الكنسى، كما يشرف على اقامة الرقصات والتجمعات الشعبية ومعظم هذا النشاط تقوم به الكنائس الاسقفية والكاثوليكية.

صراع الإسلام والنصرانية :-

وجدنا ثلاثة من طلاب المرحلة المتوسطة المسلمين تنصروا لتفضيلهم اسلوب التحرر والاختلاط مع البنات الذى تمارسه الكنيسة، كما وجدنا ثلاثة مسيحيين أسلموا لاعجابهم

بالإسلام (هذا فى عام ١٩٨٣م).

قـرية الرقيـــقى :-

تقع بالقرب من ا ندولو وسكانها ثلثمائة من بينهم اربعة مسلمون فقط والقرية طابعها كنسى بدءا بمدخلها الذى يتمثل فى بوابة على شكل صليب، كما وتزخر شوارع وبيوت القرية بخنازير كثيرة، وتضم القرية الكنائس الاتية :-

١) كنيسة الرقيقى مورو الانجيلية.

٢) الكنيسة الكاثوليكية (مبنية بالطوب الاحمر).

٣) كنيسة الاسقفية.

٤) الكنيسة القبطية - وهى مشيدة فى أعلى الجبل.

هذا وتخلو قرية الـرقيقى من أى مسجـد علما بأن كل هذه الكنـائس مؤسسة بصورة مرضية. أما الكنيسة الكاثوليكية فأنها تضم روضة للاطفال ومزرعة تعاونية. وتلقى مبشر الكنيسة الكاثوليكية تعليمه فى ايطاليا وتقيم الكنائس نقارة (مهرجان شعبى) فى كل يوم أحد وهو يوم الارشاد، كما تنظم الكنائس الشباب فى قوافل تطوف على الوثنيين وغيرهم واحيانا تستمر هذه القوافل لمدة أسبوعين.

وتقوم هذه الكنائس فيما بينها بتنسيق نشاطها اذ لكل كنيسة دائرة نفوذ ورئاسة لاتنافسها فيهـا غيرهـا، الرئاسة الانجيلية مثلا فى الكركرايا والاسقفية فى اندولو والقبطية فى أجرم والكاثوليكية فى الرقيقى.

الكركرايا (البيـــر) :-

قرية صغيرة تابعة لمجلس اندولو وسكانها حوالى اربعمائة نسمة، ٧٠٪ منهم مسيحيون بينـما لايتجاوز المسلمون ١٠٪ والوثنيون يشكلون البقية. وكغيرها من قرى حزام منطقة اندولو فان غالبية السكان من المورو والعرب والسيادة فى كركرايا للمسيحيين فرئيس المجلس الشعبى مسيحى وكذلك معظم أعضاء المجلس واستاذ التربية المسيحية بالمدرسة الابتدائية الوحيدة.

بالقرية كنيستان ومسجد وبنيت احدى الكنيستين بالزنك والاخرى بالمواد المحلية أما المسجد فبناؤه من المواد المحلية. والكنائس هى :-

١) الكنيسة الانجيلية بكركرايا مبنية من الزنك وملحق بها روضة تضم ٥٠ طفلا .
٢) الكنيسة الاسقفية وهى مبنية من الطين والقش .

المناشـــط :-

تمارس هذه الكنائس النشاط الذى تمارسه مثيلاتها فى اندولو ومنطقة المورو عامة ، وقد نجح المسيحيون هنا فى جذب النساء ، حتى البنات المسلمات يذهبن للكنيسة ويشعرن بأن الكنيسة جزء هام من حركة الحياة وفى القرية خلوة صغيرة بها ١٣ طالب وهؤلاء أنفسهم لا يمانعون فى التردد على الكنيسة - وينتمى مسلمو القرية أسميا للقادرية والاسماعيلية «ونوباتهم» اى طبولهم تجذب الناس ولكن ليس هناك جهد فعال لاستقطاب الذين تجذبهم الطبول .

قرية اللويـــا :-

وهى كذلك قرية صغيرة من حزام اندولو - وسكانها لايتجاوزون مائتى شخص اغلبهم من المورو ثم العرب . ٦٠٪ من سكان القرية مسيحيون وحوالى ٣٥٪ وثنيون ولايتجاوز المسلمون الـ ٥٪ .

بالقرية جامع مبنى من القش ليس له امام وليست هناك خلوة وبالقرية ثلاث كنائس هى :-
١) كنيسة اللويا الانجيلية وبناؤها طين وقش .
٢) كنيسة اللويا الاسقفية وهى مبنية من الطين والقش .
٣) كنيسة اللويا البروتستانتية مبنية من الطين والقش .
ولكل كنيسة مبشر متفرغ ، يقوم بكل مناشط الكنيسة ويقدم النصح والارشاد الكنسى والدنيوى - والمسيحيون فى هذه المنطقة هم الاكثر وعيا ومالا وغالبا مايزورهم كبار القساوسة من الخرطوم .

خلاصـــــة :-

من ناحية عامة يتميز نفوذ الكنيسة ونشاطها فى المنطقة الوسطى بالتنامى والاتساع بينما يتحرك الإسلام بوسائل بدائية واساليب تجاوزها الزمن وبغير جهد منظم اللهم الا بدايات

عمل منظمة الدعوة الإسلامية التى أسست فى العاصمة كادوقلى ومايزال ينتظرها الكثير لتنطلق الى الريف.

هذا واكثر ماتخشاه الكنائس انفتاح هذه المنطقة على السودان وشيوع التعليم الحكومى فيها ودخول وسائل الاتصال الحديثة والاعلام ولذلك تحرص على جو العزلة والتخلف، وهناك مايفيد أن التوتر الامنى الذى تشهده المنطقة انما مرده لهذه الاسباب، اذا أن حركة المتمردين تهدف الى قطع الاتصال الثقافى والتجلوب النفسى وعزل المنطقة عن بقية أنحاء البلاد.

ان السكان المسلمين فى هذه المنطقة، يحسون بأن هناك امراً يدبر ضدهم وضد أمن البلاد، وما من قرية من قرى هذه المنطقة الا ونكبت باختطاف أحد أبنائها المسلمين بينما المسيحيون ينصرفون الى أعمالهم فى طمأنينة، بل شاع أن قسيس الكنيسة الارثوذكسية فى الرقيقى اختطف من كنيسته فى ١٩٨١/٦/٩م ولم يظهر له أثر حتى اليوم لرفضه المشاركة فى مخطط التصفية الدموية للمسلمين وقد ظهرت آثار هذا المخطط بصورة واضحة فى منطقة الليرى التى دخلها المسلحون من اتباع مايسمى بجيش حركة تحرير السودان وتجلت أخيرا كذلك فى مأساة القردود التى قتل فيها ما لايقل عن ١٦٩ شخصا معظمهم من العرب والنوبة المسلمين.

ان سكان المنطقة يتكلمون عن طائرات عمودية تهبط وتقلع ويتكلمون عن عصابات يقودها أبناء المنطقة ويسمونهم بأسمائهم، ويعملون فى اغراء المواطنين على الذهاب الى اثيوبيا والالتحاق بجيش حركة التحرير الشعبى الذى يقوده من أبناء الجبال يوسف كوه وغيره - هذا وتوزع الجبهة أحيانا المنشورات المعادية لارهاب المسلمين وتخويفهم

ان المسلم فى هذه المنطقة يفتقد الامن على حياته وممتلكاته ويفتقر الى الدعوة الإسلامية التى تجدد دينه ونشاطه فى وسط شبكة من الكنائس اما الكنائس التى لم يتم تسجيل زيارات ميدانية لها فى المنطقة فهى :-

١) كنيسة ادليا الكاثوليكية - تأسست عام ١٩٧٣ ورئيسها المطران المعروف مكرم ماكس.
٢) كنيسة تلودى التابعة للمنطقة الشرقية.
٣) كنيسة طبولى الانجيلية
٤) كنيسة فرندله الانجيلية.
٥) كنيسة لادومورو الانجيلية.
٦) كنيسة توكرنجو الكاثوليكية.
٧) كنيسة الرملة الكاثوليكية.
٨) كنيسة الرملة الانجيلية.
٩) كنيسة دليبايا الكاثوليكية.

١٠) كنيسة حرف الجاموس (امدروبت) الانجيلية.
١١) كنيسة حرف الجاموس الكاثوليكية.
١٢) كنيسة الترعة الانجيلية.
١٣) كنيسة كوراراق الانجيلية.
١٤) كنيسة كوراراق الانجيلية (ثلاث كنائس انجيلية مختلفة).
١٥) كنيسة كوراراق الانجيلية.
١٦) كنيسة تلودى الكاثوليكية القديمة.
١٧) كنيسة تلودى الكاثوليكية الجديدة.
١٨) كنيسة تلودى الانجيلية.
١٩) كنيسة القردود الانجيلية (تابعة لتلودى).
٢٠) كنيسة القوز الانجيلية.
٢١) كنيسة تماروكو الكاثوليكية - ريفى برام.
٢٢) كنيسة طبانيا - ريفى برام.
٢٣) كنيسة الطار الانجيلية - ريفى برام.
٢٤) كنيسة طروجى الكاثوليكية - ريفى برام.
٢٥) كنيسة العتمور الاسقفية ريفى أم دورين.
٢٦) كنيسة العتمور الانجيلية ريفى أم دورين.
٢٧) كنيسة النفزة الانجيلية ريفى أم دورين.
٢٨) كنيسة انجيلية بالقرب من النفزة ريفى أم دورين.
٢٩) كنيسة أم سردية الانجيلية ريفى أم دورين.
٣٠) كنيسة أم غربان الانجيلية.
٣١) ارسالية ابليلة (ثلاث كنائس).
٣٢) كنيسة ماردوة القبطية.

قرية الهبيـــك :-

تقع هذه القرية التابعة لريفى كادوقلى ما بين كادوقلى وهبيبان و ٩٠٪ من سكانها من المسيحيين والبقية خليط من المسلمين ووثنيين وتوجد فى هذه القرية كنائس ثلاث منها اثنتان انجيليتان وواحدة اسقفية وأنشئت الاخيرة فى عام ١٩٧٨م بينما أنشأ الكنيستين الانجليتين

مبشر نوبى اسمه كودى بشير ولقبه الكنسى اندرواس، فى الستينات. والكنائس الانجيلية مبنية من الزنك أما الاسقفية بناؤها واثاثها من المواد المحلية وليس فى القرية جامع أو مصلى أو حتى خلوة.

تضم الكنيسة الانجيلية روضة بها ٥٠ طفلا مسيحيا وللكنيسة صندوق اشتراكات تجمع فيه التبرعات من أعضاء الكنيسة. وللكنيسة جمعية زراعية تعاونية وملحق بالكنيسة مخزنان وبها شخص مسئول عن الخدمات ويزور المبشرون الاوربيون هذه الكنائس باستمرار وكغيرها من مناطق الجبال، تجد ظواهر ارتداد بعض شباب المسلمين وتنصيرهم، بفعل الاختلاط والمعسكرات الشبابية والاغراءات الاخرى وأهم من ذلك ان المسلم لايجد من يذكره بدينه ويدعوه للتمسك به.

قرية المجذومين الجكمة :-

هى قرية كبيرة بها مستشفى والواقع أن القرية والمستشفى شىء واحد يكمل بعضها بعضا، اذ كل سكان القرية من المجذومين.
أسس المستشفى فى عام ١٩٦٢م وكان يديره مسئول من قبل مجلس الكنائس العالمى.
ويوجد بالمستشفى الآن ممرضان مسلمان ومساعد طبى مسلم.
و ٥٠٪ من سكان القرية مسيحيون ووثنيون وبالقرية مسجد - هذا ويولد الاطفال وبهم تشوهات وعاهات كالصمم وغيره ويمكن أن يسلم كل سكان القرية اذا وجدوا من يرشدهم، وقد حدث فى احدى المحاولات أن أسلم ٥٧ من جملة سكان حى الرطرط البالغ عددهم ٦١ شخصا علي يد امام المسجد بالقرية ولكن ارتد ٤٨ منهم لمعاودة الكنيسة اغراءهم وبجانب كنيسة الجكمة توجد ثلاث كنائس انجيلية أخرى فى منطقة السوق (سوق الرملة) هذا ويتردد مسئول كبير بمجلس الكنائس العالمى على القرية ومعه عدد من معاونيه. وبالقرية مطار صغير أنشأته الكنيسة يستقبل مختلف أنواع الطائرات.

العمل المسيحى فى هيبان :-

مجلس ريفى هيبان يضم ثلاثة وثلاثين قرية وهو واحد من مجالس أربعة تكون المنطقة الوسطى من جبال النوبة وهى: دلامى، البرام، هيبان، وأم دورين وتقطن فى منطقة هيبان أساساً قبيلة الليرة بالاضافة الى قبيلة المورو والتيرا.

وقد ركزت الادارة البريطانية أقدام التبشير المسيحى فى هذه المنطقة ونفذت فيه قانون المناطق المقفولة منذ عام ١٩٠٦م، كما تم طرد الداعية الإسلامى الشيخ محمد البرناوى من هيبان وطلب اليه عدم المرور أو الاقامة بها.[١٩٩]

كان الهدف من تطبيق قانون المناطق المقفولة اقصاء الدين الإسلامى من المنطقة وذلك بطرد رموزه من تجار مسلمين وترحيل الجماعات المسلمة الى منطقة تقلى وحصر التجارة وأمور الحكومة والحياة فى السلطة الاستعمارية وممثلى الكنائس والتجار السوريين واليونانيين، كما قامت المدارس التبشيرية باستخدام اللهجات المحلية لغة للتدريس بدلا من العربية، كما تم فى مرحلة متأخرة ترجمة الانجيل الى اللهجات المحلية، وعمد الانجليز الى تعليم صفوة من ابناء هذه المنطقة ليكونوا رسلا للحضارة المسيحية والحياة الغربية بعد رحيلهم، بينما تركوا الاغلبية العظمى تعيش فى ظروف العصر الحجرى، إذ مايزال ذلك طابع الحياة الريفية وما فيها من تخلف وديانلت تقليدية وسحرة وكجور وزراعة بدائية.

نجحت الادارة البريطانية والارساليات فى تثبيت دعائم النصرانية فى منطقة هيبان واليوم قد تصل نسبة المسيحيين فى هذه المنطقة الى ٨٥٪ والمسلمون قد لا يمثلون اكثر من ٥٪ والبقية ما تزال على الوثنية. وتعتبر الكنائس ـ اليوم ـ منطقة هيبان واحدة من قلاعها التى لاتستطيع التفريط فيها باعتبارها مفتاحاً لغيرها من المناطق. ولعل هناك أسبابا طبيعية تدفع الكنائس والارساليات للتمسك بهيبان وهى :ـ

١) ارتفاع المنطقة مما يجعلها معتدلة فى الصيف وربيعية فى بقية السنة.

٢) محصنة بالجبال ومزينة بالاشجار والحدائق فكأنها وسط بساتين

جاء المبشرون المسيحيون الى هيبان بعد أن ثبت لهم الاستعمار الوضع الإمنى فى عام ١٩١٦م فى ظل الادارة البريطانية ومن الروايات الشفاهية المتداولة فى منطقة هيبان أن القساوسة كانوا يعدون انواعا من الحيل لتنصير السكان المسلمين وجذبهم للمسيحية، فمثلا يأتى المبشر بمجموعة من المسامير ويأخذ فى التقاطها بمنغنطيس وفى وسط دهشة الريفيين البسطاء يشبه لهم المبشر بأن هذا هو حال المسيح الذى نزل للارض لالتقاط اتباعه واحبابه ليرفعهم الى الفردوس، ثم يأتى بعد ذلك بقطعة خشب فيهوى بها على المسامير، فلا تلتقط شيئا فيشبه هذا بحالة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ويصفه بالعجز وأنه لا يستطيع حمل أتباعه. كما كانوا يستعملون الاسطوانات والفوانيس السحرية والاغراءات لجذب الريفيين البسطاء للمسيحية وتنفيرهم من الإسلام.

وفى المناطق التى كانوا يعجزون فيها عن بث النصرانية كانوا يلجأون الى تثبيت الديانة

١٩٩ـ أحمد على سبيل، الاثار الاجتماعية والثقافية للهجرة من جبال النوبة للعاصمة ص ٢٧

التقليدية ورموزها من سحرة وكجور وطقوس بدائية ويشجعون العرى.

بنيت أول كنيسة فى هيبان فى عام ١٩١٩م - وهى كنيسة هيبان الانجيلية ثم تلا ذلك بناء أربع كنائس هى :

١/ كنيسة كبا أبل عام ١٩١٩م.

٢/ كنيسة كودة.

٣/ كنيسة ليرة.

٤/ كنيسة كرندى.

وهذه تمثل أقدم وأعرق الكنائس فى منطقة هيبان وقد استمرأت الكنائس غفلة العهد الوطنى فتكاثرت بصورة فلكية حتى بلغ عددها سبعة وثلاثين ومائة كنيسة يشرف عليها عدد مماثل من المبشرين المتفرغين والمدربين. ويرأس كنيسة هيبان القس آدم كوكو كافى الذى درس اللاهوت فى نيجيريا لمدة سبع سنوات. ويرأس كنائس جبال النوبة صمويل جنقول. هذا وقد اوفد عدد من أبناء المنطقة فى بعثات تدريبية فى اللاهوت خارج السودان من بينهم نائب رئيس كنيسة هيبان الذى يتدرب فى مصر.

وفى منطقة هيبان كنيسة كاثوليكية تعمل من غير ترخيص اذ ان الترخيص الذى تعمل بموجبه عبارة عن تصديق لروضة أطفال ولكنها تقوم الآن بكل مناشط الكنيسة ويدير دفتها قسيس يدعى موسى الذى حضر عدة دورات خارج السودان وكان يعلم من قبل فى منطقة دارفور.

هناك صراع بين الكنيسة الانجيلية والكاثوليكية حول المنطقة. ويعتقد الانجيليون أن الكنيسة الانجيلية هى كنيسة النوبة أما الكنيسة الكاثوليكية فهى كنيسة الدينكا والجنوبيين، وربما ساعد على هذا الصراع خلو المنطقة من الشاط الإسلامى.

مناشط الكنائس :

تقوم العناصر الكنسية هنا بمعارضة النشاط الإسلامى ان وجد، بصرامة حيث سببت مشاكل كثيرة لعدد من المسلمين، منها اشاعات دفعت بعضهم الى الهجرة من المنطقة ومنها التخويف بالمنشورات، كما تقوم الفتيات المسيحيات باجتذاب أبناء المسلمين واغرائهم بالزواج وغيره. كما يقوم المسيحيون بالدخول على المسلمين فى منازلهم ودعوتهم للنصرانية، هذا وتقوم الكنائس بأداء الشعائر يوم الاحد واقامة المهرجانات وتشجيع الانشطة التعاونية والمزارع الجماعية التى يعود جزء من دخلها للكنائس. وفى هيبان يتركز كل انواع

للنشاط فى يد المسيحيين فمنهم طبقة التجار وملاك الاراضى وأعضاء المجالس الشعبية والهيئات الحكومية. وتقوم الكنائس بتوزيع الاغذية والمعلبات والادوية. وللكنائس هنا تجمعات سنوية يسمونها (كورسات تنجيل) يأتى اليها الشباب والشابات من مختلف بقاع الجبال ليدرسوا ويتشربوا الروح المسيحية وتعتبر هذه فترة تدريبية وقد زاد النشاط المسيحى بعد توجهات الشريعة الإسلامية فى سبتمبر ١٩٨٣م حيث حاولت الكنائس ان تشعر المسيحيين بأن الدولة تعمل ضدهم مما أوجد نوعا من الترابط وسطهم ودفعهم الى رفض قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢م وتصريحهم بذلك فى خطب ومنشورات.

وبالرغم من تطور وتنامى حركة الحياة فى هيبان فان حركة الإسلام تبدو متقلصة، ففى هيبان القرية يوجد مسجد يصلى فيه أحيانا المؤذن بمفرده ولا يجد أهل هيبان من يؤمهم فى يوم الجمعة والخلوة هجرها معلموها. ومجلس ريفى هيبان الذى يضم سبعة وثلاثين ومائة كنيسة، ليست به سوى ستة خلاوى وهى خلاوى شكلا لانها تكاد تخلو من الدراسة المنتظمة.

وحاولت السلطات المحلية، حسم ظاهرة الكنائس العشوائية فى منطقة هيبان فى السنوات الاخيرة والسيطرة على عمل الكنائس الذى لا يحكمه قانون ولا لائحة وقد دخلت السلطات المحلية فى صراع مع الكنائس حيث منعت المسيحيين من اقتحام منازل المسلمين والتأثير على بناتهم وازواجهم واطفالهم بمقتضى قانون عام ١٩٦٢م للهيئات التبشيرية، مما خلق نوعا من الحقد والرواسب على سلطات المحافظة وفروعها.

لجأت العناصر الكنسية هنا لحرب المنشورات وتهديد الموظفين حيث نجحوا فى طرد بعضهم من المنطقة وتفاقمت المشكلة حينما قامت السلطات باغلاق كل الكنائس العشوائية. ادى ذلك الى هرج ورفض لقرار السلطات وفتح الكنائس بالقوة مما أدى الى صدام الشرطة تم خلاله القبض على ٥٢ امرأة و ١٧١ رجلا - ولكن رفضت المحاكم الشعبية التى يسيطر عليها المسيحيون محاكمة المقبوض عليهم - فاضطرت السلطات الى اطلاق سراحهم وعادوا شبه منتصرين. هذا وقد ضبطت السلطات الحكومية عدة منشورات الاول منها بتاريخ اكتوبر ١٩٨٢م ضد ضابط شرطة المنطقة بتوقيع T.V (أى صوت الحق) ونصه (باسم الاب والابن و الروح القدس، مازلتم تمارسون الارهاب ضد المسيحيين ولن نقف مكتوفى الايدى، وسوف يلقى جمال محجوب ومحمد أبو زيد حتفهم على أيدينا).

هذا وقد وصل فى تلك الايام المطران مكرم ماكس مطران الابيض ووجه خطابا لكل المسيحيين بالمنطقة علما بأنه كاثوليكى والسيادة فى هيبان للكنائس الانجيلية - والرسالة طويلة ونقتطف منها - رسالة رعوية - لسيدنا المطران مكرم ماكس

الى المسيحيين بمطرانية الابيض

اخوتى واخواتى :-

أنـا متفهم لظروفكم أنكم تتوقعون منى كلمة تشجيع كمطران، كما وأعلم أيضا بأن ظروفا صعبة قد مرت بكم وقد قاسيتم منها كأبيكم الروحى فان على كتابة هذه الرسالة لكى أوكد لكم بأننا ليس فقط فى هذه الابرشية التى تضم كردفان ودارفور معكم بل ان الكنيسة فى السودان معكم بصلواتها.

هذا وبدا الجو متوترا فى هيبان وضواحيها وعندما أعلن عن محاكمة فيلب غبوش فى عام ١٩٨٤م اكفهر الجو وزادت أحقاد المسيحيين ضد الاسلام والمسلمين، وهناك عناصر ظلت مشغولة بتنظيم أهل هيبان ضد السلطات المحلية والإسلام والسلطة المركزية - وليس ببعيد أن تنفجر حالة الامن فى هيبان واذا ما انفجرت فربما يصعب السيطرة عليها نظرا الى الكثافة السكانية ووعورة المناطق الجبلية

حسب احصاءات السلطات المحلية تضم هيبان ١٣٧ كنيسة منها :

العدد

٦٥ المسيح السودانية (الانجيلية).

٤٠ الاسقفية (الكنيسة الانجليزية).

٥ الكاثوليك.

٢٧ غير مصنفة.

وهذه قائمة ببعض أسماء الكنائس العشوائية التى صدر القرار بايقافها ولكنها ماتزال تتحايل وتقدم خدماتها بصورة أو بأخرى كما هناك عدد مايسمى بكنائس الاشجار وهذه أشجار ظليلة يحتكرها المبشرون ويقدموا من خلالها أعمالهم :-

١) كنيسة هيبان الانجيلية (المسيح السودانية).

٢) أوبا الانجيلية.

٣) كاجر الانجيلية.

٤) الازرق الانجيلية.

٥) الازرق الكاثوليكية.

٦) كجور الانجيلية.

٧) كجام الانجيلية.

٨) دلبى الانجيلية.

٩) ديرا المسيح (الانجيلية).

١٠) لاجلو المسيح (الانجيلية).
١١) قوليليا المسيح (الانجيلية).
١٢) امدار (الانجيلية).
١٣) لاجلو الانجيلية.
١٤) كرندى الام المسيح.
١٥) كرندى اسقفية.
١٦) كميرا المسيح انجيلية.
١٧) كيا المسيح انجيلية.
١٨) لانقير المسيح انجيلية.
١٩) قيردو المسيح انجيلية.
٢٠) أم دبردى المسيح انجيلية.
٢١) قور المسيح انجيلية.
٢٢) كمرين المسيح انجيلية.
٢٣) اندراقى تمبلا المسيح انجيلية.
٢٤) كجور (لمتى) المسيح انجيلية.
٢٥) كربو اسقفية.
٢٦) درمن اسقفية.
٢٧) أبا المسيح انجيلية.
٢٨) حجر الحطب - المسيح انجيلية
٢٩) كبا - المسيح انجيلية.
٣٠) كبور - المسيح انجيلية.
٣١) ليراندو - المسيح انجيلية.
٣٢) رقرق - المسيح انجيلية.
٣٣) السيريق - المسيح انجيلية.
٣٤) الصهب - المسيح انجيلية.
٣٥) النجكمة - المسيح انجيلية.
٣٦) اونتى كاثوليك.

٣٧) امرلى اسقفية.
٣٨) كودن كاثوليك.
٣٩) اللوبى كاثوليك.
٤٠) كولو المسيح انجيلية.
٤١) تامبيرا أشقفية.
٤٢) الحجر الاسود كاثوليك.
٤٣) اندراجى ليرة مسيح انجيلية.
٤٤) كينو المسيح انجيلية.
٤٥) أولا بالمسيح انجيلية.
٤٦) جودى المسيح انجيلية.
٤٧) لاقو المسيح انجيلية.
٤٨) تودرى أ المسيح انجيلية.
٤٩) تودرى ب المسيح انجيلية.
٥٠) توب المسيح انجيلية.
٥١) كودرى المسيح انجيلية.
٥٢) تمودك المسيح انجيلية.
٥٣) هيبان كاثوليكية.
٥٤) جوبو اسقفية.
٥٥) كراقا المسيح.
٥٦) الازرق كاثوليكية.
٥٧) الدبة شرق اسقفية.
٥٨) الدبة غرب انجيلية.
٥٩) شرك اسقفية.
٦٠) كاكالو اسقفية.
٦١) انديا اسقفية.

(٦٣) المطرورة جيل أسقفية
٦٤) بادرة اسقفية.
٦٥) شاورلى المسيح.
٦٦) تمبلا المسيح.
٦٧) نابرى المسيح.
٦٨) اطأو المسيح.
٦٩) جام جام اسقفية.
٧٠) كودة المسيح.
٧١) شاول المسيح.
٧٢) توجى المسيح.
٧٣) كدكى اسقفية.
٧٤) كودة (سوق الثلاثاء) المسيح.
٧٥) طورة اسقفية.
٧٦) مندلى اسقفية.

وعلى الرغم من النفوذ الطاغى للمسيحية فقد جرت محاولات من قبل بعض المسئولين لغرض شرعية الدولة ووضع العمل الكنسى فى اطار قوانين الدولة ولوائحها كالسيد عبد السميع غندور المدير التنفيذى للابيض فى عام ١٩٦٢م والمحافظ السابق عبد الرحمن أدريس.

قرية الازرق :-

هى واحدة من القرى الكبيرة التابعة لمنطقة ريفى هيبان وتعتبر منطقة سوق بالنسبة للقرى الاخرى - تضم هذه القرية خمس كنائس تابعة للكنيسة الانجيلية، أربع منها فى داخل الحى والخامسة على رأس الجبل الذى يشرف على الحى. علما بأن عدد المسلمين فى هذه القرية يفوق عدد المسيحيين وفى القرية مسجد فى حى السريق لا أمام له وملحق بالمسجد خلوة يؤمها مائة طالب دون جدوى.

وبالقرية مدرسة ابتدائية، ومديرها مسيحى ومعه مدرسان مسيحيان وأحيانا يكرهون الطلاب المسلمين على دراسة المسيحية. ومدرس التربية الإسلامية يعتمد على الجلد فى التلقين مما دفع أربعة طلاب من المسلمين الى اعتناق المسيحية هذا العام خوفا من الحفظ وبطش الاستاذ. معظم المسيحيين فى القرية من قبيلة الاطورو كسكان الجبل مثلا. تقع الكنائس فى حى ارومى وانشئت كالعادة بغير ترخيص، وحدث هذا فى كاجر وسكانها من

الليرة وفى دويو وسكانها من الاطورو والصهب وسكانها من الليرة وكل هذه الكنائس مبنية من الطين والقش.

المناشـــــط :-

تركز هذه ا لكنائس التى يديرها مبشرون على النساء والاطفال وتوزع عليهم العطور والساعات والادوات المنزلية والترانيم، كما تقام حفلات الاختلاط. هذا وحوادث الحمل سفـاحـا نتيجـة لهذه الحفلات، امر شائع على امتداد منطقة هيبان. ـ ويجتمع المسلمون والمسيحيون فى عيد الميلاد (الكرسماس) والمناسبات الكنسية الاخرى حيث تعد لهم وجبات أكل دسمة والمسيحيون أكثر وعيا وتعليما من المسلمين ومعظم المبشرين تلقوادورات تدريبية فى الخرطوم وخارج السودان.

فى ا لمنطقـة حالات تنصر كثيرة خصوصا وسط نساء المسلمين وذلك نتيجة لزيارات المبشرين لهؤلاء النساء فى غياب ازواجهن اما فى منتصف النهار حيث يكون الرجال بالعمل أو لظروف هجرة الرجال الموسمية أو الدائمة الى مناطق السودان المختلفة وهذا ـ طبعا ـ يخالف قانـون الهيئات التبشيرية. كذلك تنصر عدد من شباب المسلمين بفعل اغراءات فتيات الكنيسة اللائى تخصصن فى مثل هذا النوع من العمل. ولا يكاد الانسان يجد أية أسباب لتفوق عدد المسلمين على المسيحيين فى هذه المنطقة.

قرية ابرة (مجلس شعبى ابرة ـ عمدة دكورى) ريفى هيبان

بهذه القرية ثلاث كنائس اسقفية هى :-

١) كنيسة أورلى (اسقفية).
٢) كنيسة جر (اسقفية).
٣) كنيسة الدبة (اسقفية).

وقد نصبت هذه الكنائس فى الاماكن الاستراتيجية من القرية (محطة اللوارى ـ الناقلات ـ وبـالقـرب من المدارس) وكل هذه الكنائس مبنية بالمواد المحلية ومجهزة كغيرها بالكتب وملحق بها مخازن للغلال والاغذية.

مناشط الكنائس :-

تشمل المناشط اقامة الطقوس الدينية والكرنفالات (النقارة) وتوزيع الاغذية والملابس وانتخاب عدد من الطلاب النابهين للدراسة بمدارس الكنيسة بالابيض والخرطوم.
كما تقوم هذه الكنائس بتوزيع الانجيل المكتوب باللهجات المحلية من حيث نجحت الكنيسة الانجيلية فى طباعة الانجيل وكتابته بلغة الآبرة والكواليب وغيرها من اللغات بالحرف اللاتينى.

بالقرية مسجدان مهجوران ويحاول مسلمو طورورة تجديد بناء مسجدهم حيث جهزوا الزنك والطوب وينتظرون المساعدة لاكمال البقية. ويقوم مسلمو هذه المناطق، فى أحسن أحوالهم، باداء صلاة الجمعة.

كنيسة الشواية: أطورو الانجيلية (ريفى هيبان)

معظم سكان هذه القرية من المسلمين ولهم مسجد بغير امام اذ ذهب الامام - فكى حمد - الى الخرطوم ولم يعد. أسست الكنيسة فى هذه القرية الإسلامية فى السبعينات وهى مبنية من الحجر والقش ولها امتدادات من المواد المحلية وسجلت نجاحا بتقديمها للخدمات.
ويدير الكنيسة مبشر متفرغ بالكنيسة وملحق بالكنيسة روضة بها ٣٠ طفلا - كلهم الآن مسيحيون بالرغم من أن غالبية سكان القرية مسلمون.

منطقـــــة لقـــاوة :-

تقع شمال غرب كادوقلى فى المنطقة الغربية لمديرية جنوب كردفان وتسكن فى المنطقة قبيلة المسيرية الزرق والنوبة وخليط من أبناء القبائل الاخرى والعمل الرئيسى للسكان هو الرعى والزراعة ولا يوجد بلقاوة ذاتها تبشير مسيحى وانما يتركز التبشير المسيحى فى قرى تلشى الواقعة فى الناحية الشرقية من الجبل وهى قرى لمبو، السرفاية، وسعادة، والشواء وهذه المناطق متخلفة جدا والمد الإسلامى فى بداياته - والسكان قابلون للاسلام ونتيجة لزيارة المركز الاسلامى الافريقى بالخرطوم لهذه المنطقة أسلم ثمان وستون رجلا وامرأة فى سويعات.
هناك كنيسة فى قرية سعادة ولكن تأثيرها ضئيل واستطاعت السلطات اغلاق الكنائس العشوائية التى ظهرت فى القرى الاخرى وان ظهرت فى الآونة الاخيرة كنيسة كاثوليكية فى منطقة تلشى وأخذت خدماتها تقدم لاهل المنطقة الجبليين الذين يتميزون بالانطوائية والى

الآن لم تسجل نجاحا يذكر.

المنطقـة الخلفية لبرام :-

وتشمل جبال ابراهيم، والساكن الطوال والساكن القصار، والمنطقة فى غاية التخلف وسكانها شبه عراة وفى المنطقة خمس كنائس فى بنانيا والدار، وانقولو، دمانتو، وكاتشا. هذا ولم تستطع الكنيسة ان ترسخ أقدامها فى المنطقة حتى الآن والفرص ماتزال مواتية للاسلام اذ ٩٥٪ من السكـان مايزالون على دياناتهم البدائية ولاتتجاوز نسبة المسيحيين منهم ٣٪ والبقية مسلمون.

بابنوســـــة :-

تحتل مدينة بابنوسة موقعا استراتيجيا اذ تعتبر بداية لاقليم دارفور والاقليم الجنوبى ومنها ينـطلق خط السكة الحديدية غربا لنيالا وأويل وكذلك تطل بابنوسة على آبار البترول فى المجلد وبانتيو - لذا فلا عجب أن أجتهدت الكنائس فى أن تجد لها موضع قدم فى هذه المدينة التى يعتبر سكانها المحليون مسلمون بنسبة تقارب ١٠٠٪.
كالعادة فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية هى السباقة، حيث أوفدت البروفسير الايطالى أرمان دوشابا خريج كلية فكتوريا بالاسكندرية وصاحب الخبرة الطويلة فى السودان حيث طور مدارس كمبونى بالخرطوم والابيض الى وضعها الحالى. جاء دوشابا زائرا الى بابنوسة فى نوفمبر عام ١٩٧٣م - حيث بارك زيارته بفتح كنيسة عشوائية فى منطقة الخمور والدعارة بالمدينة.

ثم مالبث أن عاد مرة أخرى واستخرج تصريحا من السلطات المحلية ببناء مركز كنسى فى بابنـوسة، علما بأن سلطات الكنيسة تعلم أن تصاريح بناء الكنائس تصدرها السلطات المركزية - ثم بدأ فى بناء صرح كنسى ضخم حيث سور المنطقة ببناء من الحجر والاسمنت وحفر بئرا مجهزة بمضخة ومولد كهربائى وبنى عدة غرف لكن قبل أن يشرع فى بناء المعهد وتصبح الكنيسة أمرا واقعا انتبه أهل المنطقة وأوقفوا البناء وتدخلت السلطات وأمرت لجنة أبناء المنطقة بدفع تعويض قدره ألف جنيه لسلطات الكنيسة الكاثوليكية وحولت الكنيسة الى مدرسة ثانوية عليا للبنات.

المجلــــــد :-

تقع على بعد أربعين كيلو متر الى الجنوب من بابنوسة والمجلد مدينة صغيرة ولكن ذاع صيتهـا بعـد اكتشـاف البـترول فيها، مما نشط الهجرة إليها من الاقاليم الجنوبية والقرى المجاورة. هذا وقد اقامت الكنيسة الكاثوليكية كنيسة عشوائية وهى بمثابة اكواخ متواضعة ويشرف على الكنيسة مبشر متفرغ يقوم بتدريس تعاليم المسيحية لثلاثين طفلا ويساعده فى التدريس واحد من جنود حامية المجلد.

ويقوم المطران مكرم ماكس بالتردد على هذه ا لكنيسة وتزويدها بالاغذية والمساعدات. ويركـزون فى عملهم فى هذه الفـترة على الارشاد الدينى وتعليم الانجيل لاكبر عدد من المواطنين، علما بأن مدينة المجلد مدينة محافظة شديدة التمسك بالتعاليم الإسلامية والتقاليد السودانية الى درجة التزمت حتى لاتكاد ترى امرأة فى الشارع أو المتجر.

منطقــــة ابيـــــاى :-

وهى منطقة الدينكا ناجوك - وهى منطقة تمازج حضارى بين الدينكا والبقارة وقد صدر أمر جمهورى فى عام ١٩٨٣ يضم المنطقة لكردفان، وقد بدأت فى هذه المنطقة بوادر تحول نحـو الأسـلام، وتجسـد ذلك فى اسلام سلطان ابياى السابق ولكن هذا قتل على ايدى المسيحيين فى ظروف غامضة - وفى المنطقة كنيسة قديمة ملحق بها مدرسة. ومنطقة ابياى من المناطق المرشحة لانتشار الإسلام اذا وجدت العناية والامكانات والقوة البشرية المؤهلة خصوصا وأن بها مايزيد عن مائة ألف نسمة، معظمهم على اتصال وثيق بعرب البقارة المسلمين.

الفصل الثانى
التبشير المسيحى فى الاقليمين الاوسط والشرقى

مدخــــل :-

يعود تاريخ المحاولات المستمرة لتنصير أهالى مايعرف حاليا بالاقليم الاوسط والشرقى الى أواخر القرن السابع عشر الميلادى (١٦٩٥ - ١٧٠٣) عندما أرسل البابا بعثة بابوية من عشرة رهبان الفرنسيسكان أصحاب الخبرة فى البلاد العربية (مصر، المغرب، فلسطين). واختــارت البعثة أن تنقسم الى ثلاث دفعات متتالية بعضهم واصل طريقه حتى اثيوبيا وبعضهم أقام فى سنار. وقد أقام الاب باسكوالى فى قصر سلطان سنار الملك بادى الثالث (المعروف ببادى الاحمر) تحت ستار ممارسة الطب فى القصر الملكى حيث أقام لمدة ثلاثة أعوام الى أن طرد لما انكشفت نواياه الحقيقية أثناء وجوده. لحقت به هناك بعثة تبشيرية فرنسية أخرى فى طريقها الى الحبشة وكذلك بعثة بابوية أخرى. ومات كثير من أفراد هذه البعوث فى الاقليم الاوسط وفى مناطق الحدود. وتقول المصادر المسيحية أن كل هذه البعوث كان هدفها اثيوبيا وليس السودان وأن سلاطين سنار كانوا يحولون بينها وبين أهدافها. وكذلك جاءت بقية بعثة بابوية أخرى فى الفترة (١٧٠٥ - ١٧٠٨) وقد ظلت محتمية بقبة الشيخ ادريس ود الارباب فى العيلفون لمدة ثلاث سنوات، حتى أذن لها ملك سنار بالقدوم اليه.[٢٠٠]

كما حاولت بعوث بابوية اخرى اختراق السودان الى اثيوبيا عبر الاقليم الشرقى عن طريق سواكن ولكن لم يحالفها التوفيق فى إحداث أى تأثير يذكر. وأرسل الفاتيكان بعثة أخرى لتستكشف منطقة كردفان الحالية ووصلت مدينة سنار فى ١١ نوفمبر ١٧٠٣م ومع ان سلطان سنار استقبلهم استقبالا طيبا وتقبل منهم هداياهم الا أنه لم يسمح لهم بمواصلة المرور الى كردفان فعادوا الى مصر.

وهكذا ظلت مملكة سنار الإسلامية حصنا منيعا لم تستطع البعثات البابوية اختراقه وان استـطاعت استكشاف المنطقة ومعرفة طبائع أهلها الى أن زالت الدولة السنارية ودخلت السودان جيوش محمد علي التى سعت لاقامة دولة علمانية فى مصر والسودان. وفى ظل احفاد محمـد على تمكن بطريرك الارثـوذكس بطرس الجاولى من اقامة ثلاث عشرة رعية قبطية ارثوذكسية. كما توالت البعثات الكاثوليكية عبر الاقليم الشرقى والاوسط فى طريقهما الى

٢٠٠ـ الـدكتور ج فانتينى، تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث، الخرطوم ١٩٧٨م - ص ٢١٤.

جنوب السودان واثيوبيا وكردفان. ولكن كل هذا الجهد التبشيرى المدعوم بالمال الاوربى تبدد مع قيام الثورة المهدية.

استأنفت المؤسسات الكنسية جهدها لاختراق السودان بعد القضاء على الثورة المهدية وسيطرة الامـبراطورية البريطانية على مقاليد الامور فتدفقت المؤسسات الكنسية العالمية بصورة مذهلة ودخلت فى منافسات فيما بينها للفوز بتنصير أهل السودان مما حدا بالحاكم البريطانى الى اصدار قرار عام ١٩٠٣م حدد فيه منطقة خاصة لكل جمعية تبشيرية تريد العمـل فى السودان حيث اصبحت الضفة الشرقية للنيل فى مديرية أعالى النيل مخصصة لنشـاط الارسـالية الامـيريكية والكنيسـة الانجيلية والضفة الغربية للارسالية الكاثوليكية وخصصت مراكز بحر الغزال والضفة الغربية فى الاستوائية للارسالية الاسقفية الانجليزية، أما فى مناطق السودان الشمالى فقد سمح للارساليات ان تحتفظ بمناطق نفوذها السابقة فى الخرطوم مضافا اليها سواكن وبورتسودان وكسلا والقضارف وسنار ومدنى وكوستى وغيرها من مدن الاقليم الشرقى والاوسط. وقـد تركز جهد المؤسسات الكنسية طيلة هذه الفترة ١٨٩٩ - ١٩٦٤م على اقامة الكنائس والمدارس وتقديم بعض الخدمات الاجتماعية ولكن بعـد عام ١٩٧٤م حدث تحول فى العمـل الكنسى، واندفعت الكنائس والارساليات فى هجمـة مدروسة على الاقليم الشرقى خصوصا مناطق اللاجئين. وفى الصفحات التالية نستعرض الوجود الفعلى لكل ارسالية وسياساتها فى هذين الاقليمين من أقاليم السودان.

الكنائس والارساليات فى الاقليم الشرقى

كســـــلا

كسلا مدينة سودانية قديمة وتعتبر بوابة السودان الاساسية فى اتجاه اثيوبيا. وقد دار صراع رهيب حول كسلا فى نهاية القرن التاسع عشر بين رسل محمد على والاثيوبيين وانصار المهدى والايطاليين. وماتزال مدينة كسلا تضيق على اهلها. اذ أصبحت قبلة اللاجئين الاثيوبيين والارتريين مما أدى الى شيوع أخلاق جديدة جاء بها الوافدون والى ارتفاع الاسعار والايجارات والسلع الاستهـلاكية. كما أدى تدفق اللاجئين الى اضعاف موقف اللغة العربية، حيث أخذت تظهر لغة هجينة، فرضت نفسها فى التعامل فى الاسواق بل وحتى وسط الطلاب الذين غزتهم أعداد كبيرة من اللاجئين، كما أن هذا الوضع أغرى الارساليات والكنائس بتكثيف نشاطها فى مدينة كسلا تحت ستار الاغاثة والخدمات الاجتماعية والتعليمية.

توجد فى مدينة كسلا كنيستان هما الكنيسة الكاثوليكية والارثوذكسية بالاضافة الى عدد من هيئات الاغاثة التى سيأتى الحديث عنها ضمن حديثنا عن النشاط الكنسى وسط

اللاجئين.

(١) كنيسة حى المربعات الكاثوليكية :-

أنشئت الكنيسة الكاثوليكية في كسلا في ظروف ما بعد ثورة أكتوبر ١٩٦٤م وهى ظروف اتسمت بالنشوة أو الغفلة السياسية التى صاحبت أيام ما بعد الثورة وبالتحديد فى عام ١٩٦٥م. وتطل الكنيسة على شارع المدينة الاساسى وبالقرب من منطقة تجمع المواصلات العامة وفى بقعة تعتبر من ارقى مناطق المدينة وأكثرها عمرانا بالناس. كما تجاور الكنيسة منطقة سكن عشوائى حيث تنشط الكنيسة فى العمل وسطهم وتقدم لهم بعض الخدمات التعليمية والاجتماعية. والكنيسة مبنية من الحجر والطوب والاسمنت ومؤثثة من الداخل بصورة حديثة ومرتبة ترتيبا دقيقا. وتقدر المساحة الكلية للكنيسة بحوالى سبعمائة متر مربع منها حوالى ١١٠ مترا مربعا تستغل فناءً وميداناً لكرة السلة وبقية الساحة تشغلها ست غرف كبيرة وقاعة ضخمة بالاضافة الى المرافق الاخرى. اتخذت القاعة معبدا وتؤدى فيها الشعائر والطقوس الكهنوتية، الاخرى. وتضم الكنيسة مكتبة فخمة ومدرسة بها فصول للتقوية ويجلس الطلاب على مقاعد وثيرة ومستوى الاثاث بوجه عام راق.

النشساط التعليمى :-

بالكنيسة فصلان، أنشئا لتدريس المسيحية ولكن نظراً لعدم الاقبال على هذا النمط من التعليم، فقد حولتا الى فصول تقوية وتدريس لمواد الرياضيات واللغات الانجليزية بالاضافة الى التعاليم المسيحية ويدرس فى هذه الفصول ثلاث أساتذة مسيحيون، وبالمدرسة ٤٥ طالبا وطالبة منهم ٧ مسلمون والبقية مسيحيون ومعظم الطلاب من النوبة والجنوبيين والارتريين والاحباش.

حالة الدارسين :-

معظم الدارسين من أبناء الفقراء الذين لايستطيعون دفع الرسوم فى المدارس الرسمية ولا فى مدارس فصول التقوية الصيفية، التى تكلف الطالب ثلاثين جنيها بينما تتقاضى الكنيسة ثلاث جنيهات فقط رسوماً للتسجيل. يعامل المدرسون طلابهم معاملة طيبة لتحبب اليهم المسيحية كما يقومون أحيانا بشرحها لطلابهم بمناسبة أو بغير مناسبة.

صـــورة وصفيــة :ـ

الكنيسـة لطيفة وتقوم باشاعة جو اجتماعى محبب لصغار السن، كما أن الطريقة التى يستقبل بها القسيس الزوار والخدمات التى تقدمها ثلاث شابات والتجمعات الكبيرة من الجنسـين خلال الاعياد وأيام الأحـد تستهـوى الشبـاب خاصة الذين يدعون التحرر أو يتطلعون اليه ويعانون من الفراغ النفسى والروحى من ابناء المسلمين وغيرهم ولو أدى ذلك الى الانصراف عن عقيدتهم والتخلى عن قيمهم وتقاليدهم.

الاشـــــراف :ـ

يشرف على الكنيسة قسيس أرترى لاجىء الى السودان ويقول بأنه يعمل بصفة مؤقتة ويساعده اثنان من القساوسة وثلاث بنات. كان الاب مكرم ماكس وهو قسيس سودانى يشرف على الكنيسة قبل تسفاى وكذلك عمل فيها رئيس الاساقفة الحالى غبريال زبير واكو.

(٢) الكنيسة الاثوذكسية القبطية بحى الميرغنية :ـ

تقع الكنيسة بحى الميرغنية وهو من الاحياء العريقة، والتى كان يقطنها خلفاء الختمية وحتى عام ١٩٨٣م كانت الكنيسة تتكون من بناء عادى من الطوب الاخضر والاحمر يشمل قاعة المعبد وبعض الغرف ولكن تم تجديد البناء على نمط حديث، يقوم على أعمدة مسلحة بالخرسانة، واكتمل الطابق الارضى منه ويشمل قاعة واسعة تسع اكثر من ثلاثمائة شخصا بالاضافة الى غرفتين اخريين وحجرة الخفير والمنافع والصالات وتبلغ مساحة البناء ٥٣٠ مترا مربعا.

وليس للكنيسة قسيس متفرغ وانما يأتى قسيس من الكنيسة الارثوذكسية وهو القس متى وكيل المطرانية بالقضارف مرة فى الاسبوع. وتقوم المطرانية فى الخرطوم بتمويل الكنيسة من اشتراكات الاعضاء الذين غالبا مايكونوا فى وضع اقتصادى واجتماعى يمكنهم من الدفع بسخاء.

النشاط التعليمى للكنيسة :ـ

تقوم الكنيسة بتدريس الطلبة الارثوذكس، الذين يدرسون فى المدارس السودانية مادة

التربية المسيحية . وهم حوالى ١٤٢ طالبا وطالبة فى مختلف المراحل التعليمية ويقوم بالتدريس بعض المعلمين الارثوذكس فى المدارس السودانية وكذلك عدد من الموظفين. وبالكنيسة ٢٥ أريكـه بحـالة جيدة و١٥٠ مقعدا بالاضافة الى عدد من المناضد. وكذلك تقوم الكنيسة بتقديم بعض الخدمات العلاجية، معتمدة على خدمات الاطباء الارثوذكس والمساعدين الطبيين وكذلك تتم فيها مراسيم الزواج والمناسبات الاجتماعية الاخرى.

افتقار الكنيسة للشرعية :-

كانت الكنيسة فى الأصل عام ١٩٦٧م منتزها يخص مواطنا جنوبيا، وكان الارثوذكس يتوافدون عليه لاداء الشعائر ولم يعترض المواطنون باعتباره منزلا عاديا وان كان يقوم بنشاط غير عادى ولكن فى عام ١٩٨٣م تقدم صاحب المنزل بطلب لاعادة بناء المنزل بقاعة كبيرة وصدق له على ذلك، ولكن بصورة أو بأخرى قام مهندس المجلس بالتصديق على خرطة أخرى، أطلت منها مع اكتمال الطابق الاول كنيسة بابوابها وصلبانها مما دفع السكان المحليين الى رفع القضية للمحاكم ومازال القضية قائمة علما بأن المواطنين قد أبدوا استعدادهم لدفع كل تكاليف الكنيسة لصاحب المنزل. هذا وللكنيسة نشاط تجارى فى مجال النقل والترحيل بين كسلا وبورتسودان.

بورتســــودان :-

مدينـة بورتسـودان مدينة حديثة، أسسها الانجليز فى مطلع هذا القرن لتكون الميناء الرئيسى للسودان، بدلا من سواكن وقد نمت بصورة سريعة وارتبطت بالخرطوم جوا وبرا عن طريق سكك حديد السودان وطريق الخرطوم بورتسودان المعبد وقد هاجرت اليها من قبائل شرق السودان هجرة واسعة بحثا عن العمل فى الميناء ومايرتبط به من خدمات النقل والتفريغ وصيد الاسماك وتلبية سوق العمل بوجه عام كما يقصدها المواطنون للاستفادة من خدماتها باعتبارها معبراً الى المملكة العربية السعودية وارتباطها بمدن السودان الداخلية، فلا غرو ان اتجهت الكنائس الى بورتسودان لاتخاذ موقع لها هناك، علما بأنه لاتكاد توجد جالية مسيحية معتبرة. وتقوم الآن ببورتسودان الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة السودانية الاسقفية (الانجيلية) والكنيسة الانجيلية (الاميريكية) الارثوذكسية والكنيسة الاغريقية.

(١) الكنيسة الكاثوليكية (بورتسودان):ـ

تقع فى منطقة مجمع مدارس كمبونى ببورتسودان وكل هذه المدارس جزء من الكنيسة التى تتوسطها وتقوم بادارتها. وتعتبر هذه الكنيسة الثانية من حيث دخولها فى شرق السودان، اذ سبقها بناء كنيسة فى سواكن التى دخل عن طريقها دانيال كمبونى الى السودان وكان يقوم بأمر هذه الكنيسة جنوبى تم تنصيره يدعى دانيال سرور وقد أزيلت الكنيسة مع اندلاع الثورة المهدية نظراً لخلو ميناء سواكن من اى من المسيحيين، ولكن بعد اعادة الاستيلاء على السودان وانتقال الحركة التجارية من سواكن الى بورتسودان قام الكاثوليك بانشاء هذه الكنيسة فى عام ١٩٠٥م واتخاذها نقطة انطلاق نحو الشرق، ولاسباب مجهولة اغلقت بعد عدة سنوات الى أن أعيد فتحها مرة أخرى عام ١٩٢٩م.

وصف الكنيســـــة :ـ

تتكون الكنيسة من معبد واسع يسع خمسمائة شخص وحجرتين أخريين ومخزن ومكتب بالاضافة الى منزل الاب ويتكون من تسع حجرات وكذلك بالكنيسة مكتبة وحجرة جلوس وحجرة طعام ملحقة بالمطعم وحجرة دراسة.
وتوجد بالكنيسة حديقة مزينة بأنواع الورود يرتادها الزوار من مختلف الاجناس والاديان.

من انشطـــة الكنيســـة :ـ

بالكنيسة فريق لكرة السلة وآخر للرائدات، أما النشاط التعليمى فكل أمره موكول لمدارس كمبونى، وللكنيسة علاقات متشعبة مع وكالات الاغاثة العاملة هنا كالصليب الاحمر السويدى وبقية الكنائس.

(٢) الكنيسة السودانية الاسقفية:ـ

هى واحدة من الكنائس التى أشرف على انشائها أحد مؤسسى العمل الكنسى الحديث بالسودان وذلكم هو الاب قوينى حيث وضع حجر الاساس لها فى ١٠ فبراير ١٩٣٠م، وتقع الكنيسة فى اطار منطقة سوق بورتسودان

وصـــف الكنيســـة:ـ

الكنيسة مبنية من الحجر والاسمنت ومظهرها عموما رائع الجمال وخاصة زخرفتها الخارجية كما يمكن رؤية منسلة الكنيسة وصليبها من ثلاث شوارع مختلفة. وتحف بالكنيسة خضرة على امتداد جوانب مساحتها التى تقدر بحوالى ٢٠٠ مترا مربعا وبالكنيسة معبد كبير

بالاضافة الى حجرات اربعة احداها صغيرة والبقية كبيرة. كذلك توجد مكتبة وقاعة للمطالعة (مكتبة الثقافة المسيحية) وبها جناح للبيع. هذا وتؤدى الشعائر والتراتيل فى هذه الكنيسة باللغة الانجليزية.

من انشطة الكنيسة :-

تقوم الكنيسة ببعض المناشط الثقافية والرياضية والاجتماعية، خاصة فى أيام الاحتفالات. ومعظم المشتركين فى هذه الانشطة من السودانيين الجنوبيين والنوبة كما توجد بالكنيسة فصول تقوية لمادة اللغة الانجليزية والعربية بالاضافة الى تدريس التربية المسيحية، هذا بالاضافة الى خدمات المكتبة بيعا وتسليفا. وبالكنيسة كذلك مدرسة ابتدائية نظامية سنتقصى أمرها فى فصل المؤسسات التعليمية.

(٣) الكنيسة الانجيلية :-

أنشئت الكنيسة الانجيلية فى بورتسودان فى عام ١٩٠٤م. وكان مبناها القديم يقع بالقرب من مبنى الكنيسة الكاثوليكية (مدارس كمبونى) ولكن حولت لمبنى افخم واضخم فى عام ١٩٥١م يقع بالحى الافرنجى وهو حى مجاور للسوق ويمتلىء بالمحلات التجارية ومكاتب الشركات.

وصف الكنيسة :

الكنيسة عبارة عن مبنى فخم فى حى يعج بالمبانى الضخمة وهى مبنية من الكتل الاسمنتية المغطاة بطبقة رمادية مائلة للبياض وتحف الكنيسة أشجار وازهار تجذب اطفال الحى للعب والشباب للجلوس تحت ظلالها.

بالكنيسة قاعة كبيرة للعبادة مفصولة عن بقية المبنى ويعلو هذه القاعة صليبان. وتوجد كذلك ثلاث غرف احداهما للاستقبال ومنزل الاب (نصيف) الملحق بالكنيسة، ويتكون من ثلاث غرف وصالة بالاضافة الى المنافع. ومع وجود اعداد كبيرة من الكراسى وسبورة الا ان الاب (نصيف استفانوس) ينفى وجود اى نشاط تعليمى. وهذا الاب كان يعمل من قبل بالخرطوم فى الفترة ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠ وظل بعدها فى بورتسودان لما يقارب ربع القرن. هذا وتتصل كل كنيسة انجيلية بالرئاسة بالخرطوم مباشرة لان الادارة مركزية.

من انشطة الكنيسة :

تقدم الكنيسة بعض الاعانات المادية للمحتاجين والفقراء كما تقوم بتوزيع الهدايا وتقديم

بعض الخدمات الاجتماعية الاخرى خاصة فى ايام الاعياد المسيحية بالاضافة الى مشاركتها فى المناسبات الاخرى. وكذلك تقدم بعض المساعدات العينية للاجئين. وتؤدى الشعائر والتراتيل باللغة العربية مما يمكن الطبقات غير المتعلمة من الجنوبيين والنوبة من المشاركة. كذلك تقوم الكنيسة بمحاولات ايجاد العمل فى الميناء وغيرها للمترددين على الكنيسة والذين قد يقصدونها من مناطق بعيدة وبعضهم يصلها سيرا على الاقدام. ولهذه الكنيسة صلات بمعظم وكالات الاغاثة العالمية بمدينة بورتسودان كجماعة العمل الاوربية EURO - AC-TION ACCORD وغيرها من المنظمات وتعج غرف الكنيسة بالصناديق القادمة من اوربا.

(٤) كنيسة السيدة العذراء :

تتبع هذه الكنيسة الكنيسه القبطية الارثوذكسية وبالتحديد لمطران كرسى أم درمان وعطبرة وبورتسودان وشمال وشرق السودان الانباء استفتانوس وتقع الكنيسة فى شارع بورتسودان الرئيسى المؤدى للسوق بالقرب من مجلس منطقةبورتسودان فى الحى الافرنجى. أنشأ الكنيسة الاب سيرابموم فى عام ١٩٢٩م ولكن تم تجديد بنائها فى عام ١٩٨٤ واصبحت افخم كنائس بورتسودان قاطبة.

وصف الكنيسة :

مساحة الكنيسة٢٨٥م٢ متر مربع - وهذه المساحة تشمل مبنى الكنيسة ومنزل المطران وبعض مساكن الكهنة التى تضم ١٢ حجرة - ملحق بالكنيسة مبانى تسمى مدرسة الاقباط الارثوذكس، سنتحدث عنها فى فصل التعليم ويبلغ عدد مقاعد الكنيسة حوالى مائة مقعد خزران وسبعة مقاعد حديد بالاضافة الى الادوات الاخرى من مايكروفونات حديثة وغيرها.

من انشطة الكنيسة :

يعمل فى الكنيسة كاهنان احدهما للخدمة والآخر لارشاد الطلاب حيث توجد مدرسة الاحد وهى مدرسة للتربية المسيحية خاضعة مباشرة للكنيسة وبها حوالى ١٢٠ طالبا من الجنوبيين والنوبة من الجنسين أغلبهم من قبيلة الباريا بجنوب السودان، وتصدر بالكنيسة جريدة حائطية متخصصة فى أمر الجالية المسيحية كما توجد مكتبة تحوى كتبا دينية للاطلاع والاستعارة وتوزع سلسلة كتب الغفران بأسعار زهيدة لمدارس الاحد والزوار. كذلك تخصص الكنيسة أيام الجمع لتدريس الديانة المسيحية للطلاب، كما تقدم مساعدات عينية للفقراء وخصوصا للاثيوبيين الارثوذكس، الذين أخذوا يتدفقون من اثيوبيا على السودان وكذلك تخص بعض الجنوبيين بمساعداتها.

٥ - الكنيسة الاغريقية :

وهذه اقل الكنائس اهمية ببورتسودان ويلاحظ ان هذه الكنيسة أخذت فى اغلاق فروعها كما حدث بجوبا والآن ببورتسودان، أنشئت الكنيسة فى عام ١٩٠٤ على يد الجالية اليونانية. وظلت حتى وقت قريب يشرف عليها قس غير مقيم[٢٠١]، يحضر فى أيام الآحاد والمناسبات ولكنه انقطع منذ ١٥ يناير ١٩٨٤م وظلت الكنيسة مغلقة من بعده وأخذ أتباع الجالية يؤدون شعائرهم فى الكنائس الاخرى - ولا تمارس هذه الكنيسة أى نشاط تبشيرى.

القضـــــــارف :

القضارف مدينة قديمة وقد زادت اهميتها حديثا بعد التوسع الهائل فى الزراعة المطرية، مما شجع الهجرة اليها من الداخل والخارج بحثا عن العمل. واليوم تعج مدينة القضارف برجال المال والاعمال وباللاجئين الارتريين والاحباش. وفى وسط كهذا، من الطبيعى ان تنتعش الكنائس وتحاول أن تجد لها موقع قدم، وتضم المدينة كنيسة كاثوليكية وكنيسة انجيلية وكنيسة اغريقية.

(١) الكنيسة الكاثوليكية.

تاريخ انشائها :

أنشئت هذه الكنيسة بجهود الرئاسة الكاثوليكية فى الخرطوم فى يونيو ١٩٦٦م وهى تقع فى منطقة سكنية راقية مجاورة للسوق تجذب الانظار بمبناها الضخم الذى شيد من الحجر والاسمنت وتتبعه عدة بيوت بعضها تسكنه عائلات مسيحية وبعضها تقطنه عائلات مسلمة لها وزن فى أجهزة الدولة وقد جهز مبنى الكنيسة باثاثات حديثة من تلفاز وثلاجات ومستلزمات الطهى ومقاعد راقية وهى اشبه ما تكون بالمطعم السياحى.

نشاط الكنيسة :

تتكون القوة البشرية للكنيسة من قسيس ومعلم تربية مسيحية وسبعة معلمين عاملين بالمدرسة المسائية الملحقة بالكنيسة وعدد من البنات الارتريات للخدمة بالاضافة الى حارس

---

٢٠١ - القس ايطالى وظل يعمل لمدة أربعين سنة متواصلة بالسودان.

وطباخ. وبما أن المدرسة المسائية مدرسة نظامية وقت الحديث عنها الى فصل التعليم. وهناك ايضا مدرسة مسائية غير نظامية لتدريس اللغة الانجليزية والعربية للراغبين من الجنسين دون التقيد بعمر وتضم حوالى ١٧٠ دارسا من المسلمين والمسيحيين ومعظمهم من الجنوبيين من الذين لم تتح لهم فرص التعليم فى وقت مبكر. وتقيم الكنيسة كذلك دورة تدريبية على الآلة الكاتبة لعشرين طالبا معظمهم مسلمون. وهناك معلم للخياطة يشرف على فصل يضم عشرين طالبة منهن واحدة مسيحية والبقية مسلمات. تقدم الكنيسة مساعدات متنوعة ونقودا، وملابس، وذرة، ولبنا للاجئين والسكان المحليين وتتنافس فى ذلك مع وكالة سودان ايد التى تدير عيادات كثيرة فى مناطق اللاجئين.

(٢) الكنيسة القبطية ـ مارى جرجس :

تاريخ انشائها :

أنشئت هذه الكنيسة فى عام ١٩٥٨م ودشنت فى عام ١٩٥٩م على يد المطران الانباء يؤنس.

وصف الكنيسة :

تقع فى ذات الحى الذى يضم الكنيسة الكاثوليكية وهى مبنية بالحجر والاسمنت بينما طليت جدرانها بألوان جذابة مختلفة. تتكون الكنيسة من معبد كبير يتسع لاكثر من مائة شخص وغرفتين للاستقبال بالاضافة الى منزل القسيس الذى يتكون من طوابق ثلاثة والمساحة الكلية لمجمع الكنيسة ١٢٠٠ متر مربع بلستثناء مساحة النادى القبطى الملحق بالكنيسة. هذا وقد صدق للكنيسة بقطة ارض جديدة لبناء نادى اضافى.

من انشطة الكنيسة :

بالكنيسة قسيس واحد، وتجتمع أسرة الاقباط فى أيام. الجمع والاحد بالكنيسة، حيث يمضون الوقت شيبا وشبابا فى لعب الكرة الطائرة وتنس الطاولة ولعب الورق وغيرها. وتقوم الكنيسة بتقديم بعض الدروس فى التربية المسيحية للطلاب فى يومى الجمعة والاحد فى النادى، حيث يجتمع فيها ما يقارب المائتين وخمسين طالبا من طلاب المرحلة المتوسطة والابتدائية والثانوية العليا. تقوم الكنيسة كذلك بتقديم أنواع من المساعدات للمحتاجين واللاجئين.

(٣) الكنيسة الانجيلية :

تاريخها :

انشئت هذه الكنيسة ومدرسة الاتحاد فى عام ١٩٤٦م على يد القسيس قلادة شنودة، (بديم النور) وهو حى هادىء وراق بالقرب من سوق المدينة وزاولت مهامها رسمياً فى عام ١٩٤٨م حيث كان يسيرها بعض الامريكيين والمصريين واول قسيس عمل بها يدعى جلى حنين ثم القس شكرى صمويل ثم القس الحالى مراد فرئيس الذى جاء منذ عام ١٩٦٤ وظل بها الى هذا اليوم . وبنيت الكنيسة والمدرسة التابعة لها فى بداية امرها بالمواد المحلية من القش وغيره ولكن ما لبثت ان استبدلت بمبنى من الطوب الأحمر والاسمنت. اما المدرسة (الاتحاد المتوسطة) فقد تخلت عنها الكنيسة لتصير مدرسة شعبية ثم اصبحت اليوم سودانية المنهج اسلامية التوجه وبها الآن حوالى ٤٥٠ طالبة.

من انشطة الكنيسة :

للكنيسة اكثر من ستة منازل فى حى ديم النور تستأجرها عائلات مسيحية وانشأت مدارس يوم الاحد للاطفال كما يتردد عليها بعض الشباب فى أمسيات الخميس مع الصلاة فى يوم الاحد، ويؤمها كذلك مجموعة من الجنوبيين والاحباش برغم ان الاحباش ارثوذكس.

(٤) الكنيسة الاغريقية :

هى معبد كبير مبنى بالحجر المكسو بالجير الاصفر وملحق بها منزل للقسيس وقد اسس منذ خمسين عاما تقريبا ومساحة الكنيسة حوالى ٨٠٠ متر مربع ولا تمارس اى نشاط الآن، نظرا لرحيل الاغريق الى بلادهم باستثناء أسرتين وقد حاول الاقباط الارثوذكس شرائها ولكن لسبب ما لم تتم الصفقة. هذا ويقوم بعض أعضاء وكالات الاغاثة الاجانب بعقد اجتماعاتهم فى هذه الكنيسة مع الجنوبيين والأحباش كما يستعملونها دارا للضيافة.

(٥) المجمع الثقافى المسيحى (او مستشفى الاطفال التخصصى) :

تجىء قصة هذا المجمع دليلا آخر على استخفاف العقلية الكنسية بقوانين البلاد اذ انها اقبلت على بناء المجمع بغير ترخيص من جهة الاختصاص الرسمية.

تفاصيل القصة :

اشترت الكنيسة الكاثوليكية قطعة ارض كبيرة المساحة فى عام ١٩٧٦م (حوالى

٥٠٠×٥٠٠) على مدخل مدينة القضارف على امتداد شارع القضارف بورتسودان من المواطن احمد فاضل (مسلم) وهو رئيس اتحاد المزارعين فى المنطقة وكان عضوا فى مجلس الشعب القومى. ثم شرعت الكنيسة فى تسويرها تمهيدا لبناء مجمع كنسى متكامل يخدم كل منطقة القضارف ولم تحصل على اذن بذلك من السلطة المختصة وهى وزارة الشئون الدينية والاوقاف.

ولما علم المواطنون بذلك تدارسوا الامر وكونوا لجنة تمثل ستة عشر مسجدا وقامت اللجنة بتقدير المبانى التى اقامتها الكنيسة وهى ثمانية وثلاثون ألف جنيه واستطاعت ان تجمعها من المواطنين وقدمتها تعويضا للقائمين بامر الكنيسة ولكنهم رفضوا تسلمها غير ان سلطات الاقليم صدقت بتحويل هذا المجمع الى مستشفى يخصص للاطفال ويذكر قصة هذا المجمع بما حدث فى بابنوسة عندما حاولت الكنيسة الكاثوليكية بناء مجمع مماثل بغير اذن واستطاع المواطنون كذلك تحويله لمدرسة ثانوية عليا للبنات.

(٦) الكنيسة الارثوذكسية، بامقلجة وتواوا :

وهما كنيستان صغيرتان بنتهما الكنيسة الارثوذكسية فى معسكرات اللاجئين التابعة لمدينة القضارف. وكنيسة تواوا مبنية من القش والمواد المحلية فى مساحة قدرها ٤٠٠ مترا مربعا اما كنيسة بامقلجة فبناؤها من الطوب والحجر وملحق بها منزل للقسيس وتقوم الكنيستان بتقديم مساعدات منتظمة للاجئين الذين يبلغ عددهم فى معسكر بامقلجة وحدها تسعة آلاف نسمة.

حلفا الجديدة :

انشئت مدينة حلفا الجديدة بعد توقيع اتفاقية مياه النيل بين مصر والسودان عام ١٩٥٩م حيث قام بمقتضى الاتفاقية السد العالى. مما دعا الى تهجير أهالى منطقة وادى حلفا فى شمال السودان الى هذه المنطقة التى اقيم فيها خزان على نهر عطبرة ومشروع زراعى لزراعة القمح والذرة والخضر وقصب السكر لتلبية احتياجات المنطقة بها مصنع كبير للسكر. وقد أدى ذلك الى استيعاب المهجرين وكذلك استيطان مجموعات من عرب البطانة الرحل. وهذا أغرى الكنيسة باستباق الاحداث وايجاد موضع قدم لها هناك علما بأنه لا تكاد توجد جماعات مسيحية بين السكان المحليين او المهجرين. واليوم تزخر المنطقة بالمؤسسات الكنسية المختلفة

التى تعمـل تحت أسماء متنوعة لكل من الكنيسة الكاثوليكية وكنيسة الاقباط الارثوذكس وعدد من الكنائس العشوائية فى حى كمبو فور واخرى فى منطقة مصنع السكر.

(١) الكنيسة الكاثوليكية :
تاريخ انشائها :

اتفق انشاء هذه الكنيسة مع انتقال الاب مكرم ماكس الى كسلا فى ١٩٦٤م حيث بدأ يزاول نشاطا مع بعض النوبيين (الحلفاويين) والجنوبيين فى بيوت مختلفة ثم أعقبه على ذلك النشاط القس كزموس اسيرافيكيا وفى عام ١٩٧٣ وبعد هذا التمهيد تم بناء الكنيسة بالمواد الثابتة. ودشنت رسميا فى اواخر ١٩٧٣ .

نمو الكنيسة الجديدة :

بدأت الكنيسة عملها بالتركيز على المناشط الدينية فقط، ولكن سرعان ما بنت مدرسة مسائية بعد أن ثبتت شرعيتها ونا ديا رياضيا يسمى بنادى النجوم الرياضى ولجنة النادى من المسلمين الذين يقومون بتنفيذ مخططات الكنيسة دون وعى بتنائج ذلك. كما قامت الكنيسة بالتمدد فى كل أنحاء حلفا وما جاورها من معسكرات اللاجئين، فأنشأت فى عام ١٩٧٦ مركزا متنوع الاغراض فى مصنع السكر بحلفا الجديدة ويضم المركز مدرسة ليلية وروضة وحركة كشافة وناديا وفصولا لمحو الامية ومبشرا يسكن فى مبنى المركز. ويضم المركز خمسين طالبا فى فصل محو الامية، كما تضم مدرسة الكنيسة المسائية ١٢٠ طالبا وبالكنيسة فصول لتعليم الآلة الكاتبة تضم ٢٣ طالبا معظمهم من المسلمين. وتقوم الكنيسة يوميا باعداد دروس مسائية لكل الطلبة المسيحيين على امتداد مدارس حلفا العليا والمتوسطة والابتدائية ومعـظم الحضـور من الـطلاب الجنوبيين. ويقوم بالتدريس القسيس بولس يوحنا ويقوم بالتدريس فى الكنيسة أربعة معلمين سودانيين ويعملون صباحا فى المدارس الحكومية ومساء بالكنيسة ورواتبهم بالكنيسة أكبر من راتبهم الرسمى . هذا وتتدرج فصول محو الامية فى هذه الكنيسة من المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الثانوية العليا وتمنح الكنيسة خريجى معهد الآلة الكاتبة دبلومات.

من منشآت الكنيسة :

أنشئت عدة كنـائس صغـيرة فى معسكرات اللاجئين منها كنيسة صغيرة بنيت بالحجر

ويزينها طلاء بلون جميل في (عبودة) على بعد اربعة كيلو مترات من المدينة وكذلك اقامت الكنيسة مدارس (كمبوني) صغيرة في وسط أحياء العمال في مصنع السكر كما اقامت كنيسة صغيرة من الزنك والقش في خشم القرية في حي يدعى (كمبو فور) وهو حي عشوائي يبعد عن جسيم القربة بثلاثة كيلومترات. ويشرف على هذه الكنيسة الصغيرة القس ايان. وعرفت المنطقة بانها منطقة خمور بلدية معقل لبنات الهوى ووكر للصوص. ولكن مع ذلك يعمل هذا القس بهمة ودأب وسط هذا الجو ويشرف على اربعين طالبا أغلبهم من الجنوبيين والنوبة. ومساحة هذه الكنيسة ٥٥٠ مترا مربعا وبها فصلان الدراسة يعمل فيهما معلمان الى جانب القس وتقوم هذه الكنيسة بتوزيع بعض الاغذية والملابس في ايام الاحد ومستوى المبنى بالنسبة لبقية المباني فوق الوسط. وتضم الكنيسة الام جمعية خيرية تسمى جمعية القديس المنصور تقوم بتوزيع الملابس والغذاءات وهي مكونة من الشبان المسيحيين وهناك رابطة الطلبة المسيحيين وتهتم بالجانب الرياضي في الكنيسة.

التمويل :

يتم تمويل كل هذه المناشط من مرتباب الاساتذة ومصروفات القساوسة والمشاريع وخدمات الاغاثة والنقل والترحيل.. والأموال التي يتم تحويلها من المطرانية الكاثوليكية بالخرطوم والاشتراكات المحلية التي تجمع من الطلاب وهي مجرد اسهام رمزي بالنظر الى التكلفة الحقيقة لهذه الخدمات.

التسيير :

كنسية حلفا تعتبر كنيسة نموذجية في خدماتها والسرعة التي انتشرت بها وهي تعتمد في عملها على اللامركزية الادارية فهناك لجنة القديس منصور لتوزيع المساعدات للارامل والفقراء ولجنة المكتبة المكونة من تسعة اشخاص ومهمتها ترقية خدمات الكنيسة الثقافية ولجنة الرياضة ورابطة الطلاب المسيحيين .. الخ.

علاقات الكنيسة :

استطاعت هذه الكنيسة اقامة جسور من العلاقات مع كنائس شرق السودان والمنظمة الخيرية العالمية SUDAN AID, GERMAN CARITIAS, INTERNATIONAL CARITIAS حيث

مولت هذه المنظمات بناء المركز الاجتماعى بأربعين ألف جنيه سودانى - وكذلك تتعاون الكنيسة فى التبشير مع منظمة LABEMBA الكاثوليكية التى تعمل فيها راهبة وفرنسيان وكل ذلك يشير الى ان الكاثوليك اتخذوا من حلفا الجديدة مركز انطلاق فى الشرق ويبدو انهم يركزون على هذه المنطقة ويعطونها أسبقية. كما أنهم نجحوا هنا فى مخاطبة السكان المسلمين الذين أخذوا يقيمون صلاتهم داخل الكنيسة بل يزور عدد من الشابات المسلمات الكنيسة بانتظام يؤدين صلاتهن داخل سورها. وبالكنيسة حركة مستمرة تذكر الانسان بدور الرياضة او التجمعات امام دور السينما. ويبدو أن نشاط الكنيسة قد أثر على البنية الثقافية والاجتماعية لهذه المنطقة خصوصا وسط السكان الفقراء، حيث لاحظ قاضى الاحوال الشخصية أن كثيرا من السودانيات المسلمات يتزوجن من مسيحيين ولا تكشف السلطات ذلك الا بعد وصول القضية للمحكمة حيث يكون هناك حلان، اما اسلام الرجل او الطلاق وغالبا ما تنتهى بالطلاق، وحتى بعد الطلاق فى المحكمة فان الحاجة قد تدفع المرأة للرجوع سرا لزوجها بحجة الاطفال.

كنيسة الاقباط الارثوذكس :

تاريخها ووصفها :

أنشئت بعد قيام مشروع حلفا الجديدة : .

وتقع فى جنوب منطقة السوق وهى مكونة من معهد كبير وغرفة صغيرة وسور والمساحة الكلية حوالى ١٢٠٠ مترا مربعا وأثاث الكنيسة من نوع رخيص مقارنة بكنائس الارثوذكس الاخرى.

الاشـــــراف :

يشرف على الكنيسة القس بولس سليمان والجالية القبطية التي يبلغ عدد افرادها نحو خمسين شخصا (عشر أسر) وتؤدى الشعائر باللغتين القبطية القديمة والعربية. هذا وتشارك الكنيسة فى كل مناسبات الكنيسة الكاثوليكية بحلفا. ومن مشاريع الكنيسة المستقبلية بناء مدرسة. علما بأنه لا توجد جالية قبطية بحجم يكفى لمد هذه المدرسة بالطلاب.

مدينة الفــاو :

وهى مدينة حديثة ظهرت فى النصف الاول من السبعينات، حيث تتركز فيها ادارة مشروع الرهد الزراعى وكذلك اصبحت بمثابة المركز التجارى لكل قرى المشروع.

الكنيسة الانجيلية بالفـــاو:

وهى كنيسة صغيرة تحصر نشاطها وسط الجنوبيين والنوبة وتقع فى حى مكدونيا وهو من الاحياء العشوائية. وتم بناؤها بالمواد المحلية ومساحتها ٧٠٠ متراً مربعاً.

خـــلاصـة:

ونخلص من هذا العـرض المفصل للنشاط الكنسى فى شرق السودان،الى أن الكنيسة تحرص على مخاطبـة الجنـوبيين والنـوبة فى مناطق اقامتهم وفى اية بقعة يتجمعون فيها فى السودان، بقصد التأثير عليهم وصياغة شخصياتهم وتوجهاتهم بما يتفق مع اهداف الكنيسة ومخـططاتـهـا التي ترمى الى بناء حاجز نفسى وعرقى واجتماعى وثقافى بينهم وبين السكان المسلمين فى السودان الشمالى.

العمل التبشيرى فى الاقليم الاوسط

مدخـــــل :

الاقليم الاوسط من اهم اقاليم السودان، وفيه قامت اول دولة اسلامية هى دولة سلطنة الفونج وكانت عاصمته سنار المحروسة. ويمتد هذا الاقليم من حدود الخرطوم مخترقا مناطق الـزراعـة المـروية (مشروع الجـزيرة والجنيد والمناقل) والمنطقة الواقعة بين النيلين الازرق والابيض وينتهى مع الحدود الاثيوبية فى الكرمك. ومع ان محاولات الكنيسة لاختراق هذا الاقليم بدأت منذ أيام سلطنة الفونج فى عام ١٦٩٥ ـ١٧٠٣، إثر قدوم بعثة البابوية الاولى من رهبـان الفرنسيسكان، فان الكنيسة لم تحقق حتى يومنا هذا أى نجاح وسط مسلمى الاقليم ـ لذا فقد اتجهت فى الآونة الاخيرة للتركيز على الجنوبيين وأبناء الجبال الوافدين، كما تقوم بعض المؤسسات المشبوهة مثل Foster Parent بتقديم الاعانات للاطفال اليتامى ودور الـرعـايةوالأرامل كسبا لمودتهم وتطويقهم بالاحسان بما يولد فى نفوسهم الاحساس بفضل النصارى والارساليات عليهم وان لم نعثر على حادث تنصير باستثناء الجهود المبذولة وسط الوثنيين بمنطقة الانقسنا. كما ترددت أحاديث عن تنصير بعض العرب الرحل وان لم نجد أدلة مقنعة على ذلك. [٢٠٢]

تبلغ مساحة الاقليم الاوسط ١٥١ر٤٨٠ كلم مربع ويبلغ سكانه ٤ر٨١٢ر٥٤٣ نسمة ونسبة المسلمين فى هذا الاقليم لا تقل عن ٩٥٪ ويتركز غير المسلمين فى منطقة الانقسنا بالاضافة الى اعداد صغيرة من الاقباط. ويوجد فى الاقليم حوالى ١٢٠٠ مسجد وتنتشر فى الاقليم الـزوايا والـطرق الصـوفية، كالانصـر والختمية والقـادرية والسـمانية والادريسية والتجانية. يتكلم أهل الاقليم اللغة العربية باستثناء بعض سكان الانقسنا كالبرتا والبرون.

واد مــدنـــــــى :

مدينة قديمة يقال ان مؤسسها هو مدنى السنى، من فقهاء السلطنة السنارية، إتخذها اسماعيل باشا فاتح سنار مركزا لعساكره واحتفظت بأهميتها طيلة العهد التركى وازدادت اهميتهـا فى ظل الحكم الثنائى للسودان وبعد انشاء مشروع الجزيرة، والآن هى عاصمة الاقليم الاوسط وتعتبر المدينة الثانية بعد العاصمة السودانية الخرطوم من حيث الاهمية والنمو والموارد الاقتصادية.

٢٠٢ـ حسب الاحصاء السكانى الثالث الذى اصدرته مصلحة الاحصاء، بينما ورد فى كتاب (Sudan Year Book) ان عدد سكان الاقليم الاوسط ٥ر٠٨٦ر٩٦٥ نسمة.

تضم المدينة تشكيلة من الكنائس وارساليات (الاسقفية، الكاثوليكية الانجيلية، الاورثوذكسية، المختلطة) وقد أنشئت هذه الكنائس قبل الحرب العالمية الاولى وبعد اعادة فتح السودان بقيادة كتشنر.

١/ الكنيسة الاسقفية :

تقع على امتداد شارع النيل فى الجزء الشمالى الشرقى، بالقرب من مكاتب الاشغال والرى. الكنيسة ضخمة ولها ميدان فسيح ولكنها عموما غير مطروقة نهارا.

من أنشطتها: بها فصل لتعليم الكبار وروضة اطفال يتراوح عدد المنتمين لفصل تعليم الكبار ما بين ٧٥ ــ ٨٠ طالبا، ويضم الفصل ٤٠ مقعدا من المقاعد التى تسع جالسين اثنين. ومعظم الدارسين من قبيلة النوير والمعروف ان هذه الكنيسة تركز نشاطها فى الجنوب بمنطقة أعالى النيل (شلك، نوير)، ألحق بالكنيسة حديثا، نادى ثقافى اجتماعى، وقد تبرعت مصلحة الشئون الدينية لصالح بناء هذا النادى بمبلغ مائتى جنيه وبلغت تكاليف المبنى ٤١٦١٫٠٠ جنيها كما تلقت الكنيسة فى مناسبة أخرى مساعدة مقدارها خمسمائة جنيه.

٢/ الكنيسة الكاثوليكية:

تقع فى حى القسم الاول بواد مدنى، على شارع يسمى شارع الكنيسة فى الطرف الغربى من المدينة. والكنيسة ضخمة وفخمة وتحيط بها حديقة جميلة. وفى فترة الستينات رصدت أجهزة الامن نشاط هذه الكنيسة، وربطت بينها وبين تنظيم وجمع الاشتراكات من بعض الجنوبيين بمدنى لصالح حركة التمرد.

يدير الكنيسة خمسة من القساوسة الاوربيين، وقد استطاعت الكنيسة ان تقيم فروعا فى انحاء المدينة المختلفة، حيث أنشأت فرعا لها فى حى مايو، وفى وقف تابع للشئون الدينية والاوقاف ـ وملحق بهذا الفرع روضة أطفال ويقوم بادارة المناشط الاب ماريو كاستا.

٣/ الكنيسة الانجيلية :

تقع هذه الكنيسة فى القسم الاول على شارع سنكات جبرونا وتخصصت فى العمل وسط أبناء قبيلة الشلك وهى تركز على العمل الاجتماعى والتعليمى، اذ هناك جمعية تابعة للكنيسة تسمى جمعية الشباب التى تضم الشباب من الجنسين وتباشر مهمة اعداد الاحتفالات وما يتبعها من أغذية وأطعمة وحلوى وذبح للذبائح كما تقوم بتقديم الاعانات المالية والملابس على المحتاجين. أما النشاط التعليمى : فتقوم الكنيسة بتقديم دروس مسائية لتدريس اللغة العربية والانجليزية وعدد الدارسين حوالى مائة دارس موزعين على اربعة فصول مسائية، وتعمل المدرسة بنظام الحصتين، حيث تبدأ الحصة الاولى فى الخامسة وتنتهى فى السابعة ثم

تبدأ الحصة الثانية بعد السابعة.

٤/ الكنيسة المهجورة : (اليونانية)

تقع على شارع سنكات جبرونا، وتبرز فى شكل زاوية وهى خالية من النشاط والحركة شأنها شأن اخواتها فى بورتسودان القضارف وجوبا.

٥/ الكنيسة الارثوذكسية (المقترحة) :

هذه الكنيسة مقترحة، وقد اختيرت لها المنطقة الشرقية للنيل الازرق على شارع مدنى القضارف فى مساحة قدرها ٢٫٥٠٠ متر مربع ومقرها الحالى على الطرف الشمالى الغربى من المدينة عند المدخل على النيل وبالقرب من فندق النيل وفندق كونتننتال. ويكاد نشاطها يتركز فى أبناء الجالية القبطية.

٦/ الكنيسة المختلطة:

وهذه الكنيسة خاصة بأبناء قبيلة الدينكا وليس لها نشاط لضيق فنائها.

درجت الكنائس فى مدنى على حد قول القس جاب الله شحاتة راعى الكنيسة الانجيلية ـ على توزيع الكتب والمنشورات المسيحية فى الطرق والاحياء ولكنها توقفت عن ذلك ابتداء من يوم ١٩٧٧/٩/٢٠م بصدور منشور يمنع ذلك وتقوم الآن بتوزيع مطبوعاتها فى دور العبادة وترسلها لمن يطلبها. هذا ويتقاضى رئيس القساوسة مرتبا سنويا مقداره ٦٨٠٠ جنيه سودانى (باسعار ١٩٨٠) هذا غير الامتيازات من عربات وسكن مجانى وسفر.. الخ

الحصاحيصا :

الحصاحيصا مدينة تقع على بعد ٤٨ كيلو مترا من مدنى و ١٣٥ كيلو متر من الخرطوم هى مدينة حديثة مقارنة بجارتها رفاعة على الضفة الشرقية للنيل. وقد نمت الحصاحيصا بفضل مشروع الجزيرة اذ أنشئت فيها محالج القطن كما أنشئت فيها صناعات النسيج والزيوت والمياه المعدنية وقد دخلت الكنائس الحصاحيصا حديثا فى بداية السبعينات والى الآن لم تستطع ان تفوز بالشرعية ولكنها وضعت رجلها وتستعد للدخول فى هذه المرحلة من خلال الكنيستين الكاثوليكية والانجيلية العشوائيتين.

الكنيسة الكاثوليكية :

تقع فى حى المزاد شرق شارع الخرطوم ـ الحصاحيصا وهو من أحياء الحصاحيصا الجديدة. وقد بدأ البناء فى هذه الكنيسة منذ فترة ولكنه توقف، ويبدو ذلك لشعور الكنيسة

بأن التصديقات المحلية لا تكفى بعد ما حدث لهم فى القضارف وبابنوسة وربما ينتظرون تصديقا مركزيا او ربما توقف البناء لاسباب فنية ومادية. هذا ولا تمارس الآن الكنيسة نشاطا علنيا يذكر.

الكنيسة الانجيلية :

اقيمت فى منزل استأجرته الكنيسة فى يوم ١/٢/١٩٧٢م ويتكون المنزل من حجرتين. والصبغة الغالبة على النشاط هى التعليم حيث توجد فصول تقوية فى اللغة الانجليزية للطلاب المسلمين وغيرهم يدرسهم ثمانية مدرسين. وتعمل بنظام الدراسة المسائية لفترتين، الفترة الاولى تبدأ من الساعة الثالثة والنصف ظهرا وتنتهى عند الساعة السادسة مساء وهذه خاصة بالمبتدئين وعددهم عشرون دارسا تتراوح اعمارهم ما بين السابعة حتى العشرين عاما ويدفع كل طالب ثلاث جنيهات كما يدرس الطلاب بالاضافة الى اللغة الانجليزية المطالعة الابتدائية والمطالعة الملحقة. ومعظم الدارسين من أبناء الدينكا مع قليل من النوبة وتتم الدراسة فى الفناء الذي يوجد به ثلاث سبورات بينما يتم أداء الشعائر فى الغرف.

هذا وقد كونت ادارة الكنيسة لجنة للشروع فى بناء دار للكنيسة الانجيلية بالحصاحيصا فى مساحة قدرها ٦٠٠م.م. ويبدو ان السلطات المحلية بالحصاحيصا غير منتبهة لهذا النشاط الذى سيفاجئها ذات يوم باعتباره امرا واقعا. تتكون لجنة بناء الكنيسة المعلنة من :ـــ

١/ داؤد وتكو كوكو ـ سكرتيرا للجنة الكنيسة الانجيلية بالحصاحيصا.

٢/ ابراهيم عمر بكرى ـ راعى الكنيسة الإنجيلية بالحصاحيصا.

مدينة سنار :

عرفت فى التاريخ بسنار المحروسة، كناية عن اهميتها باعتبارها عاصمة لاول دولة اسلامية بالسودان فى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى ٩١٠هـ وظلت سنار عاصمة حتى عام ١٨٤٦م ـ حينما جاء رسل محمد على ونقلوا العاصمة الى ودمدنى ثم الى سنار. هذا وقد قام الخليفة عبدالله التعايشى بتخريبها فى عام ١٨٨٥م نظرا لتلكؤ اهلها فى الاستجابة للدعوة المهدية. وقد انتعشت سنار مرة اخرى بقيام مشروع الجزيرة وبناء الخزان فيها كما تعتبر سنار مفترق طرق للسكة الحديدية والطرق البرية. وقد بنيت فى سنار كنيسة كاثوليكية. غير ان العمل الكنسى لا يتركز داخل سنار فحسب بل ينطلق الى معسكرات اللاجئين فى عوض السيد وكيلو (٥) وكيلو (٧) حيث يوجد بها سبعة عشر ألف لاجىء.

الكنيسة الكاثوليكية :

تقع على شارع الجامع الكبير فى طرف المدينة الجنوبى غرب الشارع فى حى القلعة. والكنيسة بناء ضخم من الطوب الاحمر المطلى بالجير الابيض من الخارج.
وليس للكنيسة نشاط مؤثر على حركة الحياة بالمدينة باستثناء فصول التقوية المنظمة التى نستقبل المسلمين وغيرهم وقد أعدت للطلاب عشرون اريكة وسبورة وعدد من الاساتذة.

كوســـــــتى :

كوستى مدينة حديثة ارتبطت نشأتها بالسكة الحديدية وامتداد خدمات النقل النهرى للجنوب.
تضم مدينة كوستى اربع كنائس، كاثوليكية، وارثوذكسية وانجيلية وأسقفية وقد فازت كوستى بهذا العـدد من الكنائس باعتبارها مدخلا لجنوب السودن. وباعتبار ان كثيرا من الجنوبيين يأتون لكوستى طلبا للعمل كما يتخذها بعضهم مقرا مؤقتا الى أن يقيض الله له الذهاب الى المنطقة التى يريدها.

١/ الكنيسة الكاثوليكية الجديدة :

جاءت هذه الكنيسة ثمرة لاتفاقية اديس ابابا، اذ انتهزت الكنيسة الجو الذى أفرزته الاتفـاقية وقامت ببناء هذه الكنيسة الضخمة. وقد افتتحت فى ٢٨/٤/١٩٧٧م وحضر حفل الافتتاح الاب بارونى وسفير الفاتيكان بالسودان وقتئذ، جالأدبرس وعدد كبير من معاونيهم، كما شارك فى الاحتفال عدد من رجال الاعمال السودانيين واحتفل السيد/ منيب عبد ربه ـ مسلم ـ وكيل شركة أجب بذلك فأقام حفل شاى لضيوف الكنيسة واسرتها.

الموقع :

تقع الكنيسة فى مربع (٢٥) الدرجة الثانية، قرب الشارع الرئيسى القادم من الخرطوم ومسلاتها تشاهد من مسافات بعيدة وأجرسها تسمع بانتظام داخل المدينة.

من نشاط الكنيسة :

ملحق بالكنيسة مدرسة مكتملة الصف الاول حتى السادس وبها حوالى ٢٧٠ طالبا، وروضة وتدريب مهنى، للكبار وملجأ للاطفال. وللكنيسة فرع بالرديف (من أحياء كوستى) شمال المدينة ويشتمل هذا الفرع على روضة وملجأ للاطفال، هذا ويتردد على الكنيسة بعض الايطاليين باستمرار ومعظم المستفيدين من هذه الخدمات هم أبناء الاقليم الجنوبى (دينكا ونوير) ولكن هناك ٣٠٠ طفل من أبناء المسلمين فى الروضة معظمهم من التشاديين وكذلك فى فصول التقوية المسائية للغة الانجليزية.

تقوم الكنيسة بتقديم اعانات مادية لبعض الاشخاص والاسر المرتبطة بالكنيسة. كما تحاول الكنيسة جذب الشباب اليها من خلال النشاط الاجتماعى والرياضى الذى توفره لهم، من مسرح وملعب لمختلف انواع الرياضة بما فيها كرة القدم.

هذا وللكنيسة جهاز لاسلكى يعمل على ربطها بداخل البلاد وخارجها..

٢/ كنيسة الاقباط الاورثوذكس :

كنيسة ضخمة، تقع فى قلب المدينة فى منطقة الدرجة الاولى فى الشارع الرئيسى، وتعتبر هذه الكنيسة أعلى مبنى فى المدينة ومساحتها ١٤٩٣ متر مربع.

ملحقات الكنيسة :

بها روضة اطفال تضم ١٥٠ طفلا من أبناء المسلمين وبيت القسيس وملعب للكرة الطائرة.

من نشاط الكنيسة :

تتم فيها مراسم الزواج والموت والاحتفالات الدينية، الى الأنشطة الثقافية من ندوات ومحاضرات ولهم مجلة اسبوعية حائطية تصدر باسم (الميلاد الجديد) كما تنظم الكنيسة أمر استضافة بعض الاحباش والارتريين ولكن النشاط الاساسى للكنيسة يتركز وسط الجالية القبطية (الاورثوذكس) الذين يعمل معظمهم تجارا وكانوا يملكون حانات الخمور التى أغلقت فحولوا نشاطهم الى شراء العقارات والاراضى.

قامت السلطات المحلية بمنحهم مقبرة خاصة خارج كوستى وعلى مدخل المدينة، تقدر مساحتها بعدة أفدنه حيث قاموا ببناء سور لها وايصال المياه اليها.

٣/ الكنيسة الانجيلية :

هذه الكنيسة ماتزال تحاول أن تجد لها موضع قدم وقد بدأت باستئجار منزل فى قلب المدينة بمنطقة الدرجة الاولى بجوار الكنيسة الاورثوذكسية ومعظم رواد المنزل ـ الكنيسة ـ من الجنوبيين (دينكا ، نوير ، شلك) وكذلك بعض النوبة هذا وبالكنيسة فصل لتقوية اللغة الانجليزية ينتظم فيه اربعون طالبا . كما يتردد للصلاة فيها ٨٧ شخصا من الرجال والاطفال والنساء.

تنظم الكنيسة نشاطا رياضيا محدودا داخل المنزل ولها بعض الملاعب وفريق لكرة القدم .

٤/ الكنيسة الاسقفية السودانية :

من كنائس المدينة القديمة، وتقع فى مربع (٢٤) فى قلب المدينة الدرجة الاولى ـ حى النصر.

ملحقاتها :ـ بها فصل لتقوية اللغة الانجليزية وروادها من الجنوبيين والنوبة هذا ولا يتناسب نشاطها الجارى مع عراقة هذه الكنيسة .

سنجـــة :ـ

مدينة سنجة من المدن القديمة، وقد اهتم بها الانجليز باعتبارها مركزا تجاريا لتسويق المحاصيل فأنشأوا بها مركزا للخدمات الامنية كما امتد اليها خط السكة الحديدية وازدادت اهميتهـا حديثا بوصول شارع الاسفلت اليها من الخرطوم عبورا بسنار لذا فلا عجب أن انشأت البعثة الكاثوليكية كنيسة بها وهى :ـ

الكنيسة الكاثوليكية :ـ

كعـادة الكنـائس بدأ نشاط هذه الكنيسة فى عام ١٩٧٥م فى شكل خدمات تعليمية وفصول لتعليم اللغة الانجليزية للمبتدئين وفصول لمحو الامية وروضة اطفال الى أن فازت بالقبول من السكان المحليين ثم دشنت فى النهاية كنيسة فى الحى الجنوبى وبالمواد الثابتة (الجملون والحجر).

ملحقات الكنيسة :-

للكنيسة استراحة فى الجنوب الغربى من مبانى مجلس شعبى منطقة سنجة هذا وتستقبل هذه الكنيسة باستمرار بعض القساوسة الزائرين ويزورها قساوسة آخرون من مدن مختلفة بصفة منتظمة لحل مشاكلها.

وتقوم هذه الكنيسة فى الحى الجنوبى الذى يعتبر اغزر الاحياء من ناحية الكثافة السكانية ومعظم السكان من الفلاتة الوافدين ومن أبناء جبال النوبة وأبناء الاقاليم الجنوبية. ويعتبر الفلاتة هم العنصر الاسلامى وسط هذا الخليط ولهم عدد من خلاوى القرآن، وأما أبناء الجبال فبرغم اتفاقهم التحدث بالعربية الا انهم ما يزالون على وثنيتهم. أما أبناء الجنوب فهم المجموعة النشطة فى حركة الكنيسة. هذا وتقام صلاة الاحد بانتظام داخل الكنيسة.

الاشراف :- يشرف على نشاط الكنيسة أحد المسيحيين المقيمين بمدينة سنجة ويعمل موظفا بالمجلس ويساعده فى الاشراف أحد ابناء الجنوب.

من انشطة الكنيسة :- تدير الكنيسة روضة للاطفال تضم حوالى خمسين طفلا من ابناء الجنوب والنوبة وأبناء المسلمين، حيث يقدم لهؤلاء الأطفال الالعاب المسلية التى تستهويهم مع تقديم الحلوى لهم واحاطتهم بالرعاية التى ترغبهم فى الحضور الى الروضة دون التخلف. والمرشدات المشرفات على الروضة يتم تعيينهن عن طريق الرعاية الاجتماعية وتصرف لهن مرتبات خصما على ميزانية الرعاية الاجتماعية فى حدود الثمانية وعشرين جنيها لكل مرشدة وربما تقوم الكنيسة باعطائهن بعض الحوافز. وبالكنيسة فصل لتعليم اللغة الانجليزية يضم عددا من أبناء المسلمين وهناك فصل آخر لمحو الامية هذا ولا تفرض أية رسوم دراسية.

أخذ نشاط هذه الكنيسة يؤثر على حركة الحياة فى المدينة، خصوصا أن سنجة مدينة صغيرة، كما لوحظ اقبال الطالبات من المرحلة الثانوية والمتوسطة على هذه الكنيسة مما حدا بالبعض لتنظيم ندوة عامة بالمدرسة الجنوبية الابتدائية للبنات تمت فيها مناقشة نشاط الكنيسة وأثرها على ابناء وبنات المسلمين.

الدمازين :-

الدمازين مدينة حديثة ارتبط قيامها بخزان الروصيرص وقد أصبحت مع الروصيرص تشكل واحد من واجهات السودان الجنوبية الشرقية وهى أول مدينة يستقبلها القادم بعد اجتيازه الحدود السودانية الاثيوبية من منطقة الفونج، وتعتبر الدمازين مدينة هامة بالنسبة لسكان منطقة الانقسنا، الذين لايدين معظمهم بأى دين.

الكنيسة الكاثوليكية :-

تقع فى الجانب الجنوبى لمدينة الدمازين فى حى الزهور وغالبية السكان من الجنوبيين (دينكا ، نوير، شلك) وبعض النوبة والانقسنا. ومساحة الكنيسة ١٦٠٠ متر مربع.

صفة الحى :- يعتبر حى الزهور من أكبر احياء الدمازين وفيه تمارس صناعة الخمور التى تمثل المشروب الاساسى عندهم. ومعظم سكان الحى من المسيحيين.

من انشطة الكنيسة :-

بالكنيسة مدرسة من ست فصول يؤمها مئتا طالب منهم ١٥٠ طالبا مسلما والبقية مسيحيون ويتلقى الطلاب المسيحيون دراسات تخصصية فى المسيحية ثم يرسلون مبشرين الى مختلف أصقاع الانقسنا خصوصا فى منطقة الكرمك (النواحى الجنوبية) ومنهج الدراسة فى المدرسة يقوم على اساس تعليم اللغة الانجليزية، هذا وتضم المدرسة ستة مدرسين مسيحيين كما وبالكنيسة روضة تسع ٣٠ طفلا جلهم من أبناء الدينكا، وفصول تقوية فى الانجليزية والعربية والمسيحية تسع ١٢٢ طالبا، معظمهم من أبناء الدينكا والنوبة والانقسنا.

تقوم الكنيسة كذلك بتقديم خدمات لمجتمع المدينة، يتمثل فى توفير الملابس الجاهزة وتعليم الخياطة والحياكة والعلاج المجانى للمواطنين وتوزيع بعض الغذاءات ، كما توفر الكنيسة السكن للدارسين الوافدين من خارج المدينة وتقوم بتحصيل رسوم رمزية منهم (جنيهان ونصف للفرد).

الاشراف :-

يقوم بالاشراف على هذه الكنيسة قسيسان اجنبيان يسكنان داخل الكنيسة ويدعى احدهما ويرو وهو ايطالى والاخر اسبانى ويدعى جوزيف.

جبال الانقسنا :-

فى عام ١٩٤٥ اتصل مدير المديرية فى واد مدنى بمعتمد جبال الانقسنا وطرح فكرة قيام كنيسة وفى سنة ١٩٤٦ قامت الكنيسة فى باو وتم بناؤها من القش - ولكن لم تستطع الكنيسة أن تنمو ثم ماتت ولم يبق منها سوى بقايا مبناها.

شـــــالى :

ركزت عليها الكنيسة باعتبارها منطقة لشعب الادك الوطنى المعزول عن كل التأثيرات الحضارية والثقافية بسبب العزلة والتخلف.

وقـد قامت الارسـالية الانجيلية هنـاك ببنـاء كنيسـة ومدرسة ابتدأئية وكان يديرها فى الخمسينـات والستينـات بعض القسـاوسـة الاوربيين. هذا واستـطاعت الارسالية ترجمة الانجيل الى لغة أدك وكتابة لهجة الادك بالحرف اللاتينى.

بدأ العمل التبشيرى يفقد قوته بعد سفر القساوسة الاوربيين واليوم يدير الكنيسة أحد أبناء المنطقة ويوزع بعض الاعانات ولكن تبدو الكنيسة كأنها مهجورة اذ انفض عنها الناس بعد توقف نشاطها العلاجى والتعليمي.

التعليم الكنسى النظـــامى :

التعليم الكنسى فى الاقليم أقل استشراء مما هو عليه الحال فى الخرطوم وعطبرة والابيض وجنوب السودان اذ لا يكاد يتركز فى غير مدينة واد مدنى، حيث توجد المدرسة الاميريكية الانجيلية للبنات وهى مكونة من ابتدائية ومتوسطة وثانوية عليا وتمت تصفية الاقسام العليا عام ١٩٨٢م. الابتدائى وهو مختلط.

أنشئت هذه المدرسة فى عام ١٩١٢م وتقع فى القسم الاول من مدينة واد مدنى، وتضم خمسـة عشر معلما سودانيا مسيحيا باستثناء مدرس التربية الإسلامية بالاضافة الى معلمة مصرية متعاونة. مدير المدرسة خريج كلية بيروت الجامعية والمصروفات المقررة خمسة عشر جنيها سودانيا شهريا.

المنهج المقرر :

المنهج السوداني بالاضافة الى اللغة الانجليزية وعدد الطلاب ١٦٧ (٨٨ طالبة و ٧٩ طالبا) و ٤٦٪ من هؤلاء الطلاب مسيحيون و ٣٥٪ مسلمون والبقية هندوس (أبناء هنود). وبهذه المدرسة روضة للاطفال تضم ٦٧ طفلا. وتضم مدينة واد مدنى ايضا مدرسة ابتدائية للجالية اليونانية ومدرسة هيلينية ابتدائية.

وعمـومـا فان الكنائس تركز فى الاقليم الاوسط على التعليم غير النظامى المتفرع من الكنيسـة فى شكـل فصول محو أمية وخياطة وآلة كاتبة وفصول تقوية. وقد توجد مدرسة

مكتملة ولكنها لا تتبع وزارة التربية والتعليم (قسم التعليم الخاص) كمدرسة كمبونى بحلة حسن بمرنجان، فهى مجمع تعليمى به روضة اطفال ومدرسة ابتدائية ومتوسطة وثانوية عامة مختلطة وملحق بها فصول لمحو الامية لتعليم اللغة العربية ويعمل بها احد عشر معلما وبرغم ذلك لا تعرف عنها الوزارة الاقليمية للتربية شيئا. ومعظم طلاب المدرسة من الجنوبيين وأبناء الجبال الذين لم يوفقوا فى تعليمهم النظامى، حيث يعيدون الكرة مرة اخرى فى هذه المدرسة وفقا للمستوى الذى يناسبهم. ويدفع من يستطيع من الطلاب مصروفا شهريا وقدره ثلاث جنيهات للطالب ويبدو أن هذا المجمع التعليمى أقيم للتأثير على سكان هذه المنطقة ومعظمهم من عمال محالج مارنجان.

الدراسات :

تجتهد الكنائس والاستخبارات الاجنبية فى إجراء الدراسات حول التحرك السكانى فى السودان لمتابعة هجرة العناصر الافريقية، لتحول بينها وبين الانصهار فى المجتمع الشمالى وذلك باقامة الكنائس والمدارس والاندية وبيوت الضيافة. وقد بدأت آثار المخطط الكنسى تظهر فى مديريات لم تعرف الانشطة الكنسية من قبل كدارفور والشمالية. وفى المديرية الشمالية تحاول الكنيسة، ممثلة فى مجلس الكنائس العالمى، الدخول عن طريق زراعة النخيل فى دنقلا والكنيسة السبعية فى كريمة واحياء مراكز الكنيسة فى عطبرة والدامر أما فى دارفور فتحاول التسلل عن طريق الاغاثة.

الجزء الرابع
الفصل الأول
تحليل لبعض المطبوعات الكنسية

هناك نشاط كنسى ضخم فى مجال النشر وفى ما يلى نماذج لاهم الكتب التى تباع او تهدى للناس :ـ

(١) كتب وقصص الاطفال :

توزع هذه الكتب باسعار تشجيعية واحيانا بالمجان. وتعرض فى المعارض والمكتبات كما تقوم الكنيسة بتوزيعها على الاطفال وأسرهم فى احيائهم. ويراعى فى هذه المطبوعات الجودة فى الاخراج والانجاز وبساطة الافكار وصغر الحجم مع تكثيف الصور والالوان وعموما فهى تدور حول فكرة محورية واحدة هى انه لا خلاص الا بالمسيح ولا نجاة الا بالمسيحية وتحاول جميعها تثبيت هذه الفكرة فى وجدان الطفل بشتى الطرق :ـــ
أ/ فمثلا كتاب «واخيرا أنا حرا لأحيا» يحتوى على ١١٠٠ كلمة تتخللها ٧٥ صورة أى كل فكرة فى حدود العشر كلمات تصاحبها صورة وتدور أحداث القصة حول أب واعظ (قسيس) أنضم الى عصابة ومارس حياة الاجرام ولكنه حينما سمع اذاعة صوت الانجيل تبشر بالخلاص على يد المسيح (مات من أجل كل خطاياى وقد أعطانى حياة أبدية) عاد مسيحيا مخلصا ثم ينتهى الكتاب بصلاة مقترحة هى تعويذة الكنيسة.
بـ/ هناك قصص أطفال مصورة لا يزيد حجمها عن الاربع صفحات وفى حدود مائة كلمة وهى من مطبوعات (جمعية الكتاب المقدس) وصدر منها أكثر من عشرين عددا وتهدف السلسلة الى استقصاء فكرة المسيح كما هى عند المسيحيين وترسيخها فى اذهان أطفال المسلمين مثل ان يسوع يسكت العاصفة حيث تختم القصة بآيات من انجيل لوقا « من هو هذا الانسان يأمر الرياح والامواج ان تسكت وهى تطيع» وكقصة (يسوع يبارك الاولاد) وهى فى حدود خمسين كلمة ومصورة وباخراج فنى جذاب. وأطولها (الصبى يسوع فى الهيكل) فى حدود الـ ١٥٠ كلمة. وتمضى كل هذه السلسلة فى هذا الاتجاه وتوزع على تلاميذ المدرسة خاصة اطفال الاحياء الفقيرة فى العاصمة المحرومين من أدب الاطفال المقروء والمسموع هذه الكتيبات تصلح تماما لغسل أدمغة الاطفال لسلاستها وسهولة اسلوبها وجمال اخراجها. واعتمادها على الصورة التى تؤثر فى مخيلة الطفل وتستثيرها.

(٢) كتب الشبيبة :-

هناك مكتبة الشبيبة وقد صادرت اجهزة الامن كميات كبيرة منها وطردت القائمين على امرها من الخرطوم . وقد تخصصت هذه السلسلة فى الهجوم على الاسلام وتحريف تعاليمه وتشويه السيرة النبوية وتنفير المسلمين من دينهم فمثلا من هذه الكتب كتاب «دعوة الى الحق» الذى يتضمن الابحاث التالية فى الجزء الاول منه :-

١) كيفية الحوار مع المسلمين .
٢) بطلان التحريف واستحالته .
٣) بطلان النسخ ورده .
٤) انجيل المسيح الواحد بنصوصه الاربعة .

ففى صفحة (١) من البحث الثانى يقول ليس فى القرآن نص واحد يتهم الانجيل بالتحريف أو يلقى شبهة التحريف على الانجيل . هذا يعنى . . . ومن يقل غير هذا القول يعوزه الدليل والبرهان أولا : لايقول القرآن بتحريف لفظى للتوراة . ثانيا : أن مهمة التحريف هذه حينئذ - لاتقصد المسيحية ولا انجيلها على الاطلاق وانا لنتحدى ايا كان ليعطينا نصا واحدا يتهم المسيحية تصريحا أو تلميحا بتحريف الانجيل أو بعض الانجيل . (صـ ١٠) ثم يمضى فى نفى المفهوم القرآنى للنسخ قائلا : الاخذ بمقالة النسخ - اى نسخ القرآن للتوراة والانجيل وتعميمها بنص القرآن يفسد والقول بنسخ شرع القرآن قدح وباطل بمساق القرآن ونزل القرآن على سبع أحرف فلم يحفظ منها الا حرف واحد ونزل الانجيل على أربع أحرف فحفظت جميعها .

(٣) كتاب ميزان الحق :-

يقع الكتاب فى ثلاثة أجزاء الاول عنوانه «لا تحريف فى التوراة والانجيل» والثانى «كيف يخلص الانسان؟» والثالث «كيف تعرف دين الحق» الاول يقع فى نحو ١٦٣ صفحة والثانى يقع فى نحو ١٦٣ صفحة والثالث ٤٨٤ صفحة من الحجم الصغير . وقد نشرتها مؤسسة الشبيبة فى سويسرا .

فى مقدمة الجزء الاول اشارة الى مؤلف الكتاب الدكتور فاندر المتوفى منذ أكثر من مائة سنة والناشرون لا يجدون حاجة الى تغييره . الكتاب موجه الى المسلمين الذين يحاجون المسيحيين ببطلان الانجيل او تحريفه وقد يكون احيانا موجها للمسيحيين الذين ينزعجون امام حجج المسلمين ضد عقائدهم .

تقوم فكرة الكتاب على الاستشهاد بالقرآن الكريم دون اعتراف بصحته وان اشارات القرآن الكثيرة للمسيح والانجيل والتوارة تدل على صحة هذين الكتابين وان الكتاب الذى

بين أيدينا الآن هو نفسه الذى كان على زمان النبى محمد (ص) ويحتج الكتاب بأن فكرة تحريف الكتب السابقة ليس عليها دليل من القرآن قط. ويستعمل حججا ساذجة أحيانا كقوله فى الرد على وقوع التحريف (بحيث أصبح لا يوثق بها كما تزعم جهال المسلمين فان كان الامر كذلك فما اشقى بنى آدم . . . وما أشقى الجنس البشرى بهذا المصاب العظيم حتى القرآن طاش سهمه وخاب مسعاه لان الله أنزله مهيمنا على الكتاب المقدس ليحفظه سالما ولم يحفظه ان هذا ليهدم ركنا من أركان الثقة بالقرآن، كيف لا وقد أوكل الله اليه مأمورية فأهملها أشد الاهمال ص ٩٤) ويزعم الكاتب ان الاختلافات التى بين الاناجيل لا تعدو أن تكون مثل اختلافات القرآن عند المسلمين.

أمـا الجزء الثانى فيشتمل على شرح مبسط لافكار المسيحيين فى لزوم الخلاص وفكرة العقيدة ونحو ذلك من علم اللاهوت (Theology) ولذلك فهو يخلو من استشهاد بالقرآن ومحـاورة المسلمين نسبيا، غير انه ليس خاليا تماما فهو يشير مثلا الى اعتقاد المسلمين بأن النصارى يعتقدون ان الثالوث هو ثلاثة آلهة الاب وروح القدس والابن ويقول انه لا يستبعد ان بعض الجهلة من النصارى قدموا مريم والقديس كآلهة على عهد النبى (ص) كما يفعل كثير من جهلة المسلمين. ويزعم أن المسيحيين على اختلاف مذاهبهم لم يقل فريق منهم بثلاثة آلهة.

اما الجزء الثالث (كيف تعرف الدين الحق) فهو هجوم على عقائد المسلمين ويتناول منها اعتقاد ان الاسلام هو دين الله الابدى والاعتقاد ان الانجيل تنبأ بمحمد ﷺ . ويتناول فكرة اعجاز القرآن ودلالتها على صدق الوحى ويجتهد فى تفنيد هذه العقائد اجتهادا عظيما وقد يستشهد بالآيات وقد يذكر اقوال بعض المبشرين، وهكذا ومن امثلة ذلك ص ٣٧٦ فى الكـلام على تنبؤات القـرآن التى صدقت بعد انتصار المسلمين يقول عن قوله تعالى (ام يقولون نحن جميع منتصر، سيهزم الجمع ويولون الدبر) على نحو ما يقول كل قائد لجنوده يوم يلتقى الجمعان وتحتدم نار الحرب، إلا أنه أى محمد ﷺ زاد على القواد انه عربى ونسب قوله الى مصدر سماوى يقوى رجاءهم فحاربوا بشجاعة ونالوا النصر وليس ذلك من النبوءة فى شىء كما رأيت).

ويطعن الكتـاب فى اخـلاق النبى ﷺ وفى معاملاته ويقدح فى كل ما ينسب اليه من الفضائل ويكثر من الاستشهاد بالسيرة والتاريخ.

الكتاب فى مجمله حملة شديدة على الإسلام ودفاع عن المسيحية ولا يبعد انه كتب ردا على علماء المسلمين الذين كتبوا فى مقارنة الإسلام بالنصرانية فهو يسير مثلا فى مواضع الى كتاب رحمة الله الهندى المسمى (اظهار الحق).

(٤) كتاب شخصية المسيح فى الانجيل والقرآن :

يبدو انه محاولة لاثبات أن نظرة القرآن للمسيحية والمسيحيين قد تكون متأثرة بالظروف المكانية والزمانية وربما كانت اهداف الكتاب تنحصر فيما يلى :

١/ تكوين وجهة نظر موحدة بين المسيحيين.

٢/ توفير نوع من الحماية لعقائد اتفاق المسلمين معهم على بعض هذه العقائد.

٣/ تأييد وجهة نظر المسيحيين حول بعض امور العقائد التى يختلفون فيها مع المسلمين.

٤/ ملاحظة اخرى أنه قد يستشهد فى القرآن بآيات تتفق مع العقائد المسيحية فى جزء من الاجزاء ولكن الكاتب يعرض الآيات بطريقة يمكن أن تفوت على القارىء الجاهل وجود خلاف كبير بين العقيدتين.

ومثل لذلك يذكر إخبار القرآن بأن المسيح قد توفى ورفعه الله اليه فيذكر الكاتب هذا ويدعمه باقوال اخرى وآراء بأن وفاته لم تكن عادية وهناك اشياء تدل على أنه مات مقتولا فى بعض ما يدعونه مما يدل أنه قتل، وصورة القتل مختلفة ويذهب الى انه عندهم بالصلب. فيطرح القضية ويستفيد من الاتفاق فى الجزء ويعمم.

(٥) كتاب (الصليب فى الانجيل والقرآن) :

بقلم اسكندر جديد نقد وتحليل :

يلاحظ ان الكتاب يتميز عن غيره من كتابات المسيحيين باسلوب العرض المحايد. بدأ بعنوان الكاتب الذى لا ينم عن شر ويستخدم الكاتب (مبدأ الكياسة حيال شعور الغير) وهذا ما يفسر عرضه لمجموعة بنصوص بالرغم من قناعته الراسخة بأن الخبر الذى هو صلب المسيح وما ورد فى نصوص الانجيل. وواضح ان المقصود بالغير هنا هم المسلمون.

واضح ان الكتاب يمكن أن يحدث اثرا فى نفوس المتعلمين ممن تروق لهم الآراء المنطقية والروح العلمية. خاصة اذا لم يكونوا ملمين بالثقافة الإسلامية اذ تفوت عليهم اخطاء النقل وما يحدثه البتر فى اقوال المفسرين من اختلال فى المعنى.

كما يحاول الاستفادة من اختلاف اقوال المفسرين فى قضية صلب المسيح فى اظهار الإسلام بالتناقض. ثم يتجاوزه الى الانجيل الذى يخلو من التناقض فى طرحه لهذه القضية كما يدعى. يلاحظ ضعف حجة الكاتب فى محاولته تفسير نصوص القرآن باجتهاده الخاص لصالح فكرته وتقريظه للراوى الذى يرى اتفاقه معه فى الرأى الى حد كبير. ثم الكاتب فى صفحاته الاخيرة يعود الى اسلوب الطرح المتحيز ويفقد اللغة العلمية.

(٦) حب افريقيا (للكاتب جوزيف هالطا صادر من منشورات المكتبة البوليسية :

وهو من سلسلة الجهود التى تعنى بالقديسين والابناء والاخوات القديسات امثال ربابا موبدو. دول لوسلو والعنوان جذاب مما يزيد من الاقبال على الكتاب وهو يهدف بوجه خاص الى تشجيع المسيحيين حتى يكونوا دعاة للمسيحية ويخلصوا لها كما اخلص دانيال كمبونى.

أما كمبونى مؤسس المدارس الكثيرة فيحاول الكاتب ابرازه فى صورة عاشق لدعوته، دعوة المسيحية. والكتاب فى مجمله محاولة لاثبات ان وسط افريقيا هى منطقة الصليب وأن السودان جزء هام منها فهو منطقة مسيحية منذ القدم وارض موعودة ومذكورة فى الكتب السماوية فلابد من رجوعها مسيحية كما كانت وكل الصور التى حشدت فى الكتاب تهدف الى ابراز الوجه المسيحى والثقافة المسيحية فى السودان.

وذكر المهدى فى سياق احداث التاريخ بصورة تدل على الحقد الذى ينضح به قلب المؤلف فقد جاء فى الكتاب ان فى عام ١٨٨١م انطلقت الثورة المهدية بقيادة محمد احمد بن عبدالله الملقب بالمهدى ضد الانجليز والمصريين فكان من نتائجها هدم الكنائس والمراكز الرسولية وقتل المرسلين.

الفصل الثامن
تحليل الاستبيان[٢٠٣]

اشتمل الاستبيان على نماذج عشوائية للافراد الذين تنصروا على امتداد العاصمة المثلثة (الخرطوم والخرطوم بحرى وأم درمان واطرافها) وركز على تنصير الشباب الذين تتراوح اعمارهم مابين ١٤ـ٣٥ عاما. وكانت مشاكل الاستبيان هى انعدام الثقة بين السائلين والمسئولين وتشككهم فى نوايا ودوافع الاستبيان.

جاء معظم الذين تم استفسارهم الى الخرطوم فى أواخر السبعينات ماعدا واحد منهم ولد فى الخرطوم ونشأ فيها وتنصر نظرا لأن والده كان نصرانيا كاثوليكيا. أما الأخرين باستثناء رجلين فقد دخلوا فى النصرانية نتيجة لنشاط الكنيسة بالخرطوم وقد عبروا عن ذلك بصورة متقاربة فقد جاء استيفن من الجنوب وأعطوه خمسين جنيها، وقالوا له سنساعدك فى المستقبل فما كان منه الا ان تنصر، علما بأنه لايعرف ان كان ينتمى الى الكاثوليك أو البروتستانت. وكل مايعرفه أنه مسيحى وحسب، وأن الاسلام دين غير صحيح. وذات الشىء حدث مع (سايمون كوج) الذى حضر من رومبيك عام ١٩٧٩ وتنصر عام ١٩٨٠م عندما دُعى للصلاة فى الكنيسة وقدم له بعد الصلاة مبلغ خمسين جنيها وكذا أمر (وليم وهو عامل بناء) وقد ذكر أن خالته القسيسة قدمت له مساعدات مادية مما أغراه بدخول المسيحية فى وقت كان محتاجا فيه الى مساعدة. ثم أن الكنيسة شملته بعدها برعايتها التعليمية والصحية. وهكذا تمضى الاستبيانات مع اختلافات بسيطة. فجون بالكلاكلة اغراه الجو الاجتماعى الذى توفره الكنيسة ببحرى بالتنصير اما (تعبان) العامل بالمنطقة الصناعية فقد تنصر نظرا لان مدرسيه كانوا من الاقباط وتم تنصيره على أيديهم. أما (لادو) نزيل سجون فقد عزى سبب تنصيره للمعاملة الكريمة التى لقبها من المسيحيين. كما أن الكنيسة تقدم له الملابس والمأكولات. أما (بت) العامل بشركة شيفرون فقد تنصر اتباعا لنصيحة اصدقائه المسيحيين من يوغندا علما بأنه من اسرة مسلمة. كما أن الكنيسة هيأت له الدراسة والعمل بالشركة. وهذا يسلط الضوء على وجود صلة ما بين الكنيسة وهذه الشركات، حيث لوحظ أن عنصر

٢٠٣ـ ملحق بذيل البحث الاستبيان والاسئلة التى استهدى بها فريق الباحثين فى جمع المعلومات وهذا الفصل هو تحليل الاجابات التى تلقاها الباحثون على الجزء الاول من الاستبيان.

المسيحيين الجنوبيين يطغى على موظفى هذه الشركة بالخرطوم. أما (أزايا) من الشلك فقد تنصر منذ صغره علما بأن كل اهله وثنيون ويعود سبب تنصيره للزيارات التى كانت تنظمها وتسجلها مدرستة للكنيسة، حيث اصبح مثله الأعلى أن يصير قسيسا وقد علق قائلا بأن المسيحية دين سلام والمسلمون مشتغلون باشعال الحرب.

أما (متر جابر) فقال أنه لايذهب الى الكنيسة لانه يرى أن المسيحيين مهتمون بأمورهم المادية ولايهتمون بالروحانيات كما ينبغى وهو يقتنى القرآن مفسرا باللغة الانجليزية الا انه رغم ذلك يكره المسلمين وعلى استعداد لطرد ابنه من البيت اذا اسلم. أما (قابان خميس) الذى جاء من مكان يقرب من جوبا فانه سيترك ابنه اذا اسلم وشأنه. وأما (يونس هوت) فقد تنصر حسب قوله اولا لرغبته فى ذلك وثانيا لانه يكره العرب وثالثا لأفضال الكنيسة عليه إذ قامت بتعليمه، وامنيته أن يرى كل الجنوبيين مسيحيين.

هذا وقد منحته الكنيسة حسب قوله دراجه بخارية للترحيل ومن الاستبيانات اتضح ان البعض قد تنصر بعد حضوره الدروس التى تنظمها الكنيسة بالسجن وهكذا يمضى السياق العام للاستبيان حيث يتضح ان أهم عوامل التنصير ماتزال هى :-

١) المساعدات المادية التى تقدمها الكنيسة خصوصا حين يكون القادم حديث عهد بالعاصمة. فهى تساعد حتى من جاء من اسرة غنية أو متوسطة الحال، بمقاييس المستويات الاقتصادية بالجنوب.

٢) عامل الرعاية التعليمية والصحية فى المدارس التبشيرية وفصول محو الامية والمصحات والكنائس العشوائية.

٣) الجو الاجتماعى الذى توفره الكنيسة حيث تفتح لهم ابواب المدارس والكنائس فيلتقون ويتعرفون بعضهم على البعض ويتناقلون انباء أهلهم ويشعرون بنوع من الاتحاد فى وجه الضياع الذى تمثله المدينة.

٤) ويأتى فى المقام الرابع عامل الاسرة والوراثة.

٥) ثم الشعور العميق بأن الشماليين يعاملونهم من موقع الاستعلاء وأن الاسلام دين العرب وأن المسلمين يهتمون بهم فقط لاستيعابهم عمالا فى الاعمال المنزلية و(خدما) وبعض الاعمال الأخرى ذات الاجر الوضيع.

هذا وقد اختلفت وجهة نظر المسيحيين حول المسلمين من النوبة والجنوبيين فمنهم من وصفهم بانهم (أغبياء) (على باطل) (لاباس بكل دين) ومنهم من اكتفى بانه (لايعرفهم) أو (افضل من الوثنيين) والغالبية ترددت ورفضت الاجابة مما يعنى ان الوجدان الشعبى للنوبة والجنوبيين مايزال يتشكل ولم يأخذ شكله النهائى، ومازال امام الاسلام فرصة ليقدم نفسه بديلا للنصرانية والوثنية على حد سواء. هناك الصفوة المتعلمة وسط الجنوبيين التى حددت

خياراتها على أساس الصيغة الغربية (تقليد الغرب) فى الزى واللغة والديانة والآداب الاجتماعية. ولكن نسبة الصفوة المتعلمة لاتتعدى الواحد فى الالف، واذا بذل جهد فى جيل واحد يمكن ان يتم تجاوز الصفوة الموجودة. وقد تقاربت وجهة نظر المجيبين على الاستبيان حول مستقبل النصرانية فى الجنوب، حيث ربطوا انتشارها بانتشار العلم والحضارة وربما يعود هذا الشعور لاحتكار الكنيسة - فى الماضى - للخدمات التعليمية بالجنوب وربما لانها هى التى تقوم بتنويرهم وتعليمهم وتحسين وضعهم الاجتماعى. وربما لانها دين الرجل الابيض والرجل الابيض متحضر ماديا ولكى يلحقوا بالغرب لابد أن يأخذوا بديانته وطرق حياته عموما فالنصرانية بالنسبة للجنوبيين لاتعنى مجرد (دين) ولكن فكرة سياسية وعقائدية (ايدلوجية) وأن هذه الايدلوجية - أى المسيحية ستنتصر على غيرها وأن أمام المسيحية معركة فاصلة مع الاسلام وأن سيادة المسيحية فى الجنوب ستؤدى الى ظهور أزمة حضارية وسياسية فى السودان وهكذا نلاحظ وعى هذه الطبقة بأن المسيحية ليست مجرد شعائر تعبدية ولكنها طريق خلاص للجنوب من ارتباطه بالشمال وأن ذلك سيقود مستقبلا الى أزمة سياسية قومية.

ان الصورة العامة للاستبيانات قد أظهرت أن الكنيسة تعمل بذكاء وتخطط وسط ابناء النوبة والجنوبيين واللاجئين فى الخرطوم وانها تنفق بسخاء فى هذا المجال. وقد افادت معلومة غير مؤكدة بأن ميزانية الكنيسة الكاثوليكية وحدها بوكالاتها المتخصصة فى الاغاثة والتوطين فى السودان تبلغ عشرين مليون جنيه سنويا وسواء صح هذا الرقم أو لم يصح فالثابت أن الكنيسة أصبحت تمثل عنصرا هاما وثابتا فى حياة اجزاء ضخمة من السكان المحليين بالعاصمة وانها تستغل الظروف الصعبة لهؤلاء الناس وحاجتهم للمأوى والتعليم والرعاية الصحية فأصبحت عندهم تعنى (مأوى - عمل - رعاية) بينما الوثنية أو الاسلام لاتعود على صاحبها بنفع مادى او ترقية وضعه.

التسهيلات التى تقدمها الحكومة السودانية للمؤسسات الكنسية

ظلت معاملة الحكومة السودانية للمؤسسات الكنسية معاملة خاصة تميزها على غيرها من المؤسسات الاجتماعية والدينية فالسفر مثلا على خطوط السكة الحديدية أو غيرها، يمنح لهم بنصف القيمة وكذلك العلاج بل ان هذه التسهيلات دفعت بالمؤسسات الكنسية لاقامة شركات ومؤسسات لتستفيد من هذه التسهيلات فى التعامل. ومن أهم ما تتمتع به المؤسسات الكنسية فى المجال الاقتصادى الاعفاء من الرسوم الجمركية على وارداتها.

ويبين التقرير التالى الاعفاءات الجمركية السارية المفعول والممنوحة للمؤسسات الكنسية حسب الاتفاقيات الواردة تحت المادة (١٩٠) (١) (أ) بين مدير الجمارك والمؤسسات الخاصة.

المنظمة	الامدادات المعفاة	تاريخ العمل	ملحوظات
١) الصليب الاحمر السويسرى	المعدات المكتبية ، العربات الناقلات ، مشتقات البترول معدات المطبخ الشخصية والمأكولات	١٨/ ١٢/ ١٩٧٥م	
٢) المنظمة الكاثوليكية	الادوية والمعدات الطبية معدات المستشفى والملابس المستعملة والمأكولات والامدادات العلمية والمعدات الزراعية		
٣) الكنيسة السويسرية الخيرية	معدات المكاتب المعدات المكتبية والعربات الناقلات مشتقات البترول ومعدات المطبخ الشخصية والمأكولات		٨/ ٦/ ١٩٧٦م
٤) مركز أويل للايتام	المأكولات وغيرها .	٢٨/ ١/ ١٩٧٦م	موقفه بتاريخ ٥/ ١١
٥) مندوب هيئة كنيسة المسيح ونيجيريا والسودان .	المعدات التى تستخدم فى مكافحة الجزام بجبال النوبة والامداذات	٣/ ٥/ ١٩٧٧م	موقفة بتاريخ ١٢/ ١٢/ ٨١
٦) عيادة ابوروف الارسالية	الملابس والبطاطين والملايات المستعملة ، والمأكولات مخازن الادوية		١٢/ ١١/ ٧٣
٧) الارساليات السوداني	المعدات المكتبية والامدادات الطبية الهامة ، العربات الناقلات واسبيراتها ، معدات الاتصال ، مواد البناء المعدات الطبية والمعدات العلمية ، المأكولات والادوات المنزلية		١٨/ ٨/ ١٩٧٧م
٨) سودان ايد	المعدات والمستوردات التى تصل كهدايا أو هبات من المؤسسات الخيرية العالمية لاغراض الخدمات الاجتماعية فى مجال تأهيل وتعليم الاطفال المتخلفين هنيا .		٢٨/ ٢/ ١٩٧٧

٩) الخدماتّ الكنسية العالمية	المعدات المكتبية ، العربات الناقلات ومشتقات البترول ومعدات المطبخ الشخصية والمأكولات	بخطاب المدير سارية المفعول رقم ج/ ٢٧/ س/ ١ بتاريخ ٩/ ١/ ١٩٨٢م
١٠) مجلس الكناس بالسودان	المعدات المكتبية والعربات والناقلات ومشتقات البترول ومعدات المطبخ والمأكولات	
١١) المؤسسات الخيرية العاملة بالجنوب	المعدات المكتبية والعربات الناقلات ومشتقات البترول ومعدات المطبخ الشخصية والمأكولات	
١٢) الكنيسة النرويجية	المعدات المكتبية والعربات والناقلات ومشتقات البترول ومعدات المطبخ الشخصية والمأكولات	٦/ ١٢/ ١٩٧٥م
١٣) منظمة الخدمات التطوعية الالمانية	الامتعة الشخصية ومعدات العمل والناقلات ومشتقات البترول وقطع الغيار	٣٠/ ١/ ١٩٧٨م موقوفة بتاريخ ١٥/ ١٢/ ١٩٨١م
الالمانية ١٤) منظمة الصليب الاحمر ما اذا كانت ام لا	الدولية بقية الاعفاءات لم يذكر المعدات والناقلات	١٢/ ٥/ ١٩٧٥م

الفصل الثانى

يعتبر السودان احد البلدان القليلة فى العالم التى أصبحت لها شخصيتها المستقلة فى الاسرة الدولية بعد استقلالها مباشرة قبل ان يكتمل لها انصهار مكوناتها القومية ومجموعاتها العرقية فى وحدة تحفظ للبلاد وحدتها العضوية وطابعها الخاص. ولقد كانت الارساليات التبشيرية المسيحية تلعب دورا بارزا فى تنفيذ سياسة الحكم الثنائى والتى كانت تقف عقبة فى طريق الانصهار اذ كانت تعمل على طبع بعض الجماعات السودانية بطابع يعزلها عن بقية اجزاء القطر وتوجيهها وجهة حضارية وثقافية مغيرة للخصائص والتوجه السائد فى البلاد بوجه عام وكان الهدف الذى ترمي اليه هذه السياسة والذى يتجلى فى السياسات التبشيرية المطبقة فى العاصمة هو تشكيل حياة تلك الجماعات وانماط سلوكها على نحو يميزها ويعزلها عن المجتمع السودانى ويحول بينها وبين الانسجام مع التيار الكلى. وتتجلى هذه السياسة بصفة أساسية فى المنهج التعليمى ودعم وتشجيع العادات الاجتماعية ذات الصبغة المحلية الافريقية مثلا :ـ

١) التدريس بالانجليزية وتدريس المسيحية.

٢) التحدث والكتابة بالانجليزية.

٣) تبنى الطقوس والعادات الاجتماعية المحلية الافريقية مع اضفاء مسحة اوربية عليها.

٤) بث الامانى وتنمية العواطف التى ترتكز على الخوف من الشمال وكراهية اهله وعدم الثقة بهم.

٥) تجسيم الفروق المميزة للجماعات العرقية[٢٠٤] وكما رأينا فان الارساليات قد درجت على العمل فى الميادين التالية :ـ

١/ التعليم ٢/ الخدمات الاجتماعية. ٣/ الرعاية الصحية.

٤/ السياسة العامة للدولة بطريق غير مباشر.

هذا وقد ادى قيام الارساليات التبشيرية بالخدمات التعليمية والصحية الى تغاضى الحكومة عن طبيعتها التبشيرية واهمالها لمسئولياتها تجاه توحيد مشاعر الناس وثقافتهم وهدايتهم الى دين الحق.

لقد جاء اشتداد حركة التبشير فى العاصمة بوجه عام مع اعلان زوال الحكم الثنائى ورفع القيود عن هجرة اهل الجنوب وجبال النوبة الى المدن الكبرى فى الشمال حيث تتوفر لهم

٢٠٤ـ فى الثمانينات تجاوز عدد الجنوبيين الموجودون بالعاصمة المليون نسمة

مجالات فى الحرف غير الفنية واستوعبتهم المتاجر والمنازل عمالا ومساعدين فى الاعمال المنزلية.

كانت الهجرة تتم باعداد ضخمة فقد بلغ عدد الجنوبيين فى الشمال وفقا لتعداد عام ١٩٥٦ ١١٣,٠٠٠ نسمة ويقطن أكثر من ثلثهم بالعاصمة وحدها. وقد سارعت المؤسسات التبشيرية الى استغلال وضعهم الاجتماعى فاحاطتهم بعطفها ورعايتها لاكتساب ثقتهم وتصدت لمعالجة مشاكلهم الخاصة فيما يتعلق بالسكن والترفيه ونظمت لهم الصلوات والدروس الليلية واقامت لهم الاندية الاجتماعية وانشأت لهم هيئات اجتماعية لاتعرف الحكومة عنها شئيا، وقد عنيت ايضا بارسال مندوبين من أهلهم للاتصال بهم والتعرف على مشاكلهم.

وهكذا بدلا من أن تؤدى الهجرة الى تقوية صلات الود بين اجزاء الوطن الواحد كانت نتيجتها تعميق النفور وبث شعور العداء بينهم وبين ابناء الشمال وذلك بتغذية الاحساس لديهم بالعنصرية الزنجية فى مواجهة عروبة اهل الشمال وكان من جراء ذلك ظهور اقليات ضئيلة فى مدن السودان الكبرى تحفها المغريات المادية وتعجز مواردها عن اشباع ماتصبو إليه نفوسهم، وهم يعيشون فى ظروف نفسية مفعمة بالشعور بالغربة والقلق وليس لهم من التعليم والتجارب ما يؤهلهم للتغلب على مايلاقونه من صعاب فيتعمق فى نفوسهم الاحساس بالخيبة والفشل ويقوى لديهم شعور الاضطهاد والتبرم فيلقون بالتبعية على اهل الشمال ويحملونهم اوزار السياسة البريطانية التى عزلتهم عن الشمال وأوزار المؤسسات التنصيرية التى صاغت عزلتهم لغويا وثقافيا ودينيا.

ان هذه الحالة النفسية التى بلورتها جهود المبشرين وسط النازحين تجعل منهم مرتعا خصباً للافكار التى تحرضهم على الشغب، فهم يمثلون تجمعا يسهل اثارته وتوجيهه نحو الدمار والتخريب.

ان التفكير فى علاج مشكلة التبشير يقود الى معالجة بعض الاشكالات المتعلقة بحرية العقيدة اذ تنص المادة ١٨ من ميثاق حقوق الانسان على مايلى:

(لكل فرد الحق فى حرية التفكير وحرية الضمير وحرية المبادىء).

هذا الحق يتضمن حرية أى دين أو عقيدة كما يشمل الدعوة الى ذلك الدين أو التبشير بتلك العقيدة سواء أكان يقوم بها فرد أم جماعة ولم يجعل الميثاق هذا الحق عاما مطلقا بل قيده كما قيد غيره من الحقوق وذلك بأن يكون استعماله فى نطاق القانون بغرض حماية الآخرين ومراعاة أمن المجتمع وسلامته وتماسكه ومن أجل مراعاة الاخلاق والصحة العمومية والنظام العام والرفاهية لافراد الشعب واذا ما تدخلت الحكومة لتحد من النفوذ التبشيرى لسبب وجيه اساسى أو اجتماعى أو تعليمى أو اقتصادى فانها لاتفعل ذلك نكاية بالكنيسة والمسيحية ولكن لحماية المصلحة الوطنية العليا وتأمينا للامة السودانية ضد اخطار النشاط الذى تقوم به

المنظمات التبشيرية الاجنبية.

ويجب ان لايغيب عن الاذهان ان حرية العقيدة لاينبغى ان تتخذ ذريعة للحد من حرية الآخرين فى الاعتقاد والعمل للتبشير بعقيدتهم، فالاسلام الذى حيل بينه وبين مخاطبة اهل الجنوب وجبال النوبة فى عهد الاحتلال البريطانى يجب ان تتاح له الفرص التى اتيحت للمسيحية وللثقافة الغربية للعمل بين المجموعات السودانية الاقل نموا.

ان كل مايفرضه مبدأ حرية العقيدة الا تفرض الدولة على الناس دينا معينا او تكرههم عليه وفيما عدا ذلك هى حرة فى اتخاذ ماتراه مناسبا لممارسة سيادتها ورعاية مصالحها. كما ان ميثاق الامم المتحدة ينص على عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدولة الاخرى.

على ان هنالك عاملا آخر قد يؤثر على مدى الحرية التى يمكن للحكومة ان تتصرف فى نطاقها ازاء الارساليات وهو ان جميع الارساليات التبشيرية التى تعمل فى السودان تنتمى الى منظمات عالمية ذات نفوذ قومى وموارد ضخمة تقيم فى اوربا وامريكا وهى منظمات لها عظيم الاثر فى تقرير مجرى السياسة داخل دولها وخارجها. فالارسالية الكاثوليكية تعمل مثلا تحت رعاية البابا ولها اثر بارز فى الحياة السياسية فى أوربا وامريكا اللاتينية.

وكذلك تتمتع الارساليات البروتستانتية بنفوذ فى أوربا وأمريكا وقد رأينا ضغوطا على السودان بعد ابعاد القساوسة فى عام ١٩٦٤م من الجنوب ولكن كل ذلك لايسوغ ان يرهن السودان جزءا من سيادته أرضاءً لهذه القوى. وليس ثمة مايسوغ للقوى الخارجية ان تتصرف حيال السودان بما لاترضاه لنفسها.

نخلص من ذلك الى ضرورة بلورة بعض المبادىء التى يتعين مراعاتها ويمكن تلخيصها فيما يلى :-

١) مسئولية الدولة عن اتخاذ الخطوات التى تحقق التمازج الثقافى والاجتماعى والحضارى بين اجزاء القطر والاستعانة بكل أجهزة الدولة التعليمية. والاعلامية، والأمنية لتحقيق هذه الغاية.

٢) الزام الارساليات باحترام قوانين البلاد وسياسات الدولة مما يعنى تحديد المجالات والضوابط التى تنظم العمل التنصيرى

٣) اعادة النظر فى نشاط الارساليات التبشيرية وما افرزته من اثار ضارة على وحدة البلاد ويمكن ان تسهم المقترحات التالية فى تحديد الخطوات التى يتعين اتخاذها.

١) الاسراع بالمشاريع التى تؤدى الى دعم الوحدة الوطنية بين السودانيين مثلا :- كتابة اللهجات المحلية باللغة العربية، تطوير وسائل النقل والمواصلات وتوحيد برامج التعليم وبث الثقافة الإسلامية وتشجيع كل مايحقق الامتزاج بين المجموعات العرقية المتباينة.

٢) الاهتمام بالناشئة فى الاحياء الفقيرة وتحسين مستواهم الاجتماعى والاقتصادى وتوفير التعليم لهم على كل المستويات داخل السودان وخارجه.
٣) انشاء مراكز قومية اجتماعية وثقافية فى الاحياء الفقيرة التى تقطنها هذه العناصر.
٤) ارشاد الامهات والاطفال الى انشاء رياض الاطفال وفتح فصول لمحو الامية والارشاد والتدبير.
٥) تقديم المساعدات العينية من كساء وغذاء وخلاف ذلك.
٦) تقديم خدمات ثقافية من محاضرات وندوات وافلام وكتب ونشرات دعائية وخدمات ترفيهية مسرح فن... الخ.
٧) انشاء مدارس خاصة للمحرومين من التعليم وملاجىء للمشردين.
٨) انشاء مستوصفات علاجية ومايرتبط بها من خدمات
٩) انشاء صيدليات شعبية فى المناطق العشوائية وتقديم الدواء باسعار رمزية
١٠) ضبط سلوك واداء الجمعيات التبشيرية وخاصة فيما يتعلق باتصالاتها الداخلية والخارجية.
١١) تعيد الدولة النظر فى التسهيلات التى تقدمها للارساليات وجمعيات الاغاثة والتوطين بما يحقق المصلحة الوطنية
١٢) التطبيق الحازم لقانون التبشير.
١٣) تقوية ادارة الشئون الدينية وتوفير القوة البشرية اللازمة لها.
١٤) استنفار الدول والهيئات والجماعات والمنظمات الإسلامية للقيام بدورها تجاه نصر الإسلام فى السودان.
١٥) رقابة الدولة على مناهج المدارس التبشيرية الحالية فى اطار السياسة القومية.

تعريف ببعض مصطلحات الوظائف والاختصاصات فى مجالات الكنيسة

١) الكنيسة :ـ

بيت العبادة ـ بيت الرب عند المسيحيين، وتشرف على النشاط الرعوى لابناء طائفتها (زواج، موت . . . الخ)

٢) الارساليات :ـ

مؤسسة تابعة للكنيسة او مستقلة عنها تختص بالنشاط التبشيرى وما يتفرع منه من انشطة، تعليمية ثقافية، اجتماعية، تجارية . . . الخ

٣) كاتدرائيـــة :ـ

مقر كرسى القيادة الكنسية «المطران» قيامها بكافة وظائف الكنيسة.

٤) الابرشيـــة :ـ

(Diocese) ادارة كنسية مستقلة اداريا وماليا تحت ادارة مطران.

٥) البابا او الحبر الاعظم :ـ

رأس الكنيسة الكاثوليكية وينتخب مدى الحياة وهو معصوم من الخطأ عند الكاثوليك.

٦) الكاردينال :ـ

أعلى وظيفة دينية فى سلم الكنيسة الكاثوليكية، ومن بين الكاردينالات ـ يتم اختيار البابا، فهم الذين يقومون بترشيحه واختياره، وهم الذين يحددون سياسة الكنيسة العامة والخاصة.

٧) المطران أو الاسقف :ـ

وهى الرتبة التى تلى الكاردينال، والاسقف يدير ادارة الكنيسة متكاملة مثلا مديرية الخرطوم تعتبر وحدة متكاملة يديرها اسقف.

٨) الكاهن أو القسيس أو الاب :ـ

وظيفة دينية كبيرة يحصل عليها المسيحى الكاثوليكى بعد أن يقوم بدراسات دينية متخصصة ويعمل لمدة سنة فى خدمة الكنيسة. وبعض الاعمال الكنسية كالتعميد لايقوم بها الا قس بدرجة الاب.

٩) الاخ :ـ

هو المسيحى الذى يهب نفسه قربانا للكنيسة ويؤدى لها أعمالا عادية كالبناء والاشراف على الحدائق والحيوانات . . . الخ وتتطلب هذه الوظيفة القيام بدراسة فى المسائل الدينية تستغرق اربعة اعوام.

١٠) الاخت :-
هى المقابلة لوظيفة الاخ وهى مسئولة بين النساء وتؤدى عملا اجتماعيا كالتنظيف والتدبير ورعاية شئون الآباء والاخوان والرعاية الصحية والتدريس

١١) طبقة العلمانيين :-
وهم عامة من الكاثوليك الذين يقدمون بعض الخدمات الكنسية وينفذون سياسة الكنيسة العامة ويتبعون جماعات العمل الكاثوليكى فى مجال العبادة.

١٢) التعميـــد :-
منح الطفل اسما كنسيا بعد طقوس دينية يتم فيها مسحه بالماء المقدس ماء نهر الاردن.

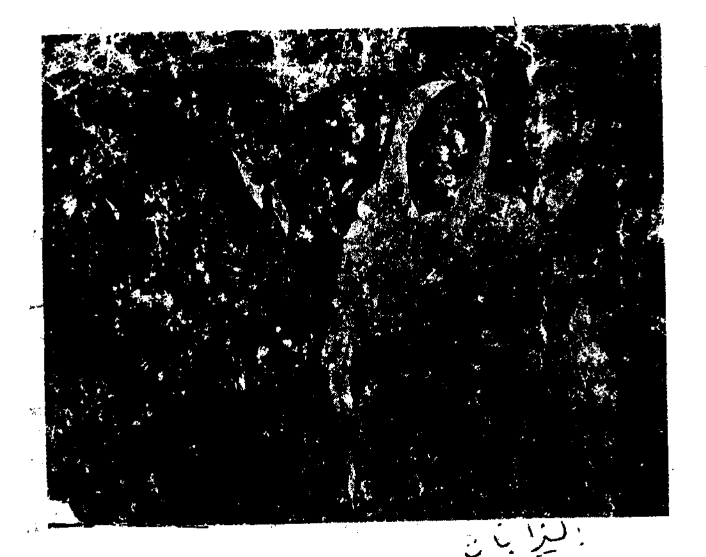
١٣) القـــداس :-
صلاة دينية جامعة اشبه بالحفل.

ويختلف تنظيم البروتستانت عن هذا، حيث أن رأس الكنيسة الانجليزية مثلا اسقف كنتربرى، وقبله يجىء ملك انجلترا باعتباره رمزا للوحدة الدينية والدنيوية ولكنه لا يباشر مسئوليات كهنوتية - وبالسودان عدة ارساليات - بروتستانتية لكل منها ادارتها المستقلة.

من ضحايا التبشير المسيحى بالعاصمة (أنظر الوثيقة)

(نموذج)

الاسم الاصلى :- بخيته جبارة
الاسم التنصيرى :- اليزابيث جبارة.
الديانة :- بروتستانت بعد أن كانت مسلمة،
دين ابيها وأمها :- الاسلام.
تاريخ تنصيرها :- فى عام ١٩٥٠م وحينما كان عمرها عشرين عاما.
سبب تنصيرها :- انفصال والديها وهى صغيرة وتبنى الكنيسة الانجيلية لها حيث قدمت لها مساعدات مادية وعملت على تعليمها بالمدرسة الانجيلية ببحرى حتى صارت معلمة ثم تفرغت للتبشير واخذت تشارك فى المؤتمرات الدولية وفى الصورة تراها تقف مع فوستر دالاس وزير خارجية امريكا السابق.
رأيها فى المسلمين :- متعصبين.



DULLES HONORED AT MEETING

Secretary of State John Foster Dulles was one of the principal speakers at the Fifth World Order Study Conference in Cleveland, Ohio. Shown with him at a reception in his honor is Sitt Elizabeth Gubura of Khartoum, Sudan, one of 600 world affairs specialists, clergy and lay leaders who attended the four-day meeting. Theme of the conference, sponsored by the National Council of Churches' Department of International Affairs, was "Christian Responsibility on a Changing Planet." While Dulles was given a respectful hearing, the conference found much to criticize in the foreign policy he has been pursuing. (RNS Photo)

From "Lutheran Companion" Dec. 24, 1958

Churches Demand a Peace Policy

World Order Conference Criticizes America's Attitude

By Geraldine Sartain

WITH the Christian motivation of expressing "the redeeming love of Christ" by learning to live in the world as it is, the Fifth World Order Study Conference, which met in Cleveland, Ohio, Nov. 18 to 21, called on the Churches of America to lead the world from the brink of annihilation to the achievement of lasting peace.

The theme, *Christian Responsibility on a Changing Planet*, was translated into specific terms through all the work of the conference, which made use of year-long preparatory studies.

In a strongly-worded "Message to the Churches," theologically rather than politically oriented, 600 lay and clergy delegates with special interests in international relations outlined a program that calls for major changes in current United States foreign policy.

Urge Step-by-Step Disarmament

The Message urged step-by-step disarmament by multilateral agreement going beyond the suspension of nuclear testing; eventual recognition by the United States of the People's Republic of China and its entrance into the United Nations; a break-through in the cold war stalemate by advancing toward competition in ways other than war, with growing co-operation wherever possible; more liberal and imaginative economic aid to peoples in other countries.

Secretary of State John Foster Dulles, who presided over the first World Order Conference, in Delaware, Ohio, in 1942, addressed the opening public meeting. He reasserted United States foreign policy, warned newly emerging countries to mistrust the wiles of international Communism, and asked the United States to reinforce its faith in the capacity of peoples to govern themselves by helping them preserve their new-found independence. He defended American diplomacy, and declared that the administration does not believe peace can be achieved "by maneuvers or expediency or by power politics."

He was thunderously received by his former colleagues in the Churches and by the public.

Criticize American Foreign Policy

The 600 thereupon returned to their deliberations, dispersed into group sections, and convened again for plenary meetings. After four days of around-the-clock sessions they emerged with a many-faceted Message, a series of resolutions and four section reports that rejected many of the policies that Dulles has pursued as Secretary of State and proposed significant changes in present United States international attitudes.

The Message urged a rejection of the "posture of general hostility" toward the Communist countries and an end to the government's effort to drive every nation into one bloc or the other, characterizing this "as mistaken as it has been unsuccessful."

It held that U. S. leaders should stop the practice of continual moral lectures to the Communists.

It declared disarmament essential to the building of world order, and urged continuing discussions of reduction and regulation of arms involving satisfactory inspection and control of nuclear weapons, plus progressive reduction of conventional arms.

It deplored tendencies to discredit the motives and disarmament proposals of other countries, pointing out that cynicism about the good faith of others created a poisonous atmosphere in which to conduct negotiations.

It questioned the theory of "limited" wars, emphasizing that new weapons now, and worse ones in the future, underscore the imperative need for war prevention rather than limitation.

It defined every Christian's task as the seizure of initiative in the prevention of war and the achievement of peace in this world of intercontinental ballistics, thermonuclear weapons and platforms in outer space for missile launching.

Friend send for me in her church ... and since 1959 - I've send for

استبيان (١)

الاهـــداف :ـ

جمع المعلومات الاساسية :ـ المتعلقة بالافراد الذين تم تنصيرهم حتى يتم تحديد اتجاهات وميول هؤلاء الافراد ـ ومعرفة الظروف التى تدفع هؤلاء الناس نحو التنصير ومايعنيه التنصير بالنسبة لهم .

١) الاسم .
٢) العمر.
٣) محل السكن.
٤) محل العمل.
٥) الموطن الاصلى.
٦) تاريخ مجيئه للخرطوم .
٧) اسباب مجيئة للخرطوم .
٨) الاسباب التى دفعته إلى التنصير.
٩) الخدمات التى تقدمها له الكنيسة .
١٠) رأيه فى الوثنية والجنوبيين الذين على دياناتهم القديمة .
١١) رأيه فى الجنوبيين المسلمين .
١٢) رأيه فى الجنوبيين من أصحاب الملل النصرانية الاخرى .
١٣) المادة التعليمية التى يدرسها وآثارها عليه .
١٤) أهدافه المستقبلية فى الحياة .
١٥) نظرته لمستقبل النصرانية .
١٦) دين العائلة : الاب ـ الام ـ الجد ـ الاعلى .
١٧) هل هنالك مشاكل عائلية ـ خصومة مع الاب ـ أو العشيرة .
١٨) هل العائلة فقيرة أم متوسطة أم غنية بمقاييس المنطقة التى جاء منها .
١٩) ماهي أول صلة بالكنيسة ـ من دعاه اليها وما هى طريقة الدعوة ـ هل دعاه للصلاة فى الكنيسة أم أعطاه مالا أم ـ أدخله مدرسة . . . الخ

استبيان رقم (٢)

١/ موقع الكنيسة الجغرافى ٢/ تاريخ انشائها ٣/ مساحتها.
٢/ نوع الكنيســـة:-
١/ كاثوليك ٢/ اسقفية ٣/ اورثوذكس ٤/ قبطية ٥/ انجيلية.
٣/ مجموع الكنائس فى كل مدينة (وفى كل حى).
٤/ بناء الكنيسة.
١/ قش ٢/ جالوص ٣/ حجر ٤/ اى مواد أخرى.
٥/ أصل السكان وديانتهم.
٦/ أثاث الكنيسة.
٧/ عدد المصلين.
٨/ نوعية المصلين.
١/ شباب ٢/ كهول ٣/ رجال ٤/ نساء
٩/ نوعية المطبوعات التى توزع.
١٠/ نوعية الخطب التى تلقى.
١١/ مدى ربط الواقع فى الكنيسة بالواقع المعاش.
١٢/ نوع الخدمات التى تقدمها الكنيسة.
١٣/ أنواع النشاط.
١٤/ ١/ رياضه ٢/ سباحة ٣/ مدرسة ٤/ تعاون
١٤/ اى مرافق حيوية أخرى تابعة للكنيسة.
١٥/ موقف السكان المحليين من النشاط.

استبيان رقم (٣)

١) أ/ اسم المدرسة ب/ موقعها جـ/ تاريخ نشأتها نوع المدرسة (كاثوليك - بروتستانت - انجيلية - ارثوذكس
٢) ١/ عددالانهر ٢/ عدد الفصول
٣) عدد الطلاب - متوسط اعمارهم - ديانتهم
٤) عدد المعلمين - متوسط اعمارهم - ديانتهم

٥) نوع الطـــلاب .

أ/ ذكور واناث ب/ ذكور فقط جـ/ اناث فقط

٦) أصل الوافدين .

٧) مناهجهم الدراسية ١/ سودانية ٢/ مصرية ٣/ انجلو ساكسونية

٨) وسيلة الدراســـة :-

١/ لغة عربية ٢/ انجليزية ٣/ رطانة

٩) اى وسائل اخرى مستعملة .

١٠) نوع السكان حول المدرسة .

١١) نوعية المبانى :-

١/ قش ٢/ جالوص ٣/ طوب ٤/ اى مواد أخرى

١٢) زمن الدراســـة :-

١/ صباحية ٢/ مسائية ١/ و ٢/

١٣/ اى نشاطات داخل المدرســـة :-

١/ رياضة ٢/ سباحة ٣/ نادى ٤/ سينما

١٤) الخدمات التى تقدمها الكنيسة للمدرسة

١٥) علاقة الطالب بالمدرسة

١٦) علاقة هذه المدارس بوزارة التربية

١٧) النفقات الدراسية

وثائق

مؤتمر حقوق الانسان فى إفريقيا
المنعقد فى الفترة من ١٦/ ٢ الى ٢٢/ ٢/ ١٩٧٥م
فى الخرطوم

انعقد فى الخرطوم فى الفترة من ١٦/ ٢ الى ٢٢/ ٢/ ٧٥م مؤتمر حقوق الانسان فى افريقيا بدعوة وتنظيم من مجلس كنائس عموم افريقيا ووزارة الشئون الدينية والاوقاف فى جمهورية السودان الديمقراطية.

اشترك فى هذا المؤتمر مايقرب من الاربعين من رجال الكنائس المسيحية فى افريقيا ومجموعة القانونيين البارزين.

ومن ابرز المشتركين المستر رودلف قرايمز وزير خارجية ليبيريا Liberia السابق الذى رأس الاجتماع والاب جوزيف اوساس من الامانة العامة للمؤتمر الكنائسى لافريقيا ومدغشقر، ومندوبى الكنائس فى كل من نيجيريا وجمهورية مصر العربية ولبنان واوغندا وغانا، بالاضافة الى القس برجس كار سكرتير عام مؤتمر عموم الكنائس الافريقية:

قبل انعقاد المؤتمر صرح السيد «كار» السكرتير العام لمؤتمر عموم الكنائس فى افريقيا قائلا: ان المهمة الرئيسية التى يحاول المؤتمر القيام بها وانجازها هى بناء مؤسسات تحمى حقوق الانسان وكرامته. وقال ان هناك اتجاهات معوقة لما نبذله من جهود كما ان هنالك مثلا مليون لاجىء فى إفريقيا نصفهم ينتمون لدول إفريقية مستقلة.. ونحن لذلك نريد معالجة الاسباب والمسببات بالتضافر بين المسيحيين والمسلمين ومن اجل ضمان الحرية لبناء المؤسسات التى تحمى حقوق الانسان

واضاف يقول ان لدى المجلس امكانات وقدرات لبناء المشاريع ذات القيم المادية. غير ان الاهم من ذلك هو توفير المناخ والظروف الملائمة التي بها وخلالها يمكن تحقيق السلام والاستقرار وبناء الانسان من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية.

افتتح الرئيس السودانى جعفر نميرى المؤتمر هذا بكلمة ضافية قال فيها: اننا نعلم ان النصوص وحدها لاتكفى لضمان حقوق الانسان. ولابد من خلق الظروف الموضوعية التى تؤمن هذه الحقوق وتحيلها الى واقع معاش.

ومن هنا جاء تركيزنا بعد تحقيق وحدتنا الوطنية على عملية البناء الوطنى بخلق قاعدة اقتصادية قوية عن طريق الاستثمار فى المشاريع الصناعية والزراعية وتوجيه هذه المشاريع لرفع

مستوى المناطق المتخلفة على مستوى القطر، واننا ونحن نوجه كل طاقاتنا لاحداث الطفرة فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتأمين حقوق المواطن السودانى فى العيش الكريم لاننسى التزاماتنا الدولية ولايغيب عن بالنا حاجة اخواننا فى الانسانية لما يؤمن لهم حقهم فى العيش الكريم.

واضاف الرئيس نميرى قائلا: من هنا كان تحركنا الخارجى محكوما بنفس الاسس والمبادىء التى توجه عملنا الداخلى.. اننا ضد التفرقة وضد التشتت، وغايتنا توحيد الصفوف لمواجهة التحدى الذى يجابه البشر كبشر، ولابد فى ذلك من تضافر الجهود لاستغلال الامكانات المتاحة لمصلحة كل البشر.

واضاف يقول: ذلك يفرض علينا جميعا اسلوبا فى التعاون الدولى يقوم على مراعاة المصلحة المشتركة واحترام حقوق الآخرين ومشاعرهم وعلى هدى هذا الفهم تقوم علاقاتنا الخارجية.

واخيرا اشار الى ما يعانيه الشعب الفلسطينى من قهر وتسلط وضياع لحقوق انسانيته بنفس القدر الذى يعانيه اخوانهم فى جنوب القارة الافريقية تحت ظل القهر العنصرى الابيض.

ثم القى السيد رئيس مجلس كنائس عموم افريقيا كلمة فشكر السودان على ضيافته وتنظيم الندوة واشاد بدور الرئيس نميرى وجهوده من أجل تأمين حقوق الانسان فى السودان والقارة الإفريقية ومن ثم تتابعت جلسات المؤتمر وناقش الاسس الانجيلية واللاهوتية المرتبطة بالكنيسة وبالنضال من اجل حقوق الانسان بصفة عامة والانسان الإفريقى بصفة خاصة.

كما ناقش المؤتمر دور الكنائس فى إفريقيا وفى توعية ابناء القارة وحثهم على الدفاع عن حقوق الانسان الإفريقى.

وقد طرحت فى هذا الموضوع وجهات نظر مختلفة اشترك فيها مندوب لبنان السيد غبريال حبيب الذى ناشد المشتركين فى الندوة العمل على تعضيد النضال المشترك بين المواطنين فى إفريقيا والشرق الاوسط لدعم قضية الشعب الفلسطينى حتى يتمكن من العودة الى وطنه المغتصب والذى ظل يواجه الصلف الصهيونى، كما اشاد بدور الكنائس فى توعية الرأى العام المسيحى المحلى والعالمى لمناهضة العنصرية فى افريقيا والشرق الاوسط لدعم قضية الشعب الفلسطينى حتى يتمكن من العودة الى وطنه المغتصب والذى ظل يواجه الصلف الصهيونى، كما اشاد بدور الكنائس فى توعية الرأى العام المسيحى المحلى والعالمى لمناهضة العنصرية فى افريقيا

هذا وفى نهاية المؤتمر عقد المستر «كار» سكرتير مجلس الكنائس فى إفريقيا مؤتمرا صحفيا تحدث فيه عن التوصيات والقرارات التى توصلت إليها ندوة حقوق الانسان هذه وقال: ان

الندوة قد انعقدت لبحث حقوق الانسان الإفريقى ودور الكنائس فى مناصرة حركات التحرر الإفريقية ولحمها وبث الوعى بين المواطنين لأن هناك بعض العادات والتقاليد فى إفريقيا تحول دون تقدم الانسان كما ذكر بأن المؤتمر قد دعى الكنائس الإفريقية الى تطبيق قانون اللاجئين الإفريقيين الذى دعت الى تطبيقه منظمة الوحدة الإفريقية، وكذلك مادعت اليه الامم المتحدة من تطبيق لحقوق الانسان المدنية والاجتماعية والاقتصادية حتى يتمكن الانسان الإفريقى من الانطلاق مواكبة للاوضاع العالمية واشاد بسياسة الرئيس نميرى فى الوحدة الوطنية وقال ان اتفاقية اديس ابابا التى حققت الوحدة الوطنية للسودان كانت موضع فخر لارادة وتصميم الانسان الإفريقى، وقدرته على حل مشاكله بالطرق السلمية، وفى هذا دعم لحرية وكرامة الانسان وتحقيق للاهداف التى ينادى بها هذا المؤتمر الذى يناصر حرية الانسان.

هذا ويعتبر مؤتمر الخرطوم هذا متابعة لمقررات مؤتمر عموم الكنائس الإفريقية الذى انعقد فى لوساكا فى شهر مايو الماضى.

اختير السودان ليكون مكانا لانعقاد المؤتمر على اعتبار ان السودان يعيش فى ظل السلام والوئام بعد اتفاقية اديس ابابا التى شارك المجلس فى التوصل إليها وثانيا القتال المؤلم الذى يدور على حدوده الشرقية فى اثيوبيا بين قوات الحكومة العسكرية والمناضلين الاريتريين حول نفس السؤال المتعلق بحقوق الانسان على الوحدة الوطنية.

تعليق

حول التقـريـر الخـاص بمؤتمر الخرطوم المنعقد فى شهر فبراير سنة ١٩٧٥، الخاص بالحقوق الاساسية للانسان والذى دعا اليه مجلس الكنائس الافريقى

(١) مؤتمر الخرطوم هذا ليس الا واحدا من المؤتمرات التى يعقدها كل عام مجلس الكنائس العالمى او الاقليمى، فى مختلف الاماكن فى العالم، مثل الذى انعقد فى مدينة لوساكا فى شهر مايو سنة ١٩٧٤، والمؤتمر المنعقد حاليا فى نيروبى بكينيا احتفالا بمرور خمسة وعشرين عاما على تأسيس مجلس الكنائس. مؤتمر نيروبى ١٩٧٥م
وهذه المؤتمرات ليست الا جزءاً من نشاط مجلس الكنائس العام، الذى يقع مركزه العام بمدينة جنيف فى سويسرا وتنتشر فروعه فى مختلف اقطار العالم. ويجرى فى مثل هذه المؤتمرات بحث وارساء مخططات العمل الملائمة للمنطقة مكان انعقاد المؤتمر ان كان اقليميا، وذلك وفقا للاستراتيجية العامة التى ارسيت اسسها فى مؤتمر اوبسالا بالسويد عام ١٩٦٩
ولذلك فاننى ارى الا ينصب اهتمامنا على مؤتمر الخرطوم فقط الذى هو نقطة من بحر. بل يجب ان ينداح حتى يشمل المخطط العام باسره. وبناء على ذلك اود ان انتهز الفرصة لاتقدم بعرض موجز لخلفيات هذا المؤتمر، حتى نملك الصورة العامة الشاملة للهدف الاستراتيجى والعمل التاكتيكى لهذا القطاع من الحركة التنصيرية (او التبشيرية) الصليبية الذى يتولى قيادته مجلس الكنائس العالمى
والذى اتوخاه من هذا هو ان يوفق بحثنا للعثور على اساس صحيح للعمل المنظم لمواجهة اخطار التنصير فى الحاضر والمستقبل، بتخطيط منتظم متكامل، وليس مجرد عمل ارتجالى منطلقه ردود الفعل الانفعالية حينما يصل الى رؤيتنا طيف عمل طاف على السطوح يقوم به الصليبيون مثل مؤتمر الخرطوم الذى نحن بصدد بحثه الان.

(٢) هذا التقـريـر الذى نطالعه يبرهن بكل وضوح وجلاء ان نشاط الهيئات التنصيرية العالمية (وهى هنا مجلس الكنائس العالمى) لم يعد مقصورا على عملية نشر الانجيل وبنـاء الكنـائس والمستشفيات ودور الايتـام ونحـو ذلك مما هو مأثور عن النشاط التقليدى للتبشـير حتى منتصف القـرن العشرين الميلادى، بل تطور واستفحـل وشمل ميادين فسيحة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب.

(٣) وكانت هيئات التنصير الغربية حين كانت لاتزال مشتتة وقبل ان يقوم لها تنظيم عالمى يوحد جهودها ومساعيها وينسق فيما بينها، مثل مجلس الكنائس العالمى، . . . قد حددت هدفها من النشاط التنصيرى فيما صاغته من شعار (الغارة على العالم الإسلامى) غارة لاخضاعه وقهره، فلم يعد هذا الهدف عاما، اى ان يكرزوا بالانجيل الى اقصى بقاع الارض، ولكن ارادوا ان يكرزه بصفة خاصة فى العالم الإسلامى.

ومنذ ذلك الوقت قام تعاون وثيق بين التبشير والاستعمار، يتبادلان المساعدات، سلطات الاستعمار تضفى حمايتها على التبشير والتبشير يعمل بكل وعى واخلاص لتوطيد سلطان الاستعمار وتخليد وجوده وهكذا لم يذكر التاريخ ان هناك فريقا من رجال التبشير، حين ضراوة الاستعمار فى انتهاك حقوق انسان المستعمرات، قاموا ودافعوا عن تلك الحقوق، او من اسهم منهم فى بث الوعى التحررى بين ابناء المستعمرات وحثهم او تنبيههم - بل توجيههم وقيادتهم - للنضال فى سبيل استعادة الحرية واستقلال البلاد بل كان العكس، اذ ان التبشير كان طليعة للاستعمار يمهد له الطريق لاستعمار اى بلد تسلل اليه، حتى شاع الوصف المجنح لعملية الاستعمار، من انها تبدأ بالارساليات التنصيرية، مارة بعصابات المرتزقة المغامرة ثم يؤتى بعد ذلك بجنود الاحتلال الرسميين، وذلك مايعبر عنه فى الانجليزية، بعبارة (ميشيونارى، مرشينارى ميليتارى) وواضح من هذا ان التبشير ما كان ليخطر على باله فى ذلك العهد هذا الشعار الذى اصبح الآن يكثر من التشدق به وهو الدفاع عن حقوق الإنسان الاساسية فى افريقيا وخارج افريقيا، يدعى ذلك كأنه ماركة مميزة له.

(٤) ذلك ما كان شأنه فى الماضى، ثم تطور الزمن، واضطرت الدول الاستعمارية اضطرارا الى التخلى عن مستعمراتها، وتمكنت الشعوب المستعمرة من تحرير بلادها. وبانحسار مد الاستعمار عن تلك الاقطار، فقد التبشير فيها المظلة الواقية التى كانت تظله، بل حدث ان بعض الحكومات الوطنية التى قامت فى المستعمرات السابقة، قامت بطرد المبشرين من بلادها، ، قطعا لدابر الدور الذى ظلوا يمارسونه كسدنة للاستعمار

ولم يلبث التبشير الا قليلا حتى وجد لنفسه ركائز جديدة، وفرصا مواتية، فاخذ يعيد بناء كيانه من جديد ويوفق بينه وبين المعطيات المستجدة وغيره من اساليب عمله تغييرا جذريا، ونوع نشاطه وعدد ميادين عمله وسلك فجاجا لم يكن له بها سالف عهد. . والشيء الوحيد الذى لم يغيره ولم يبدله فهو هدفه الاساسى اى الغارة على العالم الإسلامى

اما الركائز الجديدة التى هيأت للتبشير الدعم المادى القوى والفرص المواتية فتتمثل فى الآتى :

أ ـ دول الغرب التى اثخنتها الجراح فى الحرب العالمية الثانية . وبعد ان وضعت الحرب اوزارها استطاعت هذه الدول ان تعيد بناء اقتصادها من جديد وان تحقق لنفسها ازدهارا صناعيا وانتاجيا ، عاد لها بمردود ضخم ، امنت منه للتبشير موردا ثرا لاينضب له معين . . فقام التبشير يعرض على الدول النامية المستقلة حديثا المعونات المالية والمساعدات الفنية التقنية تحقيقا لتطلعاتها الانهائية .

ب ـ وهذه النامية ، كان إكثرها ان لم نقل كلها ، تعانى من مشاكل التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها فيما مضى من الزمان ، وتواجه شعوبها الفقيرة البائسة ، وان تكن تملك من الثروات الطبيعية الضخمة الا انها تنقصها رؤوس الاموال الطائلة لاستثمارها وتنقصها الطاقات الفنية المؤهلة . لذلك كان من الصعب على تلك الدول ان ترفض المعونات المالية والمساعدات الفنية التقنية التى تعرضها عليها منظمات التبشير . .

حـ ـ قام فى الماضى بين الكاثوليك والبروتستانت هوة عميقة فصلت بينهما . فاستطاع مؤتمر ـ روما المسمى بالفاتيكان الثانى المنعقد عام ١٩٧٠ ان يرسى للفريقين اسسا جديدة من التفاهم والمودة خاصة فى ميدان عملهما المشترك فى جبهات الغارة على العالم الإسلامى .

انطلاقا من هذه العوامل المواتية لنشاط التبشير ، اخذ مجلس الكنائس العالمى الذى انشىء عام ١٩٥٠ ، والذى يعقد خلال هذه الايام فى نيروبى بكينيا ، مؤتمره العام احتفالا بيوبيله الفضى بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على تأسيسه ، يتولى قيادة دفة الحركة التنصيرية لوحدات التبشير المنتشرة فى مختلف انحاء العالم ، يوجه نشاطاتها باساليب وطرق مستحدثة .

وفى مواجهته لعالم العصر الحديث وخاصة فى تعامله مع دول العالم الثالث ، وهى الدول التى استقلت حديثا وتواجه مشاكل انمائها الاقتصادى العويصة والشعوب التى مازالت تناضل من اجل حريتها اخذ القوم فى نشاطهم يستخدمون غير لغة الانجيل واللاهوت النصرانى

لقد استخدموا لغة «التحديث» و «الموديرنيزم» ، لغة الحقوق الاساسية للانسان ، لغة التنمية والبناء ، ونحوها ، وتقف من ورائهم الطاقات المادية الهائلة (كالذى اعترف به المستر كار ، الامين العام لمؤتمر الكنائس الافريقية) التى تلقوها من الدول الصناعية الكبرى . ولايقل عن هذه اهمية ماتوفر لديهم من الطاقات المثقفة من

مختلف شعـوب النصرانية، المتخصصـة فى مختلف حقـول التكنـولـوجيا والعلوم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها

واصبـح الذين يبتعثونهم طلائع لنشاطهم الخفى لم يكونوا من القسس والرهبان، ولكن مبشرون من طراز جديد بمسوح المهندسين وخبراء الزراعة والصناعة والساسة والدبلوماسيين.

(٥) لذلـك كان من الـواجب ان يكون نظرنا الى مؤتمر الخرطوم المنعقد فى شهر فبراير الماضى من هذا العام، والذى استمعنا الى التقرير المقدم عنه فى جلسة سابقة، او المؤتمر الذى عقدوه من قبل فى لوساكا فى شهر مايو من العام الماضى او المؤتمر الذى يعقدونه فى هذه الايام فى نيروبى بكينيا، من خلال وضمن الاطار الذى ذكرنا كنهه وخلفياته تلك.

لقـد كان من قبيل المصـادفة المحضة ان يكون السودان هو مشروعهم النموذجى الاول، فقـد نجح القوم فى اقتطاع جزء من تراب وطنه الإسلامى (وهو جنوبه) ليتخذوا منه منطقة نصرانية، بعد فشلهم الذريع فى اقتطاع بيافرا من جسم نيجيريا

لقد نجح مجلس الكنائس العالمى ومجلس الكنائس الافريقى بالاشتراك مع هيلا سيلاسى فى اقتطاع السودان الجنوبى من الوطن الام، وذلك باسم منطقة الحكم الـذاتى ضمن الوحدة الوطنية السودانية مع حق المنطقة فى قوات مسلحة خاصة بها. وبذلك استطاعوا ان يبنوا السودان الجنوبى بناء ويتكالب الآن فيما يسمى بمشروعـات تنمية المنـطقـة، مالايقـل عن ٩ منـظمات تبشـيرية مابين كاثوليكية وبروتستانتية، تقدم «خدماتها» فى ميادين الاعلام، وتطوير المجتمعات، والتخطيط الاسكـانى وبنـاء المسـاكن، والتخطيط الاقتصادى والتنمية الاقتصادية والشئون التربوية والتعليمية والامدادات المادية والمعدات، وانتاج الاغذية وانشاء الصناعات والرعاية الصحية والادارات العامة والرفاه العام. ويتمركز بعض هذه المنظمات فى مدينـة جوبـا ومدينة واو. وفى مدينة جوبا اقاموا حلقة تدريب على اعمال الحدادة لينتجوا المعدات الزراعية ولانتاج الالبسة لتوزيعها على السكان باسم الكنيسة.

(٦) ان مايدعـونـه من الـدفاع عن حقوق الانسان الاساسية عندما اقتطعوا السودان الجنـوبى من جسم الـوطن الام، حين قامـوا بمفاوضات اديس ابابا مع حكومة السودان، والذى اخذوا يتشدقون بذكره فى مؤتمر لوساكا ومؤتمر الخرطوم، نستطيع اثبات زيفة وبهتانه، اذا ماقارناه بموقفهم من الفلبين الجنوبية، حيث تسكن الاقلية المسلمة.

والمسلمون فى الفلبين الجنوبية تقدموا بمقترح لتسوية مشكلتهم مع الحكومة المركزية

تسوية مشابهة لماتوصل اليه التبشير فى اديس ابابا بالنسبة للسودان الجنوبى بسكانه النصارى، وهو الاقتراح الذى تقدم به رسميا ممثل مسلمى الفلبين السيد نور ميسوارى فى مؤتمر جدة الذى انعقد بمساع حميدة من الامانة العامة الإسلامية. ولكن حكومة الفلبين المركزية رفضت المقترح شكلا وموضوعا فاستمرت المشكلة قائمة بكل ماترتب عليه من تعسف للحقوق الاساسية لانسان الفلبين ألجنوبية. ولم نسمع لا من مجلس الكنائس ولا من رجال التبشير نأمه ولاصوتا يهيب للدفاع عن حقوق انسان الفلبين الجنوبية المنتهكة.

ترى هناك معياران للحقوق الاساسية للانسان تختلف فى جنوب السودان عنها فى جنوب الفلبين ام هو تطفيف فى الكيل والميزان؟.

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون.

(٧) هذه الاساليب التى بدأت ارساليات التنصير الاجنبية تمارسها فى السودان الآن تمت ممارستها من قبل ومنذ عشرات السنوات فى اندونيسيا، ولكن بمقياس اكبر وميدان افسح ونشاط اشد كثافة وعمقا واذا كان عدَد المنظمات التى تقوم بممارسة نشاطها التنصيرى فى السودان لم يزد على عشر منظمات ففى اندونيسيا توجد عشرات العشرات من تلك المنظمات ما بين كبيرة وصغيرة تغطى بنشاطها كافة جزر اندونيسيا واذا لم يكن للتبشير فى السودان لتحركاته السريعة الا طائرة تشيسنا واحدة فقط، ففى اندونيسيا يملك التبشير اسطولا من طائرات التشيسنا والهيليكوبتر، بل ان لديه مطارات بناها بنفسه ولنفسه موزعة فى عدة مناطق مما لايمكن الوصول اليها عن طريق البر والبحر، كما يملك بواخر وسفنا تمخر مياه اندونيسيا، للوصول الى الجزر المتناثرة والمتنائية فيها، كما يملك التبشير عدة جامعات على ارقى المستويات خاصة به اقيمت فى عدة مدن، وعددا كبير من المستشفيات الحديثة المتكاملة وعددا من المطابع الكبيرة لطباعة الكتب والصحف والمجلات ومئات الالاف من الاناجيل.

(٨) من البديهى ان ينبثق سؤال وجيه عما اذا كان بامكاننا عملْ شيىء فى تلك الاقطار التى يستهدفها التنصير مثل اندونيسيا وبنغلادش وافغانستان والسودان وغيرها التى ينقصها الكثير لمواجهة القوم؟

وجواب السؤال: نعم

وهو جواب مبنى على تجارب اجريناها منذ سنوات وحتى الآن وفى مواجهة حركات التنصير فى اندونيسيا حقا اننا نرى القوم فى ظاهرهم أقوياء، سواء فى قطاع المادة او فى قطاع المعدات التقنية والتخطيط. ولكنهم بجانب ذلك لديهم نقاط ضعف

لايستطيعون تغطيتها بكل مايملكون من قوى.

ونحن ضعفاء فى قطاع المادة والنقص فى التنظيم، ولكننا نملك كثيرا من القوى الدفينة بجانب قوة معنوياتنا التى نستطيع ان نطورها ونحركها بصفة منتظمة وبتخطيط نستطيع معه ان نواجه القوم

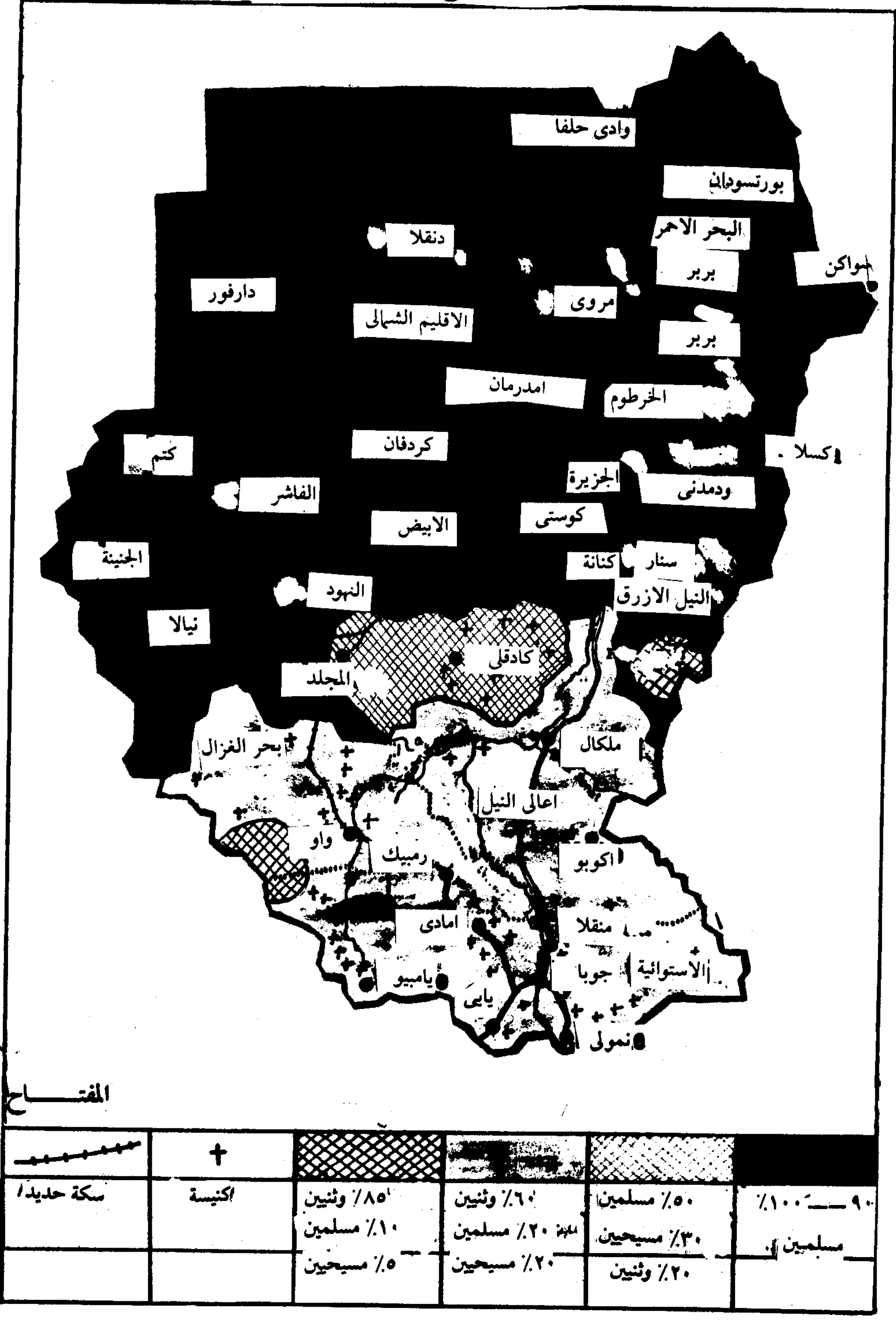
وفى هذا الصدد ارجو ان شاء الله ان اتقدم خلال هذه الدورة بمذكرة الى الامانة العامة تتعلق بما ذكرت لبحثها من قبل اللجنة المختصة واذا اقتضى الامر فستبحث فى جلسات مجلسنا الموقر.

مكة المكرمة فى ٢٢ ذى القعدة سنة ١٣٩٥.

محمد ناصر

تقديرات قيمة المبانى الواردة فى هذا البحث تحسب على اساس قيمة الجنيه لعام ١٩٨٢م وكذلك المصروفات المدرسية.

خريطة تقريبيه لتوزيع الاديان فى السودان .



المصادر والمراجع

المراجع العربية

١) تقارير لجان المسح الميداني .

٢) وثائق التبشير المسيحي بكل من مكتبة السودان » دار الوثائق ومعهد الدراسات الافريقية والاسيوية ، المجلس الاعلى للشئون الدينيه والاوقاف .

٣) جريدة السلام (جريدة ثقافية اخبارية نصف شهرية محررها السيد حنا آدم ، سكرتير التحرير سعد سليمان تادرس ، الناشرون لجنة العمل الكاثوليكي .)

٤) أحمد عبد الرحيم نصر ، الادارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ـ الخرطوم ١٩٧٩م .

٥) أبراهيم عكاشة علي ـ التبشير الديني في جنوب السودان ١٨٩٨ ـ ١٩٤٧م رسالة دكتوراة جامعة القاهرة ١٩٧٨م .

٦) القس الاب د. فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث الخرطوم ١٩٧٨م .

٧) مجلة (SUDANOW) مجلة شهرية تصدرها وزارة الثقافة والاعلام السودانية .

المصادر الإنجليزية

Bibliography

English Sources

Abbas, Mekki, *The Sudan Question*, Faber & Faber, London, 1952.

Abd-Rahim, Muddathur, *Imperialism and Nationalism in the Sudan: A Study of Constitutional and Political Development, 1899–1956*, Clarendon Press, Oxford, 1969.

Abdulillah, Daud al-Jamal, *A Social History of the Christian Church in Northern Sudan, 1820–1956*, Department of History, Faculty of Arts, University of Khartoum, 1985.

Addis, William E. et al., *A Catholic Dictionary*, Virtue & Co., London, 1955.

Arnold, T.W., *The Preaching of Islam: A History of the Propagation of the Muslim Faith*, Ashraf, Lahore, 1968.

Barrett, David B. (ed.), *World Christian Encyclopaedia*, Oxford University Press, 1982.

Beshir, Mohammed Omer (ed.), *Southern Sudan, Regionalism and Religion*, Graduate College, University of Khartoum.

Blyden, Edward W., *Christianity, Islam and the Negro Race*, W.B. Whittingham & Co., London, 1888.

Brelvi, Mahmud, *Islam in Africa*, Institute of Islamic Culture, Lahore, 1964.

Brett, Michael, *Northern Africa: Islam and Modernization*, Frank Cass, London, 1973.

Buhlmann, Walbert, OFMC, *The Missions on Trial*, Addis Ababa, 1980.

Cash, W. Wilson, *The Changing Sudan*, Church Missionary Society, London, 1930.

The Catholic Encyclopaedia, XVI, New York, 1914.

———, ibid., XII, New York, 1914.

Church of Rome, *The Black Book of the Sudan, On the Expulsion of the Missionaries from Southern Sudan: An Answer,* Instituto Antigianelli, Milano, Italy, 1964.

Collins, R.O., 'The Establishment of Christian Missions and Their Rivalry in Southern Sudan', *Tarikh,* Vol. 3, No. 11, 1969.

———, *Land Beyond the River: The Southern Sudan 1898–1918,* Yale University Press, 1971.

———, *Shadows in the Grass,* London, 1984.

Collins, R.O. and Ding, Francis (eds.), *The British in the Sudan 1898–1950,* England, 1984.

Cromer, *Modern Egypt,* Vol. 2, Macmillan, London, 1908.

Cross, G.L. (ed.), *The Oxford Dictionary of the Christian Church,* Oxford University Press, 1974.

Daly, M.W., *Sudan,* Clio Press, Oxford, 1983.

Dempsey, James, *Mission on the Nile,* Burns & Oates, London, 1955.

Derud, Francis Mading, *The Man Called Deng Majok: A Biography of Power, Polygamy and Change,* Yale University Press, 1986.

Donaldson, Clair, *The Call from the Moslem World,* Press and Publication Board of the Church Assembly, Church House, Westminster, S.W.1., 1926.

Ellis, Kail C., *The Vatican, Islam and the Middle East,* Syracuse University Press, 1987.

Fowler, Montague, *Christian Egypt,* London, 1901.

Gelsthorpe, A. Morris, *Introducing the Diocese of Sudan,* McCorquodale & Co., London, 1946.

Gill, Aldo, *Daniel Comboni, The Man and His Message: A Selection from the Writings of Bishop Daniel Comboni (1831–81),* Editrice Missionaria, Bologna, 1980.

Goodall, Norman (ed.), *The International Review of Missions,* Vols. 30–35, 1941–46, New York.

Grundy, Kenneth W., *Guerilla Struggle in Africa: An Analysis and Preview,* Crossman, New York, 1971.

Groves, C.B., *The Planting of Christianity in Africa,* Vol. 3, Lutterworth, London, 1964.

Gurdon, Charles, *Sudan at the Crossroads*, England, 1984.

Hall, Marjorie and Ismail, Bakhita Amin, *Sisters Under the Sun: The Story of Sudanese Women*, Longman, London, 1981.

Henderson, K.D.D., *The Making of Modern Sudan: The Life and Letters of Sir Douglas Newbold*, Faber & Faber, London, 1952.

Hennes, Gerhard G., *Alone, You Get Nowhere*, WCC, Geneva, 1977.

Hill, Richard, *A Biographical Dictionary of the Anglo-Egyptian Sudan*, Clarendon Press, Oxford, 1951.

Holt, P.M., *The Islamization of the Nilotic Sudan in North Africa: Islam and Modernization*, Frank Cass, Weidenfeld & Nicolson, London, 1973.

Holt, P.M. and Daly, M.W., *The History of the Sudan: From the Coming of Islam to the Present Day*, SPCK, London, 1979.

Jackson, H.C., *Pastor on the Nile, Being Some Account of the Life and Letters of Llewellyn Henry Gwynne*, London, 1960.

Al-Jubouri, Dhia A.H.A., *The Medieval Idea of the Saracen, as illustrated in English Literature, Spectacle and Sport*. A thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy in the University of Leicester, 1972.

Kitching, A.L., *From Darkness to Light: Pioneer Missionary Work on the Upper Nile*, SPCK, London, 1935.

Latourette, Kenneth Scott, *A History of the Expansion of Christianity, 1800–1914*, Harper & Row, New York, 1978.

LE. Per 334142 Anya Nya, Material reserved in the School of African and Oriental Studies, London.

MacMichael, Harold A., *A History of the Arabs in the Sudan*, Cambridge University Press, 1922.

———, *The Sudan*, Benn, London, 1959.

Magnus, Philip, *Kitchener: Portrait of an Imperialist*, John Murray, London, 1958.

Malwal, Bona, *People and Power in Sudan: The Struggle for National Stability*, Ithaca Press, London, 1981.

Mawut, Lazarus Leek, *The Southern Sudan, Why Back to Arms?* Khartoum, 1986.

Morrison, Godfrey, *The Southern Sudan and Eritrea: Aspects of Wider African Problems*, Minority Rights Group No. 5, 1971.

The Muslim Youth Movement of South Africa, *The Dutch Reform Report on Islam and Muslims in Africa*, South Africa, 1986.

New Catholic Encyclopaedia, Vol. 4, London, 1967.

O'Ballange, Edgar, *The Secret War in the Sudan, 1955–72*, Faber & Faber, London, 1977.

Page, J.D. and Oliver, Roland, *The Cambridge History of Africa, Vol. 8: 1940–75*, Cambridge University Press, 1984.

Pictorial Records of the English in Egypt, with a Full Description of the Life of General Gordon, Sangster & Co., London, 1886.

Pro Mundi Vita: Dossiers, Quarterly 1.1.1984, 'The Catholic Church in Sudan: A Golden Opportunity Lost'.

Public Record Office, Foreign Office: 371/97044; 371/126016; 371/119686; 371/24634.

Report of World Missionary Conference, 'Government and Islam', *The Muslim World Review*, Vol. VII, 1921.

Rheem, Gailyn Van, *Church Planting in Uganda*, William Carey Library, South Pasadena, California.

Sabry, Hussein Zulfakar, *Sovereignty for Sudan*, Ithaca Press, London, 1982.

Said, Beshir Mohammed, *The Sudan: Cross Roads of Africa*, Bodley Head, London, 1965.

Sanderson, Lilian Passmore and Sanderson, Neville, *Education, Religion and Politics in Southern Sudan*, Ithaca Press, London; Khartoum University Press, 1981.

Santic, Paul and Hill, Richard, *The European in the Sudan, 1834–78*, Oxford, Clarendon Press, 1980.

Steiner, Rolf, *The Last Adventurer*, translated by Steve Cox. Boston, Toronto, 1978.

Stevenson, R.C., *The Nuba People of Kordofan Province*, Graduate College Publication Monograph 7, University of Khartoum.

Sylvester, A., *Sudan Under Numeiri*, Bodley Head, London, 1977.

Tetsch, Ernst J. (ed.), *Christian and Islamic Contribution Towards Establishing Independent States in Africa South of the Sahara.* Papers and proceedings of the Africa Colloquium, Bonn-Bad Godesberg, 2–4 May, 1979, Stuttgart, 1979.

Toynbee, Arnold J., *Between the Niger and the Nile,* Oxford University Press, London, 1965.

Trimingham, J.S., *The Christian Approach to Islam in the Sudan,* Oxford University Press, 1948.

———, *Islam in the Sudan,* Frank Cass, London, 1983.

The Vigilant, a Sudanese newspaper, out through 1966–67.

Wai, Dunstan M., *The African-Arab Conflict in the Sudan,* New York, 1981.

Watson, Charles R., *The Sorrow and Hope for the Sudan: A Survey of Missionary Conditions and Methods of Work in the Egyptian Sudan,* The Board of Foreign Mission of the Presbyterians, Philadelphia, 1913.

Watt, W. Montgomery, 'Thoughts on Muslim-Christian Dialogue', *Hamdard Islamicus,* Karachi, Vol. 1, No. 1, Summer 1978.

Wingate, F.R., *Mahdism and the Egyptian Sudan,* Frank Cass, London, 1968.

———, *Ten Years' Captivity in the Mahdi's Camp, 1882–92.* From the original manuscript of Father Joseph Ohrwalder, 2nd ed., London, 1892.

Woodward, Peter, 'The South in Sudanese Politics: 1946–56', *Middle Eastern Studies,* October, 1980.

حسن مكى محمد أحمد مواليد ١٩٥٠ الحصاحيصا.

وتنتمى اسرته لعشائر البديرية فى منطقتى منصوركتى وقنتى بالاقليم الشمالى.

نال الدكتوراة فى الدراسات الإفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم.

يهتم بدراسات الإسلام والحركات الإسلامية وأوضاع السياسة والثقافة فى العالم الإسلامي والإفريقي.

صدر له من الدراسات

١- تاريخ حركة الاخوان المسلمون فى السودان ١٩٤٤ - ١٩٦٩م

٢- مفاهيم فى فقه الحركة.

٣- السياسات الثقافية فى الصومال الكبير ١٨٨٥ - ١٩٨٦

٤- الإسلام والتعايش مع الأديان الأخرى.

٥- حركة البعث الإسلامى المعاصر فى ايران.

٦- تاريخ الحركة الإسلامية فى السودان ١٩٦٩ - ١٩٨٥م ومغزى خطابها السياسي.

٧- تطور أوضاع المسلمين الارتريين.

٨- السياسة التعليمية والثقافية العربية فى جنوب السودان.

٩- السيد/ أحمد بن ادريس الفاسى فكره السياسى ومنهجه فى العمل.

١٠- SUDAN: The Christian Design

١١- التبشير المسيحى فى العاصمة المثلثة.

وله تحت الطبع:

فى مغزى الثقافة السنارية «بمناسبة مرور خمسمائة عام قمرى على قيام مملكة سنار ٩١٠هـ/ ١٤١٠هـ»